عبد الرحمن السميط
أسطورة العمل الإغاثي

تأليف

عبد العزيز سعود العويد



عبد الرحمن السميط

أسطورة العمل الإغاثي



آفـاق للنشر 2016 م

الطبعة الأولى: 1437 هـ - 2016 م

عبد الرحمن السميط: أسطورة العمل الإغاثي – العويد، عبد العزيز

642 ص؛ 21 X 22.5 سم.

ردمك: 978-1-910746-66-0



آثار للأعمال التاريخية

Tel : 22646002 - 60756727

Email: aatharq8@gmail.com

Website: aathar.org



Tel.: +965 22256147 - Fax: +965 22256142

P.O.Box: 20585 Safat - Postal Code: 13066 Kuwait

info@aafaq.com.kw

www.aafaq.com.kw

شكر وثناء

شكر جزيل ، وثناء نبيل لكل من ساهم في توثيق مسيرة د. عبد الرحمن السميط في برنامج « عبد الرحمن الفاتح » ، وهذا الكتاب :

جمعية العون المباشر

د. عبد الله عبد الرحمن السميط

خالد فاضل الفضلي

محمد سعود العويد

أشرف خلف

فريق آثار للإنتاج الفني

والشكر موصول لمن ساهم في دعم هذا الكتاب :

مكتبة الشيخ عبد العزيز بن خالد آل ثاني في قطر

السيد محمد جاسم السداح

السيد محمد صالح الخنة

السيد زياد حمد الفارس

السيد أسامة عبد العزيز البابطين

كلمة آثار للأعمال التاريخية

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد :

فإن آثار للأعمال التاريخية مركز متخصص في إصدار جميع إنتاجات الأستاذ عبد العزيز العويد من برامج تلفزيونية وإذاعية وكتب وأعمال أخرى ، وكلها في مجال التوثيق التاريخي واللغوي .

وما زالت آثار للأعمال التاريخية - بفضل الله - تقدم لمتابعيها الكرام جهودا توثيقية لمؤسسات وشخصيات ساهمت مساهمة كبيرة في خدمة دينها ومجتمعاتها .

وقد حرصت آثار على أن يكون مشروع التوثيق بجوانبها الثلاثة : المرئي ، والمسموع ، والمكتوب لائقا بعقول المتابعين النيرة .

وقد يسر الله - عز وجل - إصدار مجموعة من الإنتاجات المرئية والمسموعة والمؤلفة ، والتي تجدها في السيرة الذاتية للمؤلف ، والموجودة في ظهر الكتاب .

وهذا الكتاب أو الموسوعة الذي بين يديك يعد أول كتاب توثيقي يتناول سيرة أسطورة العمل الإغاثي د . عبد الرحمن بن حمود السميط - رحمه الله- بالتفصيل ، والذي تم التواصل فيه مع الكثير من محبيه داخل وخارج الكويت ، وتم توثيق جزء كبير منه في برنامج تلفزيوني حمل اسم «عبد الرحمن الفاتح » عرض في العديد من القنوات مع ترجمته إلى عدة لغات في رمضان سنة (١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م) .

وقد جمعت المعلومات من مصادر مرئية ومسموعة ومكتوبة وشفهية وثق أكثرها مما يمكن توثيقه، وترك كثير منها مما هو عبارة عن مواد مرئية أو مسموعة بصوت الفقيد - رحمه الله - عبر الإنترنت .

ونسأل الله - عز وجل - أن يكون هذا الكتاب معرفا ببعض جهود هذه القامة الإنسانية والتي قدمت للأمة والإنسانية عطاء يندر مثله في التاريخ .

كما نسأله - سبحانه - أن يرحم د . عبد الرحمن السميط ، وأن يشكر ما قدم للأمة ، وأن يرفع مقامه في الجنة ، اللهم آمين ، والحمد لله رب العالمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

يتلعثم اللسان والقلم هنا وأنا أعزم على عرض سيرة رجل لا يعد نادر عصره، أو أعجوبة دهره فحسب، وإنما أحسبه - والله حسيبه - أنه من نوادر تاريخ الزمان، ومن أعاجيب الرجال ما تعاقب الملوان، وتناوب الجديدان.

حلف الزمان ليأتين بمثله   حنثت يمينك يا زمان فكفر

أكتب مقدمتي هذه بعد أن جمعت مئات المواقف لرجل في كل موقف من مواقف حياته عِبرة، متضمنا بسمة أو عَبرة، خرج من نفسه وأهله وماله وولده ووقف روحه وبدنه لله، فهو يعد نفسه وقفا على الدعوة والخير في إفريقيا لا يجوز صرفه في غير ما وقف عليه، ولا الرجوع في الوقف.

أكتب مقدمتي هذه وأنا والله لا أعلم ماذا سيصنع قلمي فيما سيأتي من سطور، وهو يعرض عجائب تارة في الحزن، وتارة في السرور، ستطيش معها بلاغة البلغاء، وترتج عنها فصاحة الفصحاء، فإما أن يحسن وصف الأمل والألم، وإلا فليكسر القلم.

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله   ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

بعد وفاة الداعية د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - رغبت في أن أنال شرف توثيق مسيرته، فبدأت أجمع كل ما كتبه د. عبد الرحمن السميط في مقالات، أو كتب، أو قاله في لقاءاته التلفزيونية والإذاعية، وما كتبه أو قاله عنه غيره فيه، فمكثت في ذلك ما يقرب من سنتين من العمل المتواصل.

ونظرا لما يمتلكه الإعلام في قوة في التأثير فقد تضمن مشروع التوثيق وبالتعاون مع جمعية العون المباشر إنتاج فلم وثائقي من ثلاثين حلقة يعرض مسيرة الفقيد، ويصور في بعض البلاد التي عمل فيها، مع الالتقاء بالمقربين منه، أو من عمل معه في الكويت والخليج، أو في البلاد الإفريقية.

تم العمل - بفضل الله - وعرض في العديد من القنوات، وترجم إلى لغات عدة، وكان تأخير إصدار الكتاب خيرا، فمعايتني للمناطق التي عمل فيها د. عبد الرحمن السميط، ولقائي بمن عمل معه أضاف لي غير المواقف له انطباعا أكبر عن شخصيته، وتعمقا في فهم سيرته أسهم إسهاما كبيرا في دعم هذا العمل الذي بين أيديكم.

لا شك أن مآثر د. عبد الرحمن السميط وأعماله الجليلة يصعب جمعها في مكان واحد لاسيما مع اكتشاف مواقف وقصص أخرى، فكلما جالست بعض معارفه حدثني بموقف أو أكثر مما لا يعرفه غيره، أو ليس مشهورا عنه، فانتظار جمع كل مواقفه سيؤخر عمل الكتاب كثيرا، ولذا فمن الحق أن أخرج العمل بما وقفت عليه من مواقف على أن تتم الإضافات والتعديلات في طبعات أخرى، لاسيما أن هذا العمل قد يكون قاعدة ينطلق منها الباحثون وغيرهم ممن يريد أن يكتب عن د. السميط، أو يخرج عنه عملا، كوني اعتمدت على مصادر متنوعة من لقاءاتي بأسرته وأكثر من ثلاثين شخصية من المقربين منه، ومما كتبه هو أو قاله، أو كتبه غيره أو قاله عنه.

مع التنبيه على أنني أحرص على توثيق المواقف ما استطعت لأن بعضها مأخوذ من مقاطع مرئية أو صوتية له متنوعة عبر الإنترنت لا تظهر مصدرها من القنوات أو المناسبات.

وفي الختام أسأل الله أن يجزي الداعية د. عبد الرحمن بن حمود السميط خيرا، وأن يشكر له ما قدمه للأمة، وأن يجله ذخرا له يوم القيامة، وأن يغفر ذنبه، ويعلي في الجنة درجته، ويجعل الخير في أهله وذريته، ويبارك في أعماله الدعوية، ويكتب لها الدوام، اللهم آمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد العزيز بن سعود العويد

الكويت

الفصل الأول

البطاقة الشخصية

الباب الأول

مولده ونشأته

« والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه »

إنّ للبيئة والنشأة أثراً كبيرا على التربية، فالبيئة الصالحة لا تُخرج إلا صالحاً، والنشأة الطيبة لا تأتي إلا بطيب.

فمن نعم الله على المرء أن يرزقه أسرة صالحة تحسن تنشئته وإقامة عوده الأخضر على طاعة الله وطاعة نبيه – صلى الله عليه وسلم –، وحب صحابته وأهل بيته الأشراف الطيبين، وعلى حب الخير وحسن الأخلاق.

فما من نبتة أسعد حظا من نبتة طيبة غرست في أرض خصبة يرويها ماء عذب طاهر، وتشرق عليها شمس صافية، وتفيئها ريح طيبة، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٨).

وقد التفت الإسلام إلى البدء بتعليم العقيدة السليمة للناشئة منذ الصغر، فهذا الرسول – صلى الله عليه وسلم – يقول لابن عباس– رضي الله عنهما – : « يا غلام، إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

ولا شك بأن صلاح الوالدين أو طلاحهما يلقي بظلاله على نهج الأبناء وكأنه انعكاس الظل لهما، ومن طرائف ذلك قول الأصمعي:

مَشَى الطاووسُ يوماً باعْوجاجٍ
فقلدَ شكلَ مَشيتِهِ بنوهُ

فقالَ: علامَ تختالونَ؟ فقالوا:
بدأْتَ به، ونحنُ مقلدوه

فخالِفْ سيركَ المعوجَّ واعدلْ
فإنا إن عدلْتَ معدلوه

أمَا تدري أبانا كلُّ فرع
يجاري بالخُطى من أدبوه؟!

وينشَأُ ناشئُ الفتيانِ منا
على ما كان عوَّدَه أبوه

عبد الرحمن السميط
ابن الكويت أرض العطاء



رغم روعة ما قدمه الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- من خدمات للعالم، وعظمة ما قام به من أعمال تدهش العقول بحجم العطاء فيها، ورغم افتخار الكويت بابنها البار النادر المثال إلا أن الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - لم يكن بدعا بين أهل الكويت، فقد اشتهرت الكويت منذ القدم بأعمال الخير وأيادي الفضل، وعلى هذا الصراط القويم الذي خطه أهل الكويت من الآباء والأجداد سار الدكتور عبد الرحمن السميط-رحمه الله- رحمة واسعة.

وقد يعتقد الكثير أن العمل الخيري بالكويت ارتبط بالانتعاش الاقتصادي للدولة أو ارتبط بتحسن الأحوال المعيشية لشعبها البار، ولكن الحقيقة أن الكويت وأهلها عرفت بالعمل الخيري منذ نشأتها ويشهد على ذلك انتشار الأوقاف والزكوات والصدقات والمشاريع الخيرية في ربوع الكويت وخارجها، إذ تكاد تنطق جميعها بحب الكويت وإيمان شعبه العريق بمسئولياته الإسلامية والإنسانية تجاه إخوانهم في مختلف بقاع الأرض، تحدوهم في ذلك رغبة طيبة في إرضاء الله تعالى من ناحية، وتغذية روح التكافل والإيثار ورحمة المعوزين والمحتاجين من ناحية أخرى، فضلا عن النزوع إلى الفطرة السليمة والخصلة العربية الأصيلة التي تدفع نفوس أهل الكويت الأبرار إلى أن يعملوا على نجدة المستغيثين وإعانة المحتاجين، وتقديم العون لكل من يحتاج إليه.



كبيرة للمحسنين الكويتيين، حتى في العهود التي كان الناس يعيشون فيها على بساطتهم، وفطرتهم البسيطة. وكيف أنهم كانوا يتسابقون في عمارة المساجد، وإطعام الفقراء والمساكين، [illegible] ثم بعقب ذلك قيام المؤسسات الخيرية تتسلم الراية من الأفراد وتقوم بتبني هذه الأعمال [illegible] التي بدأها الأوائل من أسلافهم الكرام العظام.

إني لتطربني الخلال كَريمَةً
طَرَبَ الغَريبِ بِأَوبَةٍ وَتَلاقِ

وَتَهُزُّني ذِكرى المُروءَةِ وَالنَدى
بَينَ الشَمائِلِ هِزَّةَ المُشتاقِ

ما البابِلِيَّةُ في صَفاءِ مِزاجِها
وَالشَربُ بَينَ تَنافُسٍ وَسِباقِ

بِأَلَذَّ مِن خُلُقٍ كَريمٍ طاهِرٍ
قَد مازَجَتهُ سَلامَةُ الأَذواقِ

يقول رئيس جمعية النجاة الخيرية السيد أحمد الجاسر في برنامج «عبد الرحمن الفاتح» إعداد وتقديم: عبد العزيز العويد - في لقاء معه أثناء توثيق مسيرة د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله -: لا شك أن العمل الخيري الكويتي له بصمة واضحة، ليس في إفريقيا فحسب بل أيضا في الدول المانحة للعمل الخيري، فهو أنموذج يحتذى من قبل الجهات والمؤسسات التي لحقت بركب العمل الخيري، والتي أسست مؤسسات نتج عنها أعمال قد يفوق حجمها أحيانا العمل الخيري الكويتي، لكن النواة الأساسية كانت هي النموذج الكويتي، وهذا الأمر يسجل للعمل الخيري الكويتي، إلى جانب انتشاره الجغرافي إلى جميع مناطق الأرض سواء في إفريقيا، أو الدول الإسلامية، أو في الأقليات والجاليات في جميع أنحاء العالم. ا. هـ

السيد أحمد الجاسر

طفولة تحكي شخصية السميط

ولد د. عبد الرحمن بن حمود السميط – رحمه الله – في العاشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٦٦ الموافق العاشر من أكتوبر سنة ١٩٤٧م في أسرة متدينة محبة للخير، فوالده – رحمه الله – كان رجلا صالحا ملازما للمسجد، وربى أولاده على ذلك.

ساهم تدين هذه الأسرة وصلاحها في صقل شخصية الابن عبد الرحمن منذ صغره.

وينشَأُ ناشئُ الفتيانِ منا
على ما كان عوَّدَه أبوه

وكان ملازما للمسجد منذ صغره، فكان يلقب بالملا، وهو لقب يطلق على المتدين.

والملا: كلمة فارسية تطلق على المعلم، وكان الكويتيون يطلقونها على معلمي الكتاتيب قديما.

يقول الدكتور عبد الله بن عبد الرحمن السميط في تسجيل خاص حول مسيرة د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله –: لا شك أن للبدايات دورا كبيرا في حياة المرء، فقد نشأ الوالد الدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله– في بيئة محافظة متدينة، إضافة إلى أنه هو بذاته كان متميزا بتدينه بين إخوانه وأصحابه منذ صغره، ولم تكن الأطفال في سنه تفرض عليهم الصلاة بطبيعة الحال، إلا أنه كان ملتزما بالصلاة منذ صغره رغم أنه لم يتعد الخامسة، بل كان يصلي الفجر في المسجد!

تقول زوجته أم صهيب – حفظها الله –في أوراق بعثت بها حول علاقتها بأبي صهيب: كان في طفولته هادئ الطبع، حتى وقت فطامه لم تسهر معه والدته كعادة باقي الأطفال، وكان في دراسته جاداً، فقد تدين صغيراً، وكان لا يجامل ولا يداهن في أمر الدين.

وعندما كان يرافق والده في عمل ما مشيا على الأقدام، يتضايق والده لكثرة توقفها في الطريق، حيث إنه يأخذ من أمامه في الطريق كل قصاصة ورق أو جريدة أو مجلة لكي يقرأها، ومنها اكتشف والده موهبته في القراءة وحرص أشد الحرص على توفير المجلات والكتب لكي يشبع رغبته، وكان يحرص على أن يستقطع من راتبه لشراء الكتب ومساعدة المحتاجين.



د. السميط في [illegible]

تكوينه الثقافي وحبه للقراءة

من علامات تقدم الأفراد والأمم [illegible] هواية القراءة وعشق حب القراءة حتى للأفراد، ومن مقاييس الارتقاء في حضارة [illegible] الأمة من كتب في شتى مجالات المعرفة، [illegible] الحضارة مقياسا أقرب من ذلك، فالبعض [illegible] وعسكرية ولكن معيار الدول بالوجاهة هو كثرة [illegible] انتشار الكتب والمكتبات في الدولة [illegible] الإسلامية عبر عصورها.

وعلى هذا النهج الذي سار عليه علماء الأمة وأسلافها العظام سار الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- فقد أحب عبد الرحمن السميط القراءة منذ صغره حتى إن والده هدده في أكثر من مرة أنه لن يصطحبه إلى السوق، وكان إذا رأى صفحة جريدة أو مجلة ملقاة على الأرض ركض لالتقاطها وقراءتها أثناء المشي، وكثيراً ما كان يصطدم بالناس بسبب عدم الانتباه إلى الشارع، وقد أمضى فترة طويلة يتردد على مكتبة حولي العامة للقراءة، وكانت تضم أمهات الكتب.

[illegible] وصلاح النشأة [illegible] كبيرة في تشكيل شخصية عبد الرحمن السميط منذ صغره، وجعلته [illegible]



ومن جالس د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - رأى أن عنده ثقافة كبيرة، فقد اكتسب هذه الصفة عبر حبه للقراءة، وملازمته للكتب منذ صغره.

ولا شك أن هذه القراءة فتحت عينيه على معلومات مهمة لم تكن متاحة لأقرانه، فقد كانت قراءاته متنوعة حيث شملت العلوم الشرعية والأديان الأخرى والسياسة والاقتصاد وغيرها، وكان من عادته أنه إذا أمسك بكتاب مهما كانت عدد صفحاته لا يتركه حتى ينهي قراءته، وفي بعض الأحيان كان يذهب إلى مكتبة حولي قبل موعد الدوام ليكون أول الداخلين إليها، وعندما تغلق أبوابها يكون آخر الخارجين، وكانت معظم أمواله متجهة إلى شراء الكتب من المكتبات خاصة التي كانت تأتي من مصر.



الكشافة مصنع الرجال

ومما أصقل عود الصبي الصغير عبد الرحمن السميط حتى اشتد صلبا قويا أنه اشترك في نشاط الكشافة لمدة تقارب سبع سنوات ترك في حياته بصمات واضحة من حيث التكوين الإسلامي وتحمل المشاق والصبر على شظف الحياة، فلا شك أن نشاط الكشافة له أثر عليه من حيث اكتسابه الجلد والاعتماد على الذات، وكان أكثر ما استفاده أنه ذهب في رحلة حول منطقة البحر المتوسط بماء قليل ومتاع الكشافة كان أقل، وكانوا يتنقلون هو وأصحابه عن طريق السيارات العابرة، وكان يفترق عن صحبه ثم يلتقون وجعلوا لهم إشارات بأسمائهم للكشافة فيما بعد، وقد خرج السميط الصغير بهذه التجارب الحياتية العملية إضافة إلى التربية الصالحة والحياة المنزلية بشخصية مبادرة مثابرة تتحمل الصعاب قادرة على حل ما يواجهها بجلد وصبر.


السميط في صورتين نادرتين باللباس الرسمي الكامل للكشافة

في سنة (١٩٦٧م) ذهب للجهاد مع الفدائيين في فلسطين هو ومجموعة من الشباب، ولم يخبر أهله بسفره وخشية على صحته، لكنهم وجدوا صعوبة في مكان [illegible] ولكن ظروف الدول العربية في ذلك الوقت منعتهم من الوصول إلى مبتغاهم ورجعوا إلى الكويت!!

وما ذكر هنا هو نموذج مما يتسم به عبد الرحمن السميط – رحمه الله – من أخلاق وشمائل، فكانت عاقبة ذلك أن صار عبد الرحمن السميط من أهل الصلاح والخير، صالحا في نفسه مصلحا في غيره.





السميط مع فريق الكشافة ثانيا من اليمين جلوسا

صار عبد الرحمن السميط من واسعي الثقافة والاطلاع، محبا للقراءة، مصاحبا للكتاب قراءة وتأليفا إلى آخر عمره.

صار عبد الرحمن السميط محبا للجد، مجتهدا في حياته، مقدما على غيره، ناجحا في عمله، محققا لأحلامه وطموحاته.

صار عبد الرحمن السميط حاملا لهمّ أمته، مبتهجا بأملها، حزينا على ألمها، فلم يثقله الفرح عن العمل، ولم يقعده الحزن لانتظار الأجل.

إن سيرة عبد الرحمن السميط في صغره تبعث همة وأملا في نفوس شبابنا وأسرهم، فالعظماء يبنون ترسخ عظمتهم منذ الصغر، ثم يزداد بناء سنوات لعظمة بناء حتى يعتز ببناء عظيم وصرح كريم



همة الخير متوقدة

في أيام الشباب أكد الإسلام دوما على دور الأصحاب والأصدقاء والجلساء في تربية الإنسان والتأثر بهم فقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [سورة الكهف الآية: ٢٨]

وقال – صلى الله عليه وسلم–، ((إِنَّمَا مَثَلُ الجليس الصالحُ والجليسُ السوءِ كحامِلِ المسك، ونافخِ الكيْرِ فحاملُ المسك: إما أن يُحْذِيَكَ، وإما أن تبتاع منه، وإمَّا أن تجِدَ منه ريحا طيِّبة، ونافخُ الكير: إما أن يَحرقَ ثِيَابَكَ، وإما أن تجد منه ريحا خبيثَةً)) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري.

ودعا – صلى الله عليه وسلم– إلى الصلوات الجامعة ليوفر حسن الصحبة في كل وقت، ودعا إلى مجالسة الصالحين فقال: «لا تُصَاحِبْ إلا مُؤْمِناً، ولا يأكُلْ طَعَامَكَ إلا تَقِيّ» أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري.

فمن صحِبَ الأخيار ارتقوا به ذروة العلا وإلى رضا الله، ومن صحب الأشرار هووا به إلى الهلاك بأسفل سافلين، في عاجل الدنيا قبل آجل يوم الدين.

وفق للدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله – في شبابه التواصل مع الرفقة الطيبة، والصحبة الصالحة في بعض المحاضن التربوية المنتشرة في الكويت، فكانت بمثابة مفاتيح خير، ومنارات

تشرق في ربوع الكويت، فاكتسب منهم حب الخير للغير، تاركا وراءه الذكر الحسن والسيرة العطرة بين الناس، وكانت انطلاقة هذه المحاضن وقاعدتها هي المساجد بيوت الله – تعالى –، فكان الشباب يحفظون القرآن والسنة، وينهلون من علوم الشريعة على يد علماء أكفاء، ومربين أجلاء يغذون فيهم معاني الحب والخير للناس.

وقد أسهمت هذه المحاضن التربوية في نفس صاحبنا عبد الرحمن السميط، وقد رأيته إلى آخر حياته – رحمه الله – قوي الصلة برفقاء تلك المحاضن، بل إن كثيرا منهم قد شاركه العمل الإنساني في جمعية العون المباشر بمراحلها المختلفة، أو في جمعيات خيرية أخرى.

سيارة السميط سبيل لمن ليس له سيارة

يقول علماء الاقتصاد: إن الاقتصاد هو علم الندرة، يشيرون بذلك إلى آن منذ بدء الخليقة كانت المشكلة الاقتصادية ناجمة عن التباين بين كثرة وتنوع احتياجات الناس أفرادا وجماعات من جهة، وبين ندرة أومحدودية الموارد وعدم كفايتها لإشباع هذه الاحتياجات من جهة أخرى!

[illegible] تعالى: [illegible] للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب [illegible]

إن حب المال والاقتناء خاصية آدمية لو تركها الإنسان تنمو بداخله وتتملكه لكان فيها فساد حاله ثم تنتهي بهلاكه، لأن الآدمي يرى في المال مزية كبرى تتيح له كل ما يتمنى من القوة حيث يقتني ويحوز وينال ما يتمناه أو يرجوه أو يرغبه من الأشياء والممتلكات ومن الخدمات إشباعا لرغباته المادية أو الحسية أو الأدبية أو المعنوية دون احتياج -في نظره- لأي سند آخر علمي أو اجتماعي أو سياسي أو ديني أو أخلاقي! !

وقد تفجر نبع الخير الصافي مبكرا من هذا الرجل النبيل، حيث بدأ ذلك منذ كان طالبا في المرحلة الثانوية، ونحسبه إن شاء الله من الذين زكاهم النبي – صلى الله عليه وسلم بقوله – «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله». . . . ومنهم «شاب نشأ في طاعة الله».

يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله -: وقد كان جيلنا والجيل الذي قبلنا تقل فيه السيارات بين الشباب، فالسيارة الواحدة تقل العشرات أحيانا على نوبات متتالية، وكان صاحب السيارة مشارا إليه بالبنان فضلا وسيادة.

لكني لا أذكر أن عطاء صاحب السيارة يتعدى إلى ما سمت له همة د. عبد الرحمن السميط، فقد قسم استعمال سيارته ثلاثا:

تارة لنفسه وأهله، وأخرى لإخوانه وأحبابه، وأما الثالثة فهي باب يندر من يصنعه.

ذكر - رحمه الله - في برنامج «صفحات من حياتي» على قناة المجد الفضائية - تقديم: د . فهد السنيدي أنه قام بشراء سيارة ينقل فيها العمال والمساكين، ويوصلهم إلى أعمالهم وأماكنهم بلا مقابل كي لا يتعرضوا للشمس في انتظار أن تأتي المواصلات لتقلهم إلى أعمالهم أو منازلهم.

ولما استحسن هذا العمل اشترى هو وزملاؤه الطلبة في كندا سيارة بمساهمات طلابية.

فانظر كيف طهر الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- من حب التباهي بمتاع من الدنيا وآثر معاونة إخوانه بشيء يراه الناس عزيزا في تلك الأيام.

لقد كان النبيل د. عبد الرحمن السميط- رحمه الله - يرى أن السعادة الحقيقية لا تنبع من حسابات البنوك، بل من الشعور برضا ملك الملوك، وكان يقول- رحمه الله -: إذا كان البنك يعطيك ربحاً حوالي ٦٪ على ودائعك فيه، فإن الله سبحانه يعطيك عنها ما قد يصل إلى سبعمائة ضعف، مصداقاً لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «كل عمل ابن آدم يضاعف: الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف. .» متفق عليه.

الباب الثاني

أسـرتـه

القدوة أفضل المربين وأصدق المعلمين

ليس في علوم التربية عامل أشد تأثيرا في النفس البشرية من القدوة الحسنة، فإن كانت القدوة من الوالدين أو أحدهما كانت أعمق أثرا وأثبت في النفس نقشا وحَفرا، فمهما سمع الناس من المواعظ والخطب والدروس والعبر فلن يكون تأثير ذلك معشار ما يتأثرون به من موقف واحد يرونه بأعينهم رأي العين، ويعايشونه لحما ودما، لا سماعا وخبرا، فإن لسان الحال أفصح من لسان المقال. وقد ربى القرآن النبي – صلى الله عليه وسلم – على الاقتداء بمن سبقه وضرب له الأمثلة عنهم ليرفع من همته ويخفف من وطأة هموم الدعوة على قلبه الشريف ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ .

وحينما اشتدت صنوف الأذى على الرسول – صلى الله عليه وسلم – من قومه خاطبه الله بقوله:

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [سورة «الأحقاف: ٤٦] أي ولا تستعجل لهم العذاب. ولم يكن الدكتور عبد الرحمن السميط –رحمه الله– إلا نبتة طيبة في بستان ماتع لأبوين صالحين، تعلم منهما بالقدوة الحسنة والعمل الصالح أكثر مما تعلمه من نصحهما وتوجيههما.



أسرة من عبق الزمن الجميل

إن العظماء لا يولدون من بطون أمهاتهم عظماء، وإنما هو نتاج أسرة تربي ومعلم يوجه، ونفس طيبة تتلقى، وقد ساهمت أسرة الدكتور عبد الرحمن السميط –رحمه الله– في صقل مواهبه، وتنمية مهاراته، وإشباع حاجاته الروحية والعقلية، فقد نشأ – رحمه الله – في بيت صالح، وبين أبوين كريمين يغذيانه الدين والحكمة قبل الطعام والشراب.

يقول الدكتور عبد الرحمن السميط متحدثا عن والده-رحمها الله- في برنامج «صفحات من حياتي» على قناة المجد الفضائية - تقديم: فهد السنيدي: في أواخر الخمسينات لم يكن الكثير من الناس يملكون سيارة وكان الوالد لديه سيارة من طراز (أوبل) - على ما أعتقد هذا اسمها -، فكان من احتاج من الجيران إلى الذهاب للمستشفى أو أي مكان يذهب به في السيارة حتى إن إحدى جاراتنا كانت ستضع مولودها، فأرسلوا للوالد يذهب بها للمستشفى وذهبت معه ولم يكن زوجها حاضراً.

وتمر سنون قليلة ونرى الشاب عبد الرحمن السميط في المرحلة الثانوية يؤثر فيه منظر العمال والفقراء تلفحهم الشمس بحرها في انتظار وسيلة للمواصلات تقلهم إلى أعمالهم، فتحركه همته لعمل الخير، ورأفته بحال هؤلاء، فيجمع المال إلى المال حتى يشتري به سيارة متواضعة، فيقوم بإيصال من أراد منهم الذهاب لعمله دون مقابل إلا ابتغاء وجه الله. ترى هل كان ذلك بدعا من الخير نبع من نفسه الطيبة أم أنه فيض من أثر تربيته الصالحة واقتدائه بأبيه الصالح الذي رآه يفعل ذلك الفعل النبيل مع جيرانه الأقربين من قبل؟!

ويقول الدكتور عبد الرحمن السميط في نفس البرنامج: تربينا على احترام الوالدين وعلى الحب فيما بيننا وصلة الرحم التي كان الوالد والوالدة حريصين عليها حتى مع أقاربنا البعيدين، وقد كان بيتنا مفتوحا لكل زائر ومسافر.

وكانت الوالدة - أطال الله في عمرها وأصلح عملها - قد سارت على نهج الوالد في صلة الرحم، وكانت تحاول أن تساعدنا في الدراسة مع أنها كانت أمية، وكانت تنشر المحبة بيننا، وتحاول أن تقرب بين الأخوة.

زواجه الكريم وذريته الطيبة

إن المتأمل في سيرة النبيل الدكتور عبد الرحمن السميط يلاحظ أن همته العالية كانت تسعى به إلى أسمى المراتب الإنسانية والإيمانية في جميع أحواله مذ كان طفلا.

ثم تستمر مسيرة الهمة العالية في طريقها الصاعد كالنسور بحثا عن ذرا الجبال الشاهقة؛ إذ كان من المتفوقين علميا ودراسيا فالتحق بكلية الطب وهي مما يلقب بكليات القمة في عالمنا العربي.

ومن ملامح بحث الشاب المثالي عبد الرحمن السميط عن معالي الأمور أنه حين أراد الزواج وضع شروطا لا يضعها الكثير من الشباب غيره ولا يلتفتون إليها، إما لعدم اهتمامهم بها حينئذلاختلاف مشاربهم التربوية والاجتماعية تارة، أو لندرة ما كان يبحث عنه الشاب عبد الرحمن السميط تارة أخرى. فعندما شب عبد الرحمن السميط عن طوقه واشتد بين الرجال عُودُه أراد تلبية نداء سنة الحياة بالزواج، ولم يكن كغيره من الشباب يتمناها جميلة ذات حسب ونسب، ويغفلون عن أهم الشروط وهي الديانة والاستقامة وحسن الخلق، ولكنه اشترط أن تكون زوجته ممن تلبس الملابس الشرعية، متدينة تعينه على طاعة الله، لكنه اشترط شروط أخرى غريبة، فهو يريدها ليست جامعية، ولا تعمل، ولا تقود سيارة!!!

لقد كان الشاب عبد الرحمن السميط يظن أن دراسة البنت الجامعية، أو عملها، أو قيادتها للسيارة علامات على ترف زائد عند البنت، لم يكن الدكتور عبد الرحمن السميط-رحمه الله- يريد من وراء زواجه كما يريد غيره من الناس من الأنس بالزوجة أو الذرية الصالحة فحسب، بل كان يريد أن يغرس غرسا طيبا، ويؤسس بيتا يكون منطلقا لما كان يحلم به من الدعوة إلى الله، وأن يكونوا عونا له على رسالته السامية من نشر الخير والبر، فيتركوا وراءهم في السماء ذكرا عطرا، وفي الأرض سيرة طيبة وأثرا.

المرأة الصالحة كنز الرجل في الدنيا

من أهم أسباب التوفيق في الدنيا والآخرة أن يوفق الله المرء لزوجة تناصفه الحياة بمتاعها ومشاقها، تشاركه المسرات والأفراح، وتخفف عنه الجراح، وتدفعه إلى النجاح، وتؤنس وحدته، وتزيل وحشته، وترفع همته، وتقيل عثرته.

وفي أم المؤمنين خديجة- رضي الله عنها - المثل الأعلى والقدوة الأسمى في دفاعها عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وإيناس وحشته وإزالة غربته، ولا أدل على ذلك من أنها أول المؤمنين به قبل أن يؤمن به الرجال، والقائلة له حين نزل عليه جبريل بالوحي: في ابتداء النبوّة: « أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرّحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقرى الضّيف، وتعين على نوائب الحقّ «. رواه البخاري ومسلم .

لم تتردد - رضي الله عنها - في تصديقه، ولم تتلعثم ولم تتخل عنه بل كانت أول داعم له في الحق، وهكذا يكون دور الزوجة الصالحة.

يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في ماله وعرضه». رواه ابن ماجه .

رحلة البحث عن زوجة صالحة

لم تغب صورة المرأة الصالحة عن قلب الدكتور عبد الرحمن السميط-رحمه الله- ولا عقله، بل ظل يبحث عن تلك الصورة المثالية للمرأة المسلمة التي يتمناها كل مسلم صالح، حتى وفقه الله لمبتغاه، وهو لا يدري أن الله قد اختزن له في علمه زوجة ستكون قرة عينه ورفيقة دربه، وسنده ودعمه في رحلة حياته الأسطورية، والتي لولا أنها وقعت في زماننا المعاصر ورآها الناس رأي العين لحسبنا أنها من سير الأولين.

يقول الدكتور عبد الرحمن السميط-رحمه الله- كما في برنامج «صفحات من حياتي» على قناة المجد الفضائية - تقديم: د . فهد السنيدي: كنت قبل خمسين سنه أعيش في مجتمع تعصف به الأفكار العلمانية الليبرالية،

وعندما عجزت عن العثور على زوجة ملتزمة بالحجاب الشرعي وبقواعد الشرع في الكويت توجهت إلى بعض معارفنا وأقاربنا في السعودية، لكن الفتيات رفضوني لأنني رجعي، حتى وفقني الله للزواج من أم صهيب.

لقد كان من نعمة الله على الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- أن رزقه بـ «أم صهيب» التي صارت رفيقة الدرب الصعب، وقد جمعت بين طيب النشأة والتدين والعلم والثقافة، مع أنها كانت جامعية، وتقود السيارة !!
يقول المهندس صهيب ابن الدكتور عبد الرحمن السميط-رحمه الله-:

قال لي أبي: لو أنني كنت أصررت على هذه الشروط الأساسية التي وضعتها لزوجة المستقبل لما تزوجت والدتك، لأنه كان من شروطي ألا أتزوج جامعية، لأنه كان في تلك الفترة غالبا ما تنتسب النساء الجامعيات للأسر فوق المتوسطة أو الرفيعة، وذلك لعله لا يتناسب مع حياة الزهد التي يحياها -رحمه الله-، ولذا كان يريدها من عائلة بسيطة لتكون أكثر جلدا على تحمل مشاق الحياة، ومن الشروط ألا تقود سيارة.

ثم يقول الدكتور عبد الرحمن - رحمه الله-:
ولكن الله أراد بفضله وسخر لي أن أتزوج أمك، وكانت تلك منة ونعمة من الله. لم يكن الحجاب منتشرا في وطننا العربي في الستينات والسبعينات كانتشاره اليوم، فقد غلبت الأفكار الغربية، والتحررية الليبرالية كثيرا من المجتمعات العربية، فالمستعمر الغربي قد أخرج قدما له من بلادنا ولكنه ترك قدما أخرى في أغلب البلدان العربية في ذلك الوقت، ولم ينته أثره الثقافي والتغريبي بمجرد رحيله عنها، بل دخلت الأمة العربية في معركة استعادة هويتها الثقافية والدينية لعقود من الزمان، وما زالت المعركة قائمة.



ولكن بقي أن المرأة الكويتية والعربية في هذا الوقت في أغلب بقاع عالمنا العربي والحمد لله كانت تحتفظ بالأخلاق الحميدة والسلوك القويم، ولم يكن الحجاب الدليل الوحيد على التدين والاستقامة، ولعل ذلك ما يفسر تجاوز الدكتور الشاب عبد الرحمن السميط عن بعض شروطه، وقد كافأه الله بامرأة تعدل أمة من النساء، كما كان هو وحده أمة من الرجال.

هكذا بدأت علاقته [illegible]

تزوج الدكتور عبد الرحمن السميط من أم صهيب، وكعادة كل زوجين في مستهل حياتهما الزوجية، يتلمس كل منهما الطريق بحثا عن المعرفة واستنباط أخلاق شريك حياته، وطباعه وأولويات حياته، ونظرته عن الحياة، ومحاولة استجلاء مواطن التوافق مع شريكه في الحياة ورفيق دربه ونحن نستكشف بعضا من حياة الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - من أقرب الناس إليه ورفيقة عمره الصالحة المصون أم صهيب.

تقول أم صهيب: في أول يوم بعد عقد القران في زيارتي لأهله، طلب مني أن أزور غرفته في الدور الثاني من منزلهم، وقد صدمت لما رأيت!

لقد كانت غرفة خالية إلا من متاع قليل، فقد كانت عبارة عن حصير فوقه فراش رقيق ومخدة، ومكتبة خشب متواضعة جداً، ولا يوجد مكيف، مع العلم بأن أهله أهل خير وكرم !

وفي تلك اللحظة ايقنت أنني [illegible]

[illegible]

لقد اراد الزوج الشاب عبد الرحمن السميط أن ترى شريكة حياته بعينيها بساطة حياته، وزهده [illegible] قدرته عليها واستطاعته النيل مما [illegible] ات من شظف الحياة، ومشقة العيش معه على طريق الدعوة، وخيرا فعل، فقد كانت أم صهيب نعم الزوجة الصابرة المجاهدة، ونعم الرفيق.

وتقول أم صهيب - وفقها الله - في أوراقها التي أرسلتها عن زوجها - رحمه الله - : مع تعاملي معه في الأيام التالية تعرفت على شخصيته أكثر.

ما عنده من مال ليس له وإنما لكل محتاج يلتقي به أو يسمع عنه.



يعمل بحديث الرسول - صلى الله عليه و سلم - «تهادوا تحابوا»، يدخل السرور على كبار السن والعجائز والأطفال بهدايا بسيطة جداً.

ومنذ زواجنا حملني مسئولية شراء كل ما يحتاجه من ملابس شتوية أو صيفية حتى الأحذية - أعزكم الله -، وكان شرطه الأساسي أن لا يكون مكلفا.

وإن أهدى له أحد من أهله أو محبيه هدية من ملبس أو غيره وعلم أن سعرها باهظ يرفض استخدامها.

نعم الزوجة الصالحة للرجل الصالح

تزوج الدكتور عبدالرحمن السميط من أم صهيب نورية محمد الخشرم بعد سنة ونصف من تخرجه في كلية الطب في بغداد، وتحديدا يوم الأحد ١٣٩٣/٦/٩هـ الموافق ١٩٧٣/٧/٢٩م، وقد تخرجت أم صهيب من كلية التجارة في جامعة الكويت - تخصص محاسبة، وعملت مدرسة رياضيات في المرحلة المتوسطة.

ورزقهما الله أولادا صالحين، وهم: صهيب حاصل على بكالوريوس هندسة الكهرباء من الولايات المتحدة، ود. عبد الله حاصل على شهادة الطب البيطري من جامعة الملك فيصل في المملكة العربية السعودية ، وهو اليوم مدير جمعية العون المباشر، وأسماء ونسيبة وسمية.

وكانت أم صهيب نعم العون والسند للداعية الطبيب المجاهد الصبور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- فقد آلت على نفسها أن

تهب حياتها ووقتها وجهدها لخدمة الرسالة السامية لزوجها مهما كلفها ذلك من مشاق، وكانت أيضا تشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقها متحلية بصبرها الجميل على تقلبات الدهر ونكبات الزمن، وسياستها الحكيمة، ومتابعة زوجها في المنشط والمكره، فكانت نعم زوجة صالحة مثالية تشاطر زوجها رسالته السامية وتشاركه همومه ومتاعبه.

بداية انطلاقة الأسرة إلى إفريقيا

تقول الأخت الفاضلة أم صهيب – وفقها الله – : في بداية عمله في إفريقيا وفي السنوات الثلاث الأولى كان يسافر من دون أسرته، بعد أن يأخذ إجازات متقطعة من العمل للسفر لإفريقيا، ثم في عام (١٩٨٤م) قررنا الذهاب معه في العطل الصيفية، هدفنا في ذلك مشاركته في حياته الدعوية ومعايشته للفقراء والأيتام، في ذلك الوقت كان أكبر أولادنا (أسماء) في العاشرة من عمرها وأصغر أولادنا(عبدالله) عمره سنة ونصف، الحياة هناك في تلك السنوات كانت صعبة جدًا من ناحية المسكن والمأكل والمواصلات الرديئة، ولكن بفضل الله تعالى ثم بركة العمل الخيري سخر الله لنا أولادنا أيما تسخير، فشعرنا باستمتاعهم في العيش في تلك الدول بقرب والدهم ومشاركته في عمله الدعوي والإغاثي مع ما يصيبهم من أمراض وكثرة البعوض وما سببه من إيذاء بأجسادهم، صاحبه شظف عيش وسوء مسكن وتقلبات جو من أمطار غزيرة إلى حر شديد، تنعدم فيها وسائل التكييف.

واستمر أبناؤنا في الذهاب معنا كل عام إلى أن بدأت دراستهم الجامعية واستمرارهم في أخذ الكورسات الصيفية وبعد ذلك زواجهم.

أم صهيب الزاهدة سر من أسرار نجاح د. عبد الرحمن السميط



كان د. عبدالرحمن السميط يعتبر أم صهيب سراً من أسرار نجاحه، يقول عنها: لم تكن تملك سوى ثوبين عندما كنا في كندا رغم قدرتنا على الشراء ومع ذلك ترفض، ولما ورثت مبلغا من المال دفعته للدعوة ولم تبق منه شيئا لها، وكانت إذا ارتفع قليلا رصيدنا في البنك تقول: والله ما أنام في البيت والبنك فيه مال فائض عن الحاجة أخاف من العقاب فكنت أخرجه إرضاء لها.

ويضيف السميط: لا أتذكر أنها طلبت استئجار ساحة في الخارج أو ترفيه، وكانت متعتها الذهاب لإفريقيا للدعوة، وكانت تستمتع برعاية الأيتام وتتبعهم، وهي من اقترح علي شراء أرض ووقفها كمقبرة للمسلمين لانيمور في مدغشقر، وقالت: نعم ندفن فيها!

وفي ذات ليلة من ليالي إفريقيا قالت ونحن في بيتنا في مدغشقر: هل سنجد في الجنة طعم هذه السعادة كما نجده هنا؟!

لقد زرع د. عبدالرحمن السميط حب العطاء والإيثار وفن القيادة فيمن حوله، وكان من أبرز من التقط هذا المنهج زوجته أم صهيب التي تبرعت بجميع إرثها - بلا تردد - لصالح العمل الخيري، وهي أيضا قائدة بارزة في مجالها، فقد أسست الكثير من الأعمال التعليمية والتنموية وتديرها بكل نجاح و تميز، وهي بدعمها ومؤازرتها للدكتور عبدالرحمن أحد أسرار نجاحه أيضا، وهذه أحد تفاعلات النجاح وخلطاته السحرية، فحيث يكون التكامل يكون النجاح الجماعي.

إنها روح واحدة صنعت كل هذه الإنجازات العظيمة في ثاني أكبر قارة في العالم، وتحت أصعب الظروف السياسية والصحية والثقافية، حيث تنتشر الحروب والنزاعات والجهل والتخلف والأمراض، ويغيب الاستقرار والأمن والجهات الداعمة.

ولذلك لما ترك عبد الرحمن السميط حياة الراحة والدعة والحياة الرغيدة وأقام في إفريقيا مع زوجته في بيت متواضع في قرية مناكارا بجوار قبائل الأنتيمور ظلا جميعا يمارسان الدعوة للإسلام بنفسيهما، يمارسان دعوة طابعها العمل الإنساني الخالص الذي يكرس مبدأ الرحمة في جذب الناس لدين الإسلام، ويعيشان بين الناس في القرى والغابات، ويقدمان لهم الخدمات الطبية والاجتماعية والتعليمية.

لماذا يفر أبناء السميط من أبيهم إذا رأوه؟!

عاش الدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله – لغيره أكثر مما عاش لنفسه، فقد قضى أغلب عمره في أدغال إفريقيا ينشر الحق ويعين على نوائب الدهر، يغيث الملهوفين ويفرج الكرب عن المكروبين، ويمد يد العون للمعوزين والمحتاجين. وكان من وراء ذلك زوجة صالحة بارة بزوجها تحفظه إذا غاب، وترعى الله فيه وفي أولاده، وقد دفعت الأسرة ثمنا عظيما في سبيل قيام أبيهم بهذه الرسالة العظيمة، دفعته الزوجة الشابة الصابرة من وحشة غياب الزوج والرفيق والأنيس، ودفعه الأبناء من غيبة الأب الحاني، ومن دفء عشرته وضمة ذراعيه كلما احتاجوا له، فلما طالت غيبته عنهم أثر ذلك في علاقتهم به وهم صغار أثرا كبيرا، حتى بدا له عندما يعود لهم شهرا كل عام أنهم لا يعرفونه!

جاء في برنامج «صفحات من حياتي» مع د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – ١٤٢٤هـ: أنه وزوجته وأحيانا أبناؤهما يركبان السيارة لمدة عشرين ساعة وأكثر حتى يصلوا إلى الأماكن النائية وأحياناً يكون سيراً على الأقدام في الوحل والمستنقعات.

وكذلك جاء في برنامج «صفحات من حياتي» مع د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – ١٤٢٤هـ: ذات مرة مروا على ناس مجتمعين فجلسوا قريباً منهم بسبب التعب الذي حل بهم من طول السير، وفجأة فوجئ رجل يأتي ويبصق على وجهه، فاستغرب، ثم عرف أنها كانت محاكمة في القبيلة، ويمنع الغرباء أن يحضروها، بل وفي مرة من المرات دخل مع زوجته إلى قبيلة من القبائل فتعجب الناس من ارتدائها للحجاب وكادوا أن يفتكوا بها لولا أنها انطلقت تجري إلى السيارة.

كان د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله –في كثير من أيام حياته بعيداً عن أسرته، يقول – رحمه الله –: أصبحت زوجتي تأتيني هناك، وأما أولادي الصغار فكانوا يهربون إذا رأوني عندما أعود إلى الكويت كالدكتور عبد الله فأحببت أن ألتفت إلى عائلتي، فليس بجيد أن يكبر الأبناء وأنا لا أعرفهم ولا يعرفوني.

فقالت زوجتي: نأتيك في إفريقيا.

قلت: ولكني لن أصنع لكم برنامجا سياحيا!

وكان أولاده ينقطع وينقطعون عنه بالأشهر لا يرونه ، فقد كان د. السميط يغيب في إفريقيا عشرة أشهر وأحيانا أحد عشر شهرا ثم يرجع إلى أهله بالكويت ويبقى معهم ما بقي من السنة.

وهنا قد يتساءل الإنسان من يقوم إذن على تربية أبناء الشيخ التربية الحسنة؟ في هذا يقول الشيخ كلمة مؤثرة: لما كنت أذهب إلى إفريقيا لرعاية أبناء وأيتام المسلمين، تكفل الله بحفظ أبنائي، فقد سلكوا – بحمد الله طريق الخير، بل إن أصغرهم وهو عبد الله تخرج من جامعة الملك فيصل طب بيطري، وأخبر والدته آنذاك بأنه ينوي أن يسلك طريق أبيه في التفرغ للدعوة إلى الله، وهذا الذي كان – بحمد الله –.

ولكن من دفع الثمن الأكبر لهذا الغياب هو الزوج المجاهد الصابر، الداعية المثابر، الطبيب المهاجر عبد الرحمن السميط – رحمه الله– ، ففي سبيل الله وخدمة إخوانه من المسلمين خاصة ومن بني البشر عامة كان يحرم من إشراقة تطل من نظر زوجه وبسمة ترنو إليه من ثنايا أطفاله، ومن الماء العذب البارد، ومن دفء الفراش الوثير.

الطبيب المهاجر عبد الرحمن السميط رحمه الله



وتقول أم صهيب وفي برنامج «عبد الرحمن الفاتح» إعداد وتقديم: عبد العزيز العويد: وأحمد الله كلهم نشأوا نشأة إسلامية، وملتزمون في حياتهم الخاصة والعامة، فلقد غرس زوجي الخير في إفريقيا، فوجدنا ثماره في الكويت.

كنت أتحدث لأبنائي عن والدهم، وعمله وعظم المهمة التي يقوم بها لخدمة المسلمين في إفريقيا، كما حرصت على غرس معاني البذل والتضحية في نفوس الأبناء مما عزز قيمة ما يقوم به والدهم من عمل جليل وربطهم به.

وأحمد الله أن أغلبهم يتبرع بنصف راتبه أو دخله لصالح الأعمال الخيرية.

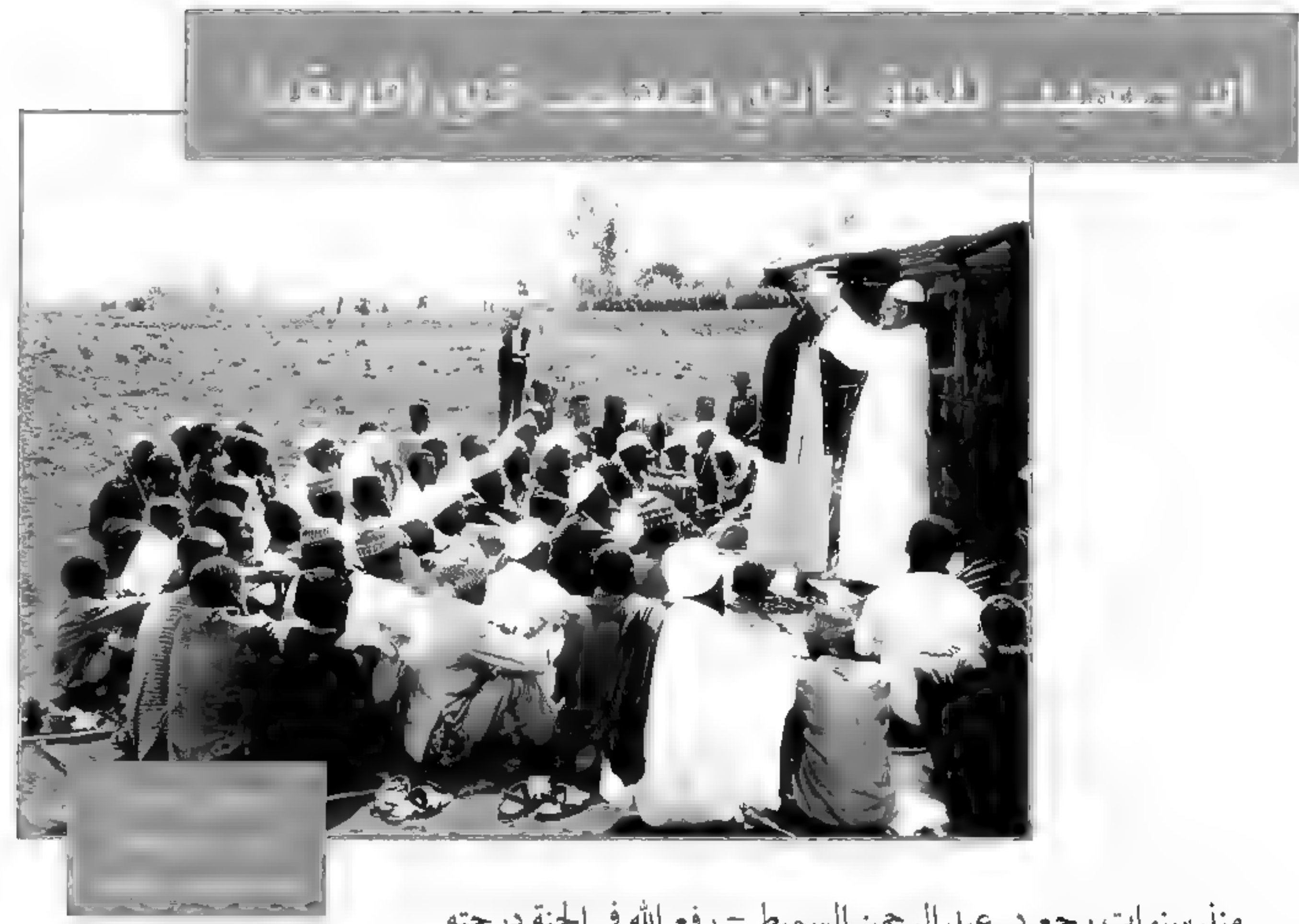
إذا عاش الفتى أو الفتاة في بيئة جيدة فالتربة تكون مهيأة لتعطي نباتا طيبا، أنا راضية برضا الله عن عملنا إن شاء الله.

قد يبخس البعض دور المرأة وأهميتها في صنع الحضارات، ولكنني لن أقول: أبحث عن المرأة من وراء العظماء، ولكن أجزم أن كل فاشل لم يكن وراءه امرأة أو كانت وراءه امرأة فاشلة.

تستطيع المرأة أن تساهم بشكل فعال في نجاح زوجها وأبنائها، وكذلك في فشلهم، وسأتحدث عن تجربتي:

إن مشاركتي لزوجي وأبنائي في السفر إلى إفريقيا، والنوم في الغابات والصحاري والمساجد الطينية، وتحمل بعض الصعوبات في السفر في طرق متعبة، وقلة الأكل، كل هذا أقنعني بأن ما يقوم به أبو صهيب من خدمة لإخوانه المسلمين في إفريقيا هو شرف لنا جميعا، وأتطلع أنا والأولاد كل سنة للسفر والمشاركة في الدعوة.

أم صهيب [illegible] كانت صاحبة [illegible] في إفريقيا



منذ سنوات رجع د. عبد الرحمن السميط - رفع الله في الجنة درجته - إلى الكويت لإجراء فحوصات لعينيه، فقد كان يعاني من تزيف بالشبكية ولا يوجد في إفريقيا مراكز للعلاج.

فلما رجع- كما أخبر هو عن نفسه - ولأنه لم يكن مرتبطا بوظيفة ولم يعتد الجلوس بالبيت عمل في أعمال تجارية بسيطة يقضي بها بعض فراغه، وقد رزقه الله منها رزقا طيبا، فلما رأت أم صهيب هذا المال قالت له: إن الله لم يخلقك لجمع المال، بل خلقك لخدمة إخوانك في إفريقيا.

يا عبد الرحمن. . . . إن كان أبناؤك صالحين فالله سيتولاهم، وإن كانوا غير ذلك فلن ينفعهم هذا المال، فهيا بنا نذهب إلى إفريقيا!!



لو علم الملوك ما نحن فيه من لذة العمل الصالح

إن لذة الطاعة ومكابدة النفس ومجاهدتها والأنس بنظر الله إليك في تقربك إليه لا تدانيها أي لذة، وإن السعادة التي تغمر نفوس المحسنين حين يجبرون كسر المنكسرين، ويفرجون كرب المكروبين، فيرون على وجوههم ابتسامة الفرج بعد الشدة، وسرور اليسر بعد العسر، لا يداني ذلك أي سعادة، فلا يشعر الإنسان حينها ببرد قارس ولا حر قائظ، ولذلك قضى الله على جنته بأن حفها بالمكاره.

في إحدى الرحلات كان د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله- وبصحبته أم صهيب فرآها الدكتورعبد الرحمن متعبة فسألها عن حالها فقالت: يا أبا صهيب. . . هل سنشعر في الجنة بهذه اللذة التي نشعر بها الآن؟ ؟

عبد الرحمن السميط

هذه الزوجة الصالحة كان تتأسى برسول الله – صلى الله عليه وسلم – في الإسراع بالصدقة، ففي صحيح البخاري عن عقبة بن الحارث– رضي الله عنه – قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم – الْعَصْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ سَرِيعًا دَخَلَ عَلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، ثُمَّ خَرَجَ وَرَأَى مَا فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ مِنْ تَعَجُّبِهِمْ لِسُرْعَتِهِ، فَقَالَ: « ذَكَرْتُ وَأَنَا فِي الصَّلاَةِ تِبْرًا عِنْدَنَا، فَكَرِهْتُ أَنْ يُمْسِيَ – أَوْ يَبِيتَ عِنْدَنَا – فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ » .

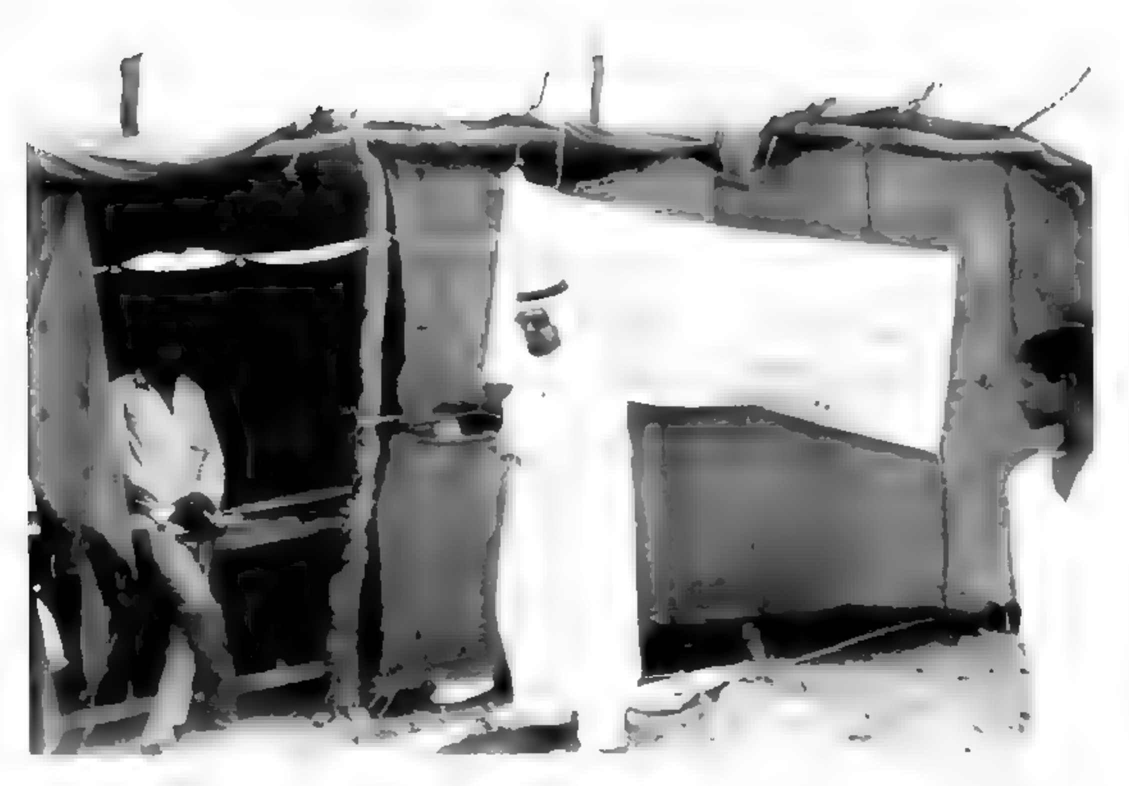
فكانت أم صهيب لا تنام وفي رصيد زوجها أبي صهيب مبلغ معين من المال، وتقول له: ماذا لو متنا ولدينا هذه الأموال؟!

وفعلا ألغى الشيخ بقية مواعيده الطبية، وحزم أغراضه وسافر مع أهله إلى مدغشقر، ولكن حصلت مشكلة أنه استطاع كسب القبائل هناك بشكل سريع، مما أزعج الكنيسة فألبوا عليه السلطات فطردوه وطردوا معه الدعاة ولا حول ولا قوة إلا بالله، مما اضطره إلى الرجوع إلى الكويت، وترك مدغشقر نهائيا.

ربح البيع أبا صهيب

يروي الإمام أحمد وغيره عن أنس أن رجلا قال: يا رسول الله: إن لفلان نخلة، وأنا أقيم حائطي بها، فأمره أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها، فقال له النبي – صلى الله عليه وسلم –: « أعطها إياه بنخلة في الجنة » فأبى، فأتاه أبو الدحداح فقال: بعني نخلتك بحائطي. ففعل، فأتى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: يا رسول الله، إني قد ابتعت النخلة بحائطي. قال: فاجعلها له، فقد أعطيتكها. فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «كم من عذق رداح لأبي الدحداح في الجنة» قالها مرارا. قال: فأتى امرأته، فقال: يا أم الدحداح اخرجي من الحائط، فإني قد بعته بنخلة في الجنة. فقالت: ربح البيع. فهذان الزوجان الصالحان يتشاركان في هذا العمل الصالح، وقد ضرب لنا أبو الدحداح وزوجه الطيبة– رضي الله عنهما – أكبر المثل في إيثار رضا الله على متاع الدنيا وشراء الآخرة بدلا عن الدنيا، فما أربح هذا البيع.

إن خير ما يدخره المرء في حياته هو عمل صالح يستبقيه لما بعد مماته، يلقى الله به وحسنة جارية تضيء قبره وتجمل إليه دعاء من فُرج بهذا العمل كربه، أو حمل عنه إصره، أو فك من الدين أسره، أو أشبع منه بطنه، أو ستر به بدنه.



تقول أم صهيب: إن أي نجاح يحققه أبو صهيب في تشرفه بكونه خادما لإخوانه المحتاجين هناك هو نجاح لي وللأولاد، ومما يسعدني أن نكون سببا في دخول (٣،٥) مليون شخص إلى الإسلام في المناطق التي نعمل فيها في إفريقيا، ولا زلنا نعمل في هذه المناطق، فأنا أعتبر نفسي شريكة مع أبي صهيب في كل خطوة يخطوها، وهو ما يؤكده لي دائما. فانظروا إلى حرص المرأة الصالحة على المشاركة في الأجر، وليس المشاركة في مال أو متاع من الدنيا قليل، كما هو حال الكثيرات من نساء الدنيا، تسأل دوما عن شراء الملابس الغالية والزينة والجواهر الثمينة، والتنزه بين البلدان، والأكل في أفخم المطاعم والفنادق، بل تركت أم صهيب بصحبتها لزوجها وطنها وبيتها الغالي، متدرعة بإيمانها وصبرها إلى بلاد غريبة محفوفة بالأهوال والأخطار، للمشاركة في الدعوة إلى الله في أقصى بقاع الأرض وأكثرها فقرا، فنسأل الله للدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- ولزوجه أم صهيب أن يجزيهما عن المسلمين خير الجزاء.

ديني ومسجدي خير من الدنيا وما فيها

كثيرا ما تلاحظ أمرا في إفريقيا لا تخطؤه العين، وهو أن الحملات التنصيرية في إفريقيا المتمثلة في بناء الكنائس والمدارس التابعة لها تفتقد للحس الإنساني في كثير من الأحيان، فقد كان هؤلاء المنصرون يقومون بابتزاز الفقراء في إفريقيا، واستغلال حاجاتهم وفقرهم لدفعهم إلى التدين بالمسيحية، ولم يكن ذلك منهج الإسلام أبدا ولا منهج الدعاة إلى الله خاصة الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- ومن ورائه جمعية العون المباشر المباركة.

[illegible] السميط في أسفاره الدعوية، فكانوا يعاينون مسيس حاجة الناس إلى الدعوة والخير.


من مظاهر الحاجة والفقر

يقول د. عبد الرحمن [illegible] أيام عيد الأضحى كنت و بنائى نتحول في إحدى [illegible] فشاهدت طفلة تبكي قريبًا من المسجد، فسألتها عن سبب بكائها واليوم عيد، فاخبرتني أن مديرة مدرستها التي [illegible] الكنيسة وتدرس بها قد أوقفت قيدها بسبب عدم قدرتها على دفع الرسوم (تعادل ٦ دولار بالسنة)، واشترطت عليها [illegible] القرآن ستعيدها للمدرسة، لكن الفتاة الصغيرة رفضت ذلك

وقلت: دعني [illegible] للمسجد [illegible] [illegible] أهم عندي من الذهاب للمدرسة. فتكفلت الجمعية بدفع رسوم دراسة الطفلة - رحمه الله -. إن هذا الدين إذا مس [illegible] القلوب [illegible] في الأنفس [illegible] [illegible] [illegible] في النفس [illegible] [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] مدقع، ولا عوز مفظع، فلا يؤثر فيه [illegible] [illegible]. ولا كيد كائد.



الحرص على تعليم أطفال إفريقيا وليس

ولباس التقوى ذلك خير

إن حب إخواننا المسلمين في إفريقيا وتعطشهم لسماع الذكر وحضور مجالس العلم وكأنهم ينتظرون حدثا جليلا، أو يستقبلون أميرا أو ملكا عظيما، فتراهم يبادرون لحضور المحاضرات ومجالس العلم بهمة عالية، ويحضرون مبكرين عن موعد المحاضرة في شوق وسعادة تبعث على الاندهاش.

فى كتاب «رسالة إلى ولدي- رحلة خير في إفريقيا» للدكتور عبد الرحمن السميط: ومن المواقف التي لا تغيب عن ذهن أم صهيب ما ذكرته عن موقف جرى لها في رحلة دعوية مع أبي صهيب في ملاوي، فتقول: في آخر أيام رحلتنا إلى ملاوي زارتنا أستاذة فاضلة من جامعة الخرطوم للدعوة في ملاوي، وفي المسجد القريب من مسكننا (في المركز) حيث اجتمعت النساء لتلقي درسًا دينيًا عليهن، وقبل نهاية الدرس دخلت علينا امرأة من أهل القرية، وكانت عادة أهل القرى إن علموا بقدوم داعية عربي مسلم سيلقي عليهن موعظة دينية فإنهن يحرصن على الحضور قبل ساعات من بدئها دليل





حرصهم وفرحهم بهذه الزيارة، فسألت المرأة عن سبب تأخرها، فردت وهي مطأطئة الرأس أنها تعلم بهذا الدرس من قبل يوم، فغسلت ثوبها الوحيد لكي تحضر في اليوم الثاني للمسجد بملابس نظيفة تليق بالمكان، ولكن بسبب هطول الأمطار لم يجف ثوبها بسهولة، فتأخرت لهذا السبب.

طلبت منها أن تحضر عند صلاة الفجر قبل خروجنا للمطار وسلمتها ثوبا جديدا-تبرعت به إحدى المحسنات- وكانت فرحتها بهذا الثوب لا توصف، فأصبحت الآن تملك ثوبين.

هكذا الحال في إفريقيا، إنهم كأرض خصبة تتعطش إلى أي بذرة طيبة لتنمو وتثمر أجمل الثمار، فهذه النفوس الطيبة السمحة التي يتميز بها إخواننا الأفارقة تجعل العمل الدعوي والخيري الإنساني هناك من أقرب القرب إلى الله، «ولأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم».

السميط يبني أسرة
ومدرسة دعوية كاملة

من أعظم نعم الله أن يقيض الله لأصحاب الرسالات السامية الخلصاء المقربين والأنصار الصادقين، الذين يكونون نعم السند والعون لمن يحملون هم هذه الرسالة، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «إن لكل نبي حواريا وحواري الزبير» رواه البخاري ومسلم.

وكأن أول من نصر دعوة النبي – صلى الله عليه وسلم – السيدة خديجة بنت خويلد، حين قالت له «والله لن يخزيك الله أبداوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»، حتى إنه – صلى الله عليه وسلم – لم يرزق بمثلها بعد موتها حتى قال: «لا والله، ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كذبني الناس، وأعطتني إذ حرمني الناس، وواستني بمالها عندما منعني الناس، ورزقني الله منها الولد إذ حرمني أولاد النساء» أخرجه الطبراني بإسناد حسن.

بالفعل صدقت مقولة (وراء كل رجل عظيم امرأة) فها هي زوجة الدكتور عبد الرحمن السميط –رحمه الله– أم صهيب كانت تقول له: «نحن خلقنا لأمر أكبر من هذا. . ما خلقنا لنأتي ونجلس هنا».

كانت زوجته أول من شجعته وقالت له: لا تصلح للطب وليس في الكويت ما يشبع رغبتنا، فلنسافر لجنوب شرق آسيا طبيب وداعية ومعلمة وداعية ونعيش هناك، ولم يجد من يعينه على ذلك

قضت زوجته معه في كندا خمس سنوات بثوبين فقط وهي من خاطتهم بيديها، رغم أن لديها القدرة على أن تشتري المئات لو أرادت.

إن أسرة الدكتور عبد الرحمن السميط –رحمه الله– أنموذج لمدرسة الأسرة المسلمة التي من الممكن أن تدرس كمثال حي وناجح للأسرة دينيا ودنيويا.



ما قصة الزوجة الثانية للدكتور عبد الرحمن السميط؟!

يروي الدكتور عبد الرحمن السميط في برنامج «صفحات من حياتي» قناة المجد الفضائية - تقديم: فهد السنيدي: إحدى الطرائف التي حدثت بينه وبين زوجته أم مصعب أنه في أول مرة يخرج معها بعد زواجهما، وبينما كان يقود السيارة قال لها: سأقول لك سرا: إنك لست الزوجة الأولى، بل أنت الزوجة الثانية.

فصمتت أم صهيب وأخذتها الدهشة، فابتسم الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- قائلا: زوجتي الأولى هي الدعوة، فابتسمت أم صهيب وقالت: قبلت والحمد لله.



أم صهيب تقبل أن تكون فريسة لأسد إن احتاج الأمر!!



كان الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - يعيش في قلب إفريقيا بما فيها من أدغال ومجاهل تحفها أنياب المخاطر من كل جانب، فلا يفارقه الخطر أينما حل، فالوحوش دائما حاضرة، تتلمس طعامها في أي شيء تراه، فضلا عن الجوع والأمراض والأوبئة التي تنشر رائحة الموت في كل مكان.

تقول أم صهيب: في عام (٢٠٠١م)، ونظرا لخطورتها طلب مني مازحا قبل مرافقته أن أكتب وصيتي أو أختار من الحيوانات التي ستأكلني الأسد أم النمر!

فكانت إجابتي الأسد حتى أكون شهيدا بشرف فكانت رحلة حقيقية استمرت شهرا طفنا خلالها الأدغال عبر كينيا وتشاد وإفريقيا الوسطى.

وهذا مما يدل على قوة إيمانها وشجاعتها وإيمانها برسالة الدعوة وأن الشهادة في سبيل الله لا يعدلها أي شرف.



جائزة التفوق إسلام سبع وعشرين امرأة

لم تكن عجائب هذه الأسرة وإيمانها بقيمة الدعوة في سبيل الله متوقفة عند الأب عبد الرحمن السميط أو زوجته أم صهيب فقط، بل غرس الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - هذا الحب والانشغال بهموم الدعوة في نفوس كل أفراد الأسرة حتى بلغ خيره إلى الأبناء بل والأحفاد أيضا.

إسلام ٢٧ امرأة على يد صفية السميط

حفيدة للدكتور عبد الرحمن السميط في عمر الزهور، في الثالثة عشر من عمرها، تحرز تفوقا دراسيا، وتستحق دعما معنويا وتقديرا من الأسرة لتفوقها وعلى رأسهم جدها الدكتور عبد الرحمن السميط، فماذا تكون الهدية، ثوبا غاليا؟ أم حاسوبا حديثا؟ أم رحلة إلى إحدى عواصم العالم؟ ترى ماذا كانت الهدية؟! هدية النجاح لحفيدته التي عمرها ١٣ سنة كانت رحلة للدعوة إلى الله في إفريقيا عادت وقد أسلم على يديها سبع وعشرون امرأة، ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

إن هذه اللذة التي تخالط القلوب في تذوق طعم الطاعة والدعوة في سبيل الله قد أضحت في هذه العائلة المباركة كالعدوى الطيبة تنتشر في صغيرهم قبل كبيرهم، مصداقا لقوله تعالى ﴿وكان أبوهما صالحا﴾ فالله تعالى يحفظ عبده الصالح في نفسه وفي ولده، وإذا عاش الفتى أو الفتاة في بيئة جيدة فالتربة تكون مهيأة لتعطي نباتا طيبا.



إن أجمل الأسرار التي يخفيها الإنسان تلك التي تكون بين العبد وربه، ومنها صدقة السر، فما أجمل الأسرار بين الأحبة، وهي تعبير صادق عن أصل العبادة وهو الإخلاص والبعد عن الرياء مخافة ضعف النفس أمام شهوة الشهرة أمام الناس وشهوة الكبر والاستطالة عليهم بحسن الصنيع، وكل ذلك مواضع يخاف منها إحباط العمل، يقول تعالى

[البقرة: ٢٧١]، تقول أم صهيب: بعد سنه من تخرجه حرص والده على شراء سيارة لابنه تليق به كطبيب، استغربت أنه لم يبادر في مساعدة والده في ذلك مع العلم أنه قد مر سنة على عمله في الوظيفة.

علمت بعد ذلك بطريق غير مباشر أنه كان يستقطع مبلغا كبيرا من راتبه في السنة الأولى لمساعدة عوائل محتاجة، ولم يكن أحد يعلم بذلك.

رحمة الله على أبي صهيب كم بالغ في إخفاء صدقات ومآثر لم يعلمها إلا الله، ولكن هل سيخفي الملايين من الناس الذين أسلموا على يديه؟!

والله لن يخفى ذلك، فإن أعماله التي يفوتها الحصر تنادي وتنطق في كل مكان من مساجد ومدارس وجامعات وآبار للظمأى وصدقات للأيتام الجوعى، والأرامل والأمهات الثكلى.

اللهم اجعله ممن أخفى فأخلص، وممن أعلن فهدى. وكان أسوة تحتذى وقدوة تقتدى.





نقل في برنامج «عبد الرحمن الفاتح» إعداد وتقديم: عبد العزيز العويد:

ونزولا عند رغبتها تركوا الفندق، وفي طريقهم وجدوا مسجدا قديما ومهدما، قضوا الليل فيه وكانوا ضيوفا على البعوض بكميات هائلة جدا، وعندما استيقظوا وجدوا وجه ابنهم الرضيع عبد الله متورما جراء لسعات البعوض، وعلى إثرها أصيب بالملاريا.

هذه الأسرة المؤمنة تترك الفراش الوثير والأمان بين جدران فندق يرون أنه سيخدش حياءهم وإيمانهم، ففضلوا النوم في العراء، والتعرض للبرد والخطر ووحوش البرية، فضلا عن اللصوص وقطاع الطرق، حتى كاد الموت أن يفتك بأصغر أبنائهم، ولكن عين الله لا تغفل عمن أسهر ليله في طاعته، وفضل المشقة في طلب رضاه مقدما على الراحة في معصيته، فإن لذة الطاعة تبقى ويبقى ثوابها. . . وإن لذة المعصية تزول ويبقى عقابها. . اللهم اجعلنا ممن يداومون على طاعتك.

تورَّع ودعْ ما قد يريبك كلَّه
جميعًا إلى ما لا يريبك تسلمِ

وحافظْ على أعضائِك السبعِ جملةً
وراعِ حقوقَ الله في كلِّ مسلمِ

هل وظف أبناء الصحابة [illegible] للمصالح الشخصية؟

وفي برنامج «صفحات من حياتي» قناة المجد الفضائية - تقديم: فهد السنيدي: ذكر أن الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله - حرص على توريث قضية الحلال والحرام لأبنائه، ليس فقط في مجال الطعام والشراب ولكن في جميع مجالات الحياة، حتى إن أغلب أبنائه بقي أكثر من عام دون وظيفةولم يوظف اسم أبيه لقضاء مصلحته.

فهذه ابنته الكبرى كانت قد تخرجت وحصلت على بكالوريوس هندسة الكمبيوتر، ومكثت لمدة سنة تنتقل من مكان إلى آخر بحثا عن وظيفة، وكان طلبها يرفض رغم كونها من الأوائل، وعندما وافقت إحدى الوزارات على تعيينها بعد أن أطلعوا على أوراقها ولسان حالها يقول: إذا لم تكن أوراقي كفيلة بتعييني، فأنا أرفض تعييني من أجل أبي، وتركت هذه الوزارة ولم تعد إليها ثانية.

وهذا ابنه صهيب عندما تخرج في هندسة الكهرباء بالولايات المتحدة، وكان يحدث أباه بين الحين والآخر عن الواسطة وسلبياتها، لكنه لم يطلب منه في يوم من الأيام أن يساعده.

سرة السميط

كان د. السميط مع أولاده في طريقهم لزيارة بعض المشاريع في إحدى الدول الإفريقية، فرأى د. السميط طريقا ترابيا حديثا فسأل السائق عنه، فقال: إنه يؤدي إلى مقهى على البحيرة، فطلب منه أن يأخذه إليه ليرتاحوا، خاصة أنهم في السيارة منذ حوالي (١٠) ساعات، وعندما ترجلوا دخل الدكتور ومعه ابنه صهيب في مكان ضيق ليكتشف أنه مسدود، وعندما أرادوا العودة فوجئوا بأفعى من نوع الكوبرا، وقد رفعت نصف جسمها عن الأرض، وأغلقت طريق خروجهم.

قام الدكتور بما يأمر به الشرع من إنذار الأفعى ثلاثا فلم تستجب، فطلب من ولده صهيب أن يختفي وراءه، خاصة وأن الكوبرا تبصق سمها على أي شيء يلمع، وبما أنه يلبس نظارة فالخطر أقل نسبيا!

ومن حسن الحظ أنه كان هناك أحجار من مخلفات البناء كانت قرب قدمه، بدأ يضربها وبدأ الناس يتجمهرون في الجهة الأخرى، والغريب أن معظمهم لم يفعل شيئا واكتفى بالفرجة على معركة بينه وبين الأفعى ،فطلب من أحدهم أن يحضر له عصا أو غصن شجرة، وفعلاً أتى به وبدأ بضربها حتى كسر عظام ظهرها، وحاولت الاختفاء لكنه سحبها من ذيلها قبل أن تختفي بين الأشجار ثم قتلها.



الفصل الثاني

دراسته وعمله

الباب الأول

بداياته العلمية

لذة القراءة وطلب العلم

ذكر الباحث علي محمد علي آل حسن الشهري في كتاب «العمل الإغاثي عند الدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله – وأثره في قبول دعوته» ص ٢٣:

نشأ د. عبد الرحمن السميط محبا للعلم، راغبا في التزود منه، يتحين كل فرصة لينهل من هذا المعين الذي لا تنقطع لذته، ولا تخفت جذوته، فقد ألقي في قلبه حب العلم والقراءة حتى كان لا يدع ورقة من كتاب أو صحيفة أو مجلة إلا والتقطها ليقرأها، سواء أكان في البيت أو المدرسة أو حتى وسط الطريق، فإنَّ للعِلْم لذَّة لا تُضاهيها أيُّ لذَّة من لذات الدُّنيا الفانية.

يقول الشاطبِيُّ – رحمه الله – في «الموافقات» ١ / ٨٦ : العِلْم بالأشياء لذَّة لا تُوازيها لذَّة؛ إذْ هو نوعٌ مِن الاستيلاء على المعلوم، والحَوْز له، ومحبَّة الاستيلاء قد جُبِلَت عليها النُّفوس، وميلت إليها القلوب.

ويقول ابن الجوزي– رحمه الله – في «صيد الخاطر» ص ٢٤٨: ولقد كنت في حلاوة طلبي العلمَ ألقَى من الشدائد ما هو عندي أحلى من العسل، لأجل ما أطلب وأرجو، كنت في زمان الصبا آخذ معي أرغفة يابسة، فأخرج في طلب الحديث، وأقعد على نهر عيسى، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء، فكلما أكلت لقمة، شربت عليها، وعين همتي لا ترى إلا لذة تحصيل العلم.

ومن أقواله:

لي همة في العلم ما إن مثلها
وهي التي جنت النحول هي التي

خلقت من العلق العظيم إلى المُنَى
دعيت إلى نيل الكمال فلبت

كم كان لي من مجلس لو شُبِّهَت
حالاته لتشبهت بالجنة

وقال الزمخشري:

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي
من وصل غانية وطيب عناق

وتمايلي طرباً لحل عويصة
أحلى وأشهى من مدامة ساق

وصرير أقلامي على أوراقها
أحلى من الدوكاء والعشـاق

وألذ من نقـر الفتاة لدفـها
نقري لألقي الرمل عن أوراق

أأبيت سهران الدجى وتبيته
نوماً وتبغي بعد ذلك لحـاق

السميط في «ثانوية الشويخ» بين الرواد والعظماء

كمثله من تلاميذ الكويت في الستينات، أنهى التلميذ الصغير عبد الرحمن بن حمود السميط المرحلة الابتدائية ثم المرحلة المتوسطة التي تأتي بعد الابتدائية ومدتها أربع سنوات، ثم التحق بعدها بمدرسة «الشويخ الثانوية» في بداية الستينات من القرن العشرين.



يقول شقيقه الأخ عبد السلام حمود السميط [illegible] «عبد الرحمن الفاتح» إعداد وتقديم: عبد العزيز العويد: التحق عبد الرحمن السميط بمدرسة ثانوية الشويخ في بداية الستينيات [illegible] الله– تأثيرا كبيرا.



السميط مع زملاء الدراسة

وتعد ثانوية الشويخ من العلامات البارزة في تاريخ التعليم الكويتي، حيث تخرج منها الكثير ممن يدير حركة الحياة في الكويت في عصرنا الحاضر، فقد قدمت للمجتمع الكويتي المعاصر الكثير ممن شغلوا مناصب مختلفة في الدولة، وقد كانت هذه المدرسة الشهيرة بعد ذلك نواة قامت عليها جامعة الكويت عام (١٩٦٦م).

كانت هذه الثانوية المأوى الوحيد لطلاب ما بعد المتوسطة لمن يريد الاستمرار في الدراسةالثانوية، ولأهمية هذه المدرسة في هذه المرحلة، فقد تم تزويدها بكل الاحتياجات، سواء بوجود المنازل السكنية للطلاب وللمعلمين، إلى جانب ملاعب رياضية، وعيادة للطلاب ومسجد يستوعب ألف مصلٍّ.

كانت ثانوية الشويخ مدينة دراسية قائمة بذاتها، توفرت فيها كل سبل الدراسة والترفيه الرياضي للطلاب.

وكان وصول الطلبة ومنهم عبد الرحمن السميط إلى هذه المدرسة صعبا، حيث كانت تقع على بعد ٦كم غرب مدينة الكويت، وكذلك النظام الداخلي للمدرسة يضيف شيئا من المشقة لبعض الدارسين، إلا أن شخصية عبد الرحمن السميط المتشربة بالصبر والجلد لم تكن لتعطله عن إكمال مسيرته الأسطورية، ليصبح بعد ذلك من أفراد هذا الزمان علما وحكمة وخلقا وإنجازا وعطاءً.



وجدير بالذكر أنه في هذه الأيام من سبعينات القرن العشرين كان حصول أحدهم على تعليم عال حتى بلوغ الدراسات العليا في الطب من الجامعات الغربية الكبرى ليس بالأمر الهين، فقد كانت الكويت في هذه المرحلة قد تخلصت توا من الانتداب البريطاني، ولم تقم بها أول جامعة إلا في نهاية الستينات وهي جامعة الكويت

الطبيب الصغير عبد الرحمن السميط

قديما قالوا «إنما يقاس العظماء بعظمة أحلامهم»، ولكننا نقول إنما يقاس العظماء بتحقيقهم لأحلامهم وليس الوقوف فقط عند الأحلام.

نشأ عبد الرحمن السميط كما نشأنا جميعا قد نسجنا خيوط الأمل حديثا، ورسمنا مستقبلنا ولم نتجاوز بعد المرحلة الابتدائية، فهذا يريد أن يكون طبيبا، وآخر يريد أن يكون مهندسا، وثالث يريد أن يكون ضابطا، ورابع يريد أن يكون معلما، وهلم جرا.

وقد ذكر عن عبد الرحمن السميط أنه كان وهو في سن العاشرة والحادية عشر يتصرف بعفوية الأطفال وبراءتهم، متقمصا شخصية يتمناها في الكبر، فقد يجلس في مكان فوق الغرف وتحت السطح، ويضع أواني فيها ملح وبودر، وكان يلبس لباس الأطباء، ويقول: أنا طبيب وهذه هي الأدوية! !

[illegible] كم عدد أولئك الذين استطاعوا تحقيق أمنيات الطفولة، وشقوا دروب النجاح؟!

[illegible] يقين تام أن عبد الرحمن السميط – رحمه الله – ما كان ليبلغ ما بلغ [illegible]

وتعد التربية والتنشئة من أهم أسباب تنامي الطموح في نفوس الصغار حتى يصير الحلم حقيقة.

ذكر الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٣/ ١٢١:

ومن عجائب ذلك ما جاء عن طفولة أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه –، حيث كان معاوية يمشي وهو غلام مع أمه (هند بنت عتبة)، فعثر، فقالت له: قم، لا رفعك الله! ، وأعرابي يسمع، فقال: لم تقولين هذا؟! والله إني لأظنه سيسود قومه. فقالت: لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه، وتدور الأيام ويسود معاوية العالم كله وليس العرب فحسب.

يقول الدكتور محمد بن إسماعيل المقدم في «علو الهمة» ص ٣٨٢:

والأمة التي تهتم بالنابغين، تصنع بهم مستقبلها المشرق، لأنهم يصلحون أمرها، ويسهمون في ازدهارها، والأمة التي تهمل رعاية نابغيها سوف تشقى حين يتولى أمورها جهلة قاصرون يوردونها المهالك، أو مرضى نفسيون معقدون يسومونها سوء العذاب، أو سفلة أصحاب نفوس دنيئة وهمم خسيسة يبيعونها لأعدائها بثمن بخس ، ومع كون المواهب استعدادات فطرية فإنها لا تؤدي إلى النبوغ إلا إذا توفرت لأصحابها الظروف البيئية المناسبة والتربة الصالحة اللازمة لتنميتها وصقلها.

وتعد الأسرة -وبخاصة الوالدان أو من يقوم مقامهما أهم عناصر البيئة تأثيرًا في إظهار النبوغ، وزراعة الهمة العالية في قلوب الأطفال منذ نعومة أظفارهم، وهذا ما قد يفسر لنا سر اتصال سلسلة النابغين من أبناء أسر معينة، كآل تيميةَ مثلًا حيث اجتمعت الاستعدادات الفطرية الموروثة، والقدرات الإبداعية، مع البيئة المساعدة التي تكشف هذه المواهب مبكرًا، وتنميها، وتوجهها إلى الطريق الأمثل.

الباب الثاني

دراساته الجامعية

إلى جامعة بغداد... أهلا بالتحدي

الدكتور عبد الرحمن السميط

من ينظر في سيرة الشيخ الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- لا تخفى عليه أبدا سمة من سمات شخصيته المثيرة للعجب والدهشة ألا وهي صفة حب التحدي والمغامرة، والتي نلمحها في كل مرحلة من مراحل حياته، فذلك الشاب عبد الرحمن السميط الهادئ الطباع الرقيق المشاعر تنطوي روحه على روح وثابة، مقدام تنحو به دائما إلى مواجهة الصعاب والتحديات، وهذه سمة لا تغيب عن كل العظماء.

في عام (١٩٦٣م) أنهى الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- الثانوية العامة بدرجات ممتازة، وذهب لقسم الابتعاث لدراسة الطب، وكان الطلاب يبتعثون إما لمصر أو أمريكا.

وأثناء انتظاره للدخول على المسؤول سمع أحد الأشخاص يخاطب زملاءه ويقول: إن في بغداد كلية الطب لا يمكن أن ينجح فيها أحد.

وما إن طرقت هذه الكلمات مسامع ضيفنا الكريم حتى ألهبت عنده الشعور بالتحدي، فلما دخل على المسؤول طلب منه الذهاب إلى بغداد.

صعق المسؤول وتأكد هل ضيفنا بكامل وعيه أم لا، حيث قال له: إن الطلاب ذوي النسب الضعيفة هم الذين يرسلون إلى بغداد كمنفى لهم، ومع ذلك أصر د. السميط فطلب منه المسؤول مراجعته بعد أسبوع، وبعد أسبوع أصر على نفس الرأي، فتم له ما أراد وذهب إلى بغداد.

كان عبد الرحمن السميط -رحمه الله- يتمتع بقدر هائل من الشجاعة والثقة بالنفس وجرأة على معايشة المخاطر والمصاعب، وهو يخالف الظنون والميول البشرية الضعيفة الجانحة دوما إلى الراحة والدعة ولذيذ العيش في كل مرة، ويرمق لما هو أسمى وأرقى وأجل، فيختار دائما أن يكون في مكان يثبت قدرته على التحدي، ويملأ المكان الذي يذهب إليه رحمة وبركة، بفضل من الله وتوفيقه لاختيار ما اختار وما التوفيق إلى من عند الله.

عبد الرحمن السميط ومعاناة في جامعة بغداد

حزم الطالب عبد الرحمن السميط أمره، واتخذ القرار الذي يراه غيره صعبا، قبل أن يحزم أمتعته القليلة مسافرا إلى بغداد، وما يدري ماذا يخبئ له الزمان في طياته. قد تأتي على الإنسان لحظات يشتد عليه وطأة الفشل ومرارة السقوط، يرثى فيها لنفسه، وتتشح حياته بالألوان القاتمة، وتقع نفسه أسيرة لفكرة أنه لن يستقيم ظهره للوقوف بعد تلك العثرة، وأن زلته تلك هي عنوان على نهاية طريق حلمه وخاتمة أمله وسعيه.

يقول الدكتور عبد الرحمن السميط في برنامج «صفحات من حياتي» على قناة قناة المجد الفضائية - تقديم: فهد السنيدي:

إن العراقيين على ما عندهم من كرم وعادات طيبة إلا أنهم قساة جدا، وكانت النتيجة أن السميط رسب في السنة الأولى في جميع المواد.



صورة أخرى للدكتور السميط في بداياته

ولكن عبد الرحمن السميط لم يكن ممن تصيبهم لوثة الإحباط، أو لفحة اليأس أبدا، فقد حباه الله عزيمة صلبة، ونفسا طموحة.

كان النظام الدراسي بالجامعة يحكم بأن يطرد أي طالب يرسب في مادتين من الكلية، فإن كان الرسوب في أكثر من مادتين يطرد من الجامعة كلها، ولكن من فضل الله أن هذا النظام ألغي سنة دراسة السميط فلم يطرد مع أنه أعاد السنة ثلاث أو أربع مرات، ثم استطاع إكمال الدراسة بفضل الله.
ومما تميز به الداعية السميط كذلك، واستفادته من دراسته الجامعية، وحياته الجادة أنه لا وقت لديه للبكاء، فالوقت عنده للعمل فقط.

وقد اختلف مع دكاترة كلية الطب في جامعة بغداد بسبب صدحه بالحق مع أنهم كانوا في أوج عنفوان حزب البعث.

لبيك فلسطين

يقول الأخ عبد السلام حمود السميط عن شقيقه د. عبد الرحمن كما في برنامج «عبد الرحمن الفاتح» لعبد العزيز العويد الحلقة ٣: لم يدع الدكتور عبد الرحمن السميط فرصة للدفاع فيها عن دينه ووطنه إلا وكان له السبق فيها، ولم يكن ذلك في الدفاع عن الكويت في حسب، كما في مقاومته للاحتلال العراقي في تسعينات القرن الماضي فحسب، بل غبّر وجهه بتراب المجاهدين في سبيل الله في أرض الأقصى حيث كان ممن انضموا للجهود الشعبية لمقاومة المحتل الصهيوني الغاصب لأرضنا العربية في فلسطين.

ففي سنة النكسة (١٩٦٧م) ذهب للجهاد مع الفدائيين في فلسطين هو ومجموعة من الشباب أعتقد أن من ضمنهم الشيخ الدكتور جاسم المهلهل ولم يخبرنا بسفره، وعثرنا على وصيته قد كتبها ووضعها في مكان نراه فيها، ولكن ظروف الدول العربية في ذلك الوقت منعتهم من الوصول إلى مبتغاهم ورجعوا إلى الكويت.



عبد السلام السميط شقيق الدكتور السميط

الطبيب الزاهد

السعودي الشهير، وهو أول جراح غير

عاش الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- حياة الزهد والورع في جميع مراحل حياته صغيرا وشابا، كهلا وشيخا، مقيما ومغتربا، يرى أن الدنيا دابة ووسيلة تبلغ بالإنسان دربه، لا قائدا للمرء وراكبا. يقول الأخ عبد السلام السميط في برنامج «عبد الرحمن الفاتح» إعداد وتقديم: عبد العزيز العويد:



كانت دراسته في بغداد، وسكن في شقة مع الدكتور محمد الفقيه وشقيقه الدكتور صالح الفقيه، وعندما نزوره هناك نرى العجب من الشقة وما تحتويه من أشياء وملابس شتوية مازالت معلقة على الحائط في أشهر الصيف والعكس والأواني بالكاد تكفي استعمالهم البسيط، كذلك أكلهم بسيط جدا، وحياتهم كلها تقشف وبساطة.

كان يمكن للدكتور السميط كأحد أوائل الأطباء الكويتيين، وأن يعيش حياة رغدة يمتلك فيها الملايين كما هو الحال مع زملائه وطلبته، لكنه يقول: كان بمقدوري أن أعيش مثل هؤلاء لكنني والله أعطف على بعضهم؛ إذ يظنون أن السعادة فيما تحمله من مال.

ويضيف: السعادة ليست كم هو حسابك في هذا البنك أو ذاك، لكن السعادة كم هو رصيدك عند رب العزة والجلال.

وجبة واحدة تكفي

عاش الشاب الطبيب الداعية عبد الرحمن السميط في بغداد حياة حافلة بالأحداث والمعاناة، ولكنه لم يحفل بأي مشقة تعرض له أو تشغله عن قضيته الأسمى وهي دوره الدعوي والإنساني، وعلى غير عادة الشباب في سنه لم يكن يميل إلى التمتع بمتاع الدنيا من طعام أو شراب أو لهو، بل كان هذا الشاب الصالح عبد الرحمن السميط يكتفي بوجبة واحدة فقط، وكان يحاول خلال الدراسة بالجامعة أن يعيش حياة الفقراء، ويندر أن يأكل وجبتين في اليوم، وباقي المال يشتري به.

دراساته العليا في الطب

أتم الدكتور عبد الرحمن السميط بحمد الله دراسته للطب، حيث تخرج في جامعة بغداد عام (١٩٧٢م)، ولم يتوقف طموحه عند ذلك الحد بل واصل دراساته العليا في الطب متجها إلى واحدة من أعرق الدول في عالم دراسة الطب وتطبيقاته ألا وهي بريطانيا، ويكفي أن تعلم أن عددا من الجامعات البريطانية دائما ما تأتي في مقدمة أفضل عشر جامعات في العالم.

لا يمكن النظر إلى الطب البشري بوصفه مجرد دراسة أكاديمية فحسب، بل هو رحلة طويلة من الدراسات النظرية الدقيقة والعملية والتطبيقية فضلا عن الأعمال البحثية والتجريبية المتواصلة، وكل هذه الجهود المتكاملة يجب أن تتسم بمعاني الرقي الإنساني والأداء والتميز.



د. عبد الرحمن السميط في أيام دراسته الجامعية

وقد تصنع دراسة الطب في أي جامعة الطبيب الكفء، ولكن دراسة الطب في الجامعات المعروفة بالمستوى الأكاديمي والبحثي الراقي، كل ذلك يصنع لا طبيبا كفئا فحسب، بل تكسبه مزيجاً من الكفاءة والرقي والإبداع والتفكير خارج الصندوق، إلى جانب الخبرات الأكاديمية الذي يكتسبها من وراء الاختلاط بهذه المؤسسات التعليمية الراقية.

نعم؛ قد تمنح دراسة الطب لصاحبها العديد من المزايا الاجتماعية والوظيفية والاقتصادية في عالمنا العربي - والعالم كله إذا أردت الدقة -، ولكنها في نفس الوقت تستلزم الكثير من الوقت والمثابرة والمجهود للحصول على شهادة أكاديمية رفيعة في هذا التخصص، تتيح للخريج العمل سريعاً في أرقى المستشفيات والمراكز الصحية في بلده، أو حول العالم.

إلى بريطانيا بلاد الطب

ورد في كتاب «العمل الإغاثي عند الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - وأثره في قبول دعوته» للباحث علي محمد علي آل حسن الشهري - ص ٣٣ : أن الدكتور عبد الرحمن السميط غادر جامعة بغداد لإكمال دراساته العليا في جامعة ليفربول في المملكة المتحدة للحصول على دبلوم أمراض المناطق الحارة في إبريل (١٩٧٤م)، وجامعة ليفربول من الجامعات البريطانية العريقة حيث تم افتتاحها عام (١٨٨١م)،

وفي عام (١٨٩٩م) بدأ تأسيس كلية ليفربول للعلوم الطبية المتوسطية، ودرس بها نخبة من الحاصلين على نوبل منهم رونالد روس (Sir Ronald Ross) (الذي نال جائزة نوبل لاحقا لبحثه في مرض الملاريا) وقد كان رئيسا للكلية.

وقد حصل تسعة أشخاص على الأقل على جائزة نوبل من خريجي ومعلمي جامعة ليفربول، منهم تشارلز باركلا (Charles Glover Barkla) الحائز على جائزة نوبل عام (١٩١٧م) لأبحاثه في مجال ال (X-Ray) أشعة أكس، والسير جيمز تشادويك (James Chadwick) أيضا في الفيزياء لاكتشافه النيوترون. السير تشارلز سكوت شرينغتون (Charles Scott Sherrington) في الطب.

التعريف بطب المناطق الحارة

يعرف التخصص الذي درسه الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- بالطب المداري أو طب المناطق المدارية أو طب المناطق الحارة، وهو فرع من فروع الطب يهتم بالصحة العامة للمجتمع في المناطق الحارة والاستوائية المتميزة بمناخها الحار ورطوبتها ومواسم الأمطار، حيث البيئة الخصبة لتكاثر الجراثيم والحشرات الضارة


السميط في بلاد الغربة مع زملاء وأساتذة الجامعة



وظهور الأوبئة والأمراض مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية السيئة في هذه المجتمعات.

ومن أمثلة أمراض المناطق الحارة: الجذام، والكوليرا، والملاريا، والتيفوئيد، والبلهارسيا، ومرض النوم، والإصابة بالديدان وعدوى الأميبا.

هل كان اختيار الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- لهذا التخصص الطبي وهو طب المناطق الحارة له علاقة بحلمه ورغبته في العمل في إفريقيا أم هو القدر المخبأ لهذا الرجل العظيم أن يكون تخصصه مناسبا للمهمة العظيمة التي قد كتبها الله له؟!!

لقد كان لدراسته الطبية ومعرفته الكبيرة بالمشاكل الصحية لأهل هذه المناطق المنكوبة أثر كبير في عمله الإغاثي والخيري على مدار أربعة وثلاثين عاما، فسبحان الله الرب الرحيم، الذي هو أرحم بالناس من آبائهم وأمهاتهم.

في كتاب «العمل الإغاثي عند الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - وأثره في قبول دعوته» ص ٣٤ للباحث علي محمد علي آل حسن الشهري:

سافر الدكتور عبد الرحمن السميط إلى كندا ليتخصص في مجال الجهاز الهضمي والأمراض الباطنية، حيث تخصص في جامعة ماكج لمستشفى مونتريال العام في الأمراض الباطنية ثم في أمراض الجهاز الهضمي كطبيب ممارس من يوليو (١٩٧٤م) إلى ديسمبر (١٩٧٨م).

ثم عمل كطبيب متخصص في مستشفى كلية الملكة في لندن من عام (١٩٧٩م) إلى (١٩٨٠م).



فوائد الدراسة بالغرب

يقول الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- في برنامج «ساعة حوار» على قناة المجد - تقديم د . فهد السنيدي عن الدراسة في الغرب: ساعدتني دراستي في الغرب في فهم الطريقة العلمية في الدعوة من احتكاكي برجال الكنيسة، ألقيت آلاف المحاضرات عن عقيدتي في الكنائس والجامعات والسجون وغيرها، وتعلمت الكثير من المفاهيم والطرق التي أفادتني في حياتي فيما بعد من الغربيين.

ولم تخل حياة الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- خلال تواجده للدراسة والعمل في كندا ولندن من العمل الدعوي والخيري الذي يجري في دمائه الزكية، ولا يستطيع له دفعا، حيث تولى رئاسة فرع جمعية الأطباء المسلمين في أمريكا وكندا عام (١٩٧٦م)، وساهم في تأسيس فروع لجمعية الطلبة المسلمين في مونتريال وشيربروك وكويبك بكندا بين العامين (١٩٧٤م) و(١٩٧٦م).

من إنجازات عبد الرحمن السميط الدراسية

من إنجازات الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - كما ورد في برنامج «عبد الرحمن الفاتح»
إعداد وتقديم: عبد العزيز العويد

- خريج جامعة بغداد ـ كلية الطب ـ يوليو (١٩٧٢م) M. B. CH. B.
- دبلوم أمراض مناطق حارة ـ جامعة ليفربول ـ أبريل (١٩٧٤م).
- تخصص في جامعة ماكجل ـ مستشفى مونتريال العام ـ في الأمراض الباطنية ثم في أمراض الجهاز الهضمي ـ يوليو (١٩٧٤م)، ديسمبر (١٩٧٨م).
- أبحاث في سرطان الكبد جامعة لندن ـ مستشفى كلية الملوك (كينجز كوليدج) ـ يناير (١٩٧٩م)، ديسمبر (١٩٨٠م).
- الفتحة بين البنكرياس والقولون ـ نشرت في مجلة الجمعية الطبية الكندية في ١/ ٠٤/ ١٩٧٨م.
- سرطان بقايا المعدة بعد جراحة القرحة الحميدة ـ بحث قدم في مؤتمر الكلية الملكية للأطباء في كندا ـ مدينة كويبك ـ فبراير (١٩٧٩م).
- الفحص بالمنظار للورم الأميبي بالقولون ـ نشر في مجلة منظار الجهاز الهضمي ـ عدد ٣/ ١٩٨٥م في الولايات المتحدة الأمريكية.
- دراسة أهمية المنظار الطارئ في حالات نزيف الجهاز الهضمي (تطبيقات في ١٥٠ حالة). بحث ألقي في مؤتمر الجهاز الهضمي في مستشفى مونتريال لعام (١٩٧٨م) .
- فيتامين (B١٢) كعامل لعلاج سرطان الكبد (لم ينشر).

الباب الثالث

السميط ومهنة الطب

شرف مهنة الطب

لا يخفى على كل ذي عقل منزلة الطب والعمل به بين الفنون الراقية والعلوم السامية، والأعمال النبيلة السنية، فما من فن أو علم أقرب حياة الناس وسلامة أبدانهم من علم الطب والعمل به، وما من أحد إلا ويمرض يوما، أو تصيبه علة أو ألم في شيء من بدنه، فيهرع الناس صغيرهم وكبيرهم إلى الأطباء، فقد جعلهم الله مأوى الناس ومستغاثهم في تخفيف الآلام وعلاج الأسقام، وإراحة الأبدان وتقويم الأجسام ، وتراهم يبذلون في سبيل الاستطباب كل غال ونفيس أملا في إزالة كربة الآلام والأوجاع، فما يلذ في الدنيا كل مال أو متاع إلا بسلامة الأبدان والأبصار والأسماع، فالصحة تاج فوق الرؤوس لا يعدله تيجان الملوك والأمراء.

كما قال – صلى الله عليه وسلم – «من أصبح منكم آمنا في سربه ، معافًى في جسده ، عنده قوت يومه فقد حيزت له الدنيا بحذافيرها» رواه الترمذي.

وللطبيب مكانة عظيمة في جميع الأمم وقد روي أن النبي – صلى الله عليه وسلم – نصح سعد بن أبي وقاص للذهاب إلى الطبيب



المشهور الحارث بن كَلَدَة، فقد روى أبو داود عن سعد، قال: مرضت مرضا فأتاني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعودني، فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي، فقال: «إنك رجل مفؤود، ائت الحارث بن كلدة أخا ثقيف، فإنه رجل يتطبب».

وكان للطب المكانة العليا بين العلوم والفنون في العصور المزهرة للحضارة الإسلامية، في الوقت الذي كانت فيه الكنيسة الغربية تحرم مهنة الطب، لاعتقادهم أن المرض عقوبة من الله فلا ينبغي للطبيب أن يصرفه عمن يستحقه، إلا أن المسلمين قاموا بتطوير نظام طبي يعتمد على التحليل العلمي، واجتهد الأطباء الأوائل في إيجاد سبل العلاج.

وقد أفرز الإسلام في القرون الوسطى بعضا من أعظم الأطباء في التاريخ، وبنى المسلمون المستشفيات، ومارسوا الجراحة على نطاق واسع، بل ومارس النساء الطب، وبدأ تقسيم علم الطب لأول مرة إلى تخصصات، فكان منهم أطباء العيون وعرفوا بالكحالين، إضافة إلى الجراحين والفصادين والحجامين وأطباء أمراض النساء والأطفال، بل وطب المسنين أيضا!

السميط وعمله الوظيفي في مهنة الطب

ذكر د. فهد السنيدي في برنامج «صفحات من حياتي» قناة المجد الفضائية:

بعد أن أكمل الطبيب الشاب عبد الرحمن السميط دراساته الطبية في جامعة ليفربول وهي واحدة من أعرق الجامعات البريطانية (١٩٧٤م)، وبعدها سافر إلى كندا ليتخصص في مجال الجهاز الهضمي والأمراض الباطنية، وقد عمل السميط في مهنته الطب في كل من كندا وبريطانيا بين أعوام (١٩٧٤م) وحتى أعوام (١٩٨٠م)، وذلك قبل أن يعود إلى بلده الكويت في كبرى المستشفيات ونحن نلخص مسيرة عمله الوظيفي كما يلي:

– طبيب ممارس في مستشفى مونتريال العام، كندا في الفترة من (١٩٧٤ – ١٩٧٨).

وهو مستشفى يقع في مونتريال، (كيبيك - كندا) تم تأسيسه رسميا في عام (١٨٢١م) كمستشفى تعليمي، وهو أيضا جزء من المركز الصحي التابع لجامعة ماكجيل.

- طبيب متخصص - مستشفى كلية الملوك - لندن في الفترة من (١٩٧٩ - ١٩٨٠م)، وهو أيضا مستشفى تعليمي، يقع وسط العاصمة البريطانية لندن، ومن أبرز خريجيها السير جيمس دبليو بلاك (Sir James Whyte Black) طبيب وعالم صيدلي الاسكتلندي الحاصل على جائزة نوبل في الطب عام (١٩٨٨م) لمساهمته في اكتشاف المبادئ الأساسية لعلاج المخدرات.

- طبيب متخصص في أمراض الجهاز الهضمي، في مستشفى الصباح -بالكويت في الفترة من (١٩٨٠ - ١٩٨٣)، وتعد مستشفى الصباح أحد أشهر مستشفيات الكويت، وأعرقها، وقد أقيمت في عام (١٩٦٠م)، ويعتبر أول وأكبر مشروع لوزارة الصحة الكويتية، وقد بني في عهد الشيخ عبدالله السالم الصباح - رحمه الله -، حيث استغرق بناؤه عامين.

وقد قام الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- بنشر العديد من الأبحاث العلمية والطبية في مجال القولون والفحص بالمنظار لأورام السرطان.

عبد الرحمن السميط الطبيب النموذجي

كانت مسيرة الطبيب عبد الرحمن السميط أنموذجا يحتذى للطبيب الناجح الطموح الذي استكمل كل أدوات النجاح بدءا من دراساته في الجامعات الغربية في ليفربول، ثم كندا وتدريبه الراقي في مونتريال، ثم في كلية الملوك البريطانية وعمله بأكبر المستشفيات الكويتية، وهو أكبر دليل على النفس المتطلعة للعوالي، طامحة للمكارم دوما.

كان طبيبا متخصصا في الأمراض الباطنية والجهاز الهضمي، لم يكن طبيبا عاديا، بل طبيبا فوق العادة، إذ بعد أن ينتهي من عمله المهني، كان يتفقد أحوال المرضى في أجنحة مستشفى الصباح، ويسألهم عن ظروفهم وأحوالهم الأسرية والاجتماعية والاقتصادية، ويسعى في قضاء حوائجهم، ويطمئنهم على حالاتهم الصحية، رغم انتهاء وقت عمله المهني.

وقد أحب -رحمه الله- عمله بمهنة الطب كثيرا، فهي حلمه من الطفولة.

وكان الطبيب الشاب عبد الرحمن السميط غاية في التواضع وإنكار الذات، رغم أن الكويت في ذلك الوقت لم تكن قد ضمت الكثيرين من الأطباء لاسيما الذين نالوا تعليما غربيا متقدما وتدريبا راقيا مثلما كان الحال مع طبيبنا الشاب عبد الرحمن السميط، رغم ذلك لم يشعر أحد ممن حوله منه إلا كل تواضع وحسن خلق، فلا تباهي ولا طلب لشهرة أو جاه أو مال، وإنما رضا الله ومحبة الناس وقضاء حوائج الخلق.



ويعد الدكتور عبد الرحمن السميط مثال الطبيب المسلم الذي امتلأ قلبه بالرحمة والرفق بإخوانه من مرضى المسلمين وغير المسلمين، الذي كشفت أعماله الطبية ما انطوت عليه نفسه من النية الصالحة، والأمانة في إتقان العمل، مع تميزه بحسن الخلق في معاملة مرضاه، لا كطبيب فحسب بل كأخ لهم يألم لألمهم وينشغل همومهم.

لم يكن الطبيب عبد الرحمن السميط يحلم كما هو حال الآلاف غيره من شباب الأطباء بأن يكتسب من مهنة الطب مكاسب دنيوية مالية أو مكانة اجتماعية سامية، أو مناصب رفيعة، ووالله ما أجدر مثله بكل ذلك، ولو شاء ذلك لكان يسيرا عليه تحقيق ذلك، فهو طبيب ناجح يحمل شهادات رفيعة، وخبرات عالية ومقدرة مالية، فلم لا تأخذه سكرت الشهرة ومتاعها، ولم لا ينهل من رحيق جناتها وعبقها، ولكنه اختار طريقا آخر، يحقق له السلام الداخلي الذي لم يغادر نفسه الزكية أو روحه النقية أبدا.

لقد رضي هذا الطبيب الشاب عبد الرحمن السميط من هذه الدنيا بأن يستمد قلبه فرحه من فرحة مريض ساهم بفضل الله في شفائه، وأن يستمد غناه من قناعته بأن ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾، وأن يستثمر حسن خلقه في معاملة مرضاه، وإنفاقه في سبيل الله في السر والعلن فيصير استثماره ﴿ كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة﴾، وذلك خير له من الاستثمار في العيادات الخاصة والأراضي والعقارات.

الطب مدخله الطبيعي إلى العمل الخيري

إن شخصية الدكتور عبد الرحمن السميط الرءوف العطوف لا يمكن تصور انسجامها مع مهنة غير مهنة الطب، وقد كان الجمع بين هذه الشخصية الرحيمة ومهنة الطب كالجمع بين أليفين لا غنى لأحدهما عن الآخر، ومن جهة أخرى لم يكن الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- ليستفيد من مهنة في عمله الخيري الذي وفقه الله إليه كما استفاد من مهنة الطب التي أكسبته مهارات وسمات يعز أن توجد في مهنة أخرى.

وقد استطاع د. عبدالرحمن السميط -رحمه الله- من خلال عمله بالطب أن يشبع ميله الفطري والديني إلى مساعدة الآخرين وتخفيف آلامهم وعلاج جراحهم، وتلبية شعوره تجاه المسلمين بالمسئولية والتزامه بعونهم وإنقاذهم كأن الله سائله عن حال كل إنسان مكروب لم يهرع لتفريج كربه، أو جائع لم يسرع ليطعم جوفه، أو مريض لم يبادر لعلاجه وبرئه، أو ثكلى لم تجد يدا مواسية أو قلبا حانيا، إنه يرى أن الله سائله عن كل ذلك، ولولا أن الله منّ عليه بذهابه إلى إفريقيا ومنّ على إفريقيا به لكان هذا الشعور مسببا له آلاما لا برء منها ولا شفاء.

وكان من أهم أقوال د. عبد الرحمن السميط -رحمه الله-: «العمل بالطب هو نوع من الدعوة ومن عمل الخير».

الصحية للمرضى هم دائم له



القس المسلم ! !

يقول الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله-:

أذكر عندما عملت في كندا كطبيب وذلك قبل ثلاثين سنة ولم يكن وقتها عندنا إمام مسجد ولا داعية متفرغ.

وفي يوم من الأيام أصيب أحدهم بمرض شديد جداً وكان خائفاً من الموت، فطلب من المستشفى أن يحضروا له عالماً مسلماً، فاحتاروا لأنه بالرغم من وجود مركز إسلامي لكن ليس به حتى إمام، فاتصلوا بالمركز الإسلامي وطلبوا منهم أن يحضروا إماما لهذا المريض، فقالوا لهم: ليس لدينا إمام، ولكن عندكم طبيب يعمل في المستشفى اسمه عبد الرحمن السميط يمكنكم أن تتصلوا به، وسيقوم بالمهمة فنادوا علي في الإذاعة المحلية للمستشفى، وقالوا: رجاء اتصل بالقسيس! !

وكنت مستغرباً في البداية، فلما كلمت القسيس وحكي لي القصة قال: نحن عندنا قسس لكل طوائف الكاثوليك والبروتستانت والأرثوزوكس لكن ليس لدينا إمام مسلم، وأتمنى أن تذهب للمريض وسوف أزودك بكل ما ستحتاجه من ماء مقدس أو ملابس خاصة.

فقلت له: نحن المسلمين لا نحتاج لهذه الأشياء، وأنا سأذهب بملابس الطبيب، وسأذهب وأدعو له.

وفعلا كتب الله الشفاء لذلك المريض وأصبح القسيس يتصل بي بين الحين والآخر كلما كان هناك مريض مسلم يحتاج للمساعدة، وبعدها أعطاني مكتباً داخل مركز العبادة أو الكنيسة، واعتبروني قسيساً مسلماً، وحدث نوع من الألفة بيني وبين هذا القسيس، وبدأت أسأله بعض الأسئلة، فقلت له مثلاً: أنا لا أفهم عقيدة التثليث، وقلت له: ما معنى ثلاثة آلهة في إله واحد وإله واحد في ثلاثة آلهة؟ وما هي علاقة الأب بالابن بالروح القدس؟ وكيف تعتبرونهم إلها واحدا؟ ولماذا ينقسمون إلى ثلاثة؟ وأذكر أنه قال لي فيما معناه: إما أن تقبلها كما هي أو تتركها، لأنني أنا قسيس ولا أفهمها!!

حينها شعرت أن عقيدة التثليث صعب قبولها من قبل الإنسان العادي، وهذا قسيس ويقول: لا أستطيع أن أفهمها.

احتضان المسلمين الجدد لا يقل أهمية عن الدعوة إلى الإسلام

أذكر أيضاً عندما كنت في كندا كان عندي زميل مسلم كندي اسمه عبد الحق بدأ ينشر الإسلام وكان يقول: أريد أن أعلمهم «أشهد أن لا إله إلا الله» كي أنقذهم من النار، وخلال شهر واحد في شهر فبراير عام (١٩٧٥م) أسلم على يديه اثنان وأربعون شخصاً، وفي الحقيقة بقدر ما فرحت كنت غاضبا جدا



د. السميط

فقد قلت له: هؤلاء المسلمون الجدد من سيربيهم؟ من سيعلمهم الإسلام؟ أم تريد من كل واحد أن يفهم الإسلام بطريقته الخاصة ويسبب المشاكل، وما حدث في كندا من إسلام اثنين وأربعين شخصا في شهر واحد على يد شخص واحد خريج ثانوية هو ما يحدث في إفريقيا الآن، خاصة ونحن نعمل حسب مخطط علمي وبطريقة ليس فوضوية، ونركز على مناطق معينة، ونوجه كل كلامنا وعملنا ومشاريعنا لمنطقة معينة في كل بلد، ولا ننشر أنفسنا في كل مكان كي لا يصبح عندنا مشكلة في متابعة هؤلاء المسلمين الجدد، والآن بفضل الله سبحانه وتعالى إذا أسلم واحد أو مجموعة، فكل ما علينا هو أن نذهب لزيارتهم، فالمركز الإسلامي موجود في المنطقة يذهب منه الإخوة الدعاة إلى القرى التي حدث فيها الإسلام وتنفذ لهم دورات وغيرها من البرامج.

ظل الدكتور عبد الرحمن السميط يتحين فرصة يحقق بها حلمه بالقيام بعمل ضخم يستوعب ما تفيض به نفسه من عمل الخير ومساعدة إخوانه المسلمين في كل مكان، مدفوعا بمعرفته بما يعانيه المسلمون الأفارقة من حملات تنصيرية تبشيرية تستلب منهم هويتهم الإسلامية مستغلة حالة الفقر القائم والعوز الدائم والجهل الداهم لأبناء القارة المسكينة إفريقيا.

مسكينة أنت أيتها القارة المنكوبة، والتي انتهبها الغربيون واستنزفوا خيراتها بالاستعمار والاحتلال وباستعباد شعوبها وسرقة شبابها عبيدا للعمل في قارات العالم الجديد في الأمريكيتين في عملية استعباد هي الأكبر والأظلم والأقذر في أسود بقعة في التاريخ البشري عامة والتاريخ الغربي خاصة.

السميط يودع مهنة الطب

بعد حياة دراسية ومهنية حافلة بالنشاط والهمة والاجتهاد والإخلاص والتفاني وطي الليل مع النهار، ودع د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – الطب برصيد واسع من الشهادات والإنجازات، ولو لم يكن إنجازه إلا تلك السمعة الطيبة التي جناها من تعامله الإنساني مع المرضى كافة لكفى.

لقد كان أمرا غريبا فعلا؛ كيف يترك عبد الرحمن السميط عمله في الطب، وقد قضى جزءا كبيرا من حياته طالبا، ثم طبيبا، وأنفق من الأموال، وفارق من مهج الحياة ما لا يحصر؟!

وكانت البداية حين كان طبيبا في مستشفى الصباح يملأ المكان رحمة ومحبة لمرضاه، فيشتهر أمره بين الناس بالبر والعمل الصالح فتأتمنه إحدى المحسنات على أن يأخذ مبلغا من المال ليقيم به مسجدا في أي مكان يراه مناسبا.

ومن فرط أمانته تلجلج في قبول الفكرة لأنه ليس خبيرا في ذلك إلا أن تلك المحسنة زادته إصرارا على أن يكون المال تحت تصرفه هو وليس شخصا آخر، فقام بتحمل هذه الأمانة الغالية واستشار من حوله في المكان الذي يبدءون به العمل النبيل الذي أصبح فيها بعد أسطورة للدعوة والعمل الخيري يفخر به المسلمون عامة وأهل الكويت خاصة.

نشر السميط المساجد في إفريقيا في أماكن تعج فيها الوثنية

كيف يترك حياة الطب، وزملاؤه بل وطلابه تبوأوا المناصب العالية، وفتحوا العيادات الخاصة، ونالوا الشهرة الفائقة؟!

كيف يترك مهنة الطب وهي التي صارت علَما على الإنسانية، ورمزا لعون الناس؟!

ثم ما هي الحياة التي سيقبل عليها د. عبد الرحمن السميط بعد تركه للطب؟!

هل لها راتب مجزٍ؟!

هل لها مكتب فاره؟!

هل لها امتيازات مغرية؟!

هل لها مستقبل مهني؟!

ترك د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - الإجابة عن كل تلك الأسئلة إلا بقدر ما يغلق به الفضول، وأحال الجواب إلى تلك المسيرة الحافلة من العمل الإغاثي الذي ودع الدنيا ليقول لكل من سأله في حياته، ولكل من سيسأل بعد موته: العبرة بالنهايات لا بالبدايات!



النهاية السعيدة التي يسعى لها السميط

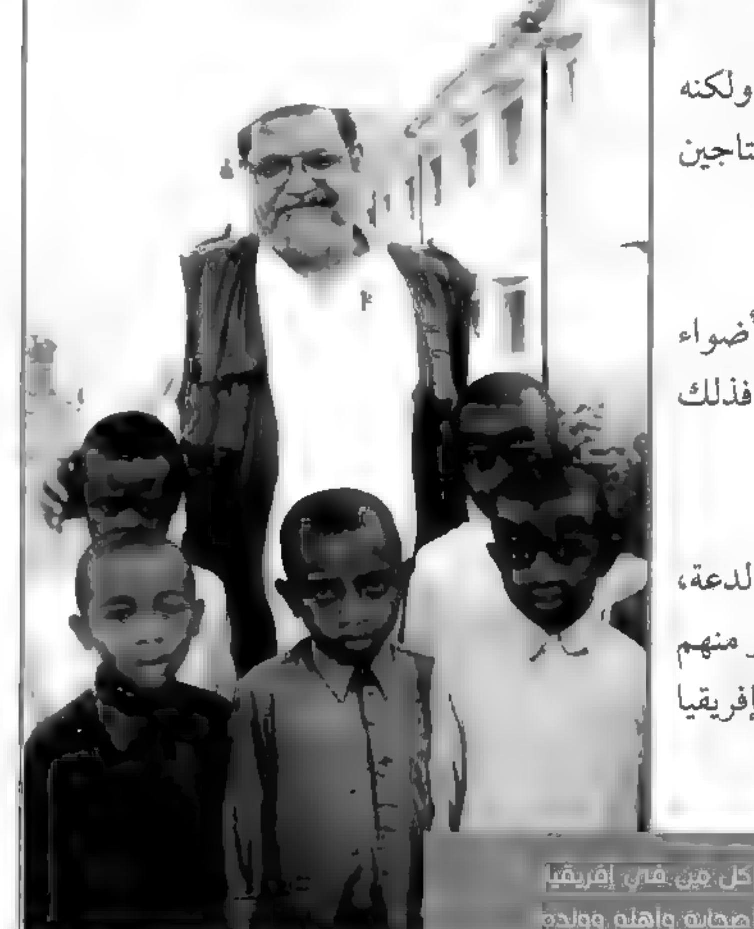
ومع ذلك فقد أعطانا عبد الرحمن السميط – رحمه الله – درسا مهما إبّان حياته العلمية والعملية أن بلوغ أقصى مقامات التفوق هدف نبيل كان يسعى إليه، وحقق فيه ما يرضى به عن نفسه، أو يرضي به من حوله من أهله.



يقول الشيخ توفيق الصايغ في (خطبة بتاريخ ١٦/٨/ ٢٠١٣م)، وكانت بعنوان «إنا لله وإنا إليه راجعون»: كان د. عبدالرحمن السميط – رحمه الله – رجلاً كجيش في قوته، وهرماً من أهرام الدعوة إلى الله فنزع عنه الله تبارك وتعالى سترة الطبيب ليرتدي سترة العالم الداعية، ويدخل في معترك إفريقيا وما فيها من مرض وجوع وشرك وخضم وكل هذا ليستثمر في دينه وآخرته.

ذو القلب الأبيض يخلع الرداء الأبيض

خلع عبد الرحمن السميط رداء الطبيب الأبيض ولكنه لم يخلع أبدا القلب الأبيض الممتلئ رحمة ورأفة ورقة.



ترك عبد الرحمن السميط وراءه مهنة الطب ولكنه مارس الطب لملايين المرضى والجرحى، والمحتاجين والجوعى، في ربوع القارة الثكلى.

ترك عبد الرحمن السميط الشهرة والأضواء وأقبل باحثا عن تردد اسمه في الملأ الأعلى فذلك أشرف ذكرا وأبقى أثرا.

ترك عبد الرحمن السميط حياة الراحة والدعة، والفراش الوثير والبيت الأثير، والأبناء الصغير منهم والكبير، والأهل والأحباب ليكون كل من في إفريقيا أصحابه وأهله وولده.

ترك السميط أرفع المهن شأنا بين الأمم، ليعمل بأشرف عمل في نظر الرحيم المنان، وهو الدعوة إلى الرحمن والعمل الخيري والإغاثي للمسلمين ولجميع بني الإنسان.

غادر عبد الرحمن السميط باب العاملين بالطب ليدخل من أبواب الدعاة إلى الله وما أوسعه من باب، غادر العمل بالدرهم والدينار، ونذر نفسه لخدمة دين الله، راغبا في فضله وجنته ونعم عقبى الدار

لم يخسر الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- عمله ومهنته الراقية بقدر ما خسرت مهنة الطب طبيبا ماهرا وإنسانا صالحا ومسلما تقيا، ولكن ربح المسلمون والإنسانية كلها طبيبا للآلام والأوجاع، والجهل والجوع، فكان أمة من الأطباء، خسرت الكويت إقامة علم من أعلامها وشاب لا تجود بطون النساء بمثله، ولكنه أكسبت الأمة رجلا بأمة.

الفصل الثالث

عبد الرحمن السميط الإنسان

حيا الله عبد الرحمن الفاتح

لقد وقف فاتح إفريقيا الأول عقبة بن نافع الفهري رحمه الله - على شاطئ البحر المحيط، وأقحم فرسه فيه، وقال قولته المشهورة: اللهم اشْهد أنّي قد بلغت المجهود، ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد أقاتل مَنْ كفر بك، حتى لا يُعْبَد أحد مِن دونك.

هكذا كان علو همته وقد جاهد في سبيل الله قرابة أربعين عاما لم يكل ولم يمل إلى أن نال الشهادة في سبيله وقد جاوز الثالثة والستين عاما.

وبعد أربعة عشر قرنا يقدر الله سبحانه وتعالى أن يبعث في إفريقيا فاتحا يجدد مجد الأولين، وينشر بين الأفارقة معالم الإسلام السمحة، فقد جاء عبد الرحمن الفاتح أو عبد الرحمن السميط إلى إفريقيا داعيا إلى الله حتى عمر المساجد، وأقام صروح العلم، وأسلم على يديه الملايين من الناس.

إذا أردت أن تبحث عن نوادر العصر وفرائد كل مصر لتضرب به مثلا على علو الهمة، أو رجلا يعدل أمة، فمن أقرب الأمثلة الدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله– وشواهد ذلك تجل عن النظير والمثيل، وهي غير محصورة ولا معدودة بفضل الله وكرمه.

ما سر توفيق الله للدكتور عبد الرحمن السميط؟!

إن المتأمل في سيرة الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله يرى أنه ما استطاع أن يقوم بمثل هذه الأعمال العظيمة حتى ملأت ربوع إفريقيا ودخلت دعوته وأعماله المباركة ملايين البيوت لمسلمين وغير مسلمين، فكم من بيت وأناس ساهم

في تفريج كربهم أو إغاثة ملهوفهم بإطعامهم أو حفر بئر لهم أو إعالة أيتامهم وعلاج مرضاهم أو تعليمهم، ولم يفرق بين مسلم وغير مسلم، فضلا عما قام به من جهود دعوية من بناء المساجد وإعمارها، وتأسيس المدارس، وإقامة القوافل الدعوية، ونشر المصحف الشريف، وإفطار الصائمين، ورعاية الدعاة والخطباء والواعظين، وغير ذلك مما يجل عن العد والحصر من الأعمال والإنجازات.

ولو قيل لأي عاقل عن هذه الإنجازات، وسئل عمن يستطيع القيام بهذا ، لكانت الإجابة حتما : إن هذه الأعمال من إنجازات دول، ولا يمكن أن تكون آثار رجل واحد مهما بلغ من القوة والنشاط والعلم والحكمة ، ولكن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء .

من يرى ذلك يعلم علم اليقين أنه لم يكن أمام شخصية عادية، بل ينم ذلك عن إنسان حمل من السمات الراقية والأخلاق السامية ما لا ينطوي عليه إلا العظماء الفرائد والنجباء النوادر، وشهد كل من حوله بهذه الشمائل الكريمة من الصدق والورع والرقة والرحمة والتواضع، والإيثار، وحب الناس.

هكذا كان الدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله الرجل الداعية الطبيب الإنسان القدوة، الذي عز أن يكون له في عالمنا المعاصر نظير، فهلم بنا نتطلع في قبس من صفات هذا الرجل الفذ.

الباب الأول

تـواضـعه

في فضل التواضع

التواضع من رؤوس الأخلاق الإسلامية بل والإنسانية وأرفعها شأنا، يقول الله تعالى في وصايا لقمان لابنه: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ لقمان ١٨، وقال تعالى في وصف عباده المخلصين: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣].

ويقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: « ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله » رواه مسلم.

ويقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: « إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد » رواه أبو داود

وسئل الحسن البصري – رحمه الله – عن التواضع، فقال: التواضع: أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً.

وقال الإمام الجنيد – رحمه الله–: التواضع هو خفض الجناح ولين الجانب.

وقال الْفُضَيْل بن عياض: التَّوَاضُعُ أَنْ تَخْضَعَ لِلْحَقِّ وَتَنْقَادَ لَهُ وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ صَبِيٍّ قَبِلْتَهُ مِنْهُ، وَلَوْ سَمِعْتَهُ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ قَبِلْتَهُ مِنْهُ.

ولباس التقوى ذلك خير

يقول عمرو بن معدي كرب الزبيدي – رضي الله عنه–:

ليس الجمال بمئزر
فاعلم وإن ردّيت بردا

إنّ الجمال معادن
ومناقب أورثن مجدا

هذان البيتان لطالما انطبق معناهما الكريم على الدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله– فلم يك كشباب جيله ممن ينظر إلى عطفيه متعجبا بنفسه متدللا بملبسه وسيارته أو مسكنه ولا معجبا بمنظره، بل لم يكن –رحمه الله– يبالي بتجويد ملبسه ومظهره قدر ما كان يهتم بإصلاح باطنه ومخبره، وقد كان أعجوبة في تطليق الدنيا، فرغم أنه من أسرة ميسورة الحال إلا أنه لم يكن يستنكف أن يلبس أي ملابس أو يستخدم قلما لا يجاوز ثمنه خمسين فلسا، أو يركب أي سيارة، فلم يكن ذلك يشغل من باله شيئا، ولذلك فقد احتفى كل من حوله به وسكنوا إليه فأحبوه وسكنت محبته قلوب الناس.



تواضعه وقربه من المساكين ومواساتهم

اكتسب د. عبد الرحمن السميط –رحمه الله– شهرة كبيرة، ونال ثقة الناس، وتقاطرت عليه الزكوات والصدقات من داخل الكويت وخارجها، وصارت جمعية العون المباشر في حياته وبعد مماته من أشهر وأكبر الجمعيات الإغاثية في العالم الإسلامي، لكنك تستغرب حين تلتقي رئيس مجلس الإدارة فلا تراه يحمل شيئا من سمات هذا المنصب التي رآها عند غيره.

أليس رئيس مجلس الإدارة أحيانا له هيئة ونظام حياتي ومهني يختلف عن غيره؟!

أليس رئيس مجلس الإدارة أحيانا له مكتب واسع، وموظفون كثر تقسم بينهم أعمال؟!

أليس رئيس مجلس الإدارة لا يخرج من مكتبه إلا نادرا فيما يتعلق في العمل؟!

لم أر شيئا من ذلك في حياة د. عبد الرحمن السميط العملية، فقد كان زاهدا ورعا مراعيا مراقبة الله فيما ولاه الله أمره من أموال الأيتام والمحتاجين.

لقد كان همه راحة الآخرين ولو بتعبه، ونـوم الآخرين ولو بسهره، وبسمة الآخرين ولو ببكائه، وصحة الآخـرين ولو بمرضـه، وحـياة الآخرين ولو بموته.

لقد ضرب د. عبد الرحمن السميط -رحمه الله- أروع الأمثلة في التورع عن المال الذي بين يديه، والحرص على أن يصرفه في مصارفه الصحيحة. لا يبحث عن الشهرة أو الرياء ، ولا يسكن الفنادق ، ولا يتحرك بالطائرات أو السيارات الفخمة.

لم يكن مشروعه للبلاغ الإسلامي فقط، ولكن لإعادة المفهوم الإنساني الخالد للرسالة الإسلامية، وهي أن هذا الدين دين إنقاذ وعطاء وتسامح ومعونة لكل مضطر مسلم أو غير مسلم .



رعايته وتعاطفه الشديد بالأطفال ومعانقتهم



كان يعيش بين الناس في القرى والغابات وكثيرا ما يكون وحده

لماذا نظف الدكتور السميط بنفسه دورة المياه؟!

لا يخصص لنفسه طعاما خاصا أو حارسا، يعيش بين الناس في القرى والغابات يجوع ويعطش ويعرى ويمرض.

من صفات الصالحين الذين أشربت قلوبهم بجلال الله وعظمته، وجميل أفضاله عليهم ومنته، واستعظموا ذنوبهم ولو كانت من الصغائر أمام عظمة الله وقوته، وعدم قدرتهم على شكر سابغ عطائه ونعمته،

وكمال علمهم بقدرة الله على عقابهم وأخذهم بما لا يطيقون، فلما اجتمعت في قلوبهم عظمة معبودهم سبحانه مع استصغار نفوسهم؛ كرهوا أن يجرح هذا المقام الجليل مدح مادح ، أو يرفع من شأنهم محب جانح.

قال مالك بن دينار - رحمه الله -: منذ عرفتُ الناس لم أفرح بمدحهم ولم أكره ذمهم لأن حامدهم مفرط، وذامهم مفَرِّط

ذكر الأخ يوسف الكندري في برنامج «عبد الرحمن الفاتح» إعداد وتقديم: عبد العزيز العويد، وهو من الملاصقين للدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في آخر حياته موقفا يروى عن السميط، كما رأيته مرويا عن غيره، فقد كان د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - مرة في مكتب الاستقبال، وكان من أزعج الأشياء له أن أحداً يمدحه أمام الناس، وجاء أحد المتبرعين وجلس بجانب السميط، وصار يمدحه، فلما تبرع المحسن وخرج، غاب الدكتور السميط، فبحث عنه الموظف فوجده ينظف دورة المياه، فقال له الموظف: أبا صهيب ما الذي تفعله؟! قال: ما سمعت الرجل ماذا قال؟! مدح وأثنى أردت أن أعلّم نفسي أن لا تغتر بالكلام الذي قيل.

أدبت نفسي فلم أجد لها أدباً
بغير تقوى الإله من أدب

في كل حالاتها وإن قصرت
أفضل من صمتها عن الكذب

وريبة الناس إن ريبتهم
حرمها ذو الجلال في الكتب

لو كان من فضة كلامك يا
نفس لكان السكوت من ذهب

هكذا المؤمن الحق يعظم على نفسه أن تصاب بالكبر وهو رداء الرحمن، فيبادر إلى تأديبها لئلا تتعاظم عليه فينفلت زمامها منه فتورده المهالك،

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ (المؤمنون: ٦٠) أي هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله خائفون منه وجلون من مكره بهم، كما قال الحسن البصري: إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة، وإن الكافر جمع إساءة وأمنا.

وقد روي أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - حمل قربة على عنقه، فقيل له في ذلك فقال: إن نفسي أعجبتني، فأردت أن أذلها. يقول الإمام الشافعي -رحمه الله-: أرفع الناس قدرًا من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلًا من لا يرى فضله.

وقال ابن القيم: فمن عرف الله وعرف نفسه، لم يرَ نفسه إلا بعين النقصان.

تواضعه سلاح نجاحه

كان د. عبد الرحمن السميط بعيدا عن التكلف في ملبسه ومطعمه ومركبه، وفي كل شي، يتعامل معك بعفوية ظاهرة، قد تشعر أحيانا أنها مبالغ فيها، لكنها سجيته التي صحبته منذ طفولته إلى مماته.



[illegible]

كان د. عبد الرحمن السميط -رحمه الله- يمتثل خلق اللين والتواضع والسماحة بين القبائل الإفريقية، فقد كان ملماً بحياة القرى والقبائل الإفريقية وعاداتهم وتقاليدهم، فالداعية الحق هو الذي يعرف طبيعة من يدعوهم، عارفا بمفاتيح قلوبهم مما يناسب حالهم.

لقد كان شخصية عبد الرحمن السميط في البيت هي نفسها في المكتب، وبين الناس، وفي الحضر وفي السفر، فمن الاعتيادي عنده أن يقدم الشاي والقهوة إلى ضيوفه الجالسين وكأنه خادمهم، ويجثو على الأرض، ويلاطف من عنده ويسأل عن حالهم وكأنه ابن أمهم.

كلمات يسيرة منه يدخل بها أعدادا منهم إلى الإسلام، وكان يحمل معه ملابس ليقدمها هدية لملوك القرى تأليفاً لقلوبهم إلى الإسلام، ويحمل والحلوى لأطفال القرى من أجل إدخال السرور على نفوسهم، فليس كل داعية يصلح للدعوة في كل مكان، بل لابد من مواصفات معينة يسبقها العلم التام بطبيعة المدعوين وأحوالهم.

ولا شك أن تواضعه هذا سر من أسرار رفعته بين الناس، ومحبته لهم، وعلو شأنه، وصدق النبي - ﷺ - حين قال: «ما تواضع عبد لله إلا رفعه الله» رواه مسلم .



[illegible]

ينتظر في الشمس لإلقاء محاضرة

يقول د. فهد الفرائضي من المملكة العربية السعودية: شرفت في عام (١٤٢٧هـ) باستضافة الشيخ الدكتور عبدالرحمن السميط - رحمه الله - في محاضرة قدمها للأطباء وطلبة الطب في مدينة الدمام.

رتبت مع الشيخ بكل بساطة موعدا عن طريق الجوال فأعطاني وقتا قريبا بعد عدة أسابيع، وعند الموعد تأخرت عن الشيخ عشر دقائق بسبب زحمة الطريق، فوجدته ينتظرني على الشارع تحت الشمس، وبيده كيسان ثقيلان فيهما أعداد من مجلة الكوثر، حاولت معه أن أحملهما عنه فرفض بشدة وقال: يا ابني صاحب الشيء أحق بحمله.

في إحدى الفعاليات لإلقاء محاضرة



قالوا عن تواضعه

يقول الدكتور خالد المذكور: السميط كان زاهدا في الحياة الدنيا متواضعا خيرا ، يحرص على البذل والعطاء.

وقال الوزير الشيخ محمد العبد الله المبارك الصباح في بيان باسم مجلس الوزراء: وكان طيب الخصال جم التواضع حسن المعشر والخلق كريما عطوفا يحظى بمحبة واحترام كل من تعامل معه.

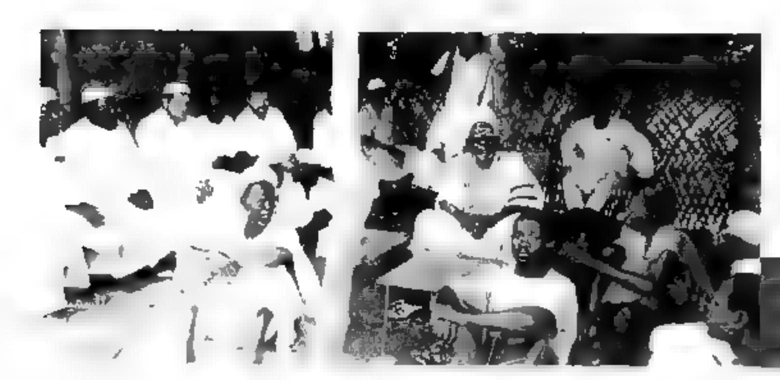
وقال مدير الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية السابق د. سليمان شمس الدين: كان العمل الخيري في دمه وكيانه وفي بيته ومع كل أصحابه تميز بالتواضع والتفاني والتجرد.

وقال د. ربيعة بن صباح الكواري: التقيت بالفقيد شخصيا لمرة واحدة في إحدى سفراتي، وكان شخصا متواضعا لا يحب سوى أعمال الخير ونشر الإسلام وهو همه الأول والأخير.

وقال الدكتور عوض القرني: عبد الرحمن السميط قمة شامخة في العمل والتواضع والتضحية.

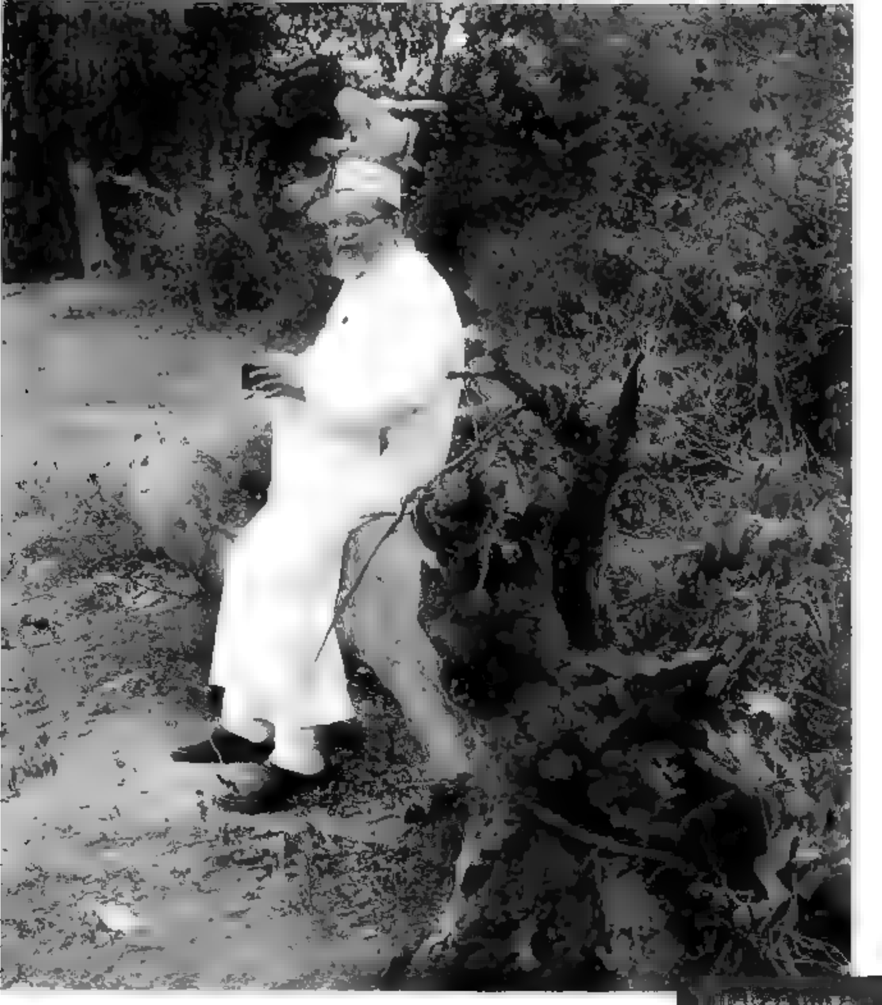
ويقول محمد أحمد المجرن الرومي: أول مرة قابلت هذا الإنسان كانت في بغداد عندما ذهبت ضمن وفد طلابي كويتي إلى العاصمة العراقية فالتقيت به، وكان يدرس الطب آنذاك، وكان شخصاً هادئاً في حديثه ومتواضعا.

وتقول أ. د. معصومة أحمد إبراهيم: كان عبد الرحمن السميط - رحمه الله - كتيبة مجاهدة سلاحها السماحة والتواضع والمحبة للإنسان.



الباب الثاني

ورعـــــــــه



جالسا ومتأملا

ما قيل في الورع

عرف العلماء الورع بأنه ترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس خوفا من الله تعالى .

عن أنس -رضي الله عنه - أن النبي -ﷺ- وجد تمرة في الطريق فقال: «لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها» متفق عليه.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -: قال: قال رسول الله -ﷺ-: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ كُنْ وَرِعاً تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ» رواه ابن ماجه.

وعن الحسن بن علي - رضي الله عنهما -قَالَ: سمعت رسول -ﷺ- يَقُولُ «دَعْ مَا يُرِيبُكَ إلى مالا يريبك » رواه الترمذي.

وقال سفيان الثوري -رحمه الله-: عليك بالورع يخفف الله حسابك، ودع ما يريبك إلى ما يريبك، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك.

وقال الحسن بن عرفة: قال لي ابن المبارك: استعرت قلماً بأرض الشام، فذهبت على أن أرده، فلما قدمت مرو، نظرت فإذا هو معي فرجعت إلى الشام حتى رددته على صاحبه.

لم يدخل مطعما في كندا وبريطانيا أيام دراسته

كان الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- كثيرا ما تشغله قضية تحري الحلال والحرام، وكان حريصا على غرس هذه القيمة الإيمانية في نفوس أسرته الكريمة، ولقد أمضى الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- خمس سنوات في كندا وثلاث سنوات في بريطانيا لم يدخل أي مطعم، ولم يتناول مأكولاتها خشية الحرام حتى الجبن لا يتناوله خاصة بعد أن اكتشف أنهم يستخدمون في صناعته مادة الرنيت أحياناً ومصدرها الخنزير أو أبقار لم تذبح حسب الشريعة الإسلامية.

وعندما زارهم الشيخ القرضاوي سألوه عن أكل هذه الأجبان فأجازها، واحتراماً منه لرأي الشيخ وتقديراً لمكانته ذهب إلى السوق واشترى جبناً لأبنائه ولكنه لم يأكل منه، ويرفض تناول الأجبان الغربية ومعظم العربية، ويفضل عليها الذي يصنعه في البيت.

وكان الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- شديد الحرص على أموال المتبرعين أن تذهب إلى مكانها، حتى قيل: إنه كان إذا انتهى الشهر واستلم الراتب الجديد أعاد ما تبقى من الراتب القديم للجنة.

عبد الرحمن السميط وقف نفسه على الدعوة

لا يوجد عند د. عبد الرحمن السميط -رحمه الله- وقت للمجاملات، أو التكلف الذي لا معنى له، فالرجل كان معتزا بنفسه بلا تكبر، عفويا بلا تصنع، ولذا كان قريبا من النفس، يألف ويؤلف.

لقد كنت أرى فيه على قلة معرفتي به جدية في العمل، وصرامة مع نفسه تبلغ كثيرا حد القسوة، لأنه يشعر أنه إنما خلق لنفع غيره، فنفسه ووقته وقف في سبيل الله لا يملكهما، ولا يجوز الرجوع فيهما، حبس أصلهما وسبّل نفعهما، وأنا أشهد أنه طوى سني عمره ولم ينقض ذلك العهد، فقد كان - رحمه الله - إلى آخر حياته مرتبطا ارتباطا وثيقا بالعمل الخيري ميدانيا، وإداريا، وتنظيريا.

كان د. عبد الرحمن السميط -رحمه الله- يغار على عمله الإغاثي والدعوي كغيرته على أقرب الناس إليه، يخافه ويحوطه ويتعب نفسه ويهلك جسده من أجل سلامة جانبه، ولئلا يسمع فيه ما لا يسره، ولذا فقد رأيت فيه، وسمعت من بعض العاملين معه صرامة تصل إلى الشدة أحيانا قد يستغربها من لا يعرف شخصيته - رحمه الله -، فكيف نجمع بين تلك الصرامة، وبين بكاء في الخلوة، وهمّ في الجلوة؟!

يقول د. عبد الرحمن السميط: لا نجاح بدون الفشل، فالنملة لا تستطيع تسلق الحائط بدون أن تسقط أكثر من مرة، والطريق إلى النجاح يمر دائما بمحطات من الفشل، ولا خير فيمن يستسلم من المعركة الأولى.

ومن يُرد الراحة الجسدية فليجلس عند زوجته في بيته، ولا حاجة لله فيه، وطريق الدعوة محفوف بالمشكلات، وكل سنة نفقد حوالي ٨ - ١٠ من العاملين معنا في الحروب الأهلية التي لا ننسحب منها لأن الحاجة إلى عملنا تكثر.

لقد أصبت مرتين بجلطة في القلب، وأصبت بأمراض كثيرة، ولكن هذا كله يهون إذا عظم الهدف الذي تسعى إليه ا.هـ

إنها - يا كرام - سيرة العظماء، نعم أقولها بلا مجاملة إنها سيرة العظماء، والتاريخ مليء بما يعجز القلم عن ضرب أمثلته، فقد كان يعي تماما حمل هذا الهم، وقد جعله كالبنيان الذي يتعاهده رعاية وتزويقا، وصيانة وتنميقا، وإليكم شيئا من أحواله:



السميط في إحدى رحلاته في إفريقيا

من ورعه سلامة جانبه وشفافيته المطلقة

يذكر الشيخ محمد حمد الخميس – وفقه الله – بعضا من صور شفافيته من خلال ممارسته العمل مع د. السميط – رحمه الله –، وهي الاستقلالية والحياد والشفافية في العمل الخيري، فقد كان السميط يفصل بين السياسة والعمل، وكان يؤمن بأن العمل الخيري له طريق منفرد.

فكان لا يتحالف مع أي سياسي لإيمانه أن هذا السياسي إذا فاز فسيأتي يوم وسيخسر.

أما الشفافية فكان – رحمه الله – يشعر أن هذا العمل الخيري سيأتي يوم ويُحاصر، ولهذا كان حريصا على أن تكون كل خطوات المشاريع تسير بالطريقة القانونية.

فعلى سبيل المثال في عام (١٩٩٧م) كان الشيخ محمد بن حمد الخميس مسؤولا عن مكتب إثيوبيا، وكان الخميس يحوّل الأموال إلى مكتب الجمعية في إثيوبيا عن طريق البنوك، وإذا بشخص يأتي للخميس، ويقول له: « لماذا لا تحول أموالك عن طريق السوق السوداء، فإنك ستوفر ٨٪.





الشيخ محمد حمد الخميس

ذهب الشيخ محمد الخميس إلى د. عبد الرحمن السميط ليخبره بالأمر فابتسم السميط ابتسامة غير المقتنع، فقال له الخميس: أبا صهيب، دعنا نوفر هذه المبالغ لصالح مشاريعنا، فرد عليه السميط: « خليك على الطريق الصحيح تسلم »!

وطلب منه تحويل الأموال بالطريقة الرسمية حتى ولو فقدنا ٨٪ أو أكثر من ذلك، وبعد سنة ونصف وإذا برئيس الوزراء في إثيوبيا يغلق سبعا وأربعين جمعية بسبب هذه الإجراءات غير القانونية، وتسلم جمعية العون المباشر من قرار الإيقاف.

مدقق مالي يحاسب السميط على حذاء اشتراه!

اتصل مرة أحد المدققين الماليين يسأل أبا صهيب عن حذاء - أجلكم الله - أصلحه الدكتور في السودان بربع دولار.





الدكتور السميط: نعم هذا صحيح.
المدقق: لكن هذا لا يحق لك.
الدكتور السميط: كيف تقول لي هذا؟
ألا تعلم أني رئيس مجلس الإدارة؟!!
المدقق: نعم، ولكن لا يوجد لدي نظام يقول بأنه يسمح لرئيس مجلس الإدارة أن يصلح شيئا من أغراضه أو أن تكون له مصروفات نثرية.
الدكتور السميط: ولكن أنا رئيس المجلس ولي الحق فيما أفعله.
المدقق: لا أستطيع قبول هذا إلا بوجود ورقة فيها أن مجلس الإدارة يسمح لرئيس المجلس بصرف أي مبلغ يشاؤه، وإلا فإني سأضطر لتقييد هذا المبلغ في ورقة.

فاستدعاه الدكتور السميط عنده بالمكتب، وتقريبا حقق معه نفس التحقيق الذي كان على الهاتف وكانت الردود نفسها، فما كان من الشيخ إلا أن قبل رأسه وسأله عن راتبه، فأعطاه من ماله الخاص راتب شهر كامل وشجعه على هذه الدقة، وأن لا يسمح لأحد كائنا من كان صغيرا أو كبيرا بأي تجاوز مادي.

حفظ العهود والوفاء بالعقود

كثيرا ما كانت تواجه الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- وجمعية العون المباشر الكثير من العقبات التي تعطل مسيرة الخير فلا يبدو في الأفق من طريقة لتخطي تلك العقبات إلا مخالفة قانون هذه البلد مع كراهية ذلك.

يقول الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله-:

أما في أنغولا التي لا تعترف بدين اسمه الإسلام، فالتضييق فيها على العمل الخيري الإسلامي بلغ مبلغاً قد لا يكون له مثيل حتى في الدول التي يحارب فيها علناً، ولذلك فإن بناء مسجد حتى داخل محيط المركز الإسلامي يعد أمراً مخالفاً للدستور.. !

وتعليم أيتام المسلمين الصلاة مخالف لقوانين البلد، أما استيراد المصاحف المترجمة والكتيبات الإسلامية، فيكاد يكون نوعاً من التهريب أو التجارة الممنوعة!

وفي إطار هذا البند الأخير، سبق لنا في أحد الأيام أن استوردنا مجموعة من الكتب ضمنها مصاحف شريفة، لكن «السلطات الجمركية» طلبت منا بطريقة «ودية» دفع «هدية مالية» قدرها ١٠ آلاف دولار أمريكي لتمرير هذه الشحنة «الممنوعة» بدون صعوبات، لكن عملنا القائم أساساً على الحلال يأبى علينا اللجوء إلى مثل هذه السبل غير المشروعة حتى في حالة الضرورة الشرعية، غير أن أحد التجار المسلمين (ينحدر من أصول هندية) دفع «المبلغ» المذكور، وتم الإفراج عن المصاحف والكتيبات، لكن الذي تبين لنا بعد هذا الموقف وغيره أن جميع الحقوق «ممنوعة» أو «غير ممنوعة» يهون الوصول إليها بتقديم الرشاوي.

كان الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - يؤمن بأن المسلم لا ينبغي له أن يخالف عقوده ولا ينقض عهوده مصداقا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ (المائدة -١) فقد دخلنا هذه البلاد وفقا لعقود مرعية وعهود محفوظة يجب الوفاء بها حتى ولو كلفنا ذلك الكثير، وليعلم الناس أن المكاسب الدينية والدنيوية من وراء ذلك الخلق الإسلامي القويم لا يعلمه إلا من جربه وعاينه.

الدكتور السميط يلقي محاضرة في أحد المساجد بإفريقيا



الباب الثالث

إحساسه بالمسئولية تجاه الإنسانية

يمشون أربعين يوما للبحث عن لقمة

تحسس ألم المنكوب، واستشعار المسؤولية، والسرعة في اتخاذ القرار، والحشد الهائل أمور عرف بها د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - عند كل كارثة تلمّ في بلد من البلاد التي عمل بها.

ولقد أدركت الدول، وشاهد الأفراد الدور العظيم الذي تقوم به جمعية العون المباشر الغرس المبارك الذي غرسه السميط ورفاقه الكرام في الكوارث، والنكبات العظيمة في إفريقيا متحدين كل المخاطر، ومذللين كل الصعاب، ومتخطين كل العقبات، جاعلين نصب أعينهم قول النبي - صلى الله عليه وسلم - « ومن فرج عن مؤمن كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة».

يقول د. السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٧١ - سبتمبر ٢٠٠٥م: زرت في يوم من الأيام أحد معسكرات الإغاثة في إفريقيا، ورأيت بعيني المناظر التي تفتت القلوب المتحجرة، وحاسبت نفسي وقلت: كيف أرضي لنفسي بأن آكل ثلاث وجبات يومياً، بينما إخواني المحتاجون في هذه المعسكرات يسير بعضهم على أقدامهم أربعين يوماً بحثاً عن لقمة طعام يسدون بها رمقهم بعد رحلتهم الشاقة، وهم يعيشون على أوراق الشجر والحشائش - إن وجدوها -؛ فمنهم من يموت في الرحلة، ومنهم من يعود منها وقد فقد قواه وازداد جسمه هزالاً.

ويكمل الداعية المبارك - رحمه الله - حديثه قائلا: ومن القصص التي رأيتها عن الإغاثة في دارفور مثلاً؛ كان المسؤولون وشيوخ القبائل يستغربون من إصرار ممثلي الجمعية على أن يوزعوا الحصة المقررة لكل نازح كاملة دون نقص، رغم أن المسئولين وقادة القبائل يرون أن كمية المواد الإغاثية التي توزعها الجمعية للأسرة الواحدة كبيرة، وكان الرد الدائم من ممثلي الجمعية أن ما يعطى للأسر هو أمانة، ولا بد أن تصل لمن يستحقها كاملة، والحمد لله يصاب المتضررون بدهشة كبيرة عندما تمنح الأسرة الواحدة كمية كبيرة من الحبوب وزيت الطعام وأكياس اللبن الجاف وغيرها من المواد التموينية التي تقدمها الجمعية للمتضررين في الكوارث الطبيعية والحروب.



رجل بأمة
مزج العمل الإغاثي بالعمل الدعوي

ليس في حياة الداعية المسلم قضية أعظم خطرا وأرفع مقاما من هداية الخلق وإخراجهم من الظلمات إلى النور، وإن حب الخير للناس من علامات الإيمان فلا يصير المرء مؤمنا حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وما لم يتحل الدعاة بالمسئولية تجاه الخلق فلا أمل في تحقيق هذا الغرض النبيل.

وينبغي على الداعية أن تكون قضية هداية الناس ساكنة في خطرات فكره، وخفقات قلبه، ولواعج نفسه، وتجري جريان الدم في عروقه، حتى تملك عليه فؤاده. فها هو سيد المرسلين وإمام الدعاة المهديين – صلى الله عليه وسلم – يملأ همّ الدعوة قلبه وتسلب منه لبه حتى بلغ به ذلك الأمر مبلغاً عظيماً نزل قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾(الكهف ٦)، قال السعدي في «تفسيره «ص٤٧٠:» فلعلك باخع نفسك »: أي مهلكها غماً وأسفاً عليهم.

حينما شعر الدكتور عبد الرحمن السميط –رحمه الله– بخطر المجاعة يهدد المسلمين في إفريقيا، وأدرك خطورة حملات التنصير التي تجتاح صفوف فقرائهم في أدغال القارة السوداء، وعلى إثر ذلك آثر أن يترك عمله الطبي طواعية، ليجسد مشروعا


جانب من توزيعه للأطعمة في إحدى القرى

خيريا رائدا في مواجهة غول الفقر وخطر التنصير، واستقطب معه فريقا من المخلصين الذين انخرطوا في تدشين هذا المشروع الإنساني الذي تتمثل معالمه في مداواة المرضى، وتضميد جراح المنكوبين، ومواساة الفقراء والمحتاجين، والمسح على رأس اليتيم، وإطعام الجائعين، وإغاثة الملهوفين.

كان أكثر ما يؤثر في السميط إلى حد البكاء حينما يذهب إلى منطقة ويدخل بعض أبنائها في الإسلام ثم يصرخون ويبكون على آبائهم وأمهاتهم الذين ماتوا على غير الإسلام، وهم يسألون: أين أنتم يا مسلمون؟ ولماذا تأخرتم عنا كل هذه السنين؟

كانت هذه الكلمات تجعله يبكي بمرارة، ويشعر بجزء من المسئولية تجاه هؤلاء الذين ماتوا على الكفر.

قطع عبد الرحمن السميط على نفسه العهد أن يمضي بقية عمره في الدعوة إلى الله هناك.

مع د. جاسم المطوع على دراجة نارية يتفقدون أهل الحاجة

كان كثيراً ما يتنقل براً، وقد سافر بالقطار في أكثر من أربعين ساعة بفتات الخبز، ويقوم بالزيارات التي يقطع فيها الساعات بين طرق وعرة وغابات مظلمة مخيفة وأنهار موحشة في قوارب صغيرة ومستنقعات منتنة.

يقول الشيخ محمد بن حمد الخميس في ندوة «السميط شمس أضاءت إفريقيا» -سنة (٢٠١٣م): إنني أحياناً عندما كنت أجلس مع السميط - رحمه الله - كان يبكي ولكن لا يبكي دموعاً وإنما حرقة ودماً على ملايين من الوثنيين كانوا في يوم من الأيام مسلمين، فعلى سبيل المثال قبيلة السكالافا في ماجنجا هي قبيلة وثنية لا يعرف من



السميط يصافح أحد زعماء القبائل

الإسلام حتى اسمه عندهم مكان مقدس اسمه بيت الدعاء وهذا البيت يطاف حوله سبعة أشواط، ويدخل له الرجل بقدمه اليمين والذي يدخله لابد أن يكون متجرداً من الملابس الداخلية، ويلبس خرقة بيضاء، وبعد أن يطوف يشرب ماء في غرفة صغيرة ليتبرك بها، وبعد ما يشرب الماء يُقدم الهدي لهذا البيت.

ولديهم موسم محدد في العام يأتون إلى هذا البيت، ومنهم من يعيش في فرنسا وأوروبا يأتون لأداء هذه الطقوس.

وشعوراً بعظم المسئولية تجاه الله قرر السميط أن يقضي أغلب وقته ونذر ماتبقى من حياته لصالح قبيلة الأنتيمور رغم أن الطريق ليس سهلاً.

واستقر السميط بينهم وبنى بيتاً له لكي يخدم الدعوة في هذه الأصقاع.

وعمل أمورا كثيرة في خدمة هذه القبيلة من بناء مساجد وكفالة أيتام ودعوة وتعليم وصحة وحفر آبار، وإنشاء مقبرة للمسلمين لعدم توافر واحدة.

إخلاصه ومجافاته للأضواء

الإخلاص لله هو درة تاج التوحيد ومرقاة المؤمنين إلى رضا الحميد المجيد، فبالإخلاص ينالون الرتبة الفضلى، والدرجة الأعلى، والعطية الأغلى واللذة الأحلى، وهي لبُّ دعوة القرآن، وسرُّ الإيمان، وعماد الإحسان، فإن ذكر التوحيد فالإخلاص لب معناه، وإن أردت الإيمان فالإخلاص منتهاه، وإن عملت بعمل من أعمال الإسلام فالإخلاص مبتغاه، وإن أردت بلوغ درجة الإحسان فبالإخلاص معراجه ومرتقاه. فالمخلصون في الخلق هم الصفوة، وأهم أهل الخلة والحظوة، ولذا فقد جعل الله من المخلصين للمؤمنين قدوة وللمحسنين أسوة.



عاش الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - مثالا حيا لأولئك الرجال المخلصين الذين جبلوا على بذل الغالي والنفيس من أجل خدمة المسلمين خاصة والإنسانية عامة، تقيا خفيا، مجافيا للشهرة والأضواء، متحملا المشاق والأنواء والمخاطر والأدواء، لا يطلب لنفسه جَدًّا ولا مجدا، إنما يطلب في الملأ الأعلى عند الله ذكرا، وبين الناس سيرة عطرة وقدرا.

كان حلم حياة الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- أن يعيش خادما للبشرية عامة ولإخوانه من المسلمين خاصة في إفريقيا، ولو طلب المال أو الشهرة لنال ذلك بأيسر مجهود، فهو الطالب النابه شابا، والطبيب النابغ رجلا وكهلا، ولكنه آثر أن يذهب إلى بقاع لا يعرفه فيها إلا خالقه وخالقها، يحفر بئرا يحيي بها الله أرضا ميتا وأنفسا عطشى، يربي اليتامى ويواسي الثكالى، ويبني المدارس ويرفع المنائر، ينشر دعوة الإيمان، يقطع مئات الأميال راكبا وماشيا، مخترقا الأدغال، محاطا بالأخطار بالأهوال، حتى ناله من الأدواء والأمراض ما ناله، وتعرض لسهام الموت لتبلغ به مآله ، ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾.

من هذا الوجيه الذي ترجل ليسلم على السميط؟!

يقول الشيخ محمد بن حمد الخميس – رحمه الله – في ندوة بعنوان (السميط شمس أضاءت إفريقيا): ذكر لي شخص موظف في جمعية العون المباشر كان مع الدكتور السميط – رحمه الله – يقول: ذهبت مرة مع السميط للعزاء بسيارتي، ونحن خارجون من العزاء وإذا سيارة فخمة تأتي للسميط، وينزل منها رجل فيترك العزاء ومن حوله ويمشي خطوات، ويشير إلى السميط الذي نزل بسرعة ليسلم على هذا الرجل.

هذا الرجل هو سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد الصباح – حفظه الله –.

تأمل سلوك الدكتور السميط – رحمه الله – فلم تأخذه نفسه بالفخر أو تترفع بالزهو أن سمو أمير البلاد – حفظه الله – يتواضع وينزل من سيارته تكريما وتقديرا للدكتور السميط – رحمه الله –، والكثيرون غيره يملئون الأرض ضجيجا وفخرا وزهوا أنهم سلموا على وزير أو وجيه، متسربلين بلباس الشهرة المذموم الذي يورث في النفس العجب، ويبث الكبر في القلب، وقد نهى الإسلام عن ذلك، داعيا إلى جعل العمل كله لله، لا قصدا لجاه أو شهرة بين الناس ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام:١٦٢] أي: أن كل أعمالي ومقاصدي محصورة في طاعة الله ورضوانه، وعلى المسلم أن يكون قصده وعمله وكل ما يقدمه من عمل هو وجه الله تعالى، سواء في أثناء حياته، أو ما يعقبه من عمل صالح بعد مماته.



السميط يقدم الصمغ لطفلة

الباب الرابع

تسامحه وعفوه

من أشرف خصال المسلم الحق أن يطهر قلبه من درن الأحقاد والضغائن، كما ورد عند عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -: كنا جلوساً مع رسول الله - ﷺ - فقال: «يطلعُ عليكُم الآنَ رجلٌ من أهلِ الجنةِ». فتبعه عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - لينظر في عمله وبات معه ثلاث ليالٍ، فلم يره يقوم من الليل شيئاً؟

وفي الحديث : قال ابن عمرو: قلت: يا عبد الله، إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر ثَمّ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله -ﷺ -؟ فقال: ما هو إلا ما رأيتَ! قال: فانصرفت عنه، فلما وليت دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيتَ، غير إني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشاً، (وفي رواية: غلّا) ولا أحسد أحداً على خير أعطاه الله إياه.

فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق. رواه أحمد.

ومن صفات الداعية المصلح البعد عن كل ما يجر إلى ضغينة أو شحناء أو تفرق بل من أهم أغراضه تأليف القلوب وتجميع الصفوف، والاشتغال بالدعوة والتعليم ورفع الجهل عن الناس، ودعوتهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة والعمل الصالح.

ما هي الجماعة التي ينتسب إليها الدكتور السميط؟!

ومما تميز به د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - أنه لا يجد قلبا ووقتا فارغين لخصومات الناس، ومجادلتهم، والاشتغال بردودهم، فالداعية إلى الله صاحب الهم لا يجد قلبا يحمل همين، فآثر هم الدعوة وإعانة الناس على ما سواه من هموم العطلة البطلة.

قد هيئوك لأمر لو فطنت له
فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهَمَل

والدكتور عبد الرحمن السميط - غفر الله ورفع درجته - لم يقيد نفسه بحزب أو جماعة، بل يرى نفسه خادما للأمة، ومنتسبا للإسلام، وداعيا إليه، ولذا أثنى عليه الجميع، وصلى عليه المسلمون جميعا، وعزى الناس فيه أنفسهم، وما تكلم فيه أحد لعلمهم بصلاح حاله، وسمة نفسه، ورفعة مقصده.



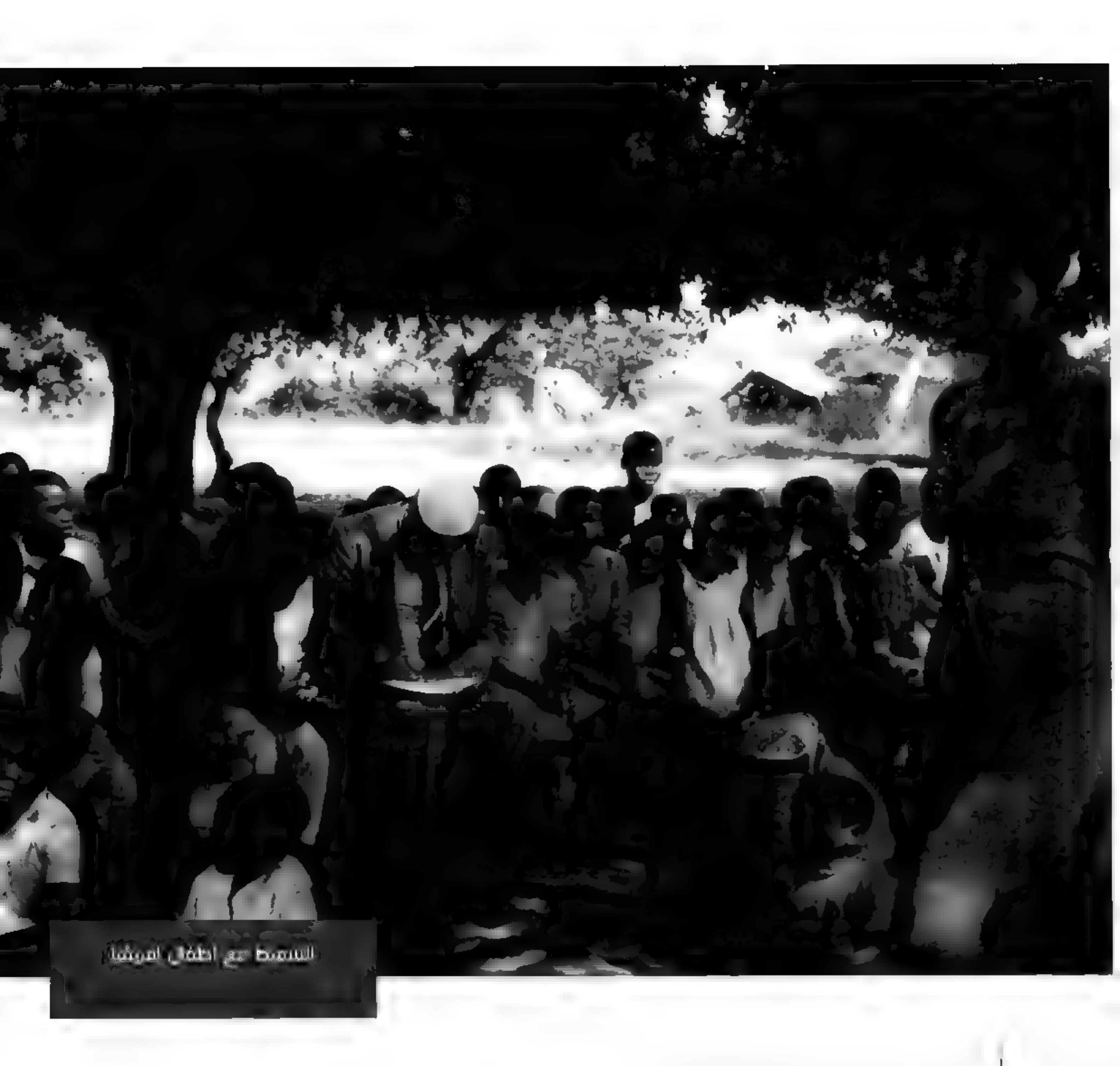
السميط كان حريصا على تفرده وعدم
تدخله في أي خلافات مع الغير

اللهم جازه خير ما جازيت به عبادك الصالحين.

سئل الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله-: هناك من يصدر الخلافات بين المذاهب أو التيارات إلى المسلمين في إفريقيا، فكيف تتعاملون مع هذه الصراعات؟ فقال -رحمه الله-: لو سمحت لنفسي بالدخول في الخلافات التي بيننا نحن العرب أو غير العرب، فسأكون قد حكمت على نفسي وحوصرت في ميدان صغير جدا، وسأبقى طول عمري في خلافات داخل منطقة لا تعرف الخلافات.

ففي شمال مدغشقر يجهل المسلمون أمور دينهم تماما، ومنذ عدة سنوات كان المسلم في مدغشقر يصلي الجمعة في المسجد والأحد في الكنيسة ويوم الإثنين يعبد شجرة، فسألت بعض المثقفين المسلمين هناك عن سر ذلك؟ فقال لي: لا ندري ما هو الحق ولذلك نعبد الثلاثة حتى لا نخسر شيئا! ! ويأتي بعض الشباب العربي إلى مدغشقر فلا يرى هذه المصيبة، وإنما يرى قضية احتفال بعض المسلمين هناك بالمولد النبوي، فيثيرها ويسبب فتنة، ويتقاتل الناس وتسيل الدماء، وتدخل الشرطة الذي احتل المساجد وأغلقها وتتدخل السفيرة الأمريكية وتكتب تقريرا فيه





السميط مع أطفال أفريقيا

أن هؤلاء المسلمين من أتباع ابن لادن، وأنا أعتقد يقينا أنهم ليسوا أتباع ابن لادن، وإنما سلكوا الاتجاه الخاطئ بإثارة قضايا هامشية أو سنن على حساب الفرض. علينا أن نسير في طريقنا بالدعوة إلى الإسلام بعيدا عن مشاكل العرب وخلافاتهم، وستجد إن شاء الله استجابة طيبة.

تقول د. شروق الفواز: لم يستغل الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- ما حققه من نجاح لأغراض سياسية لينضم لجماعة دون أخرى؛ بل عصم نفسه عن كل أدوات الفرقة، وبقي متاحا للجميع وقريبا من قلوبهم، وأبسط ما يمكن أن يقال عن سيرته هي أنها منهج لو درس في المدارس لأثمر، وحقيقة لا يقدر على محوها أي مضلل أو مشكك أو حاقد.

رحم الله الدكتور السميط وبارك له في زوجته وأولاده ليكملوا الدرب الذي بدأه فمثله حي وإن واروه الثرى.

(جريدة الرياض - ٢٣ أغسطس ٢٠١٣م)

سمو نفسه وتسامحه مع نصراني تعطلت سيارته

يذكر الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله -كما في كتاب «العمل الإغاثي عند الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - وأثره في قبول دعوته» للباحث علي محمد علي آل حسن الشهري:أنه انطلق مرة مع جماعة من الدعاة يتفقدون بعض المشاريع، ويدعون بعض القرى، فتعطلت سيارتهم في الطريق، ومر بهم قسيس وأتباعه، فطلب المساعدة فرفضوا وانصرفوا، فأصلح الدكتور عبدالرحمن السميط سيارته ومن معه بعد ساعات فساروا، فوجدوا في الطريق القسيس متعطلة سيارته، فوقف له الدكتور عبدالرحمن السميط ومن معه فأصلح سيارتهم، فكان هذا سببا لإسلام بعضهم. رحم الله الداعية الدكتور عبد الرحمن السميط كم بلغ بحسن خلقه من قلوب الناس ومحبتهم ما لم يبلغه آلاف من الدعاة لم يرزقهم الله ما رزقه من حسن الخلق وطيب المعشر وسماحة القلب.



مع أهالي إحدى القرى الأفريقية

الترفع عن الخصومات مع الناس

يذكر الشيخ محمد حمد الخميس في محاضرة بعنوان «السميط شمس أضاءت إفريقيا» عوامل نجاح السميط أنه تميز ببعض الصفات الشخصية ومنها أنه كان لا يُعاديه أحد، وذلك لأنه دائماً يبتعد عن المصادمة.

ومنها: التواضع إلى درجة أحياناً يُشفق عليه، فقد كانت قيمة القلم الذي يستخدمه لا تتجاوز النصف ريال، وسيارته كانت بسيطة وغير مميزة مع العلم أنه كان يستطيع أن يمتلك الكثير جدا.

وكان يقول لمن يسأله عن صنعه: يا أخي نحن لا ننتظر شهادات من أحد، نحن عملنا في الميدان وننتظر من الله فقط أن يتقبل منا.

ومن فطنة الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- أيضا أنه كان خلال إقامته في ربوع إفريقيا لثلاثة عقود يتجنب الصدام مع المنصرين من القساوسة والرهبان، بل كان يشغل باله وهمه بالعمل الصالح ونشر الخير لجميع الناس مسلمين وغير مسلمين

لا يعرف عن الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- منذ اشتغاله بالعمل الخيري والدعوي بل منذ نشأته أنه اصطدم بأحد من الناس، وذلك لدماثة خلقه، وسماحته ورجاحة عقله، لذا لم يعرف أن رجلا تكلم فيه بسوء أو رماه بشيء ينتقص منه.

ومن النوادر أنه ذات مرة تكلم صحفي عن الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- متهما إياه بأنه يأخذ أموال المحسنين والتبرعات فيذهب يلعب بها في إفريقيا، ويكوّن لنفسه من ورائها ثروة طائلة! !

فما كان من الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- إلا أن اتصل بذلك الصحفي مباشرة على الهاتف، فقال له: أخي الكريم هل تعرف عني شيئا؟ أو بلغك عني سوء؟ فلم يجب الرجل، فقال له د. السميط: اسمح لي أن أوجه لك دعوة، فتأتي معنا إلى إفريقيا مكفولا محفولا، معززا مكرما، ونسكنك بأفضل الفنادق هناك وفي أفضل الأماكن، فترى بعينيك ما نفعله وما نقوم به رأي العين.

فوافق هذا الصحفي، ولما سافر معهم وعاين بنفسه ما يفعله الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- ومن معه من الخير الكثير، والنفع الغزير، لم يصبر حتى يرجع إلى الكويت فيروي ويكتب عما شاهده في إفريقيا وعجائب ما يصنعه هذا الرجل الأسطورة عبد الرحمن السميط، فأخذ يكتب مقالاته عن عجائب صنائعه وما رآه في شخصية الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- ويرسل مقالات يومية إلى صحيفته، ويقول: لقد رأيت من عبد الرحمن السميط خلاف ما كنت أقوله فيه، لقد كان الدكتور عبد الرحمن السميط أعجوبة في العمل الإغاثي والإنساني، فكان عاقبة الإحسان من الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- انقلابَ العداوة إلى محَبة ووُد، وهو مما لا يقدر عليه إلاَّ صاحب القلب الكبير.

يقول الشاعر:

إذا ما الذنب وافى باعتذار
فقابله بعفوٍ وابتسام

ولا تحقد وإن ملئت غيظاً
فإن العفو من شيم الكرام

وقال غيره:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب
وإن كثُـرتْ منه إلـيَّ الجرائمُ

فما الناس إلا واحد من ثلاثة
شريف ومشروف ومثل مقاوم

فـأما الـذي فـوقي فأعرف قدره
وأتـبع فـيه الحقّ والحقُّ لازم

وأمـا الـذي دوني فـأحـلم دائباً
أصون به عرضي وإن لام لائم

وأما الذي مثلي فإن زلّ أو هفا
تفضّلتُ، إن الفضل بالفخر حاكم



السميط واقفا في طريق بإحدى رحلاته

الانشغال بإصلاح الذات

من الآداب التي ربى الله سبحانه نبيه وصحبه والمسلمين من بعدهم أن يشغل كل مسلم قلبه بحال نفسه ولا يشغل نفسه بما عليه الناس من أحوال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ (سورة المائدة: ١٠٥).

وقد كان السّلف الصّالح - رضوان اللهّ عليهم - مشغولين بعيوب أنفسهم عن عيوب غيرهم. بل ينظرون إلى أنفسهم نظرة كلّها تواضع مع رفعتهم وعلو شأنهم - رضي اللهّ عنهم -، بل كانوا يخافون إن تكلّموا في النّاس بما فيهم أن يبتلوا بما ابتلي به النّاس من هذه العيوب.

قال الأعمش: سمعتُ إبراهيم يقول: إنّي لأرى الشّيء أكرهه، فما يمنعني أن أتكلّم فيه إلّا مخافة أن أُبتلى بمثله.
من أبرز ما كان يصنعه الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- أنه لا يعنيه الغير، ولا تهمه الديانات الأخرى، فلا يشغل باله بما تقوم به المؤسسات العالمية الأخرى من أنشطة، وإنما شغله الشاغل هو أن ينقل الرسالة الصحيحة للإسلام، وأن يبلغ الأمانات التي حملت في عنقه من تبرعات وصدقات المحسنين من الكويت ومن دول الخليج الأخرى إلى مستحقيها وموضعها الصحيح.

يجودُ علينا الخيـرُّون بمالهم
ونحن بمال الخيرين نجودُ

ولذلك ومع كثرة المصادمات التي كان يتعرض لها الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- ومن ورائه دعاة جمعية العون المباشر، إلا أنه ألزم نفسه وأوصى غيره بألا تتعرضوا لهؤلاء أبدا، ولا تقابلوا إساءتهم بالإساءة، بل أظهروا لهم سماحة الإسلام، ولا يهمكم ما كانوا يصنعون، فالمهم أن تصنع أنت ما أوجبه الله عليك.

وقد قيل: علامة الإفلاس كثرة الانشغال بالناس، فاستطاع عبد الرحمن السميط - رحمه الله - بتلك الفطنة والحكمة أن يحقق ثمارا في إفريقيا لم تستطع مؤسسات دولية كبرى أن تحققه بفضل الله ثم بفضل عدم انشغاله بالصدام مع الآخرين، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

حكمة في جذب أهل القرى التي يعمل فيها

يحرص د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - على استعياب أهالي القرى التي يعمل فيها، خاصة في تواصله مع رؤسائها ووجهائها، لأنه يعلم حساسيتهم المفرطة من دخول الأجانب بلادهم.

يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٣ - يناير ٢٠٠٠م: بدأنا في تشغيل مركز إسلامي في إحدى الدول الإفريقية، وحتى نضمن له الدعم الشعبي، شكلنا له مجلساً من كبار السن ورجالات المنطقة، وكنت اجتمع معهم مرة أو مرتين كل سنة لأسألهم عن رأيهم في المركز والمدرسين والخدمات الأخرى، وعن بناء بوابة بسيطة وعن أي لون يقترحون لحائط المدرسة، وكم شجرة نزرع، ونوع الأشجار التي يقترحونها؟

وكانوا سعداء جداً لأن هناك من يستشيرهم ويأخذ برأيهم ويقدر سنهم ومكانتهم الاجتماعية، وكنت سعيداً لأنهم لا يتدخلون في مناهج التعليم ولا برامج العمل.

وبعد مدة سلمنا المركز لإحدى الجمعيات الإسلامية الأجنبية التي لا خبرة لها في إفريقيا فأهملت كبار السن، وبدأت تنفذ ما تراه دون إشراك الأهالي، وكانت النتيجة أنهم لم يطل بهم المقام، إذ قام الأهالي بطردهم خلال مدة قصيرة.

الناس ليسوا بحاجة للغذاء والمساعدة فقط، الناس بحاجة إلى حكمة في التعامل معهم!!



في أحد اجتماعاته مع أهالي القرى ومناقشتهم في أمورهم

الباب الخامس

صلابته وثباته على طريقه

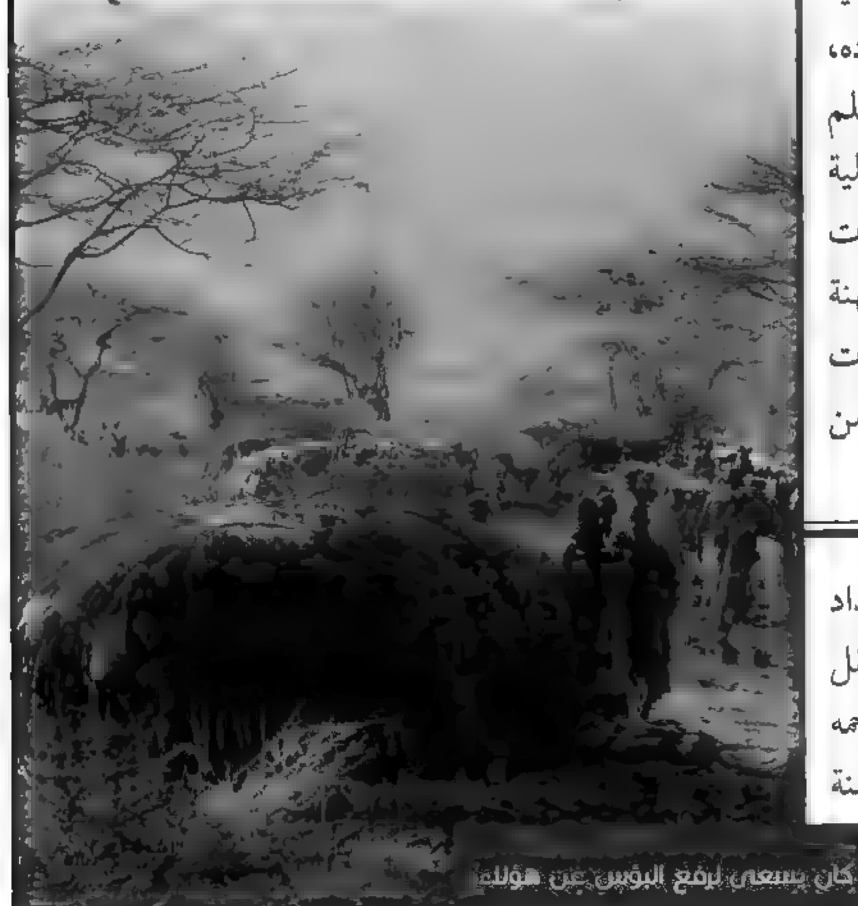
تجارب صنعت منه شخصية صلبة

لا شك أن من عاش في أدغال إفريقيا وصحاريها الشاسعة الجافة، وتعرض لكل ما يخطر -أو لم يخطر- على بال من الأهوال والأخطار والعجائب النوادر يكتشف دون حاجة إلى إعمال فكر أن هذا الرجل صلب كالجبال، يتسم بالجلد والثبات والصبر لدرجة نادرة الوجود، وقد أثرت عدة عوامل في اكتساب هذا الرجل الأسطورة لكل هذه الصفات فضلا عما وهبه الله سبحانه وتعالى من الذكاء الفطري والاستعداد لتحمل المصاعب رغم صغر جسمه وخفة وزنه.



وقد يكون لنشأة الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- أكبر الأثر في تحمله وجلده وصبره، فقد اكتسب منذ صباه والتحاقه بنشاط الكشافة التي عودته الاعتماد على الذات والتكيف مع البيئة، واستغلال أقل الموارد، وكذلك التحاقه بأحد المدارس الداخلية مما زاد من جلده وصلابة عوده، ومرورا بسفره المتتالي لطلب العلم وتكملة دراسته الجامعية في كلية الطب ببغداد، والسفر للدراسات العليا في الطب بكندا والعمل بمهنة الطب، كل ذلك أكسبه من الخبرات والمهارات التي تؤهله لما قام به من أعمال جبارة في أدغال إفريقيا.

وكان لتجربة السجن البعثي في بغداد أيام الدراسة أثر لا ينساه، فقد اعتقل الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- في العراق عام (١٩٧٠م) في السنة قبل النهائية في كلية الطب لنشاطه الدعوي في الجامعة، وتم تعذيبه بوحشية واقتطع اللحم من يده وقدميه، وقد نجاه الله بفضله وكرمه، ثم تعرضه للاعتقال والسجن للمرة الثانية إبّان الاحتلال العراقي للكويت حيث يقول: لم تلمسنا أشعة الشمس إلا يوم أخبرونا بالاستعداد للذهاب إلى منطقة بنيد القار للقاء المدير العام للأمن في «محافظة الكويت» -كما كان يحلو لهم أن يسموها-.


كان يسعى لرفع البؤس عن هؤلاء

كان الإحساس بأشعة الشمس والانتقال من السجن إلى مكان آخر أشبه ما يكون بالانتقال من عهد الرق إلى عهد الثورة الصناعية!

وقد كانت سلواه في هذه المحنة هو ذكر الله وقراءة القرآن والدعوة داخل السجن.

يقول: قضينا ستة وعشرين يوماً في المعتقل الضيق، ولولا عناية الله أولاً، ثم إعدادنا برنامجاً دينيا ورياضياً في تلك الزنزانة الصغيرة لانهارت أعصابنا جميعاً، قضينا الوقت في صلاة لم نذق حلاوة في حياتنا كحلاوة السجود فيها ونحن في الزنزانة، والدموع تنهمر من عيوننا، لا خوفاً على مصيرنا الذي كنا نجهله، ولكن خشية من الله وتقرباً إليه.

تحمله جعل منه عارفا بطبائع الإنسان والحيوان في إفريقيا

عاش الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- في إفريقيا ثلاثة عقود أو يزيد، ما بين السباع والضباع، والغابات والأفاعي والحيات، والغريب أنه صار خبيرا بهذه المخلوقات القاتلة فيحكي عنها كما يحكي القارئ عن قصة لأولاده قبل النوم.

يقول: وقد اكتشفت من خلال تتبعي لحياة هذه الكائنات السامة، ومن المعلومات والحقائق العلمية والمغامرات الشخصية التي كانت لي مع العديد منها، أن هناك خمسة أنواع رئيسة من الأفاعي السامة الكبيرة هي: الأفاعي البدائية الحافرة، والأصلة (البايثون)، والكوبرا، والبامبا المرعبة، والأدر، إلى جانب أنواع أخرى من الأفاعي العادية التي تزيد أنواعها على اثنين وستين نوعاً أغلبها غير سامة، كالتي تعيش في المناطق السكنية، لكن هذا لا يعني الاطمئنان إليها وأمن خطورتها، ذلك أن بينها أنواعاً قاتلة كالتي يطلق عليها اسم: (بوم سلانغ) التي يصل طولها إلى متر ونصف وتؤدي لدغتها إلى تجلط الدم وبالتالي الوفاة خلال ثلاثة أيام. أو أفعى الظفيرة التي يبلغ طولها متراً واحداً وتسبب لدغتها نزيفاً داخلياً حتى الموت.


كان يسعى لرفع البؤس عن هؤلاء

تحمل في مواجهة الأمراض واحتساب للأجر في الصبر عليها

كان الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- أنموذجا للمسلم الصابر على البلاء شاكرا عند النعماء، حيث أصيب – رحمه الله – بالملاريا مرتين، وقد كان أثناء عمله الطويل في إفريقيا محاطا بأنواع الأوبئة القاتلة ما تسبب له بالعديد من الأمراض، وأصيب بثلاث جلطات، جلطة بالقلب مرتين وجلطة بالمخ إضافة إلى أنه مصاب بداء السكري، فضلا عن إصابات في الفخذ والأضلاع والجمجمة أثناء عمله بالإغاثة بالعراق، والكثير الذي يطول ذكره هنا، فقابل كل تلك البلايا صابرا محتسبا حتى لقي ربه- رحمه الله ورفع درجته في عليين -.

الفصل الرابع

عبد الرحمن السميط في إفريقيا

الباب الأول

بداية العمل الإغاثي في إفريقيا
لدى د. عبد الرحمن السميط

بيد يدي التحول الدعوي
عند د. عبد الرحمن السميط



عاش عبد الرحمن السميط منذ نعومة أظفاره زاهد القلب في متاع الدنيا، لا يأخذ منها إلا بمقدار ما يسعد به الآخرين، وليس الزهد هو ترك الملذات والمحبوبات للعجز عن بلوغها، بل الزهد هو تركها مع القدرة عليها.

نشأ الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في أسرة ميسورة الحال، ولكنه ظل متواضع الأثاث والفراش متواضع الملبس والمطعم، لا يتيه كالشباب في مثل عمره بجمال ملبسهم وهيئتهم، ولكنه لا يعنيه إلا ما يقربه من ربه سبحانه، فتجد أحيانا الشاب ينجح في مدرسته وجامعته فيطلب سيارة فارهة يستطيل بها على أصحابه، أما عبد الرحمن السميط فيشتري سيارة لا ليلهو بها ويلعب، بل ليتصدق بها على العمال والضعفاء متأسيا بقوله - صلى الله عليه وسلم -: «من كان له فضل ظهر - أي ركوبة- فليعد به على من لا ظهر له». رواه مسلم.

كان في مقدوره - رحمه الله- أن يعيش منعما مترفا في بلاده الغنية الكويت، طبيبا متعلما في أرقى الجامعات العالمية، ينهل من الشهرة والمكانة العلمية والطبية ما يناله أمثاله من الأطباء، أو يترقى في المناصب الإدارية مديرا ووزيرا، أو يفتتح لنفسه العيادات أو المستشفيات يمارس فيها مهنته التي عشقها منذ طفولته، بل كان في مقدوره أن يكمل عمله في المستشفيات الأوربية فيعيش في بلاد الحضارة والترف الغربي.



كلا؛ لو فعل لكان رجلا آخر غير الذي نعرفه، فقد خبّأ الله له خبيئة هي خير من الدنيا وما فيها، حيث ترك السميط كل ذلك وراء ظهره واختار أن يبذل عمره كله في سبيل إحياء القلوب والأبدان، ورسم السعادة والبِشر والسرور على وجوه ضعفاء الناس، فاختار إفريقيا، تلك القارة المسكينة المنسية.

بداية العمل الإغاثي في إفريقيا

مع ما عرف به د. عبد الرحمن السميط من همة في الدعوة إلى الله منذ نشأته، ومع ما قضى شبابه فيه من بذل الخير والمعروف، ومواساة المحتاجين، ومع النية الموجودة في صدره في ممارسة العمل الخيري إلا أنه لم يكن الأمر على خلاف ما قضى الله وقدر من الخير.

هل كان عبد الرحمن السميط يعلم أنه سيترك بلده وعمله وأهله من أجل أن يعيش بين أدغال إفريقيا؟!

هل كان عبد الرحمن السميط يعلم أنه سيضحي بالمستقبل الذي كابد الصعاب من أجله، واحتمل الأذى في سبيله؟!

ثم أين كانت الانطلاقة؟!

إنها لم تكن في بلد كثير السفر إليه، أو يملك شيئا من المعلومات عنه، وها نحن نقدم للقارئ العزيز سطورا وومضات سريعة عن أول محطة في رحلة الدكتور عبد الرحمن السميط الإفريقية، وهي دولة مالاوي.

هنا مالاوي البلد الحبيس



خريطة تبين موقع مالاوي في قارة أفريقيا

جمهورية مالاوي هي دولة إفريقية حبيسة -أي ليس لها منفذ على البحار أو الأنهار-، تقع في جنوب شرق إفريقيا تحدها زامبيا إلى الشمال الغربي وتنزانياإلى الشمال الشرقي وموزمبيق من الشرق والجنوب والغرب، وليس لها من المصادر المائية إلا بحيرة مالاوياو «نياسا»، وهي إحدى البحيرات العظمى الإفريقية والثالثة من حيث اتساعها، والتي تفصل البلاد عن تنزانيا وموزمبيق.

تتجاوز مساحة مالاوي ١١٨ ألف كم٢ بينما يبلغ تعداد السكان أكثر من ١٤ مليون نسمة، وتعتمد ملاوي اعتماداً كبيراً على المساعدات الخارجية لتلبية احتياجات التنمية.

هذه بضعة أرقام عن مالاوي تعرفك لماذا اختار الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- ومن معه تلك الدولة الفقيرة لتكون بوابته إلى إفريقيا، والتي حالها اليوم لا يختلف كثيرا عن حالها أمس.

١. مالاوي من بين أقل بلدان العالم نمواً.
٢. تمتلك مالاوي على واحد من أقل متوسطات العمر المأمول في العالم حيث يصل (٤٠- ٤٥ عاما)، والمتوسط العالمي حوالي ٦٧ عاما، وذلك لانتشار الفقر والجوع والأوبئة المتنوعة.
٣. ملاوي من بين أقل البلدان نمواً في العالم وأكثرها كثافة بالسكان، وهي في قائمة أفقر ٢٥ دولة في العالم.
٤. تمتلك مالاوي أحد أدنى دخل فردي في العالم، ومن هم تحت خط الفقر العالمي يزيدون عن ٥٤٪ من السكان.
٥. ارتفاع معدل وفيات الأطفال، وانتشار مروع لفيروس الإيدز حيث تصل الإصابة به إلى ما يقرب مليون نفس، يموت سنويا منهم حوالي ٧٠ ألفا.
٦. ارتفاع خطر الإصابة بالأمراض المعدية الرئيسية، بما في ذلك الإسهال البكتيري والتهاب الكبد أ، وحمى التيفوئيد والملاريا والطاعون وداء المنشقات وداء الكلب.

في ملاوي
أبحث عن
آثار السميط الأولى

حططت رحلي في ملاوي موثقا مسيرة د. عبد الرحمن السميط، ولأمكن عيني وقلبي من رؤية روائع د. عبد الرحمن السميط، ليلقّنا قلمي ما رأيا، فليس المخبر كالمعاين، ثم توجهت في رحلة امتدت ساعات في طريق معبد - ولم يكن كذلك قبل سنين - لأقف على المحطة الأولى في حياة د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله -.

لقد اضطربت المشاعر عندي وأنا أتأمل في هذا المسجد في قرية (ولالمبو) القاصية من نواحي ملاوي.

صدقوني لقد استرجعت بي الذكريات أكثر من ثلاثين سنة قضاها أسطورة العمل الإغاثي عبد الرحمن السميط في هذه البلاد، وما جاورها أو بعد عنها من بلاد إفريقيا.

هنا في (ولالبمو) كانت بذرة العمل الخيري للإنسان عبد الرحمن السميط، والذي بـدأ يمطـرنا بـوابـل من أعاجيب شمائله، وغرائب فضائله.

كرر عليّ حديثهم يا حادي
فحديثهم يجلو الفؤاد الصادي

هنا بداية عبد الرحمن الفاتح في إفريقيا



مستشفى الصباح في الكويت الذي عمل فيه الدكتور السميط

عرفنا أن الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- كان قد عمل طبيبا في مستشفى الصباح بعد رجوعه من كندا، وقد حدثني غير واحد من طلابه ممن يتبوأون الآن مناصب قيادية في الدولة أنهم كانوا يلمسون فيه صدقا وتواضعا ولينا في الجانب، وكان رحيما جدا بمرضاه، لا يتأفف ولا يتضجر، ولا يزعج مرضاه بصدوده، أو زعارة خلقه، فأحبه المرضى لدماثة خلقه، بل إنه كان يأتي المستشفى في غير وقت عمله ليتابع حالة مريض له من الممكن أن يقوم بهذا العمل طبيب مناوب آخر، لكنه الصدق مع الله في العمل، والجد والمثابرة التي نشأ عليها.

جاء في برنامج « زوايا » قناة الوطن الكويتية ١٨/ رمضان/ ١٤٣٠هـ: في يوم من الأيام من مطلع سنة (١٩٨١م)، وبينما كان يستقبل مراجعيه في العيادة الخارجية لمستشفى الصباح، وإذا بإحدى المراجعات الفاضلات تسأله: دكتور عبد الرحمن. . . . عندي مبلغ من المال لبناء مسجد، فهل تعرف أحدا يقوم بهذا العمل؟!

وقبل أن أذكر لكم تتمة الحوار أود أن أذكركم بأن الكويت في مطلع سنة (١٩٨١م) لم تكن فيها تلك الجمعيات الخيرية التي نراها اليوم، فلم يكن يعمل في الساحة إلا جمعية أو اثنتان، ودون الضخامة أو التوسع الذي نراه اليوم، ولذا فقد يكون الجواب صعبا على طبيب شاب مشغول بعمله، وبعيد نسبيا عن العمل الدعوي المؤسسي، وإن كانت تربطه علاقات طيبة مع الدعاة وأهل العلم.

تفاجأ الدكتور عبد الرحمن السميط بالسؤال الذي لم يكن جوابه حاضرا حينئذ، واستأذنها في أن تمهله وقتا للبحث عن المراد.

مضت الأيام ورجعت تلك المحسنة الفاضلة إلى عيادة د. عبد الرحمن السميط، وبعد فراغها من عرض حالتها الصحية قالت له: بشر يا د. عبد الرحمن. . . . عساك لقيت أحد يبني لي المسجد؟! ! !

اعتذر لها د. عبد الرحمن السميط بأنه لم يجد، ولعلها تجد حاجتها عند غيره، فقالت له وهي تتوسم فيه الخير: أرجوك يا دكتور؛ سأحضر لك المبلغ، والبركة فيك! ! !

اعتذر. . . . تعلل. . . . حاول. . . . لكن دون جدوى.

وبالفعل حضرت هذه المحسنة المباركة ومعها تبرعها السخي، ونقلت أمانة هذا العمل لشاب ما كان يدور في خَلَدَه أن هذه الزيارة ستغير حياته كليا – بل وحياة الملايين –، وينتقل من كونه طبيبا ينفع الناس في عمله، إلى رجل صار أعجوبة من أعاجيب زمانه، أثنى عليه الأعداء قبل الأصدقاء، ووقفوا إجلالا لنبله وخلقه وصدق نيته.

من هي أم علي باكورة العمل الإنساني لعبد الرحمن السميط؟!

تُرَى؛ من هي المحسنة التي كانت صدقتها باكورة العمل الإنساني للدكتور عبد الرحمن السميط؟!

في يوم وفاة د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – أبَّنتُه في بعض وسائل الإعلام، وذكرتُ بدايته في العمل الإغاثي، ثم قلت: إن أول عمل أسسه د. عبد الرحمن السميط كان عبارة عن مسجد وملحقاته في ملاوي، وبتبرع من المحسنة الفاضلة الخالة موضي برجس عبد الله السور – بارك الله فيها وشكر عملها –، وهي والدة الشيخ علي جابر الأحمد الجابر الصباح – حفظه الله – كما أخبرني بذلك الأخ د. عبد الله عبد الرحمن السميط

عرّفت بالخالة المحسنة ظهرا، وما أمسى عليّ الليل إلا واتصالها يقرع قلبي قبل هاتفي، فقد كنت على تواصل معها مسبقا لتوثيق



المؤلف أمام مسجد أم علي المحسنة الفاضلة الخالة موضي برجس عبد الله السور في ملاوي

مسجد والدها الذي بنته له في منطقة مزارع العبدلي في شمال الكويت، فبادرتها بالترحيب، فردت عليّ بالعتب وقالت: عبد العزيز؟! ! ! قلت: أمرك يا خالة.

قالت: د. عبد الرحمن السميط حفظ السر ثلاثين سنة، وأنت ما حفظته يوم! !

ذلك أن د. عبد الرحمن السميط لم يكن يصرح باسمها، وإنما كان يكتفي بكنيتها (أم علي)، ولم يصرح باسمها - فيما أعلم إلا مرات يسيرة جدا، فكانت الخالة أم علي لا تريد أن يُعرف اسمها رغبة منها بأجر عمل السر.

فقلت لها: يا خالتي العزيزة. . . . لقد ترك د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - ذكرا طيبا من الملايين الذين أسلموا على يديه، ومثلهم ممن ساق الله لهم الخير بحسن عمله، والكثير من المساجد والجامعات والمدارس والمراكز العلمية والمستشفيات والآبار والمزارع والمشاريع الأخرى المتنوعة.

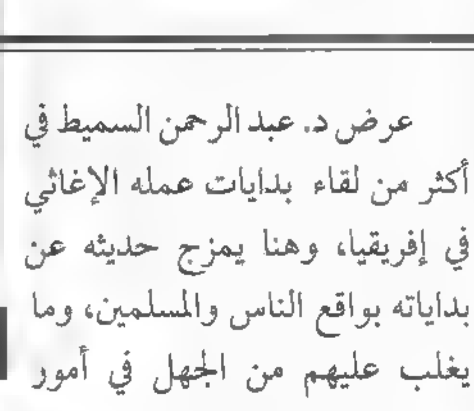
يا خالتي العزيزة. . . أنت - بإذن الله - شريكة له في الأجر، وقد رجوت من التعريف باسمك أن تنالي من الدعوات الصالحات، والكلمات الطيبات ما تغبطين على مثلها، وإني لأرجو أن يكون ثناء الناس لك في الدنيا من عاجل بشرى المؤمن.

صمتت قليلا، وأظنه صمت الحزن الممزوج بالفرح، ولا أدري هل سَرها كلامي أم ساءها، لكنني مقتنع تماما بأن الأمة حري بها أن تعرف أحد واضعي لبنات العمل الإغاثي في إفريقيا.

انطلق د. عبد الرحمن السميط ورفقة معه لتنفيذ مشروع المحسنة أم علي، فأين كانت وجهتهم؟ ولم اختاروا هذه الوجهة؟

لماذا اختار د. عبد الرحمن السميط ورفاقه إفريقيا؟


المسلمون في إفريقيا



عرض د. عبد الرحمن السميط في أكثر من لقاء بدايات عمله الإغاثي في إفريقيا، وهنا يمزج حديثه عن بداياته بواقع الناس والمسلمين، وما يغلب عليهم من الجهل في أمور دينهم فيقول في « ندوة المؤسسات الخيرية »: قبل ثمان وعشرين أو تسع وعشرين سنة قدر الله لنا الخير عبر امرأة جاءت وتبرعت لنا لمسجد نقيمه، فاقترحنا عليها أن تبني المسجد خارج الكويت، فقالت: أنا امرأة عجوز وكبيرة بالسن والمال في يدكم، اختاروا أي مكان ترونه.

واحترنا نحن أصحاب الاقتراح، لم نعرف كيف نعمل وأين نذهب، ولكن الله قدر لنا أن نذهب إلى جمهورية ملاوي بإفريقيا، وملاوي في جنوب شرق القارة الإفريقية.

ويضيف السميط – رحمه الله – مبينا تاريخ الإسلام في أول بقعة يحط فيها رحله المبارك في إفريقيا: دخل الإسلام ملاوي قبل ٥٠٠ سنة عن طريق الحساب، وتتساءلون كيف يكون الحساب سبباً في نشر الإسلام؟!

ما حصل أن معلمي القرآن الكريم كانوا يأتون من تنزانيا ويعلمون القرآن، ويعلمون الحساب، والأفارقة هناك لم يكونوا يعرفون الحساب ولا يعرفون الصفر ولا يعرفون ما بعد الخمسة يعرفون الأرقام: (١، ٢، ٣، ٤، ٥)!!

فإذا كان عنده عشرة أولاد، يقول عندي خمستان، وإذا كان عنده مثلاً عشرون بقرة يقول عندي أربع خمسات، لكن لا يستطيع أن يقول شيء عندما يكون لديه مثلاً ثلاثون بقرة، كان يقول لدي كثير، وحسب!

فكان يأتي معلم القرآن، ومعلمو القرآن إلى الآن في إفريقيا يتنقلون بين القرى، ولا يجلسون مثلنا ، ففي البلاد العربية يجلس المعلم في قرية من القرى ويدرس فيها طول عمره؛ أما هناك فيتنقلون من قرية إلى قرية، يجلس في كل قرية أسبوعين أو ثلاثة أسابيع؛ يأخذ منهم شخصاً أو شخصين من أبناء القرية، يتخرجون وربما يجلسون في القرية هذه أو يذهبون إلى هناك، وعندما يأتي يقوم بحركة سحرية، فعندما تأتي أبقار الزعيم، فيه ٢٠٠ بقرة ويقوم بحركة هكذا (يشير بيده في طريقة العد) ، وفي اليوم التالي يقوم بنفس الحركة السحرية فيقول له : يا زعيم ناقصين بقرتين ولا زايدة بقرة، قال: عجيب أنت ما صار لك إلا يومين وعرفت أبقاري كلها، لا أحد في القرية يعرف الأبقار إلا أنا والراعي فقط؛ فأكيد لديك سحر؛ فأنا أريدك أن تأخذ ولدي وتعلمه هذا السحر!

طبعاً المعلم لا يعلمه فقط هذا السحر (الرياضيات أو الحساب)، بل يعلمه القرآن ويعلمه الإسلام ويعلمه الحساب.


انتشار الجهل والعادات الغريبة في أفريقيا

ذهبنا إليهم فوجدنا أن نسبة المسلمين قد هبطت من ٦٦٪ إلى ١٧٪، والباقون إما أنه تم تنصيرهم، أو هُجروا، والمسلمون الموجودون في زامبيا وزمبابوي وكثير من المسلمين السود في جنوب إفريقيا أصلهم من ملاوي، وقد وجدنا انتشار الجهل بشكل فظيع جداً.

المائة أكثر أم الستون؟!

والطرائف المتعلقة بالجهل بالحساب والقراءة أكثر مما يحصى، فهذا للأسف حال الملايين من إخواننا هناك، ومن المضحكات المبكيات ما رواه الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- في مجلة «الكوثر» - العدد ٢ - ديسمبر ١٩٩٩م، حيث يقول: في عام (١٩٨٣م) ذهبت لزيارة بعض مشاريعنافي منطقة نائية تبعد عن مركزنا في مالاوي ٥٦ كيلو متراً، وكان الطريق وعراً للغاية، قطعناه في خمس ساعات بالسيارة، أحسست بالعطش فذهبنا إلى الدكان الوحيد في القرية، واشترينا ثلاث زجاجات من المشروبات الغازية بعدما عرفنا أن سعر الزجاجة ٢٠ تمبالا (عملة مالاوي)، ويبدو أن البائع لا يعرف الحساب، فحاول المسكين أن يعرف كم سعر الزجاجات الثلاث ولكنه فشل، لذا أصر على أن نعطيه عشرين تمبالا ثلاث مرات!!، وبما أنه ليس لدينا ما يطلب فقد وقعنا في حرج،

وبعد مدة أنقذنا أحد سكان القرية كان يمتلك كتاباً للحساب فيه جدول الضرب، وذكر أن المجموع هو ستون تمبالا، ولكننا لا نملك أقل من مائة، وهنا وقعنا في مشكلة أكبر إذ كيف نثبت لصاحب الدكان أن المائة أكبر من الستين، وأننا تنازلنا عن حقنا في باقي النقود!!

لكنه رفض خشية أن نكون قد خدعناه، وأخيراً جاء الفرج عندما ظهر داعية من نفس القرية يعمل في مسجدنا الذي بنيناه هناك تعهد بدفع أي نقص لو كانت المائة أقل من الستين، ولا أدري لماذا لم يذكر كتاب الحساب الذي حصلنا عليه في القرية هذه الحقيقة!!



إمام مسجد لا يحفظ الفاتحة أو شيئا من القرآن!


مجموعة من الأهالي بحاجة إلى تعليمهم أصول دينهم

رأى عبد الرحمن السميط في بدايات رحلته إلى مالاوي ثم إفريقيا مدى ما وصل إليه إخواننا هناك من فداحة الفقر والجهل، وهذه المشاهد الأولية التي اصطدم بها الدكتور عبد الرحمن السميط، الرجل المسلم الذي حمل من العلم الديني والدنيوي الكثير، كان له أثر مروع كأثر النقش على الحجر، فقد فجع بما عليه حال المسلمين في هذه البلاد التي روّعها الجوع والمرض فأكل أجسادها، وروّعها الجهل وغياب الدعاة من جانب آخر، فغاب الإسلام عن قلوب الملايين منهم.

من يذهب إلى إفريقيا عليه أن يعد نفسه وعقله لرؤية أعجب العجب، وقد كان من مرغبات العمل الدعوي والإغاثي للدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في إفريقيا هو غلبة الجهل حتى عند من يتقدمون الناس في الإمامة والتوجيه والإرشاد.

يقول د. عبد الرحمن السميط: في يوم من الأيام رأيت إمام مسجد، وقلت له: يا شيخ اقرأ لي سورة البقرة، كنت أود أن أسمع صوته في قراءة القرآن، قال لي: ماذا؟ قلت له : البقرة، قال: والله ليس عندي بقرة، قلت له: لا أسألك فيما إذا كان عندك بقرة، بل أريدك أن تقرأ سورة البقرة.

لم يفهمني قلت له: سورة آل عمران، قال: لا أعرفهم، قلت له: يا أخي اقرأ لي أي سورة من القرآن، قال: لا أعرف، قلت له: الفاتحة، قال لي: لا أعرف، قلت له: كيف أنت إمام بالصلاة، قال: يا أخي أنا أعرف أسجد وأركع، أما بقية القرية فلا يعرفون أن يركعوا ويسجدوا، فأنا أصغر منهم! !



لا يوجد إلا امرأة تحفظ الفاتحة فقدموها للإمامة!

ويقول د. عبد الرحمن السميط: ووجدت هذه الحالة ليست في ملاوي ولكن في أماكن كثيرة، ففي خلال العام الماضي كنت في بنين، وأختنا رقية أسلمت قبل خمس وثلاثين سنة، وهاجرت إلى قرية من القرى، وبدأت تنشر الإسلام، لكنها لا تحفظ إلا الفاتحة، وقراءتها فيها أخطاء، فقالت لهم: إن صلاة الجماعة ضرورية، قالوا: سنصلي جماعة، ولكن ليس عندنا إمام، لا يوجد سواك، فأخذت تؤمهم هذه المرأة! !

وعندما ذهبنا هناك أسلم شيخ القبيلة بحمد الله وأسلم معه خمسمائة شخص في القرية؛ لأن وصول العربي إلى هناك يعني الشيء الكبير لديهم، وبخاصة عندما تأتي بملابس عربية، وتهدي شيخ القرية ثوباً ولو أنه صناعة صينية فتقول له: هذا من إخوانك في مكة، أهلك في مكة أرسلوا هدية لك، فيفرح بها جداً، وأحياناً ينزع ملابسه، ويلبسه أمام الناس، من شدة فرحه بالثوب الذي جاءه من مكة، فقررنا أن نبني مسجدا، فلما بنينا المسجد لم نجد إماما له، فأخذنا نبحث عن إمام لعدة أيام، ولكن الجماعة لم يصبروا وهو يرون هذا المسجد الجميل ، فقرروا أن يصلوا فيه، ولكن من يكون الإمام؟

لا يوجد غير الأخت رقية، ويوم الجمعة، أيضاً هي تؤمهم، تؤم المسلمين فأرسلنا لهم داعية، والحمدلله صارت الأمور طيبة هناك. لا تعجب أخي القارئ إن قلت لك إن هذه القصص التي تفطر القلوب القاسية كمدا، فضلا عن القلوب المرهفة، ليست أسوا ما رآه عبد الرحمن السميط – رحمه الله – في مالاوي، وسوف نروي لك فيها بعد عجائب تشيب لها الولدان في مجاهل إفريقيا، لو وزنت بمعيار أدب العجائب والرحلات لكانت أسطورة أدبية يتغنى بها صاحبها، ولاستحقت أن تسطر بماء الذهب، ولنال من ورائها الملايين والشهرة.



دراسة المصاحف في إفريقيا على ألواح خشب

خطيب الجمعة في مالاوي يدعو للسلطان العثماني!

صور الجهل مختلفة في إفريقيا، وجامعها البعد عن مشاعل النور، وضعف التواصل مع حواضر العلم، مع التمسك بالعادات والتقاليد المنافية للإسلام، وقد صادف الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - مواقف كثيرة دون بعضها، وأعرض عن بعض، وأنا على يقين تام أنه يدونها وقلبه يعتصر ألما على غلبة الجهل، وتقصيرنا نحن المسلمين مع إخواننا هناك في إفريقيا، أو حتى مع غير المسلمين في دعوتهم إلى الإسلام.

ومن تلك المواقف، يقول الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- في مجلة «الكوثر» - العدد ٨ - مايو ٢٠٠٠م: أدركتني صلاة الجمعة وأنا في بلدة نكاتابي في شمال جمهورية مالاوي، فاتجهت إلى المسجد الوحيد - الآيل للسقوط - في القرية، ثم صليت تحية المسجد وجلست لقراءة القرآن، إلا أنني لم أستطع أن أقرأ كلمة واحدة لأن أحدهم وقف وبدأ يهذر بكلام لم أفهم منه كلمةواحدة، بعدما عرفت أن يفترض أن ما قاله هو حديث باللغة العربية التي لا يفهمها هو أو أي أحد المصلين - على اعتبار أنه جزء من أعمال صلاة الجمعة عندهم.

سمعنا بعد ذلك جلبة وضجة خارج المسجد، وما لبث أن دخل شاب يحمل عصا بيمناه وباليسرى كتاباً قديماً ممزقاً لخطب الجمعة بالعربية، ويردد أهازيج، ويذكر الله في كل خطوة، ثم يتوقف وخلفه الإمام، حتى وصلا إلى المنبر، فصعد الإمام وظل الشاب أسفل المنبر، ثم بدأ الإمام الخطبة التي يفترض أنه قرأها بالعربية، لكنني لم أفهم موضوعها إلا أنني فهمت في آخرها أنه يدعو للسلطان العثماني عبد العزيز سلطان وخاقان البحرين، شعرت بالألم والحسرة لأن المسلمين العرب قصّروا في حق إخوانهم في كثير من الأماكن حتى جعلت هذا الخطيب يخطب قديمة يرددها ولا يعرف معناها.

لن نصوم لأننا لا نصلي..!

من صور الجهل الغريبة التي حدث بها د. عبد الرحمن السميط أيضا ما جرى له أثناء زيارة إلى قرية شكواوا في مالاوي قبل سنوات، يقول: اكتشفنا أن معظم سكان القرية من المسلمين لكنهم لا يصومون رمضان!


تحت الشجرة في إحدى رحلاته في إفريقيا

بدأنا نعلمهم أحكام الصوم، لكننا اكتشفنا سبباً غريباً لعدم الصوم حيث قالوا: إننا لا نصوم لأننا لا نصلي!

فلما استفسرنا منهم عن سبب عدم الصلاة، قالوا: لا يوجد مسجد، وإذا لم يوجد المسجد فلا صلاة..!

حاولنا أن نشرح لهم أن الصلاة تجوز بدون وجود المسجد لكنهم أصرّوا على رأيهم، ومن حسن الحظ أن معنا بوصلة الصلاة خرجنا معهم تحت شجرة ورسمنا خطاً على الأرض باتجاه القبلة وبنينا معهم مسجداً من القش ولم نصدق أعيننا عندما زرناهم بعد أيام حيث وجدنا مسجد القش مليئا بالمصلين.

وثنيون أحفاد المسلمين المهاجرين

اكتشف عبد الرحمن السميط خلال رحلته الأولى إلى إفريقيا الكثير من أحوال المسلمين في إفريقيا، وهاله ما بلغه المسلمون عامة والعرب خاصة من تقصير في حق إخوانهم في إفريقيا، والتي يسكنها الملايين من المسلمين، وكثير منهم يرجع إلى أصول عربية.

غاب العلم وعم الجهل، غابت العبادات والصلوات والدعوات، وانتشرت الخرافات والخزعبلات ،غاب الإيمان والتوحيد، وانتشر التهويد والتنصير والتعميد.

حينئذ أسقط في يد الدكتور عبد الرحمن السميط، فماذا سيجيب عن السؤال الذي ألقي كالصاعقة على أذنيه من المسلمين في إفريقيا، كيف تركتمونا أيها العرب والمسلمون فلم تتذكرونا، حتى مات آباؤنا وإخواننا على النصرانية أو الوثنية؟

غاب الدعاة وغابت كثير من أيادي الخير عن إفريقيا فصارت نهبا للتنصير وابتزاز الكنيسة والتبشير، غاب المحسنون وأهل الخير فباع الملايين دينهم بثمن بخس للكنيسة النصرانية أو للمعابد الوثنية.



منظر السحر وعبدة الأوثان في إفريقيا

وكأني بقلب الدكتور التقي المرهف عبد الرحمن السميط ينصدع ألما وكمدا على ما رآه، وهو نزر يسير مما لا يراه.

وكأني به يستشعر السؤال الإلهي الجبار الذي لا يتحمله بشر، لماذا تركتم عباد الله من إخوانكم الأفارقة يعودون إلى الكفر والوثنية؟

أينقصكم المال ؟
ما أكثر ما أنعم الله عليكم من المال والثروات.
أم ينقصكم العلم؟

ما أكثر حفاظ القرآن وعلماء التفسير واللغة والفقه والحديث بينكم، والذين تعج بهم البيوت والطرقات، ويكثرون في المدارس والجامعات.

أتريدون أسلحة وجيوشا؟

كلا. . . هؤلاء الأفارقة طيبو القلوب كالأرض الخصبة، ينبت بها الزرع بأقل قدر من المطر، لا يريدون إلا قلبا عطوفاوصدرا رؤوفا.

قلب مثقل بالهموم وروح تحلق بالعزم والتصميم

عاد الدكتور عبد الرحمن السميط بغير الحال الذي ذهب به، انشغلت نفسه وروحه بالكلية بما رآه في مالاوي، وقد عاين هذه الوجوه السمراء الطيبة التي يملؤها الألم والعتاب واللوم للمسلمين.

صاحب هذا الشعور قلب الدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله– أينما حل ونزل، لم يطب له مقام، ولم تنسه مشاغل العمل كطبيب، لم يعوضه رؤيته لزوجه وأولاده عندما عاد للكويت، رغم حبه لهم وتعلقه بهم.

هذا الرجل الصالح الذي تألم لمنظر مجموعة من العمال تحت ظل الشمس في انتظار ركوبة تحملهم إلى أعمالهم أو ديارهم، فاشترى سيارة تقلهم حيث يبتغون، كيف يكون حاله عندما يجد شمس إفريقيا تضرب الرءوس المكشوفة والأجساد العارية كأنه فيح من جهنم.



رجل نذر نفسه للعمل الخير في افريقيا

هذا الرجل النبيل الذي كان لا يكتفي بعلاج مرضاه ومداواتهم، بل يتفقد أحوالهم ويزورهم بعد نهاية وقت عمله وكأنه مسئول عنهم، كيف حاله وقد رأى ملايين الجوعى والمرضى والعطشى منذ ليال ولم يملك لهم من أمرهم شيئا.

هو يعيش في بلد عربي مسلم، عندما يهفو قلبه للصلاة يسمع عشرات المساجد ترفع الأذان وتقام فيها الصلوات ليل نهار، أحوال أهلها بين صيام وقيام وعلم وعمل وذكر وقرآن، إذا أراد أحدهم الحج، فرحلته للمسجد الحرام كرمية حجر، وإذا عنّ له سؤال فلله الحمد والمنة، العلماء يملئون البلاد، ويرشدون الناس ويعلمون العباد، والكتب تملأ المكتبات، والعلوم تنسال بين جدران المدارس والجامعات.

لكن كيف يهنأ له باله والملايين من إخوانه المسلمين على ما رآه في إفريقيا، وهم لا يعرفون ركوعا من قيام، ولا صلاة من صيام، فالكنائس مأواهم يوم غابت مساجدهم، والناقوس شعارهم يوم غاب الأذان عن منائرهم، والقساوسة آباؤهم يوم غيب الموت آباءهم وأمهاتهم، وغنيهم فقير، وعاريهم مستور، وأبناؤهم ما بين يتيم وفطيم.

قرر عبد الرحمن السميط – رحمه الله– أن ينذر نفسه لمساعدة هؤلاء، يريد أن يرى المآذن والمنائر التي يراها في بلاد العرب والمسلمين ولم يرها هناك، إلا في نطاق ضيق ومحدود، يريد أن يرتفع قول لا إله إلا الله التي افتقدها هناك، والداعي له أنه علم أن مئات الآلاف من أبناء القبائل العربية والإسلامية فقدت هويتها العربية والإسلامية منذ مئات السنين، وصارت قبائل وثنية، لا تعرف للإسلام حتى اسمه، ولم تعلم عن القرآن ولو رسمه.

رأى عبد الرحمن السميط المنكرات منتشرة حتى في المساجد جهلا من الناس، فمن لهؤلاء إن لم يبادر لمساعدتهم بكل ما أوتي من قوة.

وجد الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- المنظمات التنصيرية تنتشر كالنار في الهشيم في بلاد المسلمين في إفريقيا وينفق عليها مئات الملايين من الدولارات للدعوة إلى دينها، ونحن المسلمين مقصرون متقاعسون عن أداء واجبنا والدعوة إلى ديننا الحق، كما يفعل هؤلاء.



من مظاهر التنصير كنيسة من أحد القرى الإفريقية



التنصير في إفريقيا منذ القدم

حمل عبد الرحمن السميط - رحمه الله- همّ الإسلام والمسلمين في قلبه، وحاول رفع الحرج والإثم عما يزيد عن مليار من المسلمين قصروا في القيام بواجباتهم نحو الإسلام والمسلمين في الأرض عامة وفي ربوع إفريقيا خاصة، فكان رجلا يعدل أمة.

يقول المهندس صهيب عبد الرحمن السميط في لقاء معه في برنامج « عبد الرحمن الفاتح »: في أحد الأيام كان يقول لي: ياولدي أرى الناس تخدمني مدة شهرين، وهناك أيتام في إفريقيا لو صار لأحدهم مكروه فأين أذهب من سؤال رب العالمين عندما يسألني عنهم؟

كنت أقول له: أنت معذور -لأنك مريض- فيقول لي: أعندك صَكٌّ بذلك؟!!

فما وجدت جوابا ولم أستطع أن أرد عليه، هذا الرجل حمل همة أمة فصار يقاس عند الناس بأمة.

إفريقيا تسترد إسلامها



خريطة تبين هجرة الحبشة

جاء في كتاب «الإسلام والمسلمون في وسط إفريقيا» للدكتورة نوال عبد العزيز راضي ما يتعلق بتاريخ الإسلام في إفريقيا، فذكرت أن إفريقيا هي ثاني أكبر قارات العالم من حيث المساحة وعدد السكان، وتأتي في المرتبة الثانية بعد آسيا، تبلغ مساحتها ٣٠. ٢ مليون كيلومتر مربع ، ويبلغ عدد سكان إفريقيا مليار نسمة.

عرف الساحل الشرقي لإفريقيا الوجود العربي بفضل العلاقات التجارية بين العرب والشرق الإفريقي، بحكم الجوار الجغرافي، واختلط العرب بأهل الساحل، وتزوَّجوا منهم، وأقاموا محطات تجارية متعددة، وتأثر الساحل الشرقي لإفريقيا بالطابع العربي، مدعوما بالوافدين من جزيرة العرب والخليج العربي.

ثم عرفت إفريقيا الإسلام ونعمت بنوره المشرق منذ بداية الدعوة الإسلامية والبعثة المحمدية، حيث وقعت هجرتان للمسلمين إلى الحبشة، حين اشتدَّ أذى مشركي مكة للمسلمين فأذن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لبعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، حيث يوجد بها النجاشي، والذي وصفه الرسول – صلى الله عليه وسلم – بأنه لا يُظلم عنده أحد، فصارت الحبشة موطن الهجرة الأولى للمسلمين، ولقي المسلمون استقبالا حافلا وحفاوة بالغة من النجاشي، وتَكَرَّرت هجرتهم مرَّة أخرى بِفَوْج أكبر من الفوج الأول، فبلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلًا وتسعَ عشرةَ امرأة، لذلك لا يدهشنا الوصول الباكر للإسلام في إفريقيا باعتباره استمرارًا طبيعيًّا لتلك العلاقات التاريخية وتطورًا حتميًّا لها.

كان من أهمِّ أسباب انتشار الإسلام عَبْر ربوع إفريقيا أيضًا بساطة تعاليمه، وسهولة فَهْمه، ويُسْرُ الدعوة إليه، فكلُّ مسلم يعتبر داعية، فلا توجد تعقيدات كهنوتية كما في المسيحية، وما يكتنفها من غموض، مما يجعلها صعبة الفَهم بالنسبة للإفريقي، وعلى العكس يسرت تعاليمُ الإسلام وسموها بالبَشَرِ ومساواتها بين الناس، سهلت مهمَّة الدعوة للإسلام، وأيضًا مما ساعد على انتشار الإسلام عدالته ومساواته بين الناس، وبغضه للتفرقة العنصرية، وهي عُقْدَة الأفارقة حيث مارسها بعضهم، ويمارسون جميع ألوانها في جنوب إفريقيا تحت ظلال المسيحية، مما يجعل الأخوة في كنف التنصير ليست إلا أكذوبة، لَمَسَها الإفريقي واقتنع بها.

إقامة الصلاة في أحد الحقول في أفريقيا

استطاع المهاجرون المسلمون بعد ذلك إقامة سلطنات ودويلات إسلامية في تلك البقاع من إفريقيا، فاستقر الإسلام شمالا من مصر حتى المغرب العربي وموريتانيا شمالا نزولا إلى ممالك مالي وغانة ومملكة الملثمين الصنهاجية غربا، وإمارة لامو، وباتا، وزنجبار، وماليندي، وكلوة، وشوا وسلطنة أوفات ومقديشيو وغيرها من ممالك الشرق الإفريقي.

عبد الرحمن السميط الفاتح الثاني لإفريقيا

دخلت إلى مناطق كثيرة في إفريقيا أبحث عن بعض ما كان يصنعه الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- فوجدته بالفعل يستحق لقب «عبد الرحمن الفاتح»، فقد استطاع بفضل الله الوصول إلى أماكن لم يكن أحد قد وصلها قبله، فقد كان منهج الكثير من المنظمات التنصيرية أو حتى بعض الجمعيات الخيرية

عندما تدخل بعض البلدان يقتصر عملها وأنشطتها على بعض المدن، لكن الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- كان يقطع مئات الكيلومترات يقضيها بالسيارة تارة أو بالدراجة تارة أخرى، وأحيانا سيرا على قدميه ساعات طوالا في الأوحال والمستنقعات والأدغال، معرضا نفسه للأخطار والأهوال.

- رحمه الله -

من أجل ماذا كل هذا؟

من أجل أن يصل إلى بقعة لم يسجد فيها لله سجدة، فيترك فيها بصمته المباركة، ويفتح الله عز وجل به قلوب أهل تلك البقعة، فتنتشر فيها المساجد، ومعالم الخير والمدارس ويحول أهلها من كونهم وثنيين لا يعرفون للإسلام اسما ولا رسما إلى كونهم دعاة إلى الله.

ألا يستحق هذا الرجل النبيل أن يلقب بعبد الرحمن الفاتح؟

هذا الرجل مدرسة متكاملة للبر والعمل الدعوي والخيري والإنساني، وجدير بنا أن نتعرف على سيرته العطرة، وكيف انطلقت آثاره الكثيرة المباركة في أنحاء إفريقيا، حتى بلغ أثره الطيب إلى أكثر من أربعين دولة، في مدى زمني وجغرافي لم تستطع منظمات ودول بأسرها بملايينها وإمكاناتها أن تصل إليه، رغم أنها تبلغ أضعاف أضعاف ما كان تحت يديه، فضلا عن أن يصل إليه آحاد الأفراد.

ضرب الدكتور عبد الرحمن السميط أروع الأمثلة في حمل هم المسلمين، وبذل المعروف للمحتاجين، وإغاثة الملهوفين، فترك الدنيا والطب والتدريس، بل وحرم نفسه من صحبة أهل بيته وأولاده، وتحمل الغربة عن بلاده، بل ونسي نفسه ذاتها، من أجل هذا الغرض النبيل والمشروع العظيم.

سباق مع العمر والزمان

بعد ما رأى في مالاوي؛ شعر الدكتور عبد الرحمن السميط أن عمره كله لا يكفي ليبذله في سبيل إنقاذ إخوانه المسلمين في إفريقيا من ربقة الكفر والفقر والجوع والمرض، فعقد العزم ألا يضيع لحظة واحدة بعيدا عنهم، حتى إنه كان يقضي أحد عشر شهرا كاملة من السنة بعيدا عن بيته وأهله، حتى الشهر الباقي إما يقضيه في الكويت أو يدعوهم إلى موطن إقامته في إفريقيا حيث كان، ليغرس فيهم حب الدعوة ويذيقهم لذتها. كان عبد الرحمن السميط رحمه الله- يرى أن مشقة السفر ليست في تعب الاستعداد والحل والترحال، بل في ضياع الأوقات الثمينة التي لا يعدلها ذهب أو مال.



السميط يشارك فى أحد المؤتمرات

يقول- رحمه الله-: ليس هناك شيء أتضايق منه أكثر مما أتضايق من السفر،فأنت تقضي عدة ساعات قبل سفرك في الاستعداد والانتظار، وعدة ساعات أثناء الرحلة، وساعات أخرى عند بلوغك محطة الوصول، كلها مستقطعة من عمرك دون أن تستطيع أن تنتج خلالها شيئاً يذكر، لكن المشكلة الكبرى عندما يكون السفر جزءاً من عملك وأساس حياتك.



المؤلف مع الأخ محمد [illegible]
مدير مكتب ملاوي

وقد أضطر أحياناً إلى زيارة ثلاث دول في أربع وعشرين ساعة، وهذا أمر متعب حتى في بلادنا، فما بالك إذا كان في إفريقيا حيث تلغى رحلتك أحياناً وأنت على متن الطائرة!

فقد تبيع بعض الخطوط الجوية الإفريقية طائرتها الوحيدة بينما أنت في المطار تنتظرها ، حقاً إن السفر قطعة من العذاب.

ورغم لطفه ودعابته ولينه مع من حوله، كان الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- يغضب لضياع أي فرصة دون أن يسهم فيها في دعوة ضال أو إطعام جائع أو إغاثة ملهوف، فكان شديدا في هذا الأمر لا يتنازل فيه، فالعمر قصير والطريق طويل، فلا وقت للنوم أو الشعور بالتعب ، فكان دائم العجلة لتحقيق ذلك، حتى أتعب كل من حوله، شبابا كانوا أم كهولا، وهو يريد أن يترك أثرا مباركا له قبل أن يرحل عن هذه الدنيا.

يحدثني الأستاذ محمد منصور مدير مكتب «جمعية العون المباشر» بمالاوي:

كنا ذات مرة في أحد المطاعم، فطلبنا غداء، والدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- ينظر يمينا وشمالا ويذهب ويخرج ويدخل، ثم يضرب الطاولة غاضبا وخرج، وذلك بسبب تأخر الغداء، فهذا التأخر من الممكن أن يعطله عن رسالته والهدف الذي جاء من أجله.

ثم يقول الأستاذ محمد منصور: يأتي الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- إلى مالاوي لتتبع مسيرة العمل هنا، فإذا رجع- رحمه الله- إلى الكويت أمكث ثلاثة أيام أو يزيد أبحث عن النوم وعن الراحة لأن عبد الرحمن السميط يمكث باليومين والثلاثة لا يذيقنا طعم النوم أو الراحة ضربا في الأرض ، يتلمس حوائج المحتاجين، وينفذ مشاريع المحسنين، قد أتعب من معه ومن بعده والله، فرحمه الله وشكر ما صنع للأمة.

الباب الثاني

عبد الرحمن السميط والعمل المؤسسي

أهمية العمل المؤسسي

لا يوجد عمل ناجح إلا ويحمل في طياته أسس نجاحه وبذور تفوقه ورباحه، ومعالم ثماره وفلاحه، ويعد العمل الجماعي والمؤسسي من أهم قواعد الأعمال العظيمة التي يتخطى أثرها من الأفراد إلى الجماعات والأمم، بل والعالم بأسره.

وإن المتأمل في نجاح الرسالات الإلهية والنظم والمؤسسات الدنيوية على حد سواء يجد أن العمل الجماعي والمؤسسي لا يغيب أبدا عن مشهد النجاحات والانتصارات. فجميع الأعمال الناجحة في عالمنا المعاصر أساس نجاحها الأول العمل المؤسسي بدءا من بناء الدول وقيادتها من أعلى مستوياتها إلى أدناها، وصولا بالأعمال التجارية والإدارية البسيطة.
تعريف العمل المؤسسي:

كل تجمع منظم يهدف إلى تحسين الأداء وفعالية العمل لبلوغ أهداف محددة، ويقوم بتوزيع العمل على لجان كبرى وفرق عمل وإدارات متخصصة: علمية ودعوية واجتماعية؛ بحيث تكون لها المرجعية وحرية اتخاذ القرار في دائرة اختصاصها. . . يعتبر عملاً مؤسسياً.

العمل المؤسسي في العصر النبوي

أرسى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – العمل الجماعي في أمته منذ بزوغ الدعوة الربانية، حيث دأب – صلى الله عليه وسلم – على توزيع الأعمال على أصحابه المكرمين، وتجلى ذلك العمل الجماعي في هجرته الشريفة، فقد كانت الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة المنورة عملا جماعيا منظما فعالا.

لا نبالغ إن قلنا: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم - قد كوّن في رحلة الهجرة فريق عمل ناجحا من الرجال والنساء جميعًا، ساهموا جميعا في إنجاح هذا الحدث الفريد، والوصول به إلى بر الأمان. ولقد أحسن- صلى الله عليه وسلم - توظيف قدرات ومواهب وإمكانات هذا الفريق كلٌ بما يناسب طبيعته، وأسند لكل منهم ما يناسب قدراته وخبراته ومواهبه، فاختار الرفيق الوفي الأمين أبا بكر الصديق، وترك الفدائي علي بن أبي طالب ليقوم بأعمال التغطية والتمويه، وقام عبد الله بن أبي بكر بدور العين المخابراتية لجمع المعلومات والأخبار عما يدور في مكة، وعامر بن فهيرة للتمويه والتشويش، وعبد الله بن أريقط دليلا للطريق، وأسماء بنت أبي بكر للإمداد والتموين.

هذا الفريق المتناغم ساهم مساهمة أساسية في نجاح الهجرة المباركة وأدائها على أكمل وجه، فيسر الله أمرها حتى بلغت البر بأمان وسلام.

إن علم الإدارة الحديث لا يختلف عن ذلك، حيث إن أعمدته الأساسية ترتكز على مبدأ توزيع الأدوار واستغلال المهارات والقدرات والمواهب في فرق متناغمة واختيار الشخص المناسب في المكان المناسب.

وقد كان من منهجه – صلى الله عليه وسلم أن يبني إنسانًا فعالاً ولا يحطمه، ويُقوِّم المعوج ولا يكسره، وألاّ يُبقي المزايا في أصحابه طاقات معطلة، بل كان يوظفها لصالح المجتمع.

العمل المؤسسي عند الصحابة:

انطلق الصحابة منذ العصر الراشد في تحديث الدولة الإسلامية ومواكبة النظم الحديثة حينذاك في التنظيم والإدارة مدفوعين بفطر سليمة وسعة مدارك في هضم منجزات عصرهم، وذلك مرده أن الدولة الإسلامية احتاجت إلى تنظيم أمورها، وإلى إنشاء الدواوين المتنوعة لمواكبة ما صاحب الدولة من توسع لا يمكن إدارته أو متابعته إلا بنظم أكثر حداثة ودقة وموثوقية.

كما فعل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - لما دون ديوان للجند والعطاء، لحاجته إلى تدوين وتسجيل قبائل المسلمين، وأسبقية الصحابة في الإسلام، ليجعل عطاء السابقين في الإسلام أكثر ممن جاءوا من بعدهم.

وتعددت الدواوين واتسعت في العصر الأموي، ومن أهم الدواوين التي كانت استحدثت في ذلك العصر ديوان الخراج، وديوان الخاتم، وديوان البريد، وديوان الرسائل، وديوان الإنشاء، وديوان العُشْر، وديوان المستغلات (أملاك الدولة)، وديوان العمال.

ولما جاء العصر العباسي، ومع ازدياد أعباء الخليفة وازدادت الحاجة إلى التوسّع في إنشاء الدواوين، وكان يعهد بإدارة كل ديوان من الدواوين السابقة إلى رئيس، أو صدر، أو ناظر، ويعمل تحت إدارته عدد من الكتاب والموظفين.

مميزات وخصائص العمل المؤسسي:

إن مجرد ممارسة العمل من خلال مجلس إدارة، أو من خلال جمعية أو مؤسسة خيرية، لا ينقل العمل من كونه عملاً فردياً إلى عمل مؤسسي، فكثير من المنظمات والجمعيات الخيرية التي لها لوائح وأنظمة، ومجالس إدارات وجمعيات عمومية، إنما تمارس العمل الفردي، إذ إن المنظمة أو الجمعية لا تعني إلا فلاناً من الناس؛ فهو صاحب القرار، والذي يملك زمام الأمور والتصرف بالموارد، وهذا ينقض مبدأ الشورى الذي هو أهم مبدأ في العمل المؤسسي .

إن أهمية العمل المؤسسي تكمن في مجموعة من السمات والخصائص التي تجعله مميزاً، منها ما يلي:

١. تحقيق مبدأ التعاون والجماعية الذي هو من أسمى مقاصد الشريعة الإسلامية المطهرة.

٢. تحقيق التكامل في العمل.

٣. الاستقرار النسبي للعمل في الوقت الذي يخضع فيه العمل الفردي للتغيير كثيراً، قوة وضعفاً، أو مضموناً واتجاهاً، بتغيير الأفراد واختلاف قناعاتهم.

٤. القرب من الموضوعية أكثر من الذاتية بوضع معايير محددة وموضوعية للقرارات.

٥. دفع العمل نحو الوسطية والتوازن.

٦. توظيف كافة الجهود البشرية، والاستفادة من شتى القدرات الإنتاجية.

٧. ضمان استمرارية العمل.

٨. عموم نفعه لأفراد المجتمع لعدم ارتباطه بالأشخاص، بل بالمؤسسات.

٩. مواجهة تحديات الواقع بما يناسبها، وكيفية الاستفادة من منجزات العصر، دون التنازل عن المبادئ. وهذا الغرض لا يقوم به مجرد أفراد لا ينظمهم عمل مؤسسي.

١٠. ينقل من محدودية الموارد المالية إلى تنوعها واتساعها، فتتعدد قنوات الإيرادات، ويعرف العملاء طريقهم إلى المؤسسة، عن طريق رسميتها ومشروعيتها.

١١. الاستفادة من الجهود السابقة، والخبرات المتراكمة، بعد دراستها وتقويمها.

١٢. يضمن العمل المؤسسي عدم تفرد القائد، أو القيادة في القرارات المصيرية، المتعلقة بالمؤسسة.

١٣. يحافظ العمل المؤسسي على الاستقرار النسبي، المالي والإداري من خلال إتباع مجموعة من نظم العمل، (سياسات وقواعد وإجراءات)، تعمل على تحقيق الأهداف، بما يتفق مع رؤية المؤسسة.

١٤. يضمن العمل المؤسسي بأن جميع العاملين ملتزمون بمنظومة من القيم والمبادئ يتمحور حولها أداؤهم وسلوكهم وعلاقاتهم الوظيفية والإنسانية.

١٥. يضمن العمل المؤسسي اجتهاد الإدارة في اختيار أفضل الأساليب النظرية والإدارية لتحقيق، أو تقديم أفضل مستويات للخدمة.

١٦. يضمن العمل المؤسسي أن يدعم المؤسسة بأفضل الموارد البشرية من خلال إتباع سياسة منظوره، في الاختيار والتوظيف والتدريب والتأهيل تحقيقاً للتنمية المهنية المستمرة.

١٧. يؤكد العمل المؤسسي جاهزية المؤسسة في تقديم القيادات البديلة في وقت الضرورة والطوارئ حينما تدخل المؤسسة في أزمة تستدعي التغيير والتبديل.

١٨. التجارب الكثيرة تؤكد أن العمل الذي يبنى بناءً مؤسسياً ينتج أضعاف العمل الذي يبنى بناءً فردياً.

١٩. العمل المؤسسي يوضح الأهداف، وينظم العمل لأنه يجبر على إيجاد التخصصات، وبالتالي يجبر العاملين على الوضوح وتحمل المسؤولية.

٢٠. اكتساب صفة الشرعية للمشاريع، والبرامج التابعة للمؤسسة مما يفتح أمامها كثيراً من الميادين، ويسهل سياسة الانتشار.

العمل المؤسسي عند عبد الرحمن السميط

رغم ما يتمتع به الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- من إمكانات ذهنية وعلمية وأخلاقية، وخبرات ميدانية واسعة، إلا أنه لم ينتهج نهج العمل الفردي القائم على إمكاناته الشخصية، وذلك لأن العمل العظيم الذي افتتح بابه الواسع لم يكن ليقوم ويبلغ معشار ما بلغه إلا بتأسيس قواعد العمل الجماعي ثم تطور بعد ذلك إلى مفهوم العمل المؤسسي، وهو بذلك يعد من الأوائل السباقين إلى غرس هذا النوع من العمل في عالمنا الإسلامي خاصة فيما يخص العمل الدعوي والخيري.

نعم إن كثيرا من الأعمال العظيمة تبدأ بجهد رجل عظيم، ولكن لا تستمر مسيرة هذا العمل بنفس وتيرته التي تصطبغ بصبغ الفرد المؤسس إلا بالعمل الجماعي والمؤسسي، ونحن في عصر لا يسمح لرجل أن يحمل همّ مشروع ضخم مثل جمعية العون المباشر بمفرده، أضف إلى ذلك أن العمل الفردي مهما بدا ناجحا في ذاته إلا أنه تصيبه بعض أعراض سلبية، منها عدم الديمومة والاستمرارية والدوران حول شخصية الفرد قوة وضعفا، فتقوى بقوته وتضعف عند ضعفه، وتنتهي بموته، ويعتري الأعمال الفردية ما يعتري الفرد من فتور أو ضعف أو نسيان أو جهل ببعض نواحي العمل إلى آخر ذلك من صفات البشر لقوله تعالى «وخلق الإنسان ضعيفا».

فالعمل الفردي مهما يصحبه من الإتقان والإخلاص محدود الأثر، محصور القدرة، مقيد الإمكانات، ولكن إذا تضامّت الجهود، وتلاحمت القوى، أصبحت اللبنات المتفرقة بنيانا مرصوصا، يشد بعضه بعضا، فالمرء قليل بنفسه، كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده، قوي بجماعته، ويد الله مع الجماعة، لذلك كان العمل الجماعي المنظم أكثر فائدة وأطول عمرا وامتدادا في المستقبل.

لقد لاحظ الدكتور السميط -رحمه الله- بعينه ما يوليه النّصارى لخدمة دينهم من الاهتمام بجميع الطرق المحققة لأهدافهم، ومن أهمها الجانب التنظيمي المؤسسي، المبني على العمل الجماعي المخطط له وفق رؤية ورسالة محددة، بعيداً عن الجهود الفرديّة التي يصحبها -غالباً- الضعف والفتور والتعارض والتكرار.

ورأى أيضا عند هؤلاء المنصرين تنوع الوسائل التنصيرية وكثرتها، وصرف الأوقات والأموال والجهود الكبيرة، واستنهاض الهمم وإشعال العواطف .

كان يمكن للعمل الفردي أن يكون كافيا للدكتور السميط لو كان الأمر فقط يتعلق ببناء مسجد في ملاوي أو توزيع بعض الصدقات والتبرعات على المحتاجين، ولكن السميط بدأ العمل الجماعي في بناء أول مسجد في ملاوي من خلال العمل الجماعي، فجمع بعض الإخوة الطيبين ليشاركهم في الرأي ، ويتبادل الشورى في شأن تحديد أفضل مكان لبناء مسجد، فوقع اختيارهم على ملاوي.

لقد رزق الله عز وجل الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - عقلا منظما يميل إلى المنهج العلمي في قياس الأمور وتنفيذ المهمات، وتشهد أعماله الجليلة أنه لا يجارى في هذا المضمار.

لذلك لم يضيع الدكتور السميط - رحمه الله -وقتا في التفكر في أنجع وسيلة لاستكمال إدارة عمله الدعوي والخيري الذي ابتدأه ببناء مسجد في ملاوي، بل بادر في تأسيس « لجنة مسلمي ملاوي» والتي تطور اسمها إلى «لجنة مسلمي إفريقيا»، ولما توسعت أعمالها تغيرت استراتيجية التخطيط للعمل لتتحول واجهة العمل المؤسسي إلى «جمعية العون المباشر» وهذا الاسم هو الذي تحتفظ بها إلى يومنا هذا.

فاستطاع -رحمه الله- أن يحول عمله الذي بدأ فرديا إلى عمل مؤسسي ضخم يشار له بالبنان، وينال القبول والإحسان في كل مكان، حيث استطاع أن يوزع العمل بين كوادر يثق في قدراتهم وأمانتهم، سواء داخل الكويت أم خارجها، فانتقلت أعمال «جمعية العون المباشر» المتنوعة خيريا وإغاثيا ودعويا وتعليميا من رجل فذ يفكر وحده ويسعى وحده إلى مجموعة تفكر تفكيرا جمعيا متناغما قويا، فكان من نتاج هذا أن مسيرة جمعية العون المباشر لم تنقطع من بعده أو في غيبته، بل ما زالت الجمعية العظيمة تؤدي عملها النبيل بعد وفاته، وبصورة أكبر مما كانت تؤديه من قبل، ويعود الفضل في ذلك - بعد فضل الله- إلى الرجل الذي أرسى قواعد العمل المؤسسي فيها، وضرب أنموذجا يحتذى لغيره من الجمعيات الخيرية والإسلامية في أسس وقواعد وأدبيات العمل المؤسسي الفعال والنافذ ألا وهو الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله-.

عبد الرحمن السميط وعلم الإدارة

تميز الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- بإلمامه بالكثير من العلوم المتعلقة بعمله الدعوي والإغاثي، فضلا عن خبراته الميدانية التي تتخطى الكثير من الأبحاث النظرية، وقد استدعى ذلك الكثير من المنظمات العلمية والأكاديمية للإفادة من تلك المعارف والخبرات.

التقيت يوما بأحد المتخصصين بعلم الإدارة والأساتذة بجامعة الكويت، وقال لي: ذهبت يوما بصحبة وفد يمثل الجامعة للمشاركة في مؤتمر بالقاهرة عن علم الإدارة، وكان الجميع من أهل التخصص بعلم الإدارة، فإذا بي ألتقي بالدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- ضمن المشاركين المدعوين في هذا المؤتمر .

سألت نفسي : وما العلاقة بين الدكتور عبد الرحمن السميط وعلم الإدارة، وهو الطبيب الداعية الذي يعمل في مجالات الإغاثة والدعوة والعمل الخيري؟ ترى ما الإسهام الذي سيقدمه الدكتور عبد الرحمن السميط لهذا المؤتمر التخصصي ؟

ما الذي سيقوله؟

وكان كل من أعضاء الوفد الجامعي قد أعد ورقة بحثية في مجال من مجالات علوم الإدارة ليشارك بها.

ولما جاء دور الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- للمشاركة والإدلاء بدلوه، فإذا به يرتجل الكلام ارتجالا عجيبا، ويحدثنا عن قواعد الإدارة وتطبيقها ميدانيا في مجال عمله في إفريقيا.

يقول هذا الرجل وقد أنصف في قوله: إنه ما قدمت ورقة بحثية ولا محاضرة في ذلك المؤتمر أقوى ولا أفضل من كلمة الدكتور عبد الرحمن السميط.

فلا غرابة في أن يتحول العمل الخيري والإغاثي في إفريقيا على يد الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- من عمل فردي إلى مؤسسة عظيمة.

يقول السيدأحمد الجاسر رئيس جمعية النجاة الخيرية: إن دراسة نموذج الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله-وأسلوبه وسياساته في العمل الخيري، وتعامله بكل الطرق السياسية والبيئية والعلاقات الاجتماعية المتنوعة يمكن أن يساهم في تعليم وتخريج أجيال واعدة في مجال العمل الخيري، خاصة في مجال العمل على جمع التبرعات . أو في مجال إدارة العمل الخيري المركزية، أو في مجالات العمل الميداني الإغاثي ، أو التعليم أو أي مجال من مجالات العمل الخيري، فهو مدرسة متكاملة يجدر الاستفادة منها.

دور السميط في تنمية جمعية العون المباشر

عمل الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- على تنمية جمعية العون المباشر لتصبح واحدة من أهم الجمعيات العربية والإسلامية والدولية العاملة في هذا المجال.

ومن أهم المجالات التي اهتم بها الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في إثراء هذا الدور للعون المباشر هو مجال الإعلام، حيث ظهر ذلك جليا في حرصه - رحمه الله - على تدوين تجاربه ومشاهداته، فقام بكتابة مجموعة ثرية من المقالات اليومية في مجلة «الكوثر» كانت تلك المقالات بمثابة تجارب شخصية ومشاهدات حياتية لخصت لنا مجهودات ودور الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- في العمل الخيري الميداني في إفريقيا، واجتهد - رحمه الله - في جعل مجلة الكوثر التي كان مشرفا عليها، ليست مجلة للسرد الرقمي الجاف للمشاريع فحسب، بل جعلها مجلة توثيقية غنية بالمواد العلمية والتاريخية، والتي صارت مرجعا للكثير من الباحثين الراغبين في دراسة إفريقيا وما يتعلق بقبائلها، وعاداتها وتقاليدها وحكوماتها أيضا.

قام الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- بنقل هذه الخبرات والمشاهدات إلى كثير من البرامج الإذاعية والتلفزيونية، وكان دائم المشاركة في هذا المجال حريصا على إطلاع الناس على ما يجري في إفريقيا مزيحا الستار عما يعانيه الأفارقة هناك من معاناة، ناقلا لنا آلامهم وآمالهم، ثم نقل كل ذلك إلى إفريقيا نفسها فكان يحرص على تأسيس الكثير من الإذاعات في كثير من الدول الإفريقية.

مكث الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- في آخر حياته يتفقد ثمرات عمله المبارك، فكان يتابع العمل الموزع على رجال جمعية العون المباشر، واستطاع - رحمه الله - أن يجعل منها مؤسسة لا يوجد بها قائد واحد يسمى عبد الرحمن السميط بل استطاع أن يترك بها عشرات النسخ المكررة من عبد الرحمن السميط والذين أسهموا إسهامات كبيرة في العمل الخيري والدعوي في إفريقيا.

السميط يغير وجه إفريقيا

يقول الدكتور عبد الرحمن صالح المحيلان رئيس مجلس إدارة العون المباشر:

إن هذا الرجل العظيم الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- يعد رجلا بأمة فما استطاع القيام به خلال ثلاثين سنة أحدث تغييرا كبيرا جدا في المجتمع الإفريقي، وفي الأوساط الإسلامية المحتاجة إلى العون، ورغم ضخامة قارة إفريقيا وكون هذه الأعمال الخيرية التي قام بها الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- تسد حاجة قطاع محدد من تلك القارة الكبيرة، إلا أنه ضرب أروع الأمثلة لكثير من محبي الخير والساعين إلى مساعدة الغير، وبين لهم عمليا أن العمل الخيري المؤثر هو أمر ممكن، وسريعا ما يرون أثره وثماره ونتائجه.

كلنا عبد الرحمن السميط !

إذا تجولت في القارة الإفريقية وزرت مكاتب جمعية العون المباشر ستجد أن الدكتور عبد الرحمن السميط رحمه الله- قد ترك في كل مكتب منها نسخا مكررة من عبد الرحمن السميط، ورغم ذلك كان - رحمه الله يتفقد الأعمال بنفسه رغم اتساع رقعة العمل في القارة الشاسعة، فيتابع المشاريع الخيرية بنفسه، ويذهب مسافرا إلى هذه الدول ويقضي بها الأيام والشهور، للمتابعة والتفقد والتقييم وحل المشكلات،.

لقد اصطبغت تلك المكاتب التابعة للعون المباشر في إفريقيا بكثير من صفات الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- حتى كادت أن تكون نسخا منه، فترى أحدهم يشرف على تنفيذ المشروعات بأنفسهم، ولا يتركها لمقاول آخر بل يتابعها بنفسه منذ بدايتها إلى نهايتها، فيقوم بشراء المعدات ويستأجر العمال ، حتى يبلغ به الأمر أن يقطع مئات الكيلومترات حتى ولو قطع ألفا أو ألفين من الكيلومترات لمتابعة المشروع وتفقده حتى يتم.

استطاع الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - من خلال العمل المؤسسي أن يكون امبراطورية من العاملين بجمعية العون المباشر والكوادر المدربة، وكل ذلك من خلال الكوادر الخاصة بجمعية العون المباشر، وذلك يعد تعبيرا صادقا يعبر عن نجاح العمل المؤسسي . لقد بنى السميط - رحمه الله- بناء ثابت الأركان راسخ البنيان اسمه «جمعية العون المباشر»، وسوف يستمر- بإذن الله - إلى أن يلقى الناس الملك الديان في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

الاستقرار المؤسسي للعون المباشر

من أهم فوائد العمل المؤسسي الاستقرار الإداري واستمرار العمل، فلا يصاب بضعف أو فتور لغياب أي عنصر من عناصره مهما كان تأثيره ودوره في العمل.

عندما تقاعد الدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله– عن إدارة الجمعية للتفرغ للعمل البحثي والتأليفي والعمل الميداني المبسط مقارنة بعمله السابق بجمعية العون المباشر، ظن البعض أن جمعية العون المباشر ستتأثر تأثرا بالغا بتقاعد السميط وتركه للعمل بالجمعية.

وقد كان – رحمه الله – مستعدا لذلك اليوم فقام منذ إصابته عام (١٩٩٤م) بإصابته الأولى، وتعرضه لنوبة قلبية بتكوين مجلس إدارة للعون المباشر ومكتب أمناء يقومون بالدور ذاته الذي يقوم به حينذاك.

ولذلك لما ترك السميط – رحمه الله – الجمعية عام (٢٠٠٨م) ومكث بعدها ست سنوات لم تتأثر الجمعية خلال تلك السنين الست، وما زالت الجمعية تؤدي دورها الخيري والإغاثي والتنموي والدعوي على أكمل وجه بحمد الله.

ودائما ما يكون العاملون على إدارة العون المباشر من الكوادر الوطنية الرائعة العاملة والمعروفة في مجال الإغاثة والمشاريع الخيرية في الكويت منذ عشرات السنين، سواء كانت الإدارات السابقة أو الإدارات الحالية، ويشاركهم في ذلك مجموعة من الكوادر العاملة في الإدارات والقطاعات أو حتى في المكاتب الميدانية.

إن مما رسخ معناه الدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله– أن الربط بين جمعية العون المباشر وغيرها من المؤسسات التي تعمل بمجال العمل الخيري والدعوي والإغاثي وبين أسماء أفراد هو مفهوم خاطئ قد تجاوزه الزمان وتركه الناس منذ القدم.

نعم كان الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- هو العقل الفذ والنفس الزكية التي أنشأت جمعية العون المباشر، ذلك العمل العظيم، ولكن لابد أن نذكر أن العمل المؤسسي الذي ساهم في ترسيخه السميط - رحمه الله- يؤكد على معنى لا يمكن تجاوزه وهو أنه كان مع الدكتور عبد الرحمن السميط رجال وكوادر بشرية ناجحة ساهمت في إنجاح هذا العمل المبارك، ولا زالت وستظل تعمل على نجاحه واستمراره وتنميته. ولذلك لم تتأثر جمعية العون المباشر بوفاة الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- سوى بتأثرها بفقد عمود من أعمدة العمل البيت الخيري الكويتي.

ولنا في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المثل الأعلى والقدوة الأسمى، حيث مات - صلى الله عليه وسلم - يوم مات، وقد ترك أمة عظيمة كانت تتخذ من رسولها سندا وقدوة وبابا مفتوحا بينها وبين السماء، تنهل من علمه الرباني صافيا منزلا من اللوح المحفوظ، مستضيئة به فيما يجد من المهمات، مستنصرة به في الملمات والنازلات، حتى انقطع عنهم كل ذلك بموته، ولكن لم ينقطع هديه - صلى الله عليه وسلم - فقد ترك في الأمة إمامين من اتبعهما نجا وجاز المفاوز والفيافي واحتمى بخير الحمى، ومن تركهما ضل وأهلكته الأثافي، ألا وهما كتاب الله وسنته - صلى الله عليه وسلم -.

ترك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دولة مهيبة الأركان قوية العماد، أساسها العلم والكفاءة والنظام والعمل الجماعي، فاستمر شعاع الحضارة الإسلامية وانتشر حتى أضاء ما بين المشرقين.

بهذه السنة المباركة استن عبد الرحمن السميط - رحمه الله-، فاستمر عمل جمعية العون المباشر قويا مضيئا فعالا كما كان يرجوه- رحمه الله- وأكثر، مما يؤكد على أن العمل المؤسسي لا يموت بموت صاحبه بل هو الأنموذج الأعلى للصدقة الجارية التي تعيش بعد موت صاحبها. ومهما كان دور هؤلاء العظماء الذين يؤسسون للأعمال الكبرى في حياة الأمم فإن أكبر دلائل العظمة والنبوغ هو استمرار أعمالهم العظيمة بعد موتهم، فإن الحياة تستمر ولا تتوقف، عند أفراد أو أشخاص.

رحم الله عبد الرحمن السميط الفاتح الثاني والفارس الأول في الدعوة في إفريقيا الذي بنى هذا الصرح المترامي الأطراف الثابت الأعمدة والقوي الأركان، وغفر الله لكل يد بيضاء ساهمت في استمرار هذا الصرح سواء العاملون فيه أو المساهمون بالمال أو الجهد والعرق كل بحسبه.

د. السميط يخرج باكيا من مجلس حاكم عجمان

لقد كان الكثير من محبي د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – يرحمون حاله، ويتمنون لو ارتاح وعمل في الجانب الإداري لأن العمل الميداني قد أتعب صحته كثيرا، لكنه كان يرفض جدا ، ودونكم هذا الموقف المؤثر.

يقول الأخ الصديق د. خليفة الشعالي مستشار حاكم عجمان أن حاكم عجمان سمو الشيخ حميد النعيمي - حفظه الله - كان يحب د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله –، ويساهم معه في مشاريعه الخيرية ، وقد رافقت د. عبد الرحمن السميط في زيارته مرة لحاكم عجمان ، وبعد حديث ماتع بينهما نصح سمو الشيخ حميد النعيمي د. عبد الرحمن السميط بضرورة إيجاد البدلاء له والراحة في بلده الكويت لمرضه وكبر سنه ، وقال له : أنت ما قصرت يا د . عبد الرحمن.

قال : فقام د. عبد الرحمن السميط وقال : كيف تقول يا شيخ ما قصرت ؟!

لقد قصرت والله في إفريقيا كثيرا، وأنا اليوم أتجول في الخليج وتركت الأيتام والمحتاجين.

لقد قصرت يا شيخ قصرت !

فاستأذن وخرج وهو يبكي من مجلس سمو الشيخ ، وكان في السيارة يبكي ويقول: كيف يقول ما قصرت، لقد قصرت وهو يكررها – رحمه الله –.



الفصل الخامس

عبد الرحمن السميط الداعية

الباب الأول

الدعوة في حياة د. عبد الرحمن السميط

فضل الدعوة إلى الله

الدعوة إلى الله هي وظيفة الرسل والأنبياء وطريق الأصفياء، ومعراج الأتقياء إلى رب الأرض والسماء، وبالدعوة حمل الرسل أمانة الدين، لتبليغها إلى خلق الله أجمعين، وبها أقاموا الحجة على الأولين والآخرين.

ولما كان الرسل والنبيون مآلهم إلى الموت والفناء، وضرورة وجود من يكمل رسالتهم إلى أن تقوم الساعة، فيقف الناس بين يدي الله لتلقي الحساب والجزاء، حمل الدعاة إلى الله الراية من بعد الأنبياء والمرسلين، فنصر الله بهم الدين، ودفع عنهم غلو الغالين، وجفاء الجافين واعتداء المعتدين والجاهلين، وجدد بهم معالم الشرع المبين.

فالدعاة هم صفوة الخلق وحماة الحق وحفظة العلم، وناشرو الفضائل والداعون إلى المحاسن والشمائل، أطباء القلوب المريضة والأنفس الجريحة، وهم مصابيح الدجى وأنوار الهدى، فما من أجر للرسل والنبيين إلا وهم شركاؤهم فيه، وردفاؤهم في الوصول إليه.

والدعاة الصادقون المخلصون هم أكثر الناس أجرا، ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «من دعا إلى الهدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا»



السميط الداعية المسلم والطبيب والإنسان

الدعوة هم السميط الدائم

قرأت مرة في رحلة لرحالة الدنيا الشيخ السعودي محمد بن ناصر العبودي – أمد الله في عمره – أنه سافر إلى أوغندا مطلع الثمانينات الميلادية في عمل يخص رابطة العالم الإسلامي ، وليس له في كمبالا عاصمة أوغندا أحد، وله صديق في مدينة أخرى سيأتي في اليوم التالي ، قال : فأحسست بالوحشة لاضطراب الأمن في أوغندا ، ولم أغادر غرفتي في الفندق ، وبعد العشاء طرق طارق باب الغرفة فأحسست بالقلق ، ثم فتحت الباب وإذا برجل إفريقي ومعه شاب عربي ، فقال لي ذلك الشاب : سمعت بمقدمك وجئت للسلام عليك ، وعرض علي خدماته في المساعدة .

فقلت : ومن أنت ؟!

قال : أنا أخوك عبد الرحمن السميط من الكويت جئت إلى أوغندا لتنفيذ بعض المشاريع الخيرية !

فعجبت لهذا الشاب الكويتي كيف يأتي إلى هنا مخاطرا في حياته من أجل إغاثة المحتاجين !

وقد ذكّرت د . عبد الرحمن السميط –رحمه الله– بهذا الموقف في المستشفى في مرض وفاته، فابتسم متذكرا له – وهو لا يقدر على الكلام والرد– .

كانت أمنية د. عبد الرحمن السميط لما كان طفلا أن يكون طبيبا؛ فلما كبر كانت أمنيته أن يكون داعيا إلى الله عطوفا رحيما بالناس أجمعين، وكانت الأمنية الثانية أوسع وأرحب حيث جمع بها عبد الرحمن السميط بين أروع الوظائف عند الله وأرفعها شأنا وهي الدعوة، وبين أسمى الوظائف عند الناس وأكثرها احتراما وهي الطب.

وقد خالطت هذه الرغبة الجامحة النبيلة قلب السميط وروحه ونفسه، لم يسكن صوتها حين نادته أصوات الشهرة، ولم يخفت ضوؤها في قلبه حين اشتدت أضواء المدنية والحضارة المترفة في بلاد الغرب حين كان يدرس الطب في جامعات أوروبا، بل كان كلما اشتد عوده واخضرت الدنيا أمام عينه وزادت حلواؤها واشتدت غلواؤهالم تجده إلا زاهدا حكيما، يعلم أنها دار فناء وممر، وليست دار خلود أو مقر. تميز السميط –رحمه الله– بالدعوة العملية والحركة على الأرض منذ شبابه، بدءا من شرائه سيارة لتقل من لا يجد وسيلة ركوب من الفقراء، مرورا بتوزيع الكتيبات الإسلامية، ولكن لم يشف ذلك عليله، ولم يرو غليله، وبقيت روحه التواقة للخير وتفتقد لما يرويها حتى حقق الله له ما يريد.

من ملاوي إلى مدغشقر (رحلة الثلاثين عاما في سطور)

ثلاثون عاما أو يزيد قضاها الرجل النبيل والداعية الرحال عبد الرحمن السميط بدءا من ملاوي حتى حط رحله الكريم في مدغشقر في أقصى جنوب شرق القارة السمراء، تلك هي ملخص الرحلة الأسطورية التي سنرسم لك أخي القارئ بعضا من ملامحها، والتي يصعب حصرها وتتبع كل تفاصيلها في هذا الكتاب، بل تحتاج إلى مجلدات ومجلدات للوقوف على تفاصيلها ودروسها وعبرها.

بدأ السميط رحلته الدعوية من الصفر، وكانت أمنيته أن يعمل بإفريقيا منذ أن كان بالثانوية، وتحقق له هذا الحلم حين قُدّر له أن يسافر إلى إفريقيا لبناء مسجد لإحدى

المحسنات الكويتيات في ملاوي، فرأى ملايين البشر يقتلهم الجوع والفقر والجهل والمرض، ويعيشون على مساعدات البعثات التنصيرية.

استمر هو وزوجته في جمهورية ملاوي ثم رحلا إلى أربعين دولة في إفريقيا، وبنيا فيها المساجد والمراكز ودور الأيتام والمستوصفات، ثم قرر أن يهاجر إلى مدغشقر هو وزوجته أم صهيب بشكل نهائي للتفرغ لدعوة قبائل الأنتيمور ومتابعة أنشطة الجمعية التي يترأسها وهي جمعية العون المباشر في إفريقيا.

تفرغ السميط للدعوة في إفريقيا وقرر العيش وسط قبيلة الأنتيمور، وهي قبائل عربية من الحجاز هاجرت قبل ثمانمائة سنة إلى جنوب شرق مدغشقر، وقد نسيهم الدعاة، فنسوا دينهم وعبدوا الأحجار والأشجار، فقرر السميط أن يعيش بينهم في منطقة نائية في مدغشقر ينعدم فيها كثير من الخدمات.



استقر السميط بينهم وبنى بيتاً له لكي يخدم الدعوة في هذه الأصقاع، وعمل أموراً كثيرة في خدمة هذه القبيلة من بناء مساجد وكفالة أيتام ودعوة وتعليم وصحة وحفر آبار، وإنشاء مقابر إسلامية للمسلمين وكان ذلك تحت عنوان مشروعه الدعوي المسمى بأسلمة قبائل الأنتمور.

العبرة بالخواتيم



جموع من الأفارقة يعلنون إسلامهم على يدي السميط

لم تكن بدايات الدكتور عبد الرحمن السميط في العمل الدعوي والخيري تنم عن النهايات في ظاهر الأمر، وكما هي العادة الدنيوية والنواميس الكونية للبدايات ففيها تكون التحديات والصعوبات والأبواب المغلقة.

ثلاثة أشهر من العمل الشاق والجاد، والتواصل الكبير مع الناس في بلد معطاء مثل الكويت، ومع ذلك لم يستطع السميط إلا أن يجمع ألف دولار فقط من التبرعات الخيرية للفقراء!!

خاب أمله بالطبع ومع ذلك لم يستسلم، فوسع دائرة المساهمات لتشمل الغني والفقير، والكبير والصغير، والرجل والمرأة فحقق الله ما أراد. كانت هذه البدايات كفيلة بهدم الطموح وإيقاف المسيرة لشاب في مقتبل العمل الدعوي، ولكن عبد الرحمن السميط متعه الله بعزيمة صلبة ونفس صلدة، تعشق التحدي وترفض الهزيمة والتراجع، وكان الله قد علم منه مالم يعلم هو من نفسه، فاختبأ له من الخير خبيئة تهون أمامها كل مصاعب الدنيا – نحسبه كذلك والله حسيبه –.

ولو أردنا قياس العمل والجهد الذي قام به هذا الرجل، والرفقة الطيبة معه من جمعية العون المباشر من خلال إحصاء الثمرات لما صدقنا أن هذه الثمرات المباركة من العمل الدعوي والخيري هي من نتاج نفس واحدة اسمها عبد الرحمن السميط، ومؤسسة واحدة اسمها جمعية العون المباشر، ولكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

على مدى ثلاثين عاما أسلم على يديه وعبر جهوده وجهود فريق العمل الطموح الذي يرافقه ملايين الأشخاص في قارة إفريقيا فقط، وأصبحت جمعية العون المباشر أكبر منظمة عالمية في إفريقيا كلها، فأنشأت أكثر من ثمانمائة وستين منشأة تعليمية يدرس بها نصف مليون طالب إضافة إلى أربع جامعات، وعدداً كبيراً من الإذاعات والمطبوعات، وقامت بحفر وتأسيس أكثر من ثمانية آلاف وستمائة بئر.

كما أسس الشيخ السميط مائتين وأربعين مركزا إسلامياً لا تقل تكلفة الواحد منه عن سبعين ألف دينار كويتي، وكفل أكثر من تسعة آلاف يتيم، ووزع سبعة ملايين مصحف باللغات المختلفة، وقام بإعداد وتدريب أكثر من أربعة آلاف داعية ومعلم.



يستريح في إحدى الغابات في مدغشقر

الداعية عبد الرحمن السميط نظرة عن قرب

عندما تقرأ عن إنجازات هذا الرجل النبيل قد تسرع إلى مخيلتك صفات أسطورية تتناسب مع رجل استطاع بفضل الله أن يغير وجه إفريقيا كما لم يفعله فاتح من قبله، فتجد النفس تخال صفات لرجل قوي الشكيمة ، صعب المراس واسع الحيلة، عظيم القوة النفسية والبدنية، خطيبا مفوها وعالما مبرزا، يحمل من علوم الشريعة الماجستير والدكتوراه والإجازات العلمية من كبار العلماء في مشارق المعمورة ومغاربها، تمتلئ كتبه بالمتون والشروح والتنظير.

لم يكن عبد الرحمن السميط –رحمه الله– مطابقا لتلك الصفات في الجملة، وتلك حكمة الله عز وجل وعبرة للمسلمين ستظل شاهدة بالحجة على المقصرين منهم، ذلك أن عبدا من عباد الله اسمه عبد الرحمن السميط لم يكن سوى نفس بشرية، أصلح قلبه ونيته لله عز وجل، وحدد لنفسه رسالة نبيلة في دعوة الناس وعونهم، وظن كأن الله سائله عنها من دون الناس أجمعين، وجمع قسطا من العلم الشرعي يكفيه في دعوة الملايين إلى الإسلام ويهزم ببساطته مؤسسات ودول لم يحققوا بجهودهم وملياراتهم وقوتهم معشار ما حققه هذا الرجل النبيل بفضل من الله ومنته. كان من أبرز سمات الشيخ السميط – رحمه الله – البساطة في ملبسه ومأكله ومسكنه ومركبه، وكان كثير الصمت كثير العمل، يتجنب الإغراق في التنظير والتخطيط والمثاليات، وكان يؤمن أن ثقة الناس تعرف طريقها للعاملين لا للمتحدثين.

ولم يكن الشيخ السميط يجلس في المكاتب وإنما كان يتابع العمل، بل كان من القلائل في العالم الإسلامي الذين جمعوا بين الإدارة العليا للمنظمة والعمل الميداني.

كان دائماً ما يحث على أن يكون لكل مسلم رسالة يعمل من أجلها وكان يقول: والله إن كل واحد منا قادر على أن يغير الدنيا كما غيرها سيد الخلق محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، والفرق بيننا وبينه عليه الصلاة والسلام أنه مبعوث بالوحي من السماء، وفيما عدا ذلك، فالقضية قضية إيمان، فكلما قوي إيمانك كنت أقدر على العطاء والتغيير.

كيف جمع السميط مليون دينار في يوم؟

أمسك عبد الرحمن السميط بهذه الفرصة التي شعر أن الله أنزلها عليه من السماء كما ينزل الغيث على بقلة أو حبة فتصير بها شجرة وارفة الظلال ثم حديقة غناء يستظل بها الإنسان والطير والحيوان، ويأكلون من ثمارها، فلم يضيع وقتا ولم يفوت فرصة إلا واستحث بها النفوس الطيبة لمشاركته في نبع الخير، فمن دل على خير كفاعله.

كان السميط -رحمه الله- يستنهض الهمم، ويشحذ العزائم، ويسعى إلى أهل الخير والمحسنين والصالحين من التجار ليجمع المال منهم لينفقه للدعوة في إفريقيا وإطعام الجائع وعلاج المريض وحفر الآبار وبناء المساجد.

ذكر أنه تحدث بعد صلاة الجمعة في مسجد بالكويت، وعرض حال مجاعة بأثيوبيا وطلب مليون دينار لدعمهم، وحلف بالله لا يخرج من المسجد حتى يجمعها ولو بقي شهراً، وما صلى المغرب في اليوم نفسه حتى اكتمل المبلغ.



والله لو قدر الله أن ينزل بالشيخ -رحمه الله- ابتلاء أو نازلة أو حاجة لمال أو علاج مرض أو عرض من الدنيا لما وجدناه يطلب لنفسه ولا لأهله منها ولو شربة ماء، ولكنه كان يبذل وجهه ومنزلته ومحبته بين الناس لله عز وجل ولغوث عباده وتقديم يد العون لهم في كل مكان.

ولم يكن الدكتور عبد الرحمن السميط ليترك محفلاً أو مجلسًا في الكويت إلا تردد عليه ليحدث بالجهود التي قام بها والتي ينوي القيام بها، ويستحث الحاضرين للإسهام معه بالسفر والجهد أو التبرع، وكان بفضل الله عز وجل وصدقه وإخلاصه يجد التجاوب الكبير.

وكان -رحمه الله- شديد الحرص على أموال المتبرعين أن تذهب إلى مكانها، حتى قيل: إنه كان إذا انتهى الشهر واستلم الراتب الجديد أعاد ما تبقى من الراتب القديم للجنة.

وقد كان د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - من المؤمنين بأن الإسلام سبق جميع النظريات والحضارات والمدنيات في العمل التطوعي الاجتماعي والإنساني.

كانت الأيام الأولى التي قضاها الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- في إفريقيا بمثابة الجرح النافذ في قلب المسلم الغيور على دينه، حيث رأى مسلمين بلا إسلام، وملايين البشر لا ينتمون إلى دين رغم أن أجدادهم كانوا على الإسلام يوما ما، حتى طال بهم العهد فاستلبتهم خرافات الوثنية من جانب، وابتزاز الكنيسة والمنصرين لآلامهم وأوجاعهم من جانب آخر.

لم تكن الفاجعة التي ضربت أطناب قلبه دينية فحسب، بل لم تستطع نفسه الرؤوف العطوف أن تتحمل ما رآه من تلك المآسي الإنسانية التي يعيش فيها إخوانه الأفارقة، فهم فرائس الجوع والعطش القاتل والجهل والمرض، فلم يتردد لحظة في اتخاذ قراره بأن يكون مع هؤلاء، فهم أولى الناس برعايته ودعوته، فبقي بينهم ثلاثين عاما يأكل طعامهم ويعيش عيشهم وينام نومهم، معرضا نفسه للمهالك كل يوم ولحظة، ما بين السباع الضارية والوحوش القاتلة والأوبئة المفنية، فضلا عن جهالات أهل الوثنية من ناحية وأحقاد وضغائن سدنة الكنيسة من ناحية أخرى.


المؤلف مع أطفال قرية في ملاوي

مسلمون ولكن..؟؟

كان أكثر ما يؤلم د. عبد الرحمن السميط أن يرى المسلمين ما بين تارك لإسلامه بالكلية، أو مستبدل به الوثنية أو النصرانية، أو ظلوا مسلمين يجهلون إسلامهم على أحسن تقدير.

وذكر في مجلة «الكوثر» – العدد ٣٤ – أغسطس ٢٠٠٢م عن د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – أنه يقول: عندما يقوم أي داعية برحلة دعوية إلى المناطق النائية في إفريقيا، يكتشف أموراً قد لا تخطر على بال إنسان، منها على سبيل المثال وجود قبائل وثنية أصولها مسلمة، لكنها تحولت عن الإسلام بسبب طول العهد، وموت العلماء وانقطاع الصلات بينها وبين باقي إخوانها من أبناء الأمة الإسلامية.

كانت تجربتي الأولى في اكتشاف مثل هذا الظاهرة عن طريق طلاب أول مركز إسلامي أنشأناه في ملاوي، حيث كان من ضمن المنهج الدراسي أن يخرج جميع طلابه في فرق للدعوة في القرى المختلفة خلال عطلة نهاية الأسبوع يتكون كل فريق من ثلاثة أشخاص يكلفون بزيارة القرى النائية والمناطق البعيدة حيث يقيمون وسط أهاليها طوال اليومين يشرحون لهم مبادئ الإسلام، ويصححون لهم بالحكمة والموعظة الحسنة ما انحرف من عقائدهم.

وبلغني أن هذه الفرق اكتشفت قبيلة في جنوب مالاوي بمنطقة (جكواوا) تمارس بعض (العادات) القريبة من التعاليم الإسلامية وبقايا من عقيدة الإسلام، فلما زرت هذه القبيلة تبين لي أنها أسلمت قبل أكثر من مائة سنة، ولكنها لم تحظ بأي عالم يعرّفها بحقيقة الإسلام، فاختلطت تعاليمه بعاداتها وتقاليدها الوثنية.

كان لدى أفرادها حماس كبير لمعرفة حقيقة الإسلام، رغم أن كبار السن لم يكونوا مقتنعين بتغيير عاداتهم، ولكننا تغلبنا على ذلك بالهدايا التي قدمناها لكبار رجال القبيلة ورؤساء قراها، وكذلك عن طريق ذبح الأضاحي وتوزيع لحومها على فقرائهم - وكلهم فقراء- فضلاً عن إعداد موائد إفطار صائم، وتوزيع الملابس المستعملة، وكفالة العديد من أطفال القبيلة ليلتحقوا بالمدارس.

واشتملت خطتنا كذلك على استقطاب بعض النشطاء إلى مدارسنا ومراكزنا، ووزعنا عليهم كتيبات عن مبادئ الإسلام.

وشيئاً فشيئاً بدأت مقاومة المعارضين لنا تنهار إلى أن دخلت القبيلة كلها في الإسلام.

ولتثبيت دعائم الإسلام في هذه المنطقة، قمنا ببناء عدد من المساجد وتعيين بعض الدعاة والأئمة، وفي كل زيارة لي ألاحظ تزايد عدد المصلين في المساجد، أما الآن فلست أخشى عليهم كما كنت في الماضي، حيث تخرج بعض أبناء القبيلة دعاة تحولوا إلى منابع خير في مجتمعهم، ولله الحمد والشكر، ولا شك أن هناك العشرات من القبائل حالها كحال هذه القبيلة سابقاً.



كنت أعتقد أن الإسلام دين للعرب فقط!

اعتقاد واحد خطأ يضيع دين المرء بالكلية، كثيرا ما رأينا في إفريقيا تشوهات واعتقادات باطلة عن الإسلام تتسبب في حجب نعمة الإسلام عن كثير من الناس رغم استعدادهم الفطري لاعتناقه. يقول د. عبد الرحمن السميط -رحمه الله- مجلة «الكوثر» - العدد ٥٧ - يوليو ٢٠٠٤م:سبق لنا أن زرنا في يوم من الأيام أحد العرب المسلمين يعيش في غرب مدغشقر، وكان متزوجاً منذ خمس عشرة سنة من امرأة نصرانية، إلا إنه لضعف إيمانه وجهله بالدين لم يحدثها عن الإسلام ولم يدعها إليه.

ولما زار دعاتنا بيته والتقوا بزوجته سألوها عن سبب بقائها على عقيدتها مع اقتناعها بزوجها المسلم فقالت متأسفة وكأنها نادمة: لقد كنت أظن أن الإسلام هو دين للعرب فقط، والذي رسخ هذه الفكرة في ذهني أن زوجي لم يحدثني قط عن هذا الدين.

فأسلمت أمام زوجها ونطقت بالشهادتين، وطلبت منهم أن يشرحوا لها أركان الإسلام والإيمان، ويعلموها كيفية أداء العبادات خوفاً من أن يكون زوجها يؤدي بعضها بصورة غير صحيحة.

صلاة الجنازة بركوع وسجود

ليس من الغريب أن ترى مسلمي إفريقيا يمارسون إحدى شعائر الإسلام رغم عدم معرفتهم بالصحيح من شروطها وأركانها، وذلك إن دل فإنما يدل على أمرين أولهما: تمسكهم بالشعائر رغم غياب المعلمين والدعاة المسلمين، وثانيهما: مقدار الجهل الذي يحمل كثيرا من مسؤوليته غياب الدعوة

الإسلامية والدعاة وأهل العلم عن تلك البقاع. يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٨٧ - يناير ٢٠٠٧م: في قرية بازيل كوبي التي بلغ الجهل فيها بالإسلام مثل ما بلغ في قرية ليليكوي، والتي أسلمت حديثاً كذلك، فقد اكتشفوا أن صلاة الجنازة تؤدى بلا ركوع ولا سجود، فاعتقدوا أن ذلك خطأ فأضافوا إليها الركوع والسجود كسائر الصلوات الأخرى، وقد تعلمنا من القرية السابقة أنه من الأفضل ألا نواجه الناس في البداية مهما كان تصورهم لأحكام شريعة الإسلام، وأرسلنا إليهم عدة قوافل دعوية، وعقدنا لهم دورة للمهتدين، ونحمد الله أنهم استمعوا للدعاة بعد ذلك، وبدأوا يصلون صلاة الجنازة بصورة صحيحة.

وحدث ذات مرة في جزر القمر أن اكتشفنا فيها أن أهالي قرية زرناها يصلون الجمعة مرتين قياساً على أن صلاة الظهر أربع ركعات، وفضلاً عن ذلك لم أستطع تفسير صلاتهم الظهر بعد صلاة الجمعة التي صلوها أربع ركعات على عكس ما أمر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، رغم ذلك لم نقل لهم إنكم قوم لا تفهمون شيئاً، ولم نسخر منهم أو نستنكر جهلهم بأمور الدين، بل عرفناهم بطريقة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صلاة الجمعة التي أمرنا بها، فأصلحوا صلاتهم ولله الحمد، واستقاموا على سنة النبي - صلى الله عليه وسلم -، لأننا نعلم أن سبب مشكلتهم هو الجهل، وأن علينا علاجها بالتي هي أحسن.



تطبيقهم لأحكام وطريقة الصلاة الصحيحة

ذات أنواط في إثيوبيا

على الداعية أن يتحلى بكثير من الحكمة والحلم، خاصة عندما يرى أمورا ما تخيل أن يراها في حياته، فلعله لم ير مظاهر الشرك الأكبر أمام عينيه، وعليه أن يكون صبورا متبصرا، وعليه أن يفكر مليا في طريقة حكيمةلاجتثاث هذه العادات الشركية والتقاليد الجاهلية التي ترسخت في العقول لمئات السنين.

ويتذكر د. عبدالرحمن السميط – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ٢٢ – أغسطس ٢٠٠١م قائلاً: خرجت مع نفر كريم من الإخوة أعضاء لجنة الأمير سلطان الخيرية في إثيوبيا للدعوة وزيارة بعض المشاريع الخيرية، فقمنا بزيارة قرية من قرى قبائل الأورومو – وهي قرية وثنية –، حدثنا أهلها عن مبادئ الإسلام، وشرحنا لهم مبادئ العقيدة الإسلامية، ووعدناهم بإرسال دعاة لتعليمهم وهدايتهم إلى سبيل الرشاد، والحمد لله اقتنع بعضهم، وفي طريق عودتنا من هذه القرية، مررنا بشجرة يعبدها الوثنيون من دون الله، ويقومون بتعليق الخرق والأعلام عليها، ومن طقوس عبادتهم لها أنهم يطبخون طعاماً من الذرة ليأكلوه تحتها، ثم يشربون القهوة تقديساً للمكان.

ساعتها تذكرت تقديس الجاهلية لذات أنواط، وهي شجرة كانوا يربطون إليها الخرق تقرباً إلى الله.

سألنا بعض الناس الذين جاؤوا إلى عين المكان للعبادة عن إيمانهم بهذه الشجرة، فكان الجواب كما توقعنا، «إنها تقربنا إلى الله، وهي في اعتقادنا ليست إلها في حد ذاتها، وأنه حتى لو سقطت أو احترقت، فإننا سنبحث عن أخرى لنعبدها».

من هنا علمنا أنه قبل أن تقتلع الشجرة من الأرض، علينا أن نقنعهم بالحكمة والموعظة الحسنة حتى نستأصلها من قلوبهم أولاً.



في غينيا يقدم بعض السحرة شباباً قربانا للآلهة

يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٧٥ - يناير ٢٠٠٦م: قد نسمع عن بعض العادات والطقوس الدموية التي تمارسها بعض الجماعات أو القبائل في العالم، لكن تلك التي نسمع عنها في بعض مناطق القارة الإفريقية هي أغرب من غيرها.

ومن هذه العادات الغريبة عادة لا تزال تمارس إلى يومنا هذا في منطقة (نزير كوري) الواقعة في جنوب غينيا، والتي تستوطنها أقلية مسلمة بين الغالبية الوثنية.

تخص هذه العادة التي يلتزم بها سكان هذه المنطقة فئة الشباب الذين أشرفوا على الدخول في مرحلة الرجولة والانخراط في حياة مجتمعهم باعتبارهم رجالاً جدداً، وتحملهم ما تفرضه عليهم هذه المرحلة في حياتهم من مسؤوليات وواجبات يشرف على تنفيذ مراسمها وطقوسها زعيم القرية أو القبيلة، الذي هو في نفس الوقت ساحرها الذي يهابه الصغير والكبير.

يقول د. عبد الرحمن السميط: ومن طقوس هذه العادة أن يقضي الشباب المؤهلون عدة شهور في الغابة القريبة من القرية تحت مراقبة الساحر، ملتزمين بما يمليه عليهم من تعليمات وتوجيهات التزاماً صارماً دون تضجر أو احتجاج، حتى إذا حان زمن محدد من شهور هذا الامتحان العسير، اختار منهم شاباً معيناً، والعادة أن يكون من عائلة ضعيفة لا مكانة لها في مجتمع القرية ليقدمه قرباناً للإله، يذبحه كما لو كان يذبح خروفاً أمامهم جميعاً ثم يحرق جثته بالنار حتى تتحول إلى رماد فيأمر البقية بأن يمسحوا أيديهم برماده محذراً إياهم بأن الموت مصير كل من تسول له نفسه إفشاء هذا السر الأعظم!

وبعد هذا الطقس، يرسم الساحر وشماً في ظهر كل شاب، ويتركهم جميعا في الغابة ليعود إلى القرية، ويقف أمام أحد بيوتها قليلاً إشعاراً لساكنيه أن ابنهم قد ذبح قرباناً للإله! والويل كل الويل لمن لم يرض بهذا القدر فبكى أو اشتكى لما في ذلك من معصية كبرى في حق الإله.

فالدعوة في هذه المنطقة شبه ميتة مما اضطرنا إلى أن نفتح مركزاً كبيراً يحتوي على دار أيتام ومسجد ومدرسة ومستوصف ومركز لتدريب النساء الفقيرات.



مخبز مركز عائشة
مشروع تنموي - اوغندا

ووضعنا كذلك برنامجاً موسعاً للدعوة، اهتدى بفضله عدد غير قليل من الوثنيين والنصارى، وعندما ذهبت إحدى قوافلنا الدعوية إلى قرية سانتيابا في جنوب السنغال اقترح أحد الدعاة أن نزور قرية وثنية قريبة، لكن أحد المدرسين قال: إنه كان يعمل مدرساً في هذه القرية ويعلم أن الأهالي هذه الأيام في احتفال ديني حيث تقدم أثناءه كل عائلة ديكاً أسود قرباناً لمعبودهم الذي هو عبارة عن شجرة عالية، وأن هذا الاحتفال يستمر عادة أياماً بحيث لا يسمح لأي أجنبي بدخول القرية حتى لو كان يعمل في المدرسة الحكومية.

كما يقومون خلال هذه الاحتفالات السنوية بذبح شخص بالغ رجلاً كان أو امرأة عند جذع الشجرة قرباناً لها، وقد روى هذا المدرس أنه لاحظ مرة أن أحد تلاميذه النجباء أصبح منطوياً على نفسه معتزلاً الطلاب، ولم يعد يشارك كعادته في المناقشة والحوار، وأن درجاته أخذت تتدهور بصورة ملحوظة، فلما سأله المدرس عن السبب أخبره الطالب أن اختيار زعيم القرية وقع على أمه التي ذبحوها وقدموها قرباناً للشجرة!

البقر أكل مسجدهم !

في زيارة إلى قرية شكواوا في مالاوي قبل سنوات اكتشفنا أن معظم سكان القرية من المسلمين لكنهم لا يصومون رمضان!

بدأنا نعلمهم أحكام الصوم لكننا اكتشفنا سبباً غريباً لعدم الصوم حيث قالوا: إننا لا نصوم لأننا لا نصلي فلما استفسرنا منهم عن سبب عدم الصلاة، قالوا: لا يوجد مسجد، وإذا لم يوجد المسجد فلا صلاة!

حاولنا أن نشرح لهم أن الصلاة تجوز بدون وجود المسجد لكنهم أصرّوا على رأيهم، ومن حسن الحظ أن معنا بوصلة الصلاة، فخرجنا معهم تحت شجرة، ورسمنا خطاً على الأرض باتجاه القبلة، وبنينا معهم مسجداً من القش، ولم نصدق أعيننا عندما زرناهم بعد أيام حيث وجدنا مسجد القش ممتلئاً بالمصلين.

ولكن لسوء حظنا أن الأبقار تسلطت على مسجدنا فأكلته لكن تداركنا الأمر، وبنينا مسجداً جديداً من الأشواك التي لا تأكلها الأبقار ولا الماعز خشية أن يتوقف الناس عن الصلاة.

بعد مدة بنيناً مسجداً ودارا للأيتام من الطوب والأسمنت، وبدأ مركز إسلامي يشع على المنطقة، ودخل الإسلام العديد من غير المسلمين في المنطقة.



«مبوزو»
من قاطع طريق
إلى فنان موهوب

تميز السميط -رحمه الله- وفريق الدعاة الذين يعملون معه بكثير من وسائل الإبداع في الدعوة، ومن ذلك تغيير مسار كثير من الخارجين عن الصراط المستقيم بالحكمة والموعظة الحسنة وإيجاد البدائل لمن أراد الهداية.

جاء في كتاب «العمل الإغاثي عند الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - وأثره في قبول دعوته» للباحث علي محمد علي آل حسن الشهري.

الفحص الطبي للأيتام الجدد - كينيا

أحد المشاريع الصحية المنفذة في كينيا

قال: وفي منطقة كليفي في كينيا يتذكر السميط - رحمه الله - عصابة روعت من اللصوص الأهالي، وطاردت قوات الشرطة أفرادها طويلاً، وأخيراً اكتشفنا أن زعيم العصابة مسلم يدعى مبوزو له شعر بشع تشمئز منه النفوس، فأرسلنا له دعاة من جماعته ليزوروه ويشجعوه على تنمية هوايته بالرسم

الجائز شرعاً، فرسم أحد مساجدنا وأعطيناه مكافأة، ثم طلبنا منه أن يرسم بعض المناظر الطبيعية، وفرح بهذا العمل، فساعدناه على فتح محل للرسم بالقرب من أحد مساجدنا، فاشتهر أمره وبدأ يؤدي الصلوات الخمس في المسجد بفضل الله الذي أنعم عليه بالهداية أولاً، ثم بمهنة يعيش من دخلها.

ويضيف - رحمه الله -: وأذكر مرة أن العصابات المسلحة من قطّاع الطرق التي تهجم على المدنيين وتسلب أموالهم وممتلكاتهم روعت إحدى مناطق الصومال، فأرسلنا عدداً من الدعاة إلى هؤلاء اللصوص، ونحمد الله أن تسعة منهم هداهم الله وأصبحوا ملازمين المسجد، وساروا في طريق الخير بعد أن أدخلناهم دورة، ثم أهدينا كل واحد منهم طعاماً لعائلته يكفيه شهراً كاملاً.

لا ينبغي على الداعية أن ينسى أن هؤلاء الناس لابد لهم من مصدر لكسب العيش يرتزقون منه، فلا تغلق على أحدهم بابا حتى تفتح له بابا آخر، وإلا ألزمته بما لا يطيق فعاد إلى الجريمة والإثم والعدوان مرة أخرى.

هل يكون المسلمون مسلمين بروتستانت؟!

وفي لقاء مفرغ مع قناة الجزيرة بعنوان: قبائل الأنتيمور وعرب مدغشقر - بتاريخ ٢٠٠٦/٢/٢٣م: يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله -: قبل سنوات كنت في زيارة لمدغشقر، وهي رابع أكبر جزيرة في العالم، تقع في الجزء الجنوبي من القارة الإفريقية مقابل موزمبيق وجنوب إفريقيا، مساحتها ٦٠٠ ألف كم٢، سكانها حوالي ١٧ مليون نسمة، تشتهر بزراعة الأرز وتربية الأبقار، وللإسلام جذور وتاريخ في هذه الدولة ولكن للأسف نسبة المسلمين لا تتجاوز بحال من الأحوال ١٢ ٪، والكنيسة تصرح بأن نسبة المسلمين ٢ ٪ والمسلمون يرون أن نسبتهم ٢٥٪، وأغلب الناس وثنيون ثم مسيحيون وهم ينقسمون إلى قسمين كاثوليك وبروتستانت وبينهما صراع شديد.

ونظرا لغلبة الجهل فإن كثيرا من الوثنيين في مدغشقر وغيرها من البلاد الإفريقية لا يدرك أهلها أن أجدادهم كانوا مسلمين يوما ما، ويشهد على هذا الروايات التاريخية، وعادات مشابهة لشعائر الإسلام ما زال الأهالي يعملون بها دون معرفتهم بأصولها الإسلامية.

والدكتور الداعية الموفق عبد الرحمن السميط – رحمه الله – يملك قلما لا يقل تشويقا عن تحركاته الدعوية ولا غرابة فمصدر ذلك كله قلب مليء بحب الخير ونفع الناس، وهو هنا يمارس هوايته في وقت الراحة والمتمثلة بإعمال الفكر على أنغام صرير الأقلام الممزوج بروائع القصص المشوقة في رحلاته الدعوية فيقول راويا لما حصل له مع استطرادات لا تخلو من الطرافة والفائدة: في إحدى زياراتي عام (١٩٩١م) سمعت بقرية عندهم اسمها مكة فشدني الشوق إلى أن أسافر إلى مكة التي في مدغشقر، ولكن مدير مكتبنا هناك والدعاة قالوا: إن الأمر صعب لأن الطريق وعرة، فقلت: هل وصلها أحد قبلي؟ قالوا: نعم أهل القرية بالطبع يصلون إليها. فقلت لهم: إذن فأنا مثل أهل القرية!

المهم سافرنا بطائرة بوينج كبيرة لمدة ساعة ونصف أو ساعتين إلى مدينة تسمى «مناكارا»، وفي ذلك الوقت لم نجد سيارة تنقلنا فأجرنا حافلة صغيرة قديمة جداً بدون كراس وجلسنا على الحديد، وما كان بها مفتاح للسيارة، فكان السائق يقوم بتوصيل الأسلاك الكهربائية لتشغيل السيارة، والمهم أننا وصلنا بعد ساعة إلى قرية «فايوبينو»، ومن هناك عبرنا نهرا مليئا بالتماسيح، والحقيقة أني مستغرب جداً فبعد سنة من الإقامة هناك ما سمعت أن تمساحاً أكل إنسانا بينما في كينيا هناك قرية اسمها «جاريسا» تقع على نهر «تانا»، وكنا نسمع كل أسبوع أن التماسيح أكلت واحدا من مسلمي القرية، وهي قرية سكانها كلهم مسلمون، لكن الأمر غريب فعلا وشاهدته بنفسي أكثر من مرة حيث إن كل الحيوانات في مدغشقر تعتبر أليفة ، فلم نسمع عن أسد مفترس أو حية سامة أو غيرها، وأنا بنفسي وجدت كثيرا من الحيات في البيت وأخرجتها بيدي، ومرة وجدت أفعى في سقف المسجد، وفي البداية خفنا فضحك الأهالي، وقالوا لنا: لا تخافوا فهي حية بيت تعيش على الحشرات ولا تضر، وبالفعل أمسكوا بها وأخرجوها!!

المهم عبرنا النهر وسرنا لمدة ربع ساعة أو ثلث الساعة على الأرض وبعدها وصلنا للمستنقعات وهي تصل لحد الصدر أو ربما الكتفين وكلها ملوثة بأوساخ الأبقار ولمدة أربع ساعات ونحن نخوض في هذه المستنقعات وليس هناك طريق آخر، وقبل أن نصل إلى قرية «مكة» وكان معي واحد من الإخوة من «موريشيوس» فقال لي: لا تدخل ورائحتك بهذه الصورة وطلب مني أنزع ثوبي فنزعته وغسله بنفس الماء الملوث، وفي الأخير دخلنا القرية وتحدثنا معهم وكانت أول مرة يرون فيها شخصا من بلاد



العرب يدخل قرية مكة، وقلنا لهم: لماذا سميتموها مكة؟ فقالوا: على اسم البلد التي أتينا منها، فسألناهم وأين تلك البلدة؟ فقالوا: بالشمال ولكنهم بالطبع ما سمعوا ببلاد العرب وما سمعوا بالمملكة العربية السعودية وما سمعوا بالحجاز رغم أن هناك قرية ثانية اسمها حجاز ولكنهم ينطقونها «إيجاز»، وكل ما يعرفونه أن مكة تقع بالشمال وهي مكان طيب ومقدس ومن هذا القبيل.

ولما سألتهم: ما دينكم؟ قالوا: الحمد لله نحن مسلمون بروتستانت!!

قلت لهم: كيف أنكم مسلمون وبروتستانت؟

قالوا: أجدادنا قالوا لنا: إننا مسلمون ولكننا لا نعرف شيئا عن الإسلام، والبروتستانت جاءونا وقالوا: إن البروتستانتية والإسلام شيء واحد، وليس هناك فرق بينهما وعلمونا كيف نصلي وبنوا لنا هذه الكنيسة التي ترونها وأعطونا الإنجيل.

فما استطعت في البداية أن أقول لهم أنتم مخطئون لأني اعتبر أن هذا أسلوب خاطئ، ولكني أرى أن المفروض علينا أن ندخل إلى قلوبهم أولا ونستولي عليها ثم نقول لهم كل شيء.

فقلت لهم: أنا من الكويت، والكويت في نفس أرض مكة وأهلي هناك أرسلوني لكم لأطمئن عليكم وعلى بقركم وعلى زرعكم وعلى نسائكم وعلى أولادكم، وهذه الطريقة في الترتيب هي الأهم بالنسبة لهم فعندهم الزرع والبقر لهم أهمية أكثر من الزوجات والأولاد وأعطيت لرئيس القرية هدية ثوب، وقلت له: هذه هدية من أهلنا في مكة والكويت لك ففرح بها كثيراً، وشرحت له أن أهلك في مكة يؤمنون بإله واحد هو الذي يميتنا ويحينا وهو الذي يشفينا وهو الذي ينزل المطر من السماء وليس له مثيل وليس لديه زوجة ولا ولد، ثم أهديته تمراً وقلت له: إن هذا طعام أهل مكة وهذا هدية من أهل الكويت ومكة لك وأهديته بعض الكتب ثم طلبت منه الإذن لأن أخرج فقال: لماذا وأنتم وصلتم من وقت قصير، فقلت له: إن موعد صلاتنا الآن، فقال لي: ولكني أنا أصلي أيضاً، فقلت له: ولكنك غير مسلم، فقال: من قال إني غير مسلم بل أنا مسلم وربما أنا مسلم قبلك أنت، وأصر الرجل أن يتوضأ ويصلي فقلت له: إذن توضأ مثلي، فأحضروا لنا الماء الملوث، وبدأت أتوضأ وهو يقلدني في كل شيء، وقلت

له: فقط في الصلاة لا تلتفت وأفعل مثلي، وبالفعل وقف معي في الصلاة وصلينا وكانت تلك أول مرة يصلي فيها شيخ القرية في حياته صلاة المسلمين وكان سابقاً يذهب للكنيسة ويظن أن هذا هو الإسلام.

وقد حاولنا أن نبني مسجداً فوجدنا من المستحيل أن نحصل على عمال يحملون الإسمنت في هذه المستنقعات لمدة أربع ساعات حتى يصلوا إلى القرية فبنينا المسجد من الخشب ورغم مرور الآن أكثر من اثنتي عشرة سنة إلا أن المسجد مازال قائما وكنا نظن أنه سيعيش لمدة خمس عشرة سنة على أكثر تقدير والآن نعتقد أن سيعيش لمدة عشرين سنة على أقل تقدير، وبعد ذلك أسلمت القرية كلها بفضل الله سبحانه وتعالى وأرسلنا لها داعية.



عثمان مسلم أم نصراني!

يروي السميط- رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٨ - مايو ٢٠٠٠م قائلا: ضللت الطريق في إحدى المناطق الريفية في سيراليون، فاستعنت بشاب لمساعدتي، ومن خلال الحديث معه عرفت أنه مسلم من عائلة مسلمة واسمه عثمان، سألته إن كان يصلي، فأجاب بنعم، ومرة أخرى سألته: كم مرة في اليوم؟ فقال: إن ذلك يعتمد على المزاج. . !

استغربت، ثم سألته: كيف يصلي؟ فرسم الصليب على جبهته وصدره، فقلت له: أين تعلمت هذه الصلاة؟ فقال: في مدرسة القديس جورج التابعة للكنيسة البروتستانتية.

وتساءلت في نفسي: ترى هل كان سيقول ذلك لو أن هناك من علمه مبادئ الإسلام، وشرح له مبادئ العقيدة وأركان الإيمان؟

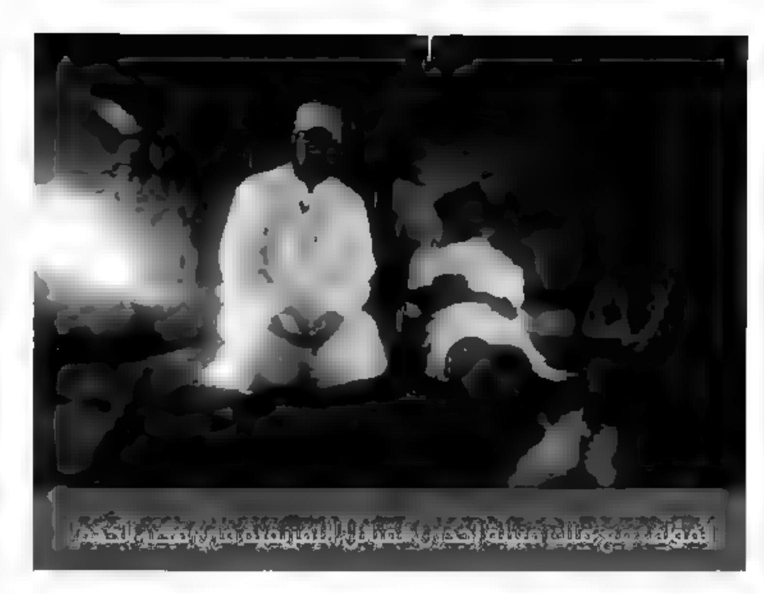
ياليت شبابنا الذين يقضون الساعات الطوال في حرب إخوانهم من الداعين إلى الإسلام يصرفون جهودهم من أجل تعليم أمثال عثمان، وما أكثرهم في إفريقيا.. !



يخلع نعليه قبل دخول الخلاء خوف النجاسة !

ونقلت مجلة «الكوثر» - العدد ١٥ - يناير ٢٠٠١م عن د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - أنه قال: ومن العادات الباقية لدى قبائل الأنتيمور، المفهوم الخاطئ من بقايا الإسلام وتعاليمه حول الطهارة، فهم يخلعون نعالهم ويحملونها في أيديهم عند دخول الحمام خوفاً من أن تصيبها نجاسة.

وعندما اخترنا أحد قياديهم وأرسلناه للحج، ذهب إلى الحمام قرب الحرم الشريف في مكة، وكعادته خلع نعليه ووضعهما تحت إبطه وسار يريد دخول الحمام، فرآه أحد الشباب العربي وغضب عليه غضباً شديداً لفعله هذا، ولم يخلصه من هذا الموقف إلا وجود أحد دعاتنا العرب بقربه، حيث شرح لهذا الشاب الغاضب عادات القبيلة، وأن الرجل حديث عهد بالإسلام، وأننا يجب أن نأخذ مثل هؤلاء بالحسنى، ونعلمهم تدريجياً مبادئ دينهم..



هذه المشاهدات التي يرويها الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- تبين أن الإسلام سبق إلى هذه المناطق منذ مئات السنين، وتبين كذلك الطرق الملتوية للدعاة إلى التنصير والتبشير من أرباب الكنيسة الذين لا يتورعون عن الكذب والتضليل في سبيل إخراج المسلمين عن دينهم، والادعاء بأن الإسلام والنصرانية شيء واحد، وغيرها من الطرق الدنيئة التي تنم عن سوء خلق وضعف الحجة وعدم الثقة في صحة ما يدعون الناس إليه.

علاجي هو السحر الإسلامي!

لم يسلم المسلمون والإسلام في أوج ضعفه في ربوع إفريقيا من الكذب والادعاء عليه زورا وكذبا، خاصة من رجال الكنيسة والداعين للنصرانية، ومن الإشاعات التي نشروها أن الإسلام دين السحر، وكأن العهد قد عاد بنا إلى مشركي مكة الذين كانوا يقولون عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه ساحر، قال تعالى ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾.

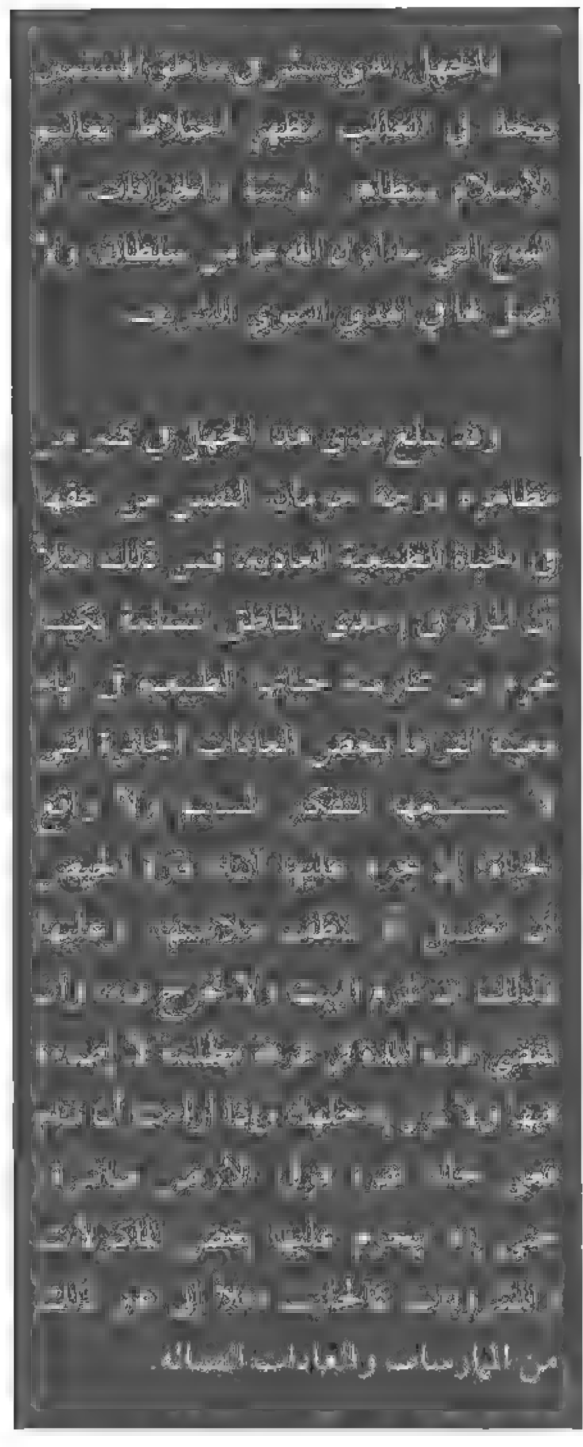
يقول الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله-:

من الطريف أنه جاءني شخص من قرية «محافيلوا» وقال لي: أنا متزوج من تسع سنوات ولم يرزقني الله ولدا، وجئتكم لتصنعوا لي سحراً وأخرج لي مبلغا من المال، فقلت له: لماذا المال ولماذا السحر؟ فقال: لأنكم أنتم المسلمون مشهورون بالسحر وهذا المال مقابل ما سوف تصنعه لي من سحر، فقلت: نحن المسلمين حرام عندنا السحر، ولكني سأدعو الله لك وأريدك أن تدعو الله أيضاً بنفسك، ولعل الله يرزقك الذرية الصالحة، ففوجئت بالرجل يعلن إسلامه، ولما

سألت عنه بعد عدة أسابيع علمت أنه مازال على الإسلام ولم يزل يصلي ويصوم بفضل الله سبحانه وتعالى، وقد شارك في إحدى الدورات التي عقدناها للمهتدين الجدد في قريته.



أعمال السحر والشعوذة في أفريقيا



الجهل ذلك العدو الأكبر

يعتبر الجهل أحد أكبر التحديات الكبرى التي تواجهها الدعوة الإسلامية في القارة الإفريقية، ولذلك كانت المسؤولية الواقعة على كواهل جمعية العون المباشر عظيمة تستهدف تخليص المسلم الإفريقي على وجه الخصوص من العقائد الباطلة المتمثلة في الوثنية والنصرانية والمذاهب المنحرفة، ومن الجوع والمرض، والجهل والكسل.

وعندما حلت إحدى قوافلها الدعوية بهذه المنطقة، كان ترحيب النساء بها كبيراً كأنهن يبحثن عمن يحررهن من سجن هذه البدع والعادات السيئة.

وقد جاء في مجلة «الكوثر» - العدد٥٦ - يونيو ٢٠٠٤م قال السميط: عن بعض دعاتنا أنهم خرجوا في قافلة دعوية إلى إحدى قرى غرب مدغشقر تسمى (أمبونيو)، وزاروا فيها أسرة مكونة من زوجين وابنتهما البالغة عشر سنوات، تسكن في كوخ فرحبت بهم ترحيباً كبيراً، وعرف أفرادها الإسلام لأول مرة في حياتهم فأحسوا أنه دين يناسب طبيعة الإنسان ويعززه ويكرمه فأسلموا جميعاً.

وفي أثناء ترديد أفراد هذه الأسرة الشهادتين، لاحظ أعضاء القافلة من بعيد رجلاً قد قارب عمره الثمانين عاماً وهو يقترب منهم حتى جلس تحت ظل شجرة ليتابع هذا المشهد عن كثب، فتوجه إليه أحدهم وسأله إن كان يرغب في التعرف على الإسلام، فأجابه أنه كان ينتظر مثل هذه الفرصة، إذ سبق له أن عرف الإسلام واقتنع به، ولكنه كان دائماً يعتقد أن إسلامه لن



يكون صحيحاً إلا إذا أعلنه على يد غيره من المسلمين، ثم أسلم وردد الشهادتين ثم تبسم وقال: لقد جئت إليكم لأحصل على هدية ما، وماكنت أتوقع أن أعود بهذه الهدية الكبرى وأن أهتدي للإسلام، والحمد لله رب العالمين.

« إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون »

الملاحظ من خلال العمل الدعوي الذي يمارس في القرى الإفريقية أن الموروثات والتقاليد والأعـراف في حياة سكانـها تشكـل أحـد العـوائق الكبيرة أمام الـدعوة الإسلامية، لكننا بتوفيق من الله نستطيـع أن نتجـاوز ذلك العائق ونخترق حـدوده ونـصل إلى قلوب الناس لنقنعهم بفـساد الكثير مـن العـادات والتقـاليد والعبـادات الضـالة، وخطورتها الشديدة على سلامة التفكير وصحة الدين والمعتقد، لكـن مـا الطريق المناسب الذي نسلكه لتحقيق هذه الأهداف؟

إنه باختصار أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، ومجادلة من يسأل ويناقش أو يعارض بالتي هي أحسن، وبالحجة الدينية والعقلية حتى يقتنع بالحق، وله بعد ذلك أن يختار بين طريق الإيمان وطريق الضلال.

إنه الطريق الذي نسير فيه على هدي خير المرسلين ونصل عبره إلى القلوب، فمن هؤلاء الناس من يقتنع بالحق ويدرك أن الإسلام هو الدين الحق، ولكنه يظل حبيس إرث الآباء

والأجداد متردداً بين الإيمان والكفر، ومنهم من يتحرر من التقليد الأعمى، فيتحرر عقله وقلبه ويقبل على الإيمان إقبالاً صادقاً.

يقول د. السميط: إحدى العجائز التي تنتمي إلى غرب مدغشقر قالت بعدما اقتنعت فآمن قلبها ولم يؤمن عقلها: كيف يمكنني أن أترك دين آبائي وأجدادي؟ فوالله إنني لمقتنعة بدين الإسلام، ومعجبة أيما إعجاب بتعاليمه السمحة، ولكنني أشعر بوجود شيء في داخلي يحول دون إيماني، وأنا أدعوكم إلى التركيز على الشباب، فلا أعتقد أنهم سيخرجون من محاضرة تعرفهم بهذا الدين حق التعريف غير مسلمين.

وكان هناك أمير قرية اسمها «مانتجا» كان قد هداه الله لنور الإسلام، ولكنه مرض مرضاً شديداً فعدناه في مرضه وفرح بهذه الزيارة التي حضرها جمع غفير من أهالي قريته، فاستثمرنا هذه المناسبة لنلقي فيهم كلمة توجيهية فأسلم على إثرها خلق كثير فاق عددهم مائة مهتد جديد، وطلب منا الأمير عقبها تكثيف الزيارات إلى هذه القرية والقرى المجاورة لها لدعوة الأهالي إلى الإسلام، كما طلب منا كذلك تعيين داعية متفرغ في قريته ليؤم المسلمين في صلاتهم ويعلمهم أمور دينهم.

القاديانية في إفريقيا وتدمير الهوية الإسلامية

من أهم أعداء الإسلام في هذه المناطق التنصير، إضافة إلى الوثنية المترسخة في النفوس، ليس هذا فحسب بل إن من أخطر أعداء الإسلام هناك الدعوات المبتدعة الخارجة عن الإسلام، وتتمثل خطورتها في أن الأفارقة المنتسبين إليها يعتقدون أنها الإسلام الذي أنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم –.



من أنشطة القاديانية في غانا

ومن تلك الفرق الهدامة القاديانية وهي حركة نشأت سنة (١٩٠٠م) بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المحتل باسم الإسلام، ومؤسسها غلام أحمد، ومن المؤسف أن للقاديانيين نشاطا كبيرا في إفريقيا، ولهم في بلاد إفريقيا وحدها ما يزيد عن خمسة آلاف مرشد وداعية متفرغين لدعوة الناس إلى القاديانية، ونشاطهم الواسع يؤكد دعم الجهات الاستعمارية لهم.

يقول الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله-:

أرسلت لنا قرية أخرى رسالة وقالوا: نحن كما قال أجدادنا نحن مسلمون ولكن لا نفهم في الإسلام شيئا ولم يزرنا أي عالم وليس لدينا أية داعية ولا عندنا كتب إسلامية، وأتى لنا في يوم الأيام أحد الباكستانيين وشرح لنا الدين ومن بين ما شرحه لنا قال: إن آخر نبي ليس محمدا - صلى الله عليه وسلم - وإنما اسمه ميرزا غلام أحمد وهو باكستاني، وأن الدين الآن يسمى (مسلم قادياني)، يقولون: ولأنه ليس لدينا العلم الكافي وليس هناك من يبصرنا بحقيقة ديننا قلنا له: إذا كان الإسلام كما تقول إذن فنحن مسلمون قاديانيون، وأصبحنا قاديانيين منذ أكثر من خمس عشرة سنة، ولم نزل، ولم يزرنا أية داعية غير القاديانيين الذين يأتون بين الحين والآخر، إلى أن استمعنا في كل يوم الأيام إلى الإذاعة فاكتشفنا أن القاديانية ليست هي الإسلام وإنما هو تحريف للإسلام، وبدأنا نرجع لدين الله تعالى.



مؤسس القاديانية ميرزا غلام أحمد

إفريقيا في انتظار الفتح الإسلامي الثاني

من المعلوم أن الإسلام دخل إفريقيا منذ فجر البعثة المحمدية متمثلا في هجرتي الحبشة وكذلك القوافل التجارية بين الجزيرة العربية والشرق الإفريقي بحكم الجوار الجغرافي، ثم توالت الفتوحات الإسلامية بدءا من فتح مصر حتى وصل الإسلام إلى المغرب، فانتشر هناك جنوبا باتجاه الغرب الإفريقي، وتكونت الممالك الإسلامية التي انتشرت على مساحات كبيرة من ربوع إفريقيا حتى جاء الغزو الأوروبي والاستعمار الغربي ممثلا في أساطيل الغزو البرتغالي وغيره ليعوق مسيرة المد الإسلامي والعربي لعدة قرون من الزمان لتبدأ إفريقيا عهدًا جديدًا من طغيان الاستعمار الأوربي الذي استنزف الكثير من خيراتها، وأذاقها ويلات العبودية والتبعية وطمس الهوية.

العودة إلى الجذور

يقول الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله-:

ما أعلمه أن إفريقيا عرفت الإسلام قبل معظم الناس على وجه الأرض وذلك عبر هجرة الحبشة الأولى، فهناك مساجد في إفريقيا عمرها أكثر من ألف سنة، وهناك مسجد في جزيرة «بتي» الواقعة بين الصومال وكينيا عمره ألف وثلاثمائة سنة، ومسجد آخر في زنجبار عمره ألف وثلاثمائة وسبعون سنة، ووجدنا قبيلة في مدغشقر اسمها (الانتيمور) يقولون: إن أصلنا من قرية في الشمال اسمها جدة بجوار قرية أخرى اسمها مكة فيها رجل طيب يحبونه كثيرا اسمه محمد، وعندهم كثير من الدلائل على أصولهم الإسلامية، فمثلا أيام الأسبوع عندهم: سابوتي، أهادي، اتنين ثلاثة، أربعة كميس جمعة، ولا يأكلون لحم الخنزير ولو قتلتهم، ولا يحبون الكلب، ويسيرون على نفس القيم الإسلامية من تحريم الزنا والخمر والكذب. وكنا نذهب إلى قراهم ونحفر

بئرا ونكتب عليه: هدية من إخوانكم المسلمين ونتركه ونمشي، ونعود بعد سنة فيستقبلوننا استقبال الملوك وأسلم كلهم، وحصل هذا في قرى كثيرة عندهم. والمدهش أن لديهم قرية اسمها مكة، وأخرى اسمها إجاز (أي حجاز)، وثالثة اسمها مصر، وهذه نماذج وأدلة على أصولهم الإسلامية والعربية، ولكنهم الآن وثنيون، حيث تم القضاء على بقايا المسلمين عندهم على يد الاستعمار الفرنسي عام (١٩٤٧م)، حينما قتل أعدادا كبيرة من المسلمين في جنوب شرق مدغشقر.

يقول السميط: وليس هذا فقط فإن قبيلة الفارينبا الموجودة في زيمبابوي تبعد ألف كيلو عن البحر لا يأكلون الخنزير ويختنون أولادهم، وقد ذهبنا إلى هناك فخرج إلينا حطّاب مسلم كان يحتطب في الغابة وسأل: هل تأكلون لحم الخنزير؟ فقلنا له: لا، فسأل: هل أنتم مختونون؟ فقلنا نعم، فقام الحطاب واحتضننا وقال: أنتم إخوتي، وأخذنا إلى القبيلة لنتعرف عليها، ووجدنا عندهم عادات لا بأس بها بل وإسلامية، ومنها مثلاً: إذا مات الميت وكان صالحاً يلفونه في حصير مثل الكفن ويصلون عليه صلاة الجنازة الإسلامية، حيث يقف شخص في الأمام ويهدر كلمات لا يفهمها الإنسان، ثم يلتفت يميناً للسلام، ويدفنون موتاهم باتجاه القبلة.



وعلمت أن عندهم شيئاً اسمه سر القبيلة، فسألتهم عليه فرفضوا إخباري به، فبنيت لهم مدرسة ومستوصفا وحفرنا بئرا فاعتبروني منهم وقالوا لي: إن هذا السر لا نخبره إلا لمن بلغ أربعين سنة من أبناء القبيلة، فإذا بالسر هو: سورة الفاتحة. ومنذ خمسين سنة جاء بريطاني فوجد بين قبور قبيلة الفارينيا القديمة، وتحديدا قبور الأجداد التي لا يدخلون إليها أبدا، وجد قبرا كتب عليه: بسم الله الرحمن الرحيم «بدون نقط». هذا قبر سلامنا صالح الذي انتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية عام (٩٤) من هجرة النبي العربي. وحاولت الذهاب لرؤية هذه القبور فحذروني من الأفاعي والثعابين وخصوصا الكوبرا، فاشتريت حذاء طويلا لحماية رجلي وذهبت فوجدت كتابات عربية كثيرة في المقابر دون أن يعلموا عنها شيئا، وعثرنا على آثار عربية تنتمي إلى عصور ما قبل الإسلام.



ولذلك أؤكد أننا لم ننزل على إفريقيا بالباراشوت كغيرنا وإنما جذورنا موجودة.

قرية كاتشا تنتظر الدعاة

يقول د. عبد الرحمن السميط: زرت قرية اسمها كاتشا أقامت فيها جمعية العون المباشر مسجداً صغيراً منذ أربع سنوات، تقع هذه القرية على بعد ٢٢ كيلو متراً من (كادقلي) عاصمة أحد أقاليم منطقة جبال النوبة في السودان، لكن الوصول إليها تصاحبه مشقة كبيرة بسبب وعورة الطريق الذي يعبر غابات الإقليم، خصوصاً في موسم الأمطار والسيول، وقد تبين لي من الإحصائيات الشفهية التي تلقيتها من ألسنة شباب القرية أن معظم سكانها من الوثنيين، يليهم المسلمون ثم النصارى الذين يشكلون أقلية ضئيلة، ورغم قلة النصارى في هذه القرية، وأغلبهم من النساء والأطفال، قام المنصرون ببناء كنيسة فيها لكن سقفها انهار في أحداث تمرد بعض الشباب على الحكومة، وظلت على حالها، الأمر الذي أفقد قسسها الأمل في مواصلة مشروعهم التنصيري.



التقينا في هذه الزيارة بأحد رجال القرية وهو شرطي متقاعد، فحدثنا عن أحوال الدعوة الإسلامية وأوضاع المسلمين فيها، وطرح مجموعة من الوسائل والسبل للنهوض بها من الناحية الدينية، ونشر الإسلام في القرى المجاورة لها.

خمسة ملايين إنسان من قبيلة الدينكا ينتظرون الإسلام

جاء في كتاب «قبيلة الدينكا في جنوب السودان» للدكتور عبد الرحمن السميط وفاروق عبد الله أحمد بلال ص ٨: تعد قبيلة الدينكا التي يبلغ عدد أفرادها ثلاثة ملايين فرد من أكبر قبائل جنوب السودان وأكثرها شهرة، حتى أصبحت لها مكانة مميزة بين سائر تلك القبائل، لكن السؤال الذي قد يتبادر إلى ذهن القارئ في أول الحديث عن ملامح هذه المكانة، أكانت بسبب كثرة أفرادها، أم هناك صفات أخرى ومميزات إلى جانب هذا العدد التي تميزت به عن باقي القبائل الأخرى؟

والواقع أن المرء الذي تتاح له فرصة زيارة هذه القبيلة والتعرف على حياة أناسها ليعجب بالعديد من الصفات الخلقية والاجتماعية التي تكاد تنفرد بها، وليقف مندهشاً في نفس الوقت من بعض العادات والتقاليد التي تمثل جانباً مهماً من ثقافتها وتاريخها الحافل.

يرى هذا الرجل ضرورة التركيز على تقديم المساعدات الغذائية لمقاومة الفقر والجوع اللذين تتخذ منهما الكنيسة طريقاً لنشر عقيدتها الفاسدة، إلى جانب تكليف داعية متفرغ يعلم الناس أمور دينهم المتعلقة بالعقائد والعبادات والمعاملات والأخلاق طبقاً لكتاب الله وسنة نبيه الكريم، مع الحرص على دعم هذا العمل الدعوي بالكتيبات والمطويات الموجهة للمتعلمين بين أوساط الشباب والنساء والأطفال.

ويرى كذلك ضرورة الاهتمام بالمسجد باعتباره منطلق العمل الدعوي، وضرب مثلاً على ذلك بالمسجد الذي يؤم الناس فيه رغم بساطة معلوماته الفقهية عن العبادات التي تعلمها من زملائه في العمل، مستشهداً بالأعداد الكبيرة التي تحرص على صلاة الجماعة فيه، وتنطلق منه لتبليغ دعوة الله إلى الأهالي والأصدقاء والجيران، والعمل على إرساء جذورها في نفوسهم، وتثبيتهم على الإيمان.



صور من كتب السميط عن قبائل
الدينكا

فالشجاعة والصدق والأمانة من أبرز الصفات التي تميز بها أفراد هذه القبيلة حتى ليكون من النادر أن تسمع بوجود لص بينهم أو عمل من أعمال السرقة، وكان من أعرافهم السابقة أن أي فتى من فتيانهم يستجيب لإغراء أي فتاة يكون جزاؤه الطرد من القبيلة، لكن الفاحشة اليوم أصبحت منتشرة بينهم بصورة كبيرة.

ونحن لانشك في أن تكون عدوى إباحية الحضارة الغربية سبباً رئيسياً في ذلك، ومع ذلك قلما تسمع بحالة من حالات الشذوذ في علاقاتهم المحرّمة.

والمهم السعي في نشر الإسلام في هذه القبيلة لتحقيق هدفين نبيلين: أولهما إنقاذ حياتها من الكفر والضلال، وتحريرها من الجهل وسوء العادات الضارة، وثانيهما: إيقاف حمامات الدم الناجمة عن الحرب الأهلية حتى تعيش في أمن وسلام واستقرار، لأن إسلامها سيحررها من التبعية العمياء للكنيسة الغربية التي تحرض أتباعها على الانتقام من المسلمين، وتقف وراء الشرور التي تدمر حياة هذه القبيلة، لكن المشروع المناسب لإسلامها لا تقل تكاليفه عن ثلاثمائة ألف دينار كويتي سنوياً.

ولذا فقد كانت هذه القبيلة من القبائل التي استهدفها السميط – رحمه الله – في مشاريعه الدعوية، فنفذ فيها مشاريع إغاثية ودعوية مهمة.

وصية حكيم قرية لقبيلته بالإسلام


إحدى قرى البوران

يقول د. عبد الرحمن السميط- رحمه الله- في مجلة «الكوثر» - العدد ٩١ - مايو ٢٠٠٧م:من المواقف الطريفة التي تقابلنا في رحلاتنا إلى القرى الإفريقية ما شاهدناه في قرية « متامكا » التي تسكنها قبيلة البوران، وتبعد عن العاصمة الكينية بمدة يومين سفراً بالشاحنة في طريق وعر، ذلك أنه توجهت مجموعة من طلبة كلية الشريعة التابعة لنا في قافلة دعوية إلى القرية المذكورة، والتي لم يكن فيها أي مسلم، فطفقوا يشرحون للناس مبادئ الإسلام ، وبعد يومين وقف زعيم القرية وقال للأهالي: (هذه وصية كبيركم فلا تفرطوا فيها).

لم نفهم شيئاً مما يعنيه زعيم القرية بهذه الوصية، إلا أننا رأينا جميع أفراد القرية يستجيبون لكلامه ويثبون وثبة رجل واحد ليعلنوا إسلامهم!

فلما سألنا الزعيم عن معنى: «وصية كبيرهم» قال: «إنه كان فيهم حكيم اسمه أريروبوسارو » عاش بينهم قبل ثلاثمائة سنة، وأنه أخبر أبناء قبيلته بأنه سيأتيهم ناس بيض من الغرب بدعوتهم لعبادة ثلاثة آلهة، وأكل الخنزير وشرب الخمر، والإيمان بالصليب وحمله، فقال لهم: لا توافقوهم، وقد جاؤونا فرفضنا دينهم.

وأنه سيأتي من بعدهم أناس سمر من الشرق يدعون إلى عبادة إله واحد، وإلى صوم شهر في السنة، والصلاة خمساً، واستخدام إناء للطهارة، ومنذ ذلك الوقت ونحن ننتظر أن ندخل في دين

أعراف قبائل النوبة تنتظر الإسلام!

يذكر د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٤٤ - يونيو ٢٠٠٣م: تطلق جبال النوبة في السودان على المنطقة الواقعة في الجنوب الغربي، والتي تبعد عن العاصمة الخرطوم بمسافة زمنية تتراوح بين ١٢ و ١٦ ساعة سفراً بالسيارة، وهي غير منطقة النوبة الواقعة في جنوب مصر.

يقول السميط: في أحد أسفاري إلى تلك المنطقة التي أكن لها حباً كبيراً، قابلت أمير قبائل الدلنج عبد الحميد النور في لقاء استغرق ساعتين، حدثني فيه عن أوضاع الدعوة الإسلامية في مجتمعه، والأعراف المطبقة في الخلافات والمنازعات الفردية.

استهل حديثه بالانتصارات الهائلة التي حققتها الدعوة الإسلامية في وسط قبائله رغم المحاولات التي بذلها الاحتلال البريطاني بشتى الطرق والوسائل لمنع انتشارها بين هذه القبائل التي يدين معظم سكانها بالوثنية، وعبر عن سروره الكبير بإسلام

د. السميط يلقي كلمة في إحدى قرى السودان

الله الإسلام، ولكن لم يزرنا أحد كما زرتمونا وشرحتم لنا مبادئه، وأنه بجلوسكم معنا وشرحكم لمحاسن الإسلام ومبادئه التي أعجبنا بها آمنا، وكنا نراقبكم باهتمام ورأيناكم تستخدمون إناء الطهارة.

ثم ذكر: أن كل رجل في المنطقة يملك إناءً خاصاً يحفظه عنده ويقول: إذا جاء الإسلام استعمله للطهارة، فإذا مات الرجل منا، ورثه عنه أكبر أولاده، لقد رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، وتناشدكم أن تزورونا كثيراً حتى نتفقه في الإسلام وندعو غيرنا إليه».

أغلب أفراد قبيلته، وأدائه فريضة الحج في العام الماضي بتبرع أحد المحسنين الكرام عن طريق جمعية العون المباشر.

وفيما يخص قضايا المنازعات التي كانت ترفع إليه بغرض الفصل فيها بصفته أميراً لقبيلته، يقول: إنه كان يقضي فيها طبقاً للعرف السائد الموروث، واستشهد في بيان ذلك بأنه إذا قتل نوبي شخصاً عربياً عمداً، فعلى القاتل دية قدرها خمس عشرة بقرة، أما إذا قتل عربي نوبياً عمداً، فعليه دية قدرها إحدى وثلاثون بقرة معللين ذلك بأن العربي أقدر على دفع الغرامة، وإذا ما تشاجرت امرأة نوبية مع امرأة عربية، وجرت الثانية الأولى من شعرها، فإن عليها غرامة تقدر بما يعادل جنيهاً ذهباً، وإذا كان المعتدي عليها عربية، فعلى النوبية نصف جنية فقط ذهباً، وقد عللوا هذا الفرق في الغرامة المالية بكون شعر المرأة العربية ينمو بسرعة بعكس شعر النوبية الذي ينمو بصورة بطيئة، وأن الأولى أكثر استطاعة مالياً على أداء الغرامة من الثانية.

والغريب أن القبائل العربية هي التي طالبت بإقرار هذه العقوبات، والملاحظ في هذا العرف السائد في مجتمع هذه القبائل أن فيه تساهلاً إلى أبعد الحدود مع الجناة حتى في أشد الجرائم خطورة كالقتل، فشيخ القبيلة مثلا يستطيع العفو عن القاتل من غير دية إذا كان القتل خطأ، بل وفي القتل العمد يعزر القاتل بالنفي بدون دفع دية كذلك، وذلك من أشد العقوبات النفسية لديهم.

ومن هذا المنطلق، وواقع أحوال هذه القبائل العربية، يحث الأمير عبد الحميد النور على توسيع نطاق الدعوة الإسلامية، ودعمها بكل السبل المادية والمعنوية والعمل على اقترانها بنشر العلم والوعي ومحاربة الفقر بالاستثمارات الملائمة لطبيعة المنطقة، والمساهمة الفعلية في إنمائها على كافة المستويات الاقتصادية والاجتماعية.

مرتكزات الدعوة عند السميط

يعتبر الدكتور عبد الرحمن السميط مدرسة إسلامية دعوية وإنسانية منقطعة النظير، وما قدمه من ثمرات للدعوة الإسلامية وخدمات للعمل الخيري الإسلامي خاصة والإنساني بوجه عام، كل ذلك يحدونا لمعرفة المرتكزات التي قام عليها منهجه الدعوي والخيري، فالرجل كنز فياض بالخبرات والأفكار والمبادئ التي أثبتت نجاحها على الأرض، بشكل لا نعرف له مثيلا في إفريقيا منذ الفتوح الإسلامية الأولى، وعلى الدعاة ومحبي الخير أن يتأملوا في تفاصيل سيرة الرجل النبيل لتكون نبراسا وسراجا يلقي لنا ضوءا على السبل الناجعة في الدعوة والتي حقق الله بها على يده ما تحقق، فما هي تلك المرتكزات التي بنى عليها عبد الرحمن السميط عمله الدعوي فنتج عنه تلك الثمرات اليانعة التي تجعله بحق الفاتح الثاني لإفريقيا؟

الإسلام هو سلاحنا الأول في الدعوة:

لم يكن لعبد الرحمن السميط -رحمه الله- والرفقة الطيبة معه من جمعية العون المباشر ولا لغيرهم من الدعاة المخلصين أن يحققوا ما تحقق من إسلام الملايين من الأفارقة أو إنشاء المدارس والجامعات، أو حفر الآبار ورعاية الأيتام وعلاج المرضى، وإغاثة الملهوفين، وغيره من مشاريع الخير إلا لأمر عظيم يتسق مع الفطرة السليمة، بلا تعقيدات أو تنظيرات فلسفية وعلمية، ذلك الأمر البسيط هو الإسلام نفسه.

الإسلام دين الفطرة

يقول د. عبد الرحمن السميط-رحمه الله- في مجلة «الكوثر» - العدد أكتوبر - أغسطس ٢٠٠٦م: في كل رحلة لي إلى أي من دول القارة الإفريقية تترسخ قناعتي بأن الإسلام ليس الأقرب إلى نفوس شعوبها وحسب، لكنه دينها الفطري حتى لو كانوا يدينون بالمسيحية.

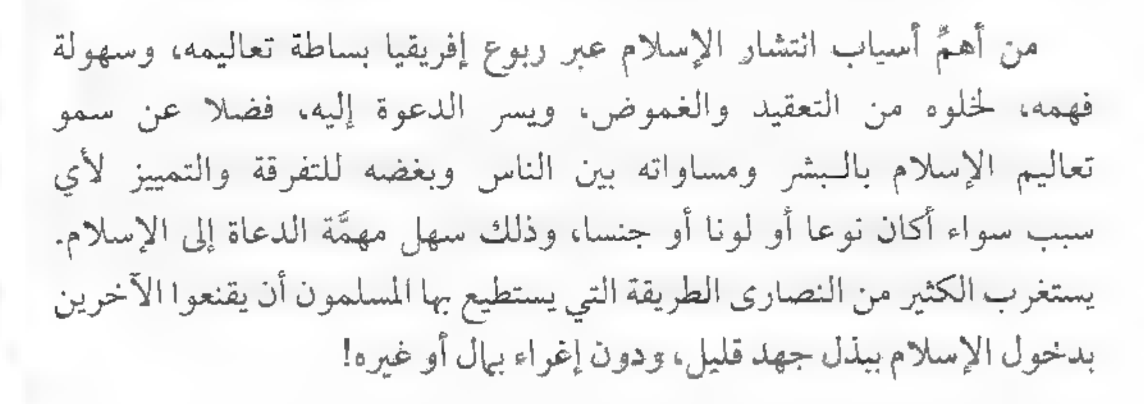


فالإفريقي مهما كان نصرانيا يظل قريباً من الإسلام بروحه وعقله معاً، فهذا أنطوان رئيس برلمان جمهورية بنين الذي كان وزيراً لخارجيتها، أحد الشواهد على هذه الحقيقة، فهو نصراني لساناً ومظهراً تربى في أحضان الكنيسة الكاثوليكية منذ صغره حتى تخرجه من الجامعة، ولكنه كان يحب الإسلام ومن مظاهر هذا الحب أنه بعث زوجته المسلمة إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج، بل دأب على إرسال بعض المسلمين لأداء هذه الفريضة على نفقته الخاصة طمعاً بالدعاء له بمكة المكرمة.

ومن عاداته أن يشتري لأولاده الثياب الخليجية البيضاء، ويوصلهم بسيارته إلى المسجد لأداء الصلاة، وأن يلبس نفس اللباس يوم الجمعة ويستمع لخطبة الجمعة التي تلقى باللغة العربية، مع أنه لا يفهمها. ومنها كذلك أن يأخذ زوجته وأولاده إلى مدرسة القرآن الكريم ليتعلموا فيها القرآن الكريم ومبادئ الإسلام، وقد اختار لنفسه اسم عبدالعزيز ليتسمى به إذا يسر الله له سبيل الهداية واعتنق الإسلام، وبذلك لم يبق له في الواقع من ديانته الأصلية سوى اسمها فحسب.



ما السر في إسلامهم ببساطة؟!



من أهمِّ أسباب انتشار الإسلام عبر ربوع إفريقيا بساطة تعاليمه، وسهولة فهمه، لخلوه من التعقيد والغموض، ويسر الدعوة إليه، فضلا عن سمو تعاليم الإسلام بالبشر ومساواته بين الناس وبغضه للتفرقة والتمييز لأي سبب سواء أكان نوعا أو لونا أو جنسا، وذلك سهل مهمَّة الدعاة إلى الإسلام. يستغرب الكثير من النصارى الطريقة التي يستطيع بها المسلمون أن يقنعوا الآخرين بدخول الإسلام ببذل جهد قليل، ودون إغراء بمال أو غيره!

يقول عبد الرحمن السميط: أذكر أنه حدث مرة أن توجهت إحدى قوافلنا الدعوية تحمل اسم: عثمان بن عفان إلى قرية (مماسي) التي تقع في غرب جمهورية بنين، وألقى دعاتها في الأهالي كلمات توجيهية ودروساً دينية شرحوا فيها أركان الإسلام وبعض أخلاقه وآدابه وسننه، فآمن منهم مائة وخمسون شخصاً اقتناعاً بالدين الحق.

فلما سمع قسيس القرية هذا الخبر بكى بكاءً شديداً وقال: لقد تركت أهلي وقريتي منذ ثلاثين عاماً، وأقمت في هذه القرية لأنشر فيها النصرانية، واستعنت في أداء رسالتي بالكثير من المساعدات، فما آمن بالنصرانية خلال هذه السنوات كلها مثل هذا العدد الذي اعتنق الإسلام في يوم واحد فقط!.

وقد ازداد هذا القسيس حزناً عندما هدده زعيم القرية الوثني بطرده منها إذا هو حاول الإساءة إلى الإسلام أو المسلمين فيها.



عدد من الأفارقة يعلنون إسلامهم عند السميط

السماحة والحكمة

من أرقى أخلاق الدعاة إلى الله اللين والرفق بالمدعو، فإنك إن أغلظت على من تدعو لعله ينفر فلا يعود، فيكون ذلك سببا في عناده أو شروده عن طريق الحق، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وأمر سبحانه بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة تأليفا للقلوب قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥] وقال عز وجل لموسى وهارون: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾[طه: ٤٣-٤٤] فإن كان مثل فرعون في الكفر والطغيان يقال له قول لين، فما بالنا بالضعاف المساكين من إخواننا في إفريقيا، وقال - صلى الله عليه وسلم - أيضًا: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف».



يقول الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- في مجلة «الكوثر» - العدد ٧٠ - أغسطس ٢٠٠٥م:

ماذا يضر إخواننا الدعاة لو أنهم استخدموا السماحة والحكمة؟ فوالله ما خسرنا منذ أن سلكنا طريق الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، بدلاً من استخدام أساليب التشدد ومواجهة الباحثين عن الحق بالفتاوى التي لا تراعى فيها أحوال من توجه إليهم.

كم من مرة رأينا فيها رجالاً ونساءً أفارقة مسلمين تعدوا الستين من أعمارهم، ولم يعرفوا أن الزنى حرام، فلم نخاطبهم بقسوة في البداية، أو حتى نعاتبهم، بل شرحنا لهم حكمه في الإسلام بالتي هي أحسن حتى تحولوا إلى سفراء لهذا الدين وبدأوا يدعون له.

فلاريب إذاً في أن بعض الدعاة بمواعظهم الاستفزازية يكونون أقرب إلى «جماعة الأمر بالمنكر» بالنسبة لعامة المسلمين بطريقتهم الفظة في دعوة الآخرين، منهم إلى جماعة تأمر بالمعروف!.

وجاء عن د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في «رسالة إلى ولدي» ص ٥٣: أنه قال: لازلت أذكر أن بعضهم أسهم في توزيع الإغاثة على الجائعين في شمال كردفان بالسودان عام (١٩٨٤م)، وكانوا يقطعون التمائم والتعاويذ بشدة وفظاظة دون أن يشرحوا للناس الحكم الشرعي فيها وما ورد من أحاديث نبوية ، وأذكر أن أكثر من شخص قد تركت محاولة قطع خيط التمائم أثراً في جسده آنذاك.

وعندما زرت المنطقة بعد عشرين سنة، وجدت أهاليها أكثر حرصاً مع الأسف على تعليق التمائم، مما يدل على أن هذه الطرق غير الحكيمة في دعوة الناس إلى طريق الخير لا تؤدي عادة إلى خير!

النصيحة على الملأ فضيحة

يقول السميط: دعاني أحد الإخوة إلى غداء بمناسبة زيارة لي بشمال كينيا، وطلبت كأساً من الماء ونحن على مائدة الطعام، ولما قدمها لي مددت يدي الاثنين لاستلامها، لأن يدي اليمنى كانت مبللة بالدسم والطعام، فأمسكت الكأس بيدي اليسرى؛ فقام أحد الدعاة ينتهرني أمام الجميع بطريقة غير لائقة، وظل لعدة دقائق ينتقص مني ، ولا أنكر أن ذلك ترك أثراً كبيراً في نفسي، بل في نفوس الجميع، ورغم أن هذا الشيخ قد توفي – رحمه الله – ، ونسيت حتى صورته، إلا أنني لا أستطيع نسيان حديثه العنيف، وطريقته الغليظة في النصيحة.

صلاة الجمعة يوم الأحد ! !

يقول السميط: أسلم أحد الزعماء في قبيلة الإيفي كبرى القبائل في جنوب جمهورية توغو، في قرية ليليكوي التابعة لإقليم الساحل عام (١٩٩٩م)، ثم أسلمت بعده أعداد كبيرة من النصارى والوثنيين.

بدأوا يصلون الجمعة منذ عام (٢٠٠٢م) مع أن معلوماتهم عن الدين محدودة جداً، فلاحظوا أن الحضور لصلاة الجمعة قليل بسبب انشغال الناس في مزارعهم وأعمالهم؛ فيوم الجمعة ليس عطلة أسبوعية، فاجتمعوا لمناقشة هذا الموضوع، فاتفقوا على ترحيل صلاة الجمعة إلى يوم الأحد باعتباره يوم عطلة ليتمكن عدد كبير من

حضورها، فأرسلنا داعيتنا محمد أول الذي يبدو عليه أنه لم يحسن توجيههم فأخبرهم من أول وهلة أنه لا يجوز فعل ذلك ولا تصح صلاتهم فضربوه وطردوه من القرية، وطلبوا منه عدم العودة إليها مرة ثانية وعدم التفوه بمثل هذا الكلام!

وهنا توجهت مجموعة كبيرة من الدعاة، منهم كبار السن، لأن من تقاليد هذه القبيلة احترام كبار السن، فشكروهم على حرصهم على صلاة الجمعة، وشرحوا لهم بالحكمة عدم جواز صلاتها إلا في يوم الجمعة، والحمد لله أنهم اقتنعوا بذلك، وكلفنا أحد دعاتنا بأن يزورهم كل أسبوع مرتين.

إن منكم لمنفرين

من أكبر المعاصي الخفية التي قد لا يلتفت إليها بعض الدعاة تنفير الناس عن الخير بسوء معاملتهم أو غلظتهم ادعائهم للورع والتقوى دون مراعاة لأحوال الناس وضعفهم. ورد في «الصحيحين » أن رجلا جاء إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم -، فقال: والله يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في موعظة أشد غضبا منه يومئذ، ثم قال: « إن منكم منفرين، فأيكم صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة »

يقول الدكتور عبدالرحمن السميط:

لقد رأيت عشرات القرى التي أسلم أفرادها ولكنهم ارتدوا على أعقابهم نفوراً من أساليب



أمثال هؤلاء الدعاة المنفرة، ويا ليت هؤلاء «الفوضويين» من أشباه الدعاة يفقهون بقلوبهم وألسنتهم مغزى قوله تعالى: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن» ويتمثلون قول المصطفى - صلى الله عليه وسلم -: « ما كان الرفق في شيء إلا زانه ».

إن كون هذا العمل خيرياً لا يعني على الإطلاق أن نطلق لمشاعرنا العنان ونعفي أنفسنا من العمل ضمن خطط مرسومة واستراتيجيات واضحة، إضافةً إلى معرفة فقه الواقع ومخاطبة الناس حسب مستواهم ومدى قدراتهم واستعدادهم لاستيعاب ما يوجه إليهم من دعوة، إذ كيف نسمح لأنفسنا على سبيل التمثيل بترجمة فتوى حول وجوب تغطية وجه المرأة، ونطبعها ثم نوزعها في مجتمعات إفريقية أغلب نساء أريافها لا يسترن حتى عوراتهن المغلظة دون أن نراعي أسلوب التدرج والحكمة في إصلاح أحوال هؤلاء الناس؟ فلو أن كل داعية تذكر وشعر بعظمة الجرم الذي يقع فيه بتنفيره أحدا عن الإسلام لتريث في كل لفظة، ولتأمل في كل سكنة أو حركة يأتيها خلال عمله الدعوي، ولعلم أن من أهم سمات الداعية الصبر والتناصح والرحمة بالناس عامة وبالمسلمين خاصة، وبالأخص منهم حديثو العهد بالإسلام، هدانا الله وإياكم إلى صراطه القويم ورزقنا الحكمة في القول والعمل ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا.

في كل كبد رطبة أجر

تتجلى عظمة الإسلام في نظرته إلى البشرية جميعا أنهم خلق الله سبحانه الرؤوف الذي اتسعت رحمته بهم حتى فاقت رحمة الأم بولدها، وجعل رسوله رحمة للخلق جميعا. فقال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾[الأنبياء: ١٠٧] وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران ١٥٩] فدعانا الإسلام إلى بر الوالدين وإن كانا كافرين وإكرام الجار ولو كان غير مسلم، بل ودعانا إلى حسن معاملة غير المسلمين المعاهدين والمسالمين لنا فقال تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾ [الممتحنة: ٨]، وحذر النبي – صلى الله عليه وسلم – من أذى المعاهد قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَداً لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَاماً» رواه البخاري.



عملنا خيري دعوي

يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٦٣ - يناير ٢٠٠٥م من الأمور الهامة التي ينبغي أن نطلع عليها القارئ الكريم أن العمل الذي تقوم به جمعية العون المباشر في المجتمعات الإفريقية المختلفة لا يقتصر على الأعمال الخيرية وهداية الناس إلى طريق الله المستقيم، بل يتجاوزه أحياناً إلى ما يمكن أن نصفه بالعمل الإصلاحي الذي نسعى من خلاله إلى تحقيق الوئام بين القبائل المتنافرة، والعمل على إزالة أسباب الفرقة بينها عن طريق الكلمة الطيبة، والدعوة إلى الله، ومساعدة المحتاجين على قدر ما تسمح به إمكاناتنا المادية عبر المشاريع الخيرية المتكاملة من صحة وتعليم ورعاية اجتماعية وغيرها.

ونحن نؤمن بأن هذه الفلسفة العملية الهادفة هي الكفيلة بالحد من العوامل المؤدية إلى خلق البيئة الاجتماعية التي تنتعش فيها مظاهر الفساد الخلقي والصراعات العرقية المؤدية بدورها إلى المزيد من الجوع والمرض والخوف، ولاريب إذن في أن رعاية الأيتام وإنشاء المدارس ومراكز التأهيل المهني وإقامة المستوصفات وحفر الآبار لسقي الحرث والنسل والمساهمة في المشروعات التجارية المتواضعة لهي التطبيق العملي لتلك الفلسفة، ولسنا بصدد الإحصاءات والأرقام الدالة دلالة قوية على نجاحها في تلك المجتمعات.



غير أن تنفيذ البرامج المتعلقة بمشاريعنا المختلفة يحيط به العديد من الصعوبات المادية والمعنوية التي تؤثر في سيرها، وتفرض علينا التحلي بطاقة كبيرة من الصبر والتضحية ونكران الذات، ولولا إيمان العاملين في هذا الحقل بأن عملهم هذا إنما هو ضرب من الجهاد في سبيل الله، لما استطاع أي منهم تحمل مشاقه وأهواله.

لا إكراه في الدين

يقول د. عبد الرحمن السميط -رحمه الله- في «حقيبة مسافر» ص ٧٨: من عادة جمعية العون المباشر عندما تقيم مشروعاً من مشاريعها الخيرية في أي منطقة إفريقية تحرص أن لا تحرم غير المسلمين من الاستفادة من خدماتها الإنسانية الموجهة أساساً إلى المسلمين تأكيداً للتسامح الديني الذي يدعو إليه ديننا الحنيف، ولتأليف القلوب إليه، وهو الخلق الرفيع الذي يعزز مكانة الإسلام في النفوس ويظهره على سائر الملل والنحل.



يورد د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ٢٢ – يوليو ٢٠٠١م: مثالا على ذلك بقوله: التحقت الطالبة النصرانية (إرلين) البالغة من العمر تسع عشرة سنة بمركزنا في شمال توغو لتتدرب على مهنة الخياطة، والذي يجري العمل به فيها طبقاً لنظام الدراسة أن يخيّر الطلبة غير المسلمين بين حضور الدروس الدينية أو التغيب عنها.

وقد نشأت (إرلين) في أسرة نصرانية متمسكة بعقيدتها، ومحافظة على صلاة الكنيسة، ولما كانت لا تعرف شيئاً عن الإسلام، فقد اعتذرت في البداية عن حضور الدروس الدينية التي تعرف الدارسين بالإسلام عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاقاً.

ولما رأت هذه الطالبة أن غيابها عن دروس التربية الإسلامية لم يكن ليؤثر على المعاملة الحسنة التي تعامل بها من قبل المعلمات والمشرفين القائمة على احترام عقيدتها، وأنها لاتزال تحظى بنفس الاهتمام والرعاية كسائر الطالبات المسلمات، بدأت تحضر دروس التربية الإسلامية لتتعرف على هذا الدين الذي يظهر هذا القدر العظيم من التسامح الديني الصحيح، ويحترم عقائد الآخرين بهذه الصورة الفريدة، ولا يجبرهم على اعتناقه أو يغريهم بالمال أو الجاه أو السلطان.

وماهي إلا أيام حتى عرفت إرلين اليقين، وميزت بين الحق والباطل، وهرعت في يوم من الأيام إلى إمام المسجد فأعلنت إسلامها جهرة بين يديه، وأقبلت على مدير المركز تطلب منه عدداً من الكتيبات والأشرطة المترجمة إلى اللغة المحلية (لغة الكابي) أو اللغة الفرنسية لتنهل من معين هذا الدين الذي لا ينضب، ولتصبح مثالاً رائعاً لمسلمة جديدة ظاهراً وباطناً.

خاطبوا الناس على قدر عقولهم



تميز السميط -رحمه الله- بعمق النظر في استقراء الواقع الإفريقي، ومعرفة أمراضه ومشكلاته الدينية والإنسانية، ومن أهم الوصايا التي يؤكد عليها الداعية الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- للدعاة في هذه المناطق التي ابتليت بالجهل وبعد العهد عن الإسلام أن يخاطبوا الناس بما يتناسب مع عقولهم وعاداتهم وفهمهم للإسلام، ولقد سبق لنا بيان بعض ما القوم عليه من عدم معرفة بالإسلام والإغراق في الخرافات والأغاليط عن الإسلام، فعلى الداعية أن يتحلى بالرفق ولا يشدد عليهم في ذلك.

يقول الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله-:

ومن الطريف أنه في مثل هذه المناطق علينا أن نخاطب الناس حسب عقولهم ولا نخاطبهم بما نفهم نحن في دول الخليج أو الدول العربية الأخرى فهؤلاء لهم أولويات تختلف عن أولوياتنا، وفهمهم يختلف عن فهمنا، ومستواهم يختلف عن مستوانا فيجب أن يكون الخطاب بمستواهم هم وليس بمستوى أهل الكويت

أو السعودية أو الإمارات، ومن الخطأ أن نأخذ كل ما يطبع في بلادنا ونترجمه ونبثه لهم أو نوزعه عليهم وإنما يجب أن نأخذ بأولوياتهم، وأضرب لكم مثالا:

في أسئلة الفتاوى تأتينا رسائل من ضمنها سؤال لأحد الأشخاص يقول: هل يجوز لنا أن نأكل لحم القرود (لأن المجتمع الذي حولهم تعودوا أكل القرود)، ولأن المسلم والمسيحي والوثني لا يرون فرقا في حياتهم بينهم وبين بعضهم البعض ، ربما فقط يعلم كثير من المسلمين أو بعضهم أن الزنا حرام ، ويعرفون أن الخمر حرام وهذا للعلم ليس كل المسلمين، ومن ذلك أن بعض أئمة المساجد في هذه الدولة لم يكونوا يعرفون الفاتحة، ولما عاتبتهم قالوا: نحن أفضل حالا من غيرنا الذين لا يعرفون حتى الركوع والسجود، حتى إننا لم نجد واحدا منهم يعرف صلاة الفجر كم ركعة؟ بعضهم يقولون لي ثلاث عشرة ركعة، وبعضهم يقولون ركعة واحدة، وآخرون يقولون ست ركعات، وهكذا ولم أجد واحدا يقول أنها ركعتان.

ومن الأسئلة التي وردتنا يقول: الولد الكبير في قبيلتنا –وذلك أيضاً في قبائل إفريقية كثيرة– يرث كل شيء من أبيه والإخوة والأخوات الآخرين لا يرثون شيئاً وهذا فيه مخالفة شرعية ولكن الأغرب أنه يرث كل زوجات أبيه فإذا أنجبن منه لا يصبحون أولاده بل يصبحون إخوانه يقول السائل هذا هو عرف القبيلة وهذا هو عرف القبائل الموجودة في إفريقيا وهذا السائل لا يرى بأسا في أن يزني بزوجات أبيه لأنه يراه شيئاً عادياً يفعله الجميع ولكن سؤاله كان لنا: هل أكل تلك الزوجات حلال لنا أم لا؟! !

لذلك أنا أكرر مرة أخرى يا إخواني أننا يجب أن نخاطبهم الخطاب المناسب لهم، ولا يجب أن نخاطبهم كما نخاطب الناس في بلادنا العربية، فلهم أولويات خاصة بهم، ومشاكل خاصة بهم يجب أن نهتم بها.

وهنا سؤال ثالث أذكره: هل يجوز أن نعطي الخمر على عمل غير المسلمين؟ فهنا يوجد المسلمون وغير المسلمين عندهم هذه العادة، فيقول هل حلال هذا علماً بأنهم غير مسلمين وأنا مسلم.

فلسفة دعوتنا

يقول د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ٧٦ – فبراير ٢٠٠٦م: الدعوة الإسلامية ليست مجرد خطب نرفع فيها نبرة أصواتنا، إنها انعكاس للإسلام: عقيدة وشريعة وأسلوب حياة، إن ٩٠٪ ممن أسلموا عن طريقنا، أسلموا بسبب المعاملة الحسنة، وحسن خلق المسلمين، حيث تأثروا بنظافتهم ومراعاتهم لمشاعر الآخرين وبحسن التعامل فيما بينهم، وابتعادهم عن الخمر والزنا وألوان الحرام الأخرى، ليس هذا فحسب بل هناك أمر آخر يتمثل في إحساسنا بالمسؤولية التي توجب علينا أن نحسن استعمال ما بأيدينا من إمكانات بشرية ومالية للحصول على أفضل النتائج في خدمة شهادة التوحيد.

الإنسان الإفريقي قريب من الفطرة، وبقليل من الحكمة تستطيع أن تقنعه بالإسلام بمجرد أن تشرح له التوحيد بالطريقة المبسطة التي يستطيع أن يستوعبها وليس بطريقة تدريسه في كليات الشريعة.

وعلى سبيل المثال عندما نبني مشروعاً، مسجداً كان أم مدرسة أو غير ذلك، يشارك في بنائه بعض العمال من غير المسلمين ، ويندر أن ينتهي المشروع من دون أن يسلم غالبية هؤلاء، متأثرين باحتكاكهم بالعمال المسلمين ،وأذكر أنني زرت مركزاً إسلامياً كنا نقوم ببنائه في منطقة « هولا » يشتمل على مسجد ومدرسة ودار للأيتام وأخرى لتدريب النساء.



المساجد يشترك ببنائها العمال المسلمون وغيرهم

كن واحدا منهم

من أكثر أسباب نجاح الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- في دعوته وتوفيق الله له في عمله النبيل ودخول الناس بالملايين بفضل الله ومنته أنه كان واحدا من هؤلاء الأفارقة، فقد ترك السميط حياة الراحة والدعة والحياة الرغيدة وأقام في إفريقيا مع زوجته أم صهيب، ينام كما ينامون ويأكل كما يأكلون ويعيش كما يعيشون، لم يتكبر عليهم ولم يتأفف من فقرهم وحاجتهم، بل إن من معه من دعاة جمعية العون المباشر كانوا يعملون على إزالة الخلافات والاحتقان بين القبائل المتنازعة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

قيمة إصلاح ذات البين أدخلتها الإسلام

يقول السميط : زار أحد دعاتنا قرية كومبيلغا وحدث زعيم القرية الوثني الذي رفض أن يسلم لكنه سمح له بالدعوة أمام منزله، وجمع الناس له، أسلم بسبب هذه الزيارة واحد وثلاثون شخصاً - بفضل الله - ، أحدهم كان زائراً جاء من ساحل العاج فيسر الله له الخير بالتعرف على الإسلام.

ومن الطريف أن شخصاً نصرانيا يعمل مساعداً للمحافظ وعلى أثر خلاف بينه وبين زوجته، تطور الخلاف فحاول قتلها بالمسدس، صرخ أولادها، فهربت ولجأت إلى بيوت بعض المسلمين الذين أحسنوا معاملتها وتأثرت بما رأت من تعامل داخل العائلة المسلمة فكان ذلك سبباً في إسلامها إذ إنها لم تسمع عن مسلم يعامل زوجته معاملة عنيفة في قريتهم، وقد بدأ المسلمون يحاولون هداية زوجها حتى تعود إليه.

والصلح خير

يقول د. السميط: لقد انعكست آثار الأوضاع غير المستقرة في كثير من البلدان الإفريقية والاضطرابات على سير الدعوة الإسلامية، وولدت في نفوس أبناء قبيلة «غيرزي» النفور من الإسلام والمسلمين بسبب العداوة المتبادلة بينها وبين قبيلة «المالينكي»، وعندما أنشأنا مركزنا في مدينة «انزيريكوري» كان من أوجب واجباتنا أن نعمل على تصحيح صورة الإسلام في أذهان أفراد قبيلة « غيرزي»، وأن نقنعهم بأن هذا الدين جاء للناس كافة لا تفاضل فيه بينهم إلا على أساس التقوى والعمل الصالح، ولا يعترف إطلاقاً بفوارق الدم أو اللون أو الجنس أو اللغات أو الأوطان أو غيرها من المقاييس العرقية البشرية، وأن ما يجري بينهم وبين إخوانهم من عداوة ومناوشات عصبية إنما سببه عدم الإيمان بالعقيدة الصحيحة أو سوء فهمها، أو التشدد في أسلوب تبليغها.

وقد أدت هذه السياسة التي انتهجتها جمعية العون المباشر في علاج هذه الأوضاع إلى اعتناق الكثير من الوثنيين الإسلام بعدما اتضحت معالم صورته في أذهانهم، وفصلوا بينه وبين سلوك منافسيهم المالينكيين.

> وقد أشادت السلطات المحلية بالأسلوب الحضاري، كما وصفه بعض الشخصيات الذي تبنته في الدعوة الإسلامية حتى أصبحت مضرب مثل في الأوساط الرسمية والشعبية، وأصبح دعاتها نماذج رائعة في تمثيل صورة الإسلام بما تحلو به من مكارم الأخلاق وحسن المعاملة، ولين وحكمة في الدعوة إلى الله.



الدكتور السميط ورقصة الأسد ! !

ومن الطرائف ما رواه الدكتور عبدالرحمن السميط - رحمه الله - في كتاب الداعية الصغير: «كرغي قرية منعزلة وسط الصحراء، تسكنها قبيلة الرنديلي، كان المسلمون فيها أقل من أصابع اليد الواحدة زرتها سابقا عدة مرات، وعندما دعوتهم في المرة الأولى قبل ٣ سنوات لم يستجب لي أحد، وفي المرة الثانية قال لي زعيم القرية: إنك تحدثنا عن تاريخنا، تاريخ قبيلتنا، فهل من المعقول أنك جئت من أرض مكة كما تقول حتى تحدثنا هذا الحديث؟!



(من كتاب الداعية الصغير)

هات ما عندك وقل لنا ماذا تريد بالضبط؟

شرحت لهم مبادئ الإسلام عقيدة وشريعة بدون الدخول بالتفاصيل، رد علي الرجل إنهم يحتاجون إلى مدة للتفكير، ويمكن أن يعطينا الجواب بعد شهر!

ودعا شباب القبيلة من مرتبة المقاتلين لتحيتنا برقصة صيد الأسد التي يرقصونها قبل الخروج لصيد الأسود، وبدأ الشباب يهزجون ويرقصون رقصة تبين مدى قوة كل واحد منهم، وفجأة طلب مني شيخ القرية أن أرقص معهم، بينت لهم أني أمشي على عكاز رآني أمشي بصعوبة، لكنهم لم يفهموا ذلك وأصروا على أن أرقص رقصة صيد الأسد معهم، وكانوا يقفزون إلى الأعلى لأكثر من متر بينما كنت أتحرك بصعوبة بينهم، وكدت أسقط من الجهد.

رحم الله الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- كم عانى في سبيل إبلاغ دعوة الإسلام ما لا يستطيع أن يتحمله الشباب في عمر أحفاده، وقد أيد الله عمله بالتوفيق والسداد من ناحية وبالحفظ والرعاية من جانب آخر، فليعتبر دعاتنا الشباب بما قدمه هذا الشيخ المسن في شبابه وهرمه، في قوته وضعفه، في صحته ومرضه في سبيل تلك الغاية السامية التي لا تعدلها أي غاية.

ثمرة عظيمة والتكلفة بسيطة

قال – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ٤٢ – إبريل ٢٠٠٣م: زرت بلداً إفريقياً كان مقبلاً على انتخابات محلية، والانتخابات في الدول الإفريقية تعني العنف والدماء وربما القتل ، ولذا تنتشر قوات الأمن عادة في مثل هذه الظروف في كل مكان، وتكثر نقاط التفتيش عند تقاطعات الطرق والشوارع.

ولكن ما لفت نظري ليس الحماس الزائد للانتخابات، بل جنود وضباط نقاط التفتيش الذين كانوا بمجرد أن يشاهدونا بملابسنا البيضاء حتى يحيونا، لدرجة أن منهم من كان يؤدي لنا التحية العسكرية، ويهمسون في أذن مرافقنا يطلبون منه « كتابو»، ويقصدون كتاباً عن الإسلام، وقد تكرر هذا الأمر معنا مرات عدة، وكان من نتيجته أننا أثناء عودتنا ثانية عبر إحدى نقاط التفتيش وجدنا أن جنودها الذين أعطيناهم كتيبات تعلم مبادئ الإسلام باللغة المحلية أسلموا جميعاً من تلقاء أنفسهم بعد قراءة الكتيب، فقلت في نفسي: إن إسلام ثلاثة أو أربعة من رجال نقطة التفتيش كان بسبب كتيب لا يزيد سعره عن (٨٠) فلساً كويتياً أو ريال سعودي واحد.



وتساءلت: لماذا هذا التلهف على معرفة حقيقة الإسلام؟ لكنني اكتشفت أن أسباب ذلك تعود إلى التعطش الروحي، وحب البحث عن الحقيقة، وعدم الاقتناع بديانتهم السابقة، وهذا ليس شأن رجال الأمن في نقاط التفتيش وحدهم، بل حال غالبية الناس من مسيحيين أو مسلمين جهلة أو وثنيين، فكلهم أو أغلبهم يبحث عن كلمة التوحيد ودين الحق، ولكنهم يحتاجون للحكمة في الدعوة.

إن تكلفة هداية مجموعة من الناس إلى دين الإسلام قد لا تزيد عن (٨٠) فلساً، وإنشاء إذاعة إسلامية في بلد إفريقي قد يكون سبباً في هداية المئات وربما الآلاف من الناس كل عام، ولكننا نحن المسلمين غافلون عن وسائل الإعلام الجماهيرية.

البعد عن الصراعات

اشتهر السميط -رحمه الله- بالبعد عن النزاع والصراع فلم يعلم عنه أنه اصطدم بأحد، أو دخل في خصومة مع أحد، وذلك لأدبه الجم وخلقه الرفيع وورعه، وقد كانت تلك الصفات جزءا من شخصية الداعية عبد الرحمن السميط، وقد أوصى من معه من الدعاة ألا يصطدموا بأحد في طريق دعوتهم لا مع الأفارقة المخالفين لهم في الدين بل وكذلك مع المبشرين والمنصرين، وكان -رحمه الله- يستفرغ جهده وطاقته كلها في العمل الصالح دون التفات لما يصنعه الآخرون، وكان من وصاياه ألا ننقل إلى إخواننا الأفارقة مشاكلنا وهمومنا في العالم العربي، فإن لهم مشاكلهم التي ينشغلون بها، وعلينا أن نعمل على مساعدتهم في تجاوزها لا أن نصدّر لهم قضايانا التي لا ينبغي أن نزيدهم بها هموما على همومهم.

السميط وصراع التيارات

سئل السميط -رحمه الله:

- هناك من يصدّر الخلافات بين المذاهب أو التيارات إلى المسلمين في إفريقيا فكيف تتعاملون مع هذه الصراعات؟

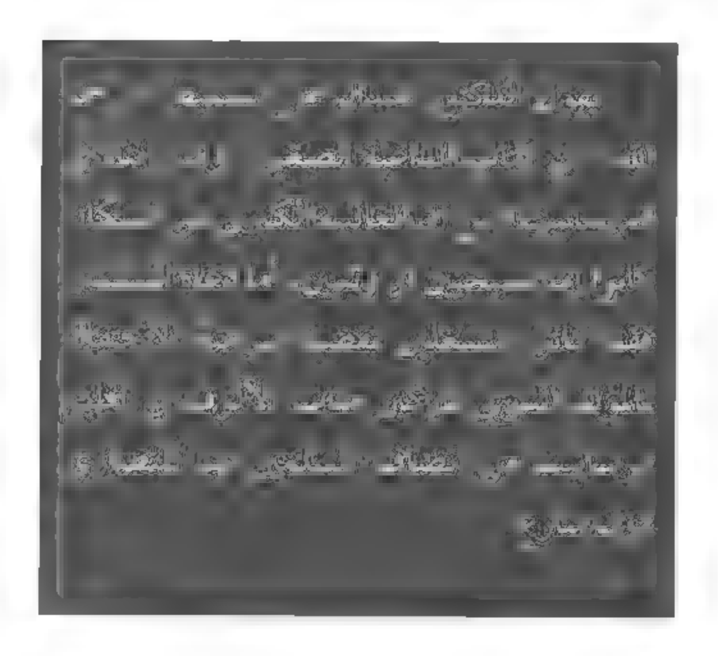
فقال: لو سمحت لنفسي بالدخول في الخلافات التي بيننا نحن العرب أو غير العرب، أكون قد حكمت على نفسي وحوصرت في ميدان صغير جدا، وسأبقى طول عمري في خلافات داخل منطقة لا تعرف الخلافات.

ففي شمال مدغشقر يجهل المسلمون أمور دينهم تماما، فمنذ عدة سنوات كان المسلم في مدغشقر يصلي الجمعة في المسجد والأحد في الكنيسة ويوم الاثنين يعبد شجرة، فسألت بعض المثقفين المسلمين هناك عن سر ذلك فقال لي: لا ندري ما هو الحق، ولذلك نعبد الثلاثة حتى لا نخسر شيئا. ويأتي بعض الشباب العربي إلى مدغشقر فلا يرى هذه المصيبة، وإنما يرى قضية احتفال بعض المسلمين هناك بالمولد النبوي فيثيرها ويسبب فتنة، ويتقاتل الناس وتسيل الدماء، وتدخل الشرطة التي احتلت المساجد وأغلقتها.



شجرة يعبدها الوثنيون

الخلاف شر كله



ولكن منذ عام (١٩٩٢م) عندما بدأت الدعوة الإسلامية الراشدة بأسلوبها الذي استمدته من القرآن الكريم والسنة النبوية حققت الدعوة الإسلامية نجاحات باهرة.

بنيت عشرات المساجد الجديدة والكثير منها لم يعد يتسع للمصلين، ودخل مئات الألوف من هؤلاء إلى عقيدة الإسلام أفواجا، وتشكو معظم الكنائس من قلة مرتاديها، كل هذا حدث خلال عشرين سنة من الدعوة الإسلامية الجادة والحكيمة.

إن الإسلام الذي ندعو إليه هو نفس الإسلام الذي يدعو له إخواننا الآخرون، والفرق أننا رفعنا شعار ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، ورتبنا أولوياتنا ولم نبعثر جهودنا في أمور نعتقد أنها ليست من صلب الإسلام.

كان همنا نشر شهادة أن لا اله إلا الله وشهادة أن محمدا رسول الله، وفي سبيل ذلك سنصبر كما صبر رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم - في مكة وهو يرى الأصنام تملأ الفناء المحيط بالكعبة، بل كان يصلي بينها ثلاثة عشر عاما، وسنصبر كما صبر أولو العزم من الرسل- عليهم الصلاة والسلام -.

المتابعة وتفقد أحوال المهتدين



إن من أكثر المشكلات التي تواجه الدعوة الإسلامية في إفريقيا صعوبة متابعة المسلمين الجدد، وذلك يحتاج إلى تفرغ الكثير من الدعاة وأن يكون مع هؤلاء من يتفقد أحوالهم ويعمل على تثبيت عقائدهم وتعليمهم أساسيات العبادة والشريعة.

اليوم كفر وغداً إيمان

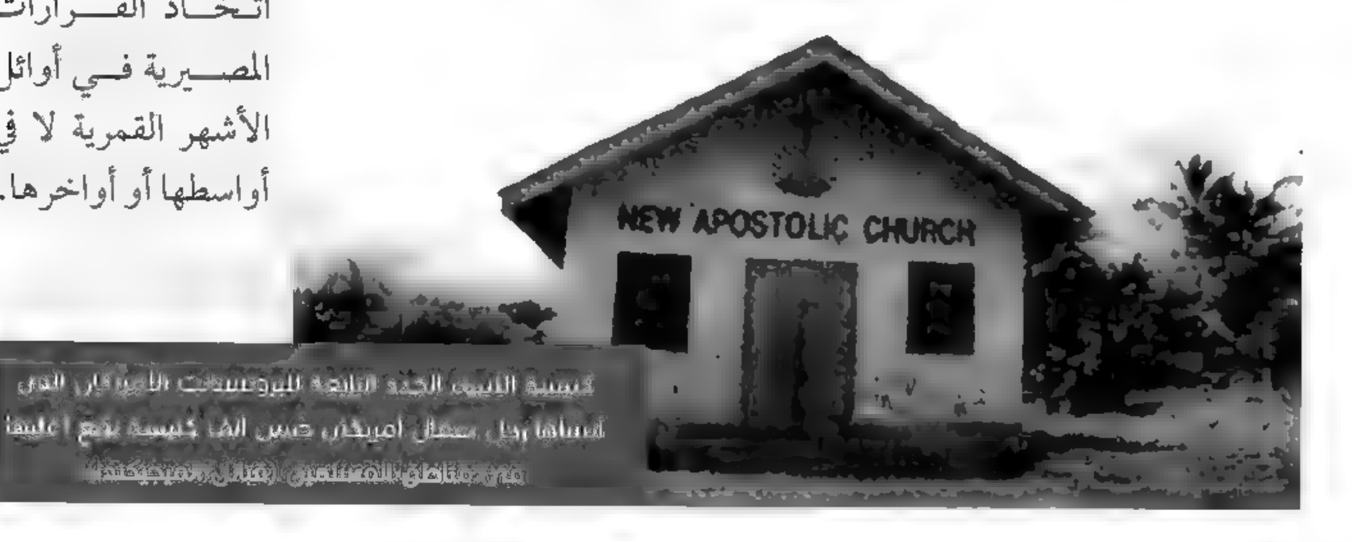
يقول د. السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٦٨ - يونيو ٢٠٠٥م: الحقيقة التي استخلصناها من تجربتنا في حقل الدعوة إلى الله تعالى أن المعضلة الكبرى التي نواجهها لا تكمن في محاولة إقناع غير المسلمين بالإسلام، بل في متابعة المهتدين منهم حتى يشتد عودهم الإيماني، ويثبتوا على عقيدتهم ثباتاً قوياً.

ذلك أن نسيانهم أو إهمالهم بعد وضعهم على طريق الإسلام قد يجعلهم فريسة لذئاب التنصير. فيضلون ثانية بعد إيمان.

جاء في مجلة البيان في حوار مع د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في العدد ٨٠ - ربيع الآخر ١٤١٥هـ: ومن هنا تظهر جسامة المسؤولية الملقاة على كواهلنا وحجم العمل الدعوي المطلوب منا، وفي سبيل ذلك نحرص على إقامة المراكز المتكاملة في المواقع المناسبة لنمارس من خلالها نشاطنا الدعوي، ونحاول توسيعه ليشمل كل رقعة جغرافية من جهة، ولمتابعة أوضاع المهتدين الجدد من جهة ثانية.

وقد ذكرت مجلة الحياة في ملف أوراق متناثرة للدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في العدد ٦٩ - محرم ١٤٢٧هـ: ولعل في بعض المواقف التي نعرضها هنا لعبرة ودلالة على الحاجة الملحة إلى السعي الحثيث وراء المهتدين، أو من نلمس منهم الاستعداد لقبول هذا الدين.

فمن هذه المواقف قصة أحد الوثنيين أبدى استعداده لاعتناق الإسلام، وشهد بذلك أمام أبناء قريته، ولكنه أجل النطق بالشهادتين إلى حين بزوغ هلال الشهر الجديد التزاماً بالعادة التي توجب عليهم اتخاذ القرارات المصيرية في أوائل الأشهر القمرية لا في أواسطها أو أواخرها.



كنيسة الأنبياء الجدد التابعة للبروتستانت الأمريكان التي أنشأها رجل أعمال أمريكي ضمن ألف كنيسة [illegible]

وأذكر كذلك قصة شابين نصرانيين من المذهب البروتستانتي يدرسان في المرحلة الثانوية، وينتميان إلى واحدة من القبائل التي تجمع في عبادتها بين النصرانية والوثنية. دعوناهما إلى الإسلام فاعتذرا بسبب خشيتهما توقف الكنيسة عن دفع الرسوم الدراسية لهما إذا علمت بإسلامهما.

ورغم ذلك قالا لنا: إننا نؤمن في قرارة أنفسنا بأن الإسلام هو الدين الحق، وفكرنا في اعتناقه منذ فترة، فنحن يعجبنا حب المسلمين لربهم ولرسولهم وإيثارهما على أنفسهم وليس أدل على ذلك من ذكرهم لاسم الله عند الشروع في أي عمل يقومون به، وشكره وحمده في نهايته.

وأضافا: إننا نحس أن دينكم قريب من نفوسنا، فقد كان آباؤنا وأجدادنا يرددون عند النوم: «اللهم ربنا كما أمسينا بسلام وخير، أحينا غداً بسلام» وأنتم أيها المسلمون تقولون عند النوم: «اللهم بك نحيا وبك نموت» وضحكا قائلين: رغم أننا نصرانيان، إلا أننا نؤكد أن النصرانية دين لا معنى له.

المهتدون الجدد والثبات على عقيدة الإسلام

ويقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٦٧ - مايو ٢٠٠٥م: من أكثر الأسئلة التي تواجهني في المحاضرات التي ألقيها أو اللقاءات التي تكون لي مع بعض الشخصيات والهيئات أو حتى الأفراد العاديين، تكون عادةً حول نتائج ما نقوم به من دعوة، وعما إذا كان المهتدون الجدد يرتدون إذا قطعنا عنهم المساعدات.

والواقع أن بعض التساؤلات تدل على عدم معرفة بعض الناس بطريقتنا في الدعوة إلى الله، فنحن لا نقدم المساعدات للناس حتى يكونوا مسلمين، فهم أكرم من أن نشتريهم بمساعداتنا، أما قضية ثباتهم على الإسلام، فهي مرتبطة بجهودنا معهم واهتمامنا بتعليمهم بعد أن اقتنعوا بهذا الدين.

وهذه مهمة ليست بالهينة، فهي تتطلب كفالة المزيد من الدعاة، وطباعة كتيبات عن مبادئ الإسلام، وتوفير المال لدورات المهتدين الجدد، وتدريب الدعاة

على أساليب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة إلى غير ذلك من الوسائل.

فالدعوة إلى الله يجب أن تكون بالقدوة والمعاملة الحسنة ليكون لها أبلغ الأثر في نفوس الآخرين، وكمثال على ذلك قرية «مايكان» في جنوب تشاد التي تبعد عن مركزنا الإسلامي في «مندو» بحوالي ٣٠ كيلو متراً فسكانها من قبائل الغامباي أكثر القبائل تعصباً ضد الإسلام بسبب ما لا قوة من عنت بعض المسلمين سابقاً، وكان فيها مسلمان فقط، أحدهما تاجر كان قد هاجر من الشمال، والآخر مهتد جديد.

بدأنا عملنا الدعوي عبر القوافل الدعوية رغم قلتها بسبب قلة المساعدات وتوزيع الكتاب الإسلامي، فاستجاب عشرة أفراد لنداء الله، ثم أسلم خمسة آخرون وهم بأمس الحاجة إلى دورة للمهتدين الجدد بكلفة ٢٦٥ ديناراً كويتياً أو ٩١٠ دولارات أمريكية، كما أنهم بحاجة كذلك إلى داعية يعلمهم مبادئ دينهم ويشجعهم على دعوة الآخرين، بالإضافة إلى حاجتهم إلى بئر بمضخة، وليس عندي شك في أن إسلام هؤلاء الخمسة عشر مهتدياً سيكون له أثر حميد، ولن يتردد باقي أهالي المنطقة في قبول دعوة الله.

استغاثة من إثيوبيا



يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله -في مجلة «الكوثر» - العدد ١٩ - مايو ٢٠٠١م: عدم قدرة العاملين في مجال الدعوة على استيعاب المسلمين الجدد من المهتدين تبقى من أهم التحديات، وأذكر أن شيخاً كبيرا من قرية رمسو من قبائل البوران في أثيوبيا أسلم هو وزوجاته وأبناؤه الواحد والعشرون قبل مدة، وكلما قابل دعاتنا عند زيارتهم للمنطقة، يكرر قائلاً: أين أنتم حتى تعلمونا ديننا؟ اطلبوا من المحسنين في بلاد العرب أن يبنوا لنا مسجداً، ويرسلوا لنا داعية يعلمنا مبادئ ديننا لأننا لا نجد من يعلمنا الإسلام، في حين أن الكنيسة البروتستانتية تزعجنا بضجيجها ورقصها، وتلح علينا دائماً في دخول دينها، إنني وجميع من سار في ركبها من قبل دخولنا الإسلام نشعر بالندم، وهناك الآلاف من أمثالي ممن يرغبون في الدخول في دين الله لو وجدوا من يشرح لهم أركان الإسلام.

ندعو الله أن تنقذونا بالكتاب الإسلامي بلغتنا، وبالداعية الذي يقودنا في طريق الجنة، وبدورات للمهتدين الجدد من أمثالنا، وأنا أحيل نداءه لك أيها القارئ.

آه لو توفر لنا داعية!

في كتاب «العمل الإغاثي عند الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - وأثره في قبول دعوته» للباحث علي محمد علي آل حسن الشهري عن د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - أنه يقول: خرج دعاتنا في جزيرة مدغشقر في رحلة دعوية تهدف إلى نشر الإسلام وسط قبائل المنطقة ذات الأصول الإسلامية، وفي جزيرة فرافاسي التي تبلغ نسبة المسلمين فيها ٣٠٪ بينما الباقي من سكانها إما وثنيون أو نصارى، قابلنا ملك المنطقة وحدثناه عن الإسلام، وأهديناه ثوباً من الثياب الخليجية البيضاء.

استمع الملك والأهالي لنا باهتمام بالغ، وبدأوا يسألون عن الإسلام، ويحتمل عند قراءتكم لهذا التقرير أن يكون الملك قد دخل في الإسلام، ولكننا على يقين من أن عدداً من أهل القرية قد اعتنق الإسلام، وطلب منا حتى غير المسلمين أن نكرر الزيارة قائلين: إننا لانزال نعيش في ظلام التقاليد والعادات، وإذا أردتم أن تزيلوا معتقداتنا المخالفة لدينكم، فلابد من إقناعنا فأكثروا من الزيارات حتى تنيروا لنا طريق الهداية، واتركوا فينا داعية يشرح لنا الإسلام، ويؤم المسلمين في صلاتهم.

وإذا ما بنيتم لنا مسجداً، وحفرتم بئراً، وأرسلتم داعية فتأكدوا أن جميع أهالي القرية سيسلمون، فما تذكرونه عن الإسلام ليس غريباً عنا. هذا كل ما يريده منا سكان هذه القرية.

ومن المشاهد المؤلمة جداً في هذه الرحلات الدعوية التي شاركت في الكثير منها رؤية النساء اللواتي دخلن الإسلام منذ أكثر من سنتين، ولازلن يغطين رؤوسهن بأكياس البلاستيك أثناء الصلاة أو عند الخروج من المنزل، بسبب فقرهن وعدم قدرتهن على شراء الحجاب الشرعي، قالت لنا إحداهن بعد أدائها الصلاة وخروجها من المسجد: لقد تأخرنا في العودة إلى الإسلام من جديد، ولكن عدم امتلاكنا ملابس جديدة لأداء الصلاة لم يحرمنا حلاوتها ولذة السجود لله فيها.

ومن الظواهر التي تعودنا عليها أن الأهالي يحتاجون إلى وقت يفكرون فيه قبل أن يقتنعوا بالإسلام، لذا نجد أن أغلب الذين يدخلون الإسلام يفعلون ذلك بعد مغادرتنا لقريتهم.



تقديم ملابس وقبعات من الأمطار للنساء المسلمات

كفالة الدعاة

كما بينا من قبل أن من أسباب تثبيت المسلمين الجدد على عقائدهم أن يتم تعهدهم بالتعليم والمتابعة والمساعدة، ومن سبل تحقيق ذلك أن يتم كفالة الدعاة القائمين بدور التوعية والإرشاد والتواصل بين الجمعية من ناحية وبين هؤلاء المهتدين من ناحية أخرى، ويتطلب ذلك الكثير من النفقات التي يجود بها المحسنون وأهل الخير، وتهتم جمعية العون المباشر بكفالة الدعاة، حتى بلغ عددهم ما يزيد عن أربعة آلاف داعية.

حقداً على الإسلام ولكن!

يقول د. السميط – رحمه الله – مجلة «الكوثر» – العدد ٥٦ – يونيو ٢٠٠٤م: « كيلوا نغوا» اسم قرية في جمهورية بوركينا فاسو أغلب سكانها من الوثنيين، كان فيها زعيمان وثنيان هما: « نوروغو » و « كانديبا » عرفا بحقدهما الشديد على الإسلام وبصدهما عن سبيل الله، حتى إنهما لينفجران غضباً عندما يسمع أحدهما أو كلاهما بإسلام أحد الأهالي في القرية فيدفعهما ذلك إلى تعذيب من أسلم، وكأن القرية تعيش في عهد أبي جهل وأبي لهب.

فمن الله عليها بأحد المحسنين الذي تبرع بكفالة داعية عينته جمعية العون المباشر فيها واسمه « بوينا محمد ».

لقد استلهم هذا الداعية قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [البقرة: ٢٦٩] وعرف أن مواجهة هذين الزعيمين الشرسين لا تكون إلا بالحكمة، فتسلح بها، وأخذ يتقرب إليهما شيئاً فشيئاً، بالكلمة الطيبة تارة، وببعض الهدايا تارة أخرى، وكان قد أهداهما مرة جلابيب بيضاء وقال لهما: «إن أهل مكة يلبسون مثلها» ومازال معهما حتى شرح الله صدرهما للإسلام، فأسلم «نوروغو» وسمى نفسه محمداً، وأسلم «كانديبا» واختار اسم إسحق بديلاً عن اسمه السابق.

قال إسحق بعد أن ذاق حلاوة الإيمان: كم كنت غبياً عندما رضيت بعبادة الأوثان التي لا تضر ولا تنفع، دون أن أفكر بعقلي في ذلك قبل أن أهتدي إلى هذا الدين العظيم الذي سيظهر على سائر الأديان.

واليوم والحمد لله أشعر وكأنني ولدت من جديد عندما أسلمت وأسلم معي مائة من الأهل والأصدقاء، وإنني لعلى يقين من أن القرية وحتى القرى المجاورة سوف تولد من جديد بإذن الله في بيت الإسلام.



«رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله»

جاء في مجلة «الكوثر» - العدد ٧٤ - ديسمبر ٢٠٠٥م عن د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله -: هارو يارا أحد المهتدين الجدد في شمال كينيا وداعية متطوع نذر نفسه للدعوة وسط قبيلة البوران الوثنية، هجر الدنيا وزخرفها إلى الدعوة، ورضي بالجوع والفقر، أسلم على يديه عدد كبير من الناس في قريته.

وهو صاحب عيال، له سبعة أطفال، ولكنه لا يملك درهماً ولا ديناراً، لذا فجميع أولاده لم يتعلموا لأنه لا يملك رسوم الدراسة لهم.

يقول السميط: اقترحنا عليه أن نساعده ببقالة يعيش من ريعها (وذلك من ريع الوقف الدعوي الخيري) ولكنه أبى قائلاً: إنه لا يريد أن تلهيه الدنيا عن الدعوة، واقترح علينا: إما شراء ثلاثين معزة يعطيها لأحد أقاربه يرعاها، أو أن نشتري لزوجته خزان ماء بلاستيكي وأنابيب يستفيد منها للزراعة حتى تبيع المنتجات في السوق، وقال: إن أهلي وقبيلتي على شفا جرف من النار، إنه لا يرى بديلاً عن الدعوة إلى الله.

أسرة بورانية - من كتاب السميط (قبائل البوران)

اشترينا له خزانا بلاستيكياً وأنابيب وبدأت زوجته تزرع، ذكرني الأخ هارو بقوله سبحانه: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

إن القليل من الجهد والمال إذا وضع في موضعه وأحسن استغلاله يفعل المعجزات ويغير الكثير في حياة الآخرين.

دعوة كريمة للكرام والمحسنين

ويطلق د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – دعوة تخرج من سويداء الفؤاد داعيا إخوانه إلى بذل الوسع والمال في سبيل الدعوة إلى الله في إفريقيا، ويقول: إخواننا الكرام: من يصدق في الوقت الذي نصرف فيه الآلاف على أولادنا ونسائنا عندما يذهبون في الإجازات ويصرفون الأموال الطائلة بينها ينسحب سبعة طلبة من المعهد الشرعي في أول ثلاثة أيام بعد افتتاحه (وأنا كنت هناك وشاهدت ذلك حيث كنت أشرف على تأسيس وافتتاح المعهد الشرعي بنفسي) ولما سألناهم عن السبب قالوا: لأن الطعام غير كاف!!

يقول أحدهم: أنا فلاح وتعودت في قريتي أن آكل ماعونين من الطعام، ولما أقمت في المعهد وجدتهم يعطونني نصف ماعون في الوجبة، وهذا كثير ولا أستطيع أن أتحمله فقلت له: والله لو توفرت لدينا الإمكانيات سوف نزيد لكم كمية الطعام، ولهذا انسحب سبعة من الطلبة بسبب الجوع، والله يا إخواننا الطلبة في المعهد ينامون على الحصير دون مخدات ومن يريد مخدة يحضر قطعة خشب وينام عليها، وليس لديهم غطاء ولا واقي من البعوض، وأحيانا ندفع لهم ليشتروا مادة معينة يتم إشعاله، ويبقى مشتعلاً طول الليل، ويكلف ١٥٠ فلسا كويتيا أو ريالين، وهذه المادة تكفي لمدة أسبوع كامل، ولكنها تقلل عدد البعوض الموجود عندهم، لأنها خسارة علينا لو تركناهم يصابون بالملاريا فساعتها لن يخرجوا للدعوة ولن يحضروا الدروس، ومن مصلحتنا أن نمنع عنهم الملاريا ولو كانت لدينا الإمكانيات لاشترينا لهم الناموسيات.



ونحن لا نطعمهم هم فقط ولكن نطعم معهم الطباخ بالرغم أنهم لا يذوقون اللحم، أولا نحن لا نريد أن نعوّدهم على ذلك ، وثانياً ليس لدينا الإمكانيات لكي نشتري لهم اللحم، فلا لحم ولا بيض ولا كل تلك الأشياء التي نعتبرها أساسيات عندنا، أما الدجاج مثلا فهذا بعيد جداً عن تفكيرنا، لذلك فنحن نشتري نوعا من الجمبري اليابس الصغير جداً حتى نرفع من مستوى البروتين الذي يأكلونه في قراهم.

الباب الثاني

مخاطر ومعوقات في الدعوة

فضل تحمل الأذى في سبيل الدعوة إلى الله

إن لله عز وجل عبادا اصطفاهم لحمل رسالته وتبليغ دعوته، وقد صنعهم المولى عز وجل على عينه وعنايته، فأدبهم فأحسن تأديبهم ورباهم فأحسن تربيتهم، فأخلصوا في أداء رسالة الله إلى خلقه وبذلوا مهجهم وأرواحهم وكل غال ورخيص لديهم لتمكين دين الله وشرعته، ونصرة عقيدته وملته، فكانوا لمن بعدهم النور الهادي في سواد الليل وظلمته، والقائد الحادي في مجاهل الكون وغربته، وشعار كل منهم للوصول إلى وجهته وتحصيل بغيته: ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله فردوسه وجنته، ابتلاهم الله بالفتن والبلايا، فما زادهم ذلك إلا جلدا وصبرا فكانوا للإسلام عزا ونصرا، ولمن بعدهم أمثلة وعِبَرًا، ولولاهم لما استوثقت للدين عروة، ولما وجد الضعاف من المؤمنين أسوة لهم في الصبر ولا قدوة.



وعلى أكتاف هؤلاء الصالحين الأبرار من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين حملت مسئولية الدعوة وبلغت الرسالة وأديت الأمانة، فخافوا ليأمن من بعدهم، وقتلوا ليعيش من

تبعهم، فاستحقوا أن يكونوا أولياء الله، وصفوته من خلقه ومجتباه، وليس أدل على صدق إيمان المرء من عظمة بذله وعطائه وصبره على المشقة والأذى في سبيل الدعوة إلى الله.

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم :- «لَقَدْ أُخِفْتُ فِي الله وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوْذِيتُ فِي الله وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ. وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلاثُونَ مِنْ بَيْنِ يوم وَلَيْلَةٍ وَمَا لِي وَلِبِلالٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذو كَبِدٍ إلا شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلالٍ.» أخرجه الترمذي وابن ماجه.



اختار السميط العمل في إفريقيا أرض الجوع والفقر والمجاهل والأهوال، مفضلا كل ذلك على البقاء بين الأهل والعشيرة وبين المدنية والحضارة، لإيمانه أنه ما خلقه الله إلا ليكون أخا لكل الناس وأبا للأيتام وسندا للمرضى ومواسيا للضعفاء والأرامل، ولم يلتفت للموت الذي يرقبه، ولا للمرض الذي يصيبه، ولا متاعب الترحال والسفر من بلاد إلى بلاد، بين التلال والجبال والصحاري والأدغال، والمستنقعات والأوحال.

المشاريع الخيرية والطريق الصعب

قد يظن البعض أنك عندما تذهب لإقامة مشروع يخدم فئة من الناس في قرية أو مدينة في إفريقيا أنه ستعبّد لك الطرق وتذلّل لك الصعاب وتسهّل لك الإجراءات.

لكن الحقيقة قد تصدم البعض إذا ما جابهته الصعاب التي تأتي من الجهات المستفيدة من المشاريع نفسها لاسيما الجهات الرسمية، ولأننا نتعامل مع رب الناس وليس مع الناس فإننا نكون أحرص على إقامة المشاريع من غيرنا من الناس خاصة وأن مشاريعنا تصب في النهاية في خدمة دين الله وكتابة ونشر الدعوة الصحيحة.

تعرض السميط -رحمه الله- لفقد حياته أكثر من مرة إما بمحاولات القتل أو الاعتداء من بعض الجهال والموتورين، أو الهجوم عليه من الأفاعي والضواري والوحوش، أو التعرض للأمراض والأوبئة ما يملأ مجلدات ومجلدات، ونحن هنا نعرض لكم بعضا مما تعرض له السميط من ذلك، وليس هو وحده بل ما يتعرض له العاملون بـ«العون المباشر» من الدعاة المحليين والعرب والمتطوعين، ليتبين مقدار ما يبذلون من غال ونفيس يصل لدرجة التضحية بالنفس موتا في سبيل هذه الرسالة النبيلة.

قتل الدعاة إلى الله

من السنن الربانية وقوع الابتلاء لأهل الحق والدعاة إلى الله، لذا فإن أكثر الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، ولم يسلم الرسل والأنبياء من القتل والأذى ليتبين للناس أنهم ليسوا آلهة تعبد، وليكونوا قدوة لمن اتبعهم وليهون على الأمة الصبر على البلاء. وقد عانت جمعية العون المباشر من سقوط الكثير من الشهداء والضحايا في سبيل الدعوة إلى الخير، فلم يهنوا ولم يفتّ ذلك في عضدهم، واستمرت الجمعية بعون الله وفضله في أداء رسالتها رغم فداحة الخسائر التي تحل ببعض العاملين ولا شك أن فقد الأنفس من أعظم هذه الابتلاءات.

شهداء العمل في سبيل اللّه



بيت مسؤول أحد المراكز التابعة للعون المباشر بعد تعرضه لهجوم

ويذكر د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٣٩ - يناير ٢٠٠٣م: للعمل في إفريقيا ثمن باهظ، قد يكلف الإنسان حياته أحياناً، لاسيما في مناطق الإغاثة كجنوب السودان وموزمبيق وليبيريا وسيراليون وغيرها من الدول التي أصبحت الحروب الأهلية فيها ظاهرة مزمنة ، وإليك أخي القارئ جملة من المشاهد الأليمة، والمواقف المحزنة على سبيل المثال لا الحصر التي تصور جسامة مسؤولية الدعوة إلى الله في القارة الإفريقية، والتي ذكرها الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله -، يقول:

من هذه المشاهد أذكر مرة أثناء زيارتي لبعض المواقع أن لغماً انفجر تحت السيارة التي تقل بعض الجنود المرافقين لنا لحراستنا من أي هجوم محتمل للمتمردين.

ومنها بعض المشاهد المؤلمة التي راح ضحيتها بعض دعاتنا وأئمة المساجد في جنوب السودان رمياً بالرصاص، أو ذبحاً بالسكاكين كالنعاج.

ومنها منظر مدير مكتبنا في سيراليون الذي أصيب برصاصة في ركبته أثناء الحرب الأهلية، ومنع من العلاج مدة ستة عشر يوماً، إلى أن تمكنا في ظروف قاسية جداً من إجراء عملية جراحية بدائية له داخل مكتب الجمعية هناك لاستخراج الرصاص منها وإنقاذ حياته.

ومن أبشع هذه المواقف غير الإنسانية قيام مجموعة من شرار خلق الله في الصومال باختطاف والد مدير مكتبنا هناك، وهو شيخ هرم لا يقوى على الحركة، وطلبوا مقابل إطلاق سراحه فدية بمبلغ كبير من المال من ابنه مدعين أنه يحصل على الملايين من كل من الكويت والمملكة العربية السعودية، لكن رد المدير كان استشهادياً حيث طلب من المختطفين أن يجهزوا كفناً لوالده لأنه لن يدفع لهم مليماً واحداً من أموال المسلمين، وعندما سمع الأهالي وبعض وجهاء البلد بهذا الأمر، توجهوا إلى مقر العصابة وحاصروه، وهددوا أفرادها بالقتل إذا لم يطلقوا سراح المختطف، فاستجاب المختطفون لهذا التهديد وأخلوا سبيل الرجل لأنهم يعلمون علم اليقين أن الصوماليين ينفذون عادة وعيدهم.

ومنها أيضاً ما حدث في ليبيريا من قيام قوات التمرد التي كان يقودها رئيس الجمهورية تشارلز تيلور لمذبحة بشعة ذهب ضحيتها عدد من دعاتنا وأئمة مساجدنا في ذلك البلد، وغير هذه المشاهد المؤلمة كثير، ومع ذلك لم نشعر يوماً بالإحباط في أداء رسالتنا السامية، ولم يحل رعب هذه الأحداث دون قيامنا بواجبنا الديني في إعلاء كلمة الله في هذه القارة الضائعة، وفي إنقاذ الفقراء والمساكين وإيواء الأيتام وهداية الضالين، لأننا نؤمن بأن التجارة مع الحق سبحانه وتعالى خير من الدنيا وما فيها ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [فصلت: ٣٥].

في الصومال هدده بالقتل لعدم استشارته

جاء في مجلة «الكوثر» - العدد ٣ - يناير ٢٠٠٠م: ذهب د. عبدالرحمن السميط إلى شمال كينيا ومن هناك عبر الحدود إلى الصومال بصحبة عائلته وأولاده، وخلال الطريق شاهدوا عشرات الحيوانات البرية والمتوحشة مما خفف من حدة إرهاق السفر.

وبسبب الحروب الأهلية لم تكن هناك حكومة مركزية، كما أن حياة الصحراء عودت الصوماليين على التعامل بالشدة والخشونة، وخلال ذلك صادف موقفين لا ينساهما:

الأول: كان قد حفر في هذه المنطقة التي يزورها خمس آبار، بعد استشارة شيوخ القبائل وكبار السن، وخلال زيارته لها فوجئ بشخص يحمل بندقية أوتوماتيكية يهدده ويتهجم عليه بألفاظ نابية، لأنه لم يستشِرْه قبل حفر الآبار، ويبدو أنه رئيس لإحدى العصابات المسلحة، اعتذر د. السميط له وقرر ألا يحفر أي بئر في المنطقة مستقبلاً.

والموقف الثاني: جاءت امرأة تحمل طفلا وتطلب المساعدة من أم صهيب، الغريب أنها كانت تحمل حجرا وتهدد بتحطيم سيارتهم إذا لم يعطوها، مثل هذه المواقف تجبر الإنسان على ترك المكان إلى مناطق أكثر احتياجاً ولديها الاستعداد للتعاون.

جريمتي استحقت إطلاق النار عليّ!

تخيل نفسك ترحل إلى الأقاصي البعيدة حاملاً الخير للناس متحملاً المشقات والمتاعب، فتسمع دوي الرصاصات القاتلة يصرخ بجوار أذني رأسك دون سابق إنذار أو انتظار؛ لا لشيء إلا لأنك نسيت أن تستأذن قاطع طريق أو «زعيم عصابة» يسيطر على تلك المنطقة المنكوبة وهو أحد أسباب نكبتها.

كما جاء في مجلة «الكوثر» - العدد ٣٦ - أكتوبر ٢٠٠٢م: غالباً ما تحدث المجاعات في مناطق النزاعات الأهلية في إفريقيا والأمثلة متعددة من سيراليون إلى الصومال إلى أثيوبيا إلى أنغولا وصولاً إلى جنوب السودان عدا العديد من المناطق الأخرى، والعمل على إنقاذ المحتاجين هناك لا يمر دون مخاطر، الأمر الذي يضطرنا إلى استئجار مسلحين لحمايتنا من رجال الشرطة - إن وجدوا- أو من المليشيات، ولكن هذا وإن كان يمنحنا شيئاً من الطمأنينة إلا أنه لا يحمينا من رصاصة تطلق علينا من دون سبب أحياناً.



يقول السميط: كثير من المسلحين في مناطق الحروب لا يحتاجون إلى مسوغ للضغط على الزناد بدون التفكير في النتائج، فأحياناً يصرون على اتهامنا بأننا جواسيس ولا أدري على ماذا نتجسس؟ وأحياناً يتهموننا بالعمل لحساب الطرف الآخر، ولكن الأغرب من ذلك أن بعض المسلحين الصوماليين عندما رأوني أصور مقر إحدى المنظمات التنصيرية

التي رفعت عدة أعلام رسمت عليها صلبان بأحجام كبيرة وجهوا بنادقهم نحوي وأطلق أحدهم رصاصة لم تبعد كثيراً عن رأسي، وما كان مني إلا أن صرخت وانبطحت أرضاً، وعندما سألته: لماذا يطلق الرصاص؟ كان جوابه المفحم: ولماذا تصور؟ فقلت له: لم أصورك ولم أصور أي مسلح إنما صورنا مكاتب المنظمة الغربية، ولكن يبدو أن الأخ اعتبر أن ذلك جريمة تستحق إطلاق النار عليّ، ولم ينقذني إلا الاعتذار والأسف لهذا الخطأ الكبير الذي ارتكبته! !

العمل وسط القذائف مألوف

يقول - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٣٥ - سبتمبر ٢٠٠٢م: إن العمل في خدمة إخواننا الأفارقة ممتع يملأ النفس حبوراً وسعادة لاسيما إذا رأى أحدنا ثمار عمله يقطفها الأيتام والفقراء والبسطاء، لكن ذلك يكلفنا ثمناً باهظاً في أغلب الأحوال.

فعندما اندلعت الحرب الأهلية في غينيا بيساو، وتدخلت القوات السنغالية فيها لدعم الرئيس السابق، فلم تختر إلا مركزنا في بيساو قاعدة لها، حيث احتلته واستولت على مافيه من محتويات وطردتنا منه بالقوة، وقد لحقت به أضرارا بليغة بسبب القصف الصاروخي والمدفعي الذي استهدفه.

وفي ليبيريا أصابت قذائف المدفعية سقف أحد مكاتبنا وقُتل الحارس المسكين الذي عثرنا على هيكله العظمي ملقى داخل المركز عند زيارتي له بعد مرور أشهر على وقوع هذه الأحداث، وكان الجميع يخشى أن تكون الألغام قد زرعت داخل المكتب.

وفي إطار هذه السلسلة من الاعتداءات على المشاريع الخيرية ذكر د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في كتاب «خادم إفريقيا» ص ٥٧: احتلت قوات الجيش النيجيري مركز دار السلام للأيتام في سيراليون ودمرته بالكامل غير أن إخواننا ضباط وجنود الجيش الأردني - جزاهم الله خيراً - قاموا

بإصلاح بعض وحداته هناك واتخذوها معسكراً لهم، وعندما غادروها بعد انتهاء مهمتهم فيها تركوها سليمة، نسأل الله أن يجعل عملهم الطيب في ميزان حسناتهم يوم القيامة.

إن الحروب الأهلية التي يشعلها تجارها الساعون للسيطرة على ثروات الشعوب وحرمانها من حقوقها الإنسانية هي من أكبر العوائق التي تحول دون تحقيق التنمية في هذه الدول مع أنها في أمس الحاجة إلى من يقف بجانبها.

أما بالنسبة لنا فنحن نسلم بأن هذا هو قدرنا ولذلك سوف نواصل بعون الله مسيرتنا الخيرية دون تردد، رغم الظروف القاسية التي نعيشها أحياناً.

وجرى أيضاً هجوم للمتمردين على شاحنة مليئة بالأسمنت والطعام لصالح أحد مشاريعنا في موزمبيق قدمت من مالاوي، وهجم عليها المتمردون ضد الحكومة وأحرقوا الشاحنة وسار داعيتنا والسائق وسط الأشجار ٨٠ كيلو متراً تمزقت فيها ملابسهم تماماً حتى وصلوا المدينة وهم شبه عراه.

صور عن بعض مظاهر التخريب في مراكز العون المباشر







جمعية العون المباشر على دائرة الخطر



يعلم العاملون في جمعية العون المباشر أو في مكاتبها أن الطريق ليس مفروشا بالورود، بل هو مفروش بالأشواك، بل هو مفروش بالدماء.

نعم إنه مفروش بالدماء في مناطق يكثر فيها اللصوص وقطاع الطرق ممن لا يهمهم سد حاجات المعوزين بقدر ما تهمهم أنفسهم فقط.

ولذا فقد جادت جمعية العون المباشر بكثير من دعاتها الذين قضوا في سبيل الدعوة إلى الله، أو إيصال المساعدات للمحتاجين، وما كانت هذه الصعوبات مانعا لهم من إكمال مسيرتهم، فلا زالت نواحي إفريقيا تشهد معالم الخير لجمعية العون المباشر ودعاتها.

فهؤلاء مجموعة من الدعاة خرجوا إلى الدعوة إلى الله في سيارة الجمعية نتج عن ذلك حادث سير أصيب على إثره أخ اسمه عبد المالك أصيب بشلل نصفي يعاني منه حتى الآن، حيث لا يتحرك إلا بكرسي متحرك.

وتعرض مركز انيزيريكوري في غينيا كوناكري لحادث تدمير لمعظم منشآته بسبب حرب أهلية بين المسلمين والمسيحيين نتج عنه نهب وتخريب ممتلكات تبلغ قيمتها ٤٠٠ ألف يورو خسائر تقريبا.

وفي نفس البلد هجوم مسلح على مركز دوبريكا مكون من عصابة سبعة أفراد مدججة بالأسلحة الآلية نجم عنها سرقة ٦٦٦٧ يورو من أموال الجمعية، و ٣٥٠٠ يورو مبالغ خاصة، وتركت حالة نفسية متدهورة كانت السبب في طلب نقل عاجل من البلد.

وفي كينيا اقتحمت عصابة سكن مسئول الرعاية الاجتماعية محمد أدردور (موظف خارجي) بمركز ثيكا بالأسلحة البيضاء نتج عنه جروح له ولمدير المكتب الحالي إسماعيل حسن.

وفي توجو توفي مدير مكتب توجو (لزهر) وكذا ابن مدير مكتب بينين في انقلاب سيارتهم.

وفي الصومال اختطف مسئول الرعاية الاجتماعية (المدير الحالي لمكتب الجمعية في الصومال) وحبس في حاوية لمدة ثمان وأربعين ساعة وبعد مفاوضات وأخذ ورد، وأن الجمعية معروف عنها عدم التدخل في الشئون الداخلية، ولا تحسب على جهة معينة حتى أطلقوا سراحه.

وفي سيراليون تعرض فريق العمل بسيراليون للاحتجاز من قبل المتمردين، وقد أصيب محاسب المكتب بطلق ناري في الرجل والذراع بسبب امتناعه عن إعطائهم فلوس المكتب واحتجز موظف كسائق لديهم لمدة ثلاث أيام.

وخلال عملية بناء سور أحد المراكز في سيراليون هاجم بعض الأهالي المركز انتقاما لتحديد الأرض والتي كان لهم بها مطامع ولولا تدخل الشرطة لحدثت كارثة.



وفي إقليم الكازمانس بالسنغال حيث يوجد مكتب الجمعية منذ بداية التسعينيات من القرن الماضي عاش الإخوة في خطر وخوف دائمين وكان الواحد منهم يخرج لزيارة مشروع أو لتنفيذ برنامج والخوف لا يفارقه لما يراه من مخاطر حيث يمر على السيارات المتفجرة بسبب الألغام والقرى المحروقة من طرف المتمردين والمسافرين المقتولين أو المنهوبة أموالهم.

وقد تعرض مكتب جمعية العون المباشر إلى تهديدات متنوعة إبّان تلك الفترة من سطو مسلح، وتهديد بالقتل، وتكسير للمكتب، وسرقة للأموال، وتهجم على أسر الدعاة وغير ذلك.

وفي النيجر وصل طبيب الجمعية (مصري الجنسية) للعمل في مستوصفاتها بالعاصمة نيامي، وبعد يوم أو يومين هجم عليه عصابة لصوص ليلا وهو نائم مع زوجته في الغرفة من أجل السرقة، وقد أرعبوا الأخ وزوجته إلى درجة إنها أصيبت بالصدمة حيث لم تكن تتوقع أن البلد بهذه الخطورة، بالإضافة إلى أن توقيت الهجوم كان بمجرد وصول الأسرة إلى النيجر واضطرت للعودة إلى مصر مباشرة بعد هذه الحادثة.



صور الحرب في ليبيريا

وفي زيمبابوي تعرض مدير المكتب لعلمية سطو مسلح في وضح النهار وعند الوقوف في إشارة الضوء الأحمر، حيث وضع المهاجمون المسدس على رأسه وأجبروه على إعطائهم مبلغا مهما من المال، وكان مدير المكتب قد سحبه من البنك لمصاريف الجمعية، وقد لاذ المهاجمون بالفرار ولم تستطع الشرطة القبض عليهم.

وفي ليبريا هجمت عصابة مسلحة على مدير مكتب الجمعية في فريتاون وأرعبوا أسرته وكان لديه أطفال صغار ،ووضعوا السلاح على رؤوسهم وأجبروه على إخراج جميع أغراضه من البيت وهددوه بالقتل مع أسرته بسبب خلاف مع أحد الموظفين المحليين الذي كان يريد السيطرة على ممتلكات الجمعية بطريقة غير قانونية ووقف الأخ مدير المكتب في وجهه، وسلمه الله.

كل ذلك كان يحدث أمام أعين هؤلاء الإخوة، ولكن ذلك كله لم يفت في عضدهم ولم يوهن من عزيمتهم بل أصروا على البقاء في الميدان ومواصلة العمل لاعتقادهم بأن الأعمار بيد الله وأن أي نفس لن تموت قبل أجلها، ولمعرفتهم بنبل مهمتهم الإنسانية وحاجة المواطنين إليهم، فصمموا على البقاء وإيصال الخير إلى الناس إلى يومنا هذا.

الأوبئة تهدد دعاة جمعية العون المباشر والعاملين فيها

من المخاطر التي يواجهها الدعاة المخاطر الصحية وانتشار الأمراض والأوبئة في إفريقيا، وكثرة ناقلات الأمراض، وعدم وجود الرعاية الطبية المناسبة والكافية، وإن وجدت فبأسعار مرتفعة.

بل إن كثيرا من دعاة جمعية العون المباشر يرحلون إلى الدعوة في قرى نائية، ويقيمون فيها شهورا، ولا يوجد فيها مركز طبي متواضع، فضلا عن مستشفى يقدم خدمات مناسبة، ويصعب أحيانا الذهاب إلى المستشفى ليلا لاختلال الأمن في الطريق.

فسيراليون مثلا تم وضعها بالخانة الحمراء والتحذير من دخولها بسبب انتشار حمى اللاسا الفتاكة، وقد تجد أحيانا لافتة التحذير قرب القرى المنكوبة.

كذلك انتشار العناكب السامة والعقارب وأفاعي الكوبرا، وقد أصيب أخ يعمل لدى مكتب الجمعية في سيراليون لدغته عقرب وحمل على وجه السرعة للعيادة، ولكن لم يكن لديهم المصل واضطروا للذهاب به إلى العاصمة، وكان خلال رحلة السفر كلها يتوجع وحرارته في ارتفاع وبعدما أخذ الجرعة تماثل للشفاء ولله الحمد.

بل إن الكثير من الأيتام كانت تصيبهم سموم أفاعي الكوبرا بالعيون، وكان يجدون - بحمد الله - دواء تقليديا يعيد لهم البصر، كما يوجد عناكب سامة وخطيرة جدا لطالما عانى منها كثيرا المزارعون والتي تسبب تورمات عنيفة بالجسد.

أما الملاريا والإسهال والتقرحات وأنواع الحمى فهي جزء من حياة دعاة جمعية العون المباشر.

وجبة من الأفاعي المشوية

ومن عجائب الحكايات التي يرويها الدكتور عبدالرحمن السميط حول المخاطر التي كان يواجهها، وصعوبات الحصول على طعام صالح للأكل ما جرى سنة (٢٠٠٨م) في وسط كينيا قال: خرجنا يوماً في قافلة إلى إحدى القرى النائية عبر طريق وعر، ولم نبلغها إلا مع حلول الظلام، وكنا في حالة شديدة من التعب والجوع، فبعثنا أحدنا إلى محل امرأة مشهورة في القرية تبيع السمك المشوي، يقول هذا الشخص: إنه مد يده واختار قطعة ضخمة من بين السمك المعروض للبيع في الظلام، وعاد بها مسرعاً إلينا لنأكلها وهي ساخنة، أما نحن الذين كدنا نموت جوعا، فقد تداعينا على القطعة نأكلها في الظلام الدامس بشراهة، غير أننا أحسسنا أن هذا النوع من السمك كان غريباً جداً لكننا نمنا نوماً هادئاً، وبعد أداء صلاة الفجر في اليوم التالي ذهب أحدنا إلى مكان العشاء الذي تناولناه في الظلام ليستطلع نوع السمك المشوي، فإذا به يصرخ بأعلى صوته ويقول: كان عشاؤنا أفعى، كان عشاؤنا أفعى!!!.

والواقع أن الأمر ليس غريباً لأن أهالي القرى الوثنيين يأكلون الثعابين والأفاعي المشوية باعتبارها من المشويات الشهية!!

في كينيا وبعض الدول الإفريقية
تشوى وتطبخ الأفاعي [illegible]



يومان بلا طعام

في وسط المدينة عندما يلمس الجوع بطنا لأحدهم يطلب من خلال الهاتف أشهى الأكلات من المطاعم المشهورة بأطعمة ذات طعوم وأشكال وألوان لا حصر لها، أما إن كنت في إفريقيا فالأمر له شكل آخر.

ذكرت مجلة «الحياة» عن د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - : في إحدى المرات ذهب بصحبة رفيق له في رحلة دعوية إلى صحراء شلبي بشمال كينيا بين مجموعة القرى الفقيرة التي تكاد تنعدم فيها حتى متطلبات العيش الضرورية! فلم يجد فيها دكانا يشتري منه طعاما أو موادا غذائية، ولم يعثر فيها على مطعم، ولو كان مطعما صغيرا لإعداد وجبات بسيطة تمنع لسعات الجوع التي قد يتعرض لها المرء في مثل هذه الظروف والأحوال.

مر عليه يومان كاملان من دون طعام، وهو يدعو الناس هناك إلى دين الله، ويشرح لهم عقيدة الإسلام مقتديا بحبيبنا محمد - صلى الله عليه و سلم الذي عصب بطنه من شدة الجوع، وخرج ذات ليلة فلقي أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما -، فقال: « ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة؟ » قالا: « الجوع يا رسول الله!». قال: « وأنا والذي نفسي بيده، لأخرجني الذي أخرجكما ». رواه مسلم

كان هذا الهدي النبوي العظيم هو المعين الذي يتزود منه السميط بالصبر الجميل الذي يعينه على تبليغ دعوة الحق في هذه المناطق النائية والأحوال القاسية.

اللحم المشوي المتبّل بالغبار

يقول السميط – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ٤٢ – أبريل ٢٠٠٣م: عندما ضربت مجاعة شديدة تشاد، قمت بجولة في منطقة تقع شرقها، تستوطنها قبائل عربية منذ مئات السنين: كبني خزام وبني سليم وقبائل الرشايدة التي يسمونها: بني راشد.

لم تكن الطرق إلى هذه المناطق أو داخلها معبدة، ولك أن تتخيل سحب الغبار الناعم التي تتكون بسبب حركة المرور.

كان سائق السيارة ملثماً كعادته غير آبه بالحالة التي كنت عليها، وأنا أصارع الغبار الذي يداعب أجفاني ويستقر في أنفي خلال أسبوع كامل، ولم يكن طعامنا فيه غير اللحم المشوي المتبل بالغبار الناعم!

لا أريد أن أحدثك عن مذاقه، ولكنني أنصحك بعدم تناول اللحوم المطبوخة أو المشوية إذا أضيفت إليها غير التوابل المألوفة!

بعد هذا الأسبوع الحافل بما ذكرته لك، وبما لم أذكره لك ، استمتعنا بالاستحمام في حمام بسيط جداً، لنزيل ما علق بأجسامنا من الغبار الذي صار وحلاً، أما الملابس فلم نملك غير نفضها لأن كمية الماء كانت قليلة، والواقع أنني شعرت بنعمة الماء والاستحمام في هذا الوقت من الشدة، النعمتان اللتان قد لا يشعر المرء بمتعهما الحقيقية في وقت الرخاء!

العواصف الرملية



الشاي الملوث الشهي

ويقول - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٤ - فبراير ٢٠٠٠م: عندما حدثت مجاعة في عام (١٩٨٤م) في القرن الإفريقي ودول الصحراء الكبرى كانت منطقة غرب السودان من أكثر المناطق تأثراً، وكان الوصول إليها إما باستئجار طائرة صغيرة يكلف حوالي ٢٠٠٠-٣٠٠٠ دولار أمريكي في الرحلة وإما بالسيارات، وبما أن الطريق غير معبد ومزعج لكثرة ما فيه من مجاري السيول والخيران والرمال والصخور، لذا فلا تسير فيه إلا الشاحنات الكبيرة التي تنقل البضائع والحيوانات والبشر جنباً إلى جنب، وتستغرق الرحلة أكثر من أسبوع وأحياناً أسبوعين، تشبع خلالها من الغبار الذي يغطيك ويحولك إلى شبح، وفي الطريق تتوقف للصلاة وتمنح الإنسان فرصة لتناول شاي مصنوع من ماء ملوث، لكن صدقوني أن من سيشربه سوف يتلذذ به كأحسن شاي، والنوم غالباً يكون على الرمل وأحياناً في المقاهي التي قد توفر لك سريراً محلياً بدون فراش يسمي «العنقريب».

ورغم ذلك فإن كل هذا التعب تنساه وتشعر بسعادة عارمة عندما تبدأ العمل وسط أبناء غرب السودان الطيبين البسطاء الذين لا يعرفون الخبث، وقد حدث ذات مرة أنني ذهبت إلى السوق وأردت شراء قطعة من المصنوعات المحلية فقالت لي البائعة: إنها بجنية سوداني فقلت لها: بتسعين قرشاً! قالت: اذهب إلى فلانة في آخر السوق وأشارت إليها فهي تبيع نفس البضاعة بتسعين قرشاً، ذهبت ولم أصدق ما رأيت، هذه البراءة والطهارة والصدق في نفوس البسطاء من أهل القرى والأرياف.

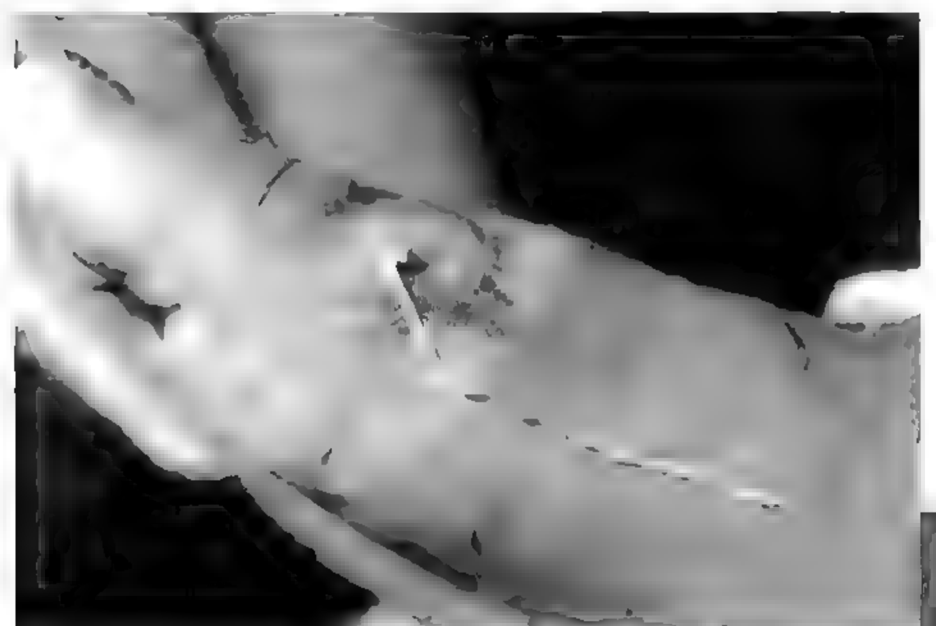


ديدان مدغشقر تنبت في الأقدام!

ذكرت مجلة «الكوثر» - العدد ٣٦ - أكتوبر ٢٠٠٢م: لاحظ د. عبدالرحمن السميط خلال زيارته إلى جنوب شرق مدغشقر لمتابعة مشاريع جمعيته هناك في فترة هطول الأمطار أن أغلب الناس في هذه المنطقة يمشون حفاة بسبب الفقر، بل إن بعضهم لا يعرف الحذاء ولا النعال، ولاحظ أن هناك الديدان تعيش في أصابع أقدامهم في المنطقة الواقعة تحت ظفر الإبهام، وعادة ما تنتقل إليهم من الطين.

وذات مرة زحلقت قدمه في الطين عدة المرات ووقع فيه وتلطخت به ثيابه، لكن والحمد الله أنه لم يصب بهذه الديدان.

والمؤلم أنه لا علاج لهذه الديدان لديهم إلا أن يستخرجونها بإبرة خياطة أو دبوس، وهي عملية مؤلمة جدا.





شرب الماء الملوث أمر معتاد

وفي كتاب «رجل.. من زمن الصحابة» للدكتورة رسمية شمسو ص: ١٠٣

يقول السميط -رحمه الله-: وأذكر أن من جملة المخاطر الصحية التي نتعرض لها في إفريقيا، أنني كنت ذات مرة في زيارة لبعض مشاريعنا في منطقة نائية بإحدى دول شرق إفريقيا، وقضينا ليلة في أحد مراكزنا حيث لا ماء نقياً ولا كهرباء، والماء المتوفر ملوث إلى أقصى درجات التلوث، ولا خيار أمامنا سواه، فكنا مضطرين إلى الشرب منه، وبعد يومين أو ثلاثة أيام بدأت تظهر على سيقاننا وأيدينا قروح، تفاقم بعفنها إلى درجة أن ديداناً أصبحت تخرج منها، لكن سرعان ما اختفت هذه القروح بدون علاج، والغريب أنها لم تسبب لنا أي ألم أو ارتفاع في درجة الحرارة.

ومن ناحية أخرى كنا نخشى أن نصاب بالملاريا بعد كل زيارة لهذه المنطقة إلا أن البعوض هذه المرة يبدو أنه كان رؤوفاً بنا، وحمدنا الله أن ذلك لم يحدث رغم لسعاته المتواصلة لأجسادنا طوال الليل.

إصابة السميط بالملاريا ورفضه تناول العلاج

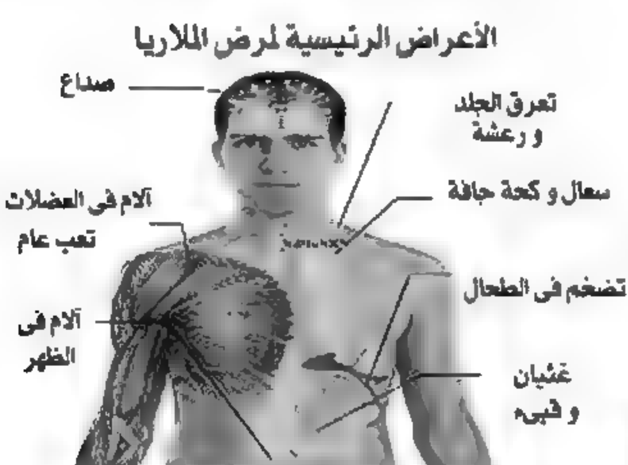
يقول الدكتور عبدالرحمن السميط -رحمه الله- في كتاب « الداعية الصغير»:

في زيارة السابقة لمرسابيت أصبت بالملاريا ورغم أن العلاج كان موجودا في جيبي، إلا أنني رفضت أن أتناول الدواء، إذ قلت في نفسي أن مليون شخص يموتون كل سنة من الملاريا في إفريقيا معظمهم من المسلمين، دون أن يتمكنوا من شراء دواء الملاريا الذي يبلغ سعره عشرة فلوس كويتيا أو(١١) هللة سعودية.

قلت لنفسي: أعيش كما عاشوا، وأموت كما ماتوا، ولا أجيز لنفسي أن آخذ الدواء لمجرد أنني من دولة غنية.

كانت الآلام شديدة، وحرارة جسمي ترتفع وأحيانا أشعر بالهلوسة، ربما لوصول الملاريا إلى المخ، جاء الإخوة بالممرض الوحيد في المدينة، وسمعته يشخص حالتي على أنها ملاريا ونظرا لإصابتي بجلطة سابقة في القلب وفي المخ وداء السكر وارتفاع ضغط الدم واعتذر عن تقديم أي علاج لي، خوفا من أن أموت، سمعته يطلب من الإخوة استئجار طائرة صغيرة لنقلي إلى العاصمة للعلاج، فأنا كما ذكر قاب قوسين أو أدنى من الموت، ولا أتحمل هذا الطريق المتعب الطويل بالسيارة إلى العاصمة، فقدت وعيي برهة، ولما استعددت سمعت الإخوة يتناقشون في استئجار طائرة، جن جنوني، ولكني لست في وضع يسمح لي بالمناقشة، لذلك قررت في لحظة ضعف إيماني أن أتناول الدواء من جيبي، فهذا أرخص بكثير من استئجار الطائرة التي قد يتجاوز استئجارها أكثر من (٥٠٠٠) دولار أمريكي.

بعد ٣ - ٤ ساعات تماثلت للشفاء بحمد الله، وطلبت من الإخوة نسيان موضوع الطائرة، لأعود معهم كما جئت بالسيارة بفضل من الله، وقررت مرة أخرى أن لا أتحدى مرض الملاريا وأن أتناول العلاج، حال ما أشعر بإصابتي بالملاريا.



صورة توضح أعراض مرض الملاريا

جحيم السفر والتنقل والمواصلات

إفريقيا قارة عظيمة المساحة تتجاوز مساحتها ثلاثين مليون كيلو مترا، ويعد هذا الأمر كفيلا ببيان مدى المشقة في الانتقال بين ربوعها المترامية الأطراف، ولكن اتساع الرقعة ليس بالأمر العسير إن كانت هناك طرق ممهدة سريعة ووسائل مواصلات حديثة كالمطارات المجهزة والطائرات الحديثة والسكك الحديدية المتطورة. هذا الأمر قد تجده في دول أوروبا وأمريكا حيث الانتقال بين مساحات شاسعة لا يسبب المشقة الكبيرة التي كان السميط ومن معه يعانونه في التنقل من مكان إلى آخر. والطبيعة الجغرافية في إفريقيا بالغة الصعوبة حيث الصحاري القاحلة والأحراش الكثيفة والأدغال، فضلا عن المستنقعات المتناثرة في جميع المناطق غزيرة الأمطار نتيجة لعدم وجود برامج تنموية لاستغلال الموارد المائية.

كان على عبد الرحمن السميط ومن معه من رجال جمعية العون المباشر أن يتنقلوا في هذه البيئة الوعرة، حتى كان أحيانا يقطع مئات الأميال بين الأوحال والمستنقعات وصولا لقرية صغيرة غابت عنها أعين المنظمات الإغاثية والخيرية، ولكن عين الله لم تغفل ولم تنم، فيقومون بإيصال المساعدات الإنسانية أو للدعوة الإسلامية.

السفر قطعة من العذاب

يقول السميط – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ٤٠ – فبراير ٢٠٠٣م: لا أبالغ إذا قلت: إنني أقضي جزءاً كبيراً من وقتي بين الطائرات والمطارات أكثر مما أقضيه في بيتي، أو حتى يقضيه الطيّار نفسه بينها، خاصة إذا كان السفر إلى إفريقيا، وهو الغالب في برنامجي، حيث تأخير مواعيد الرحلات إلى ماشاء الله من الوقت، فأضطر إلى انتظار أقرب رحلة داخل قاعة المطار، الذي قد يطول إلى أربع وعشرين ساعة!

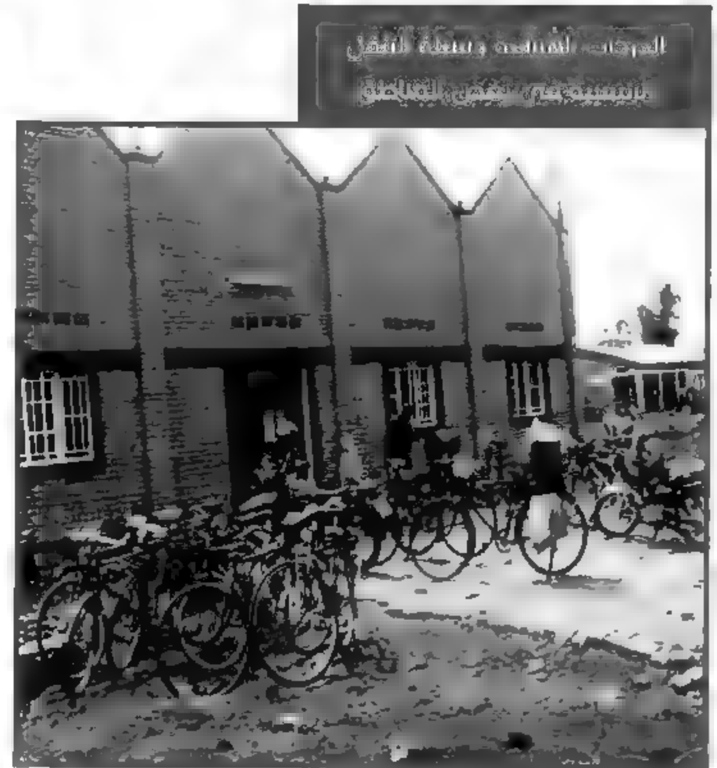


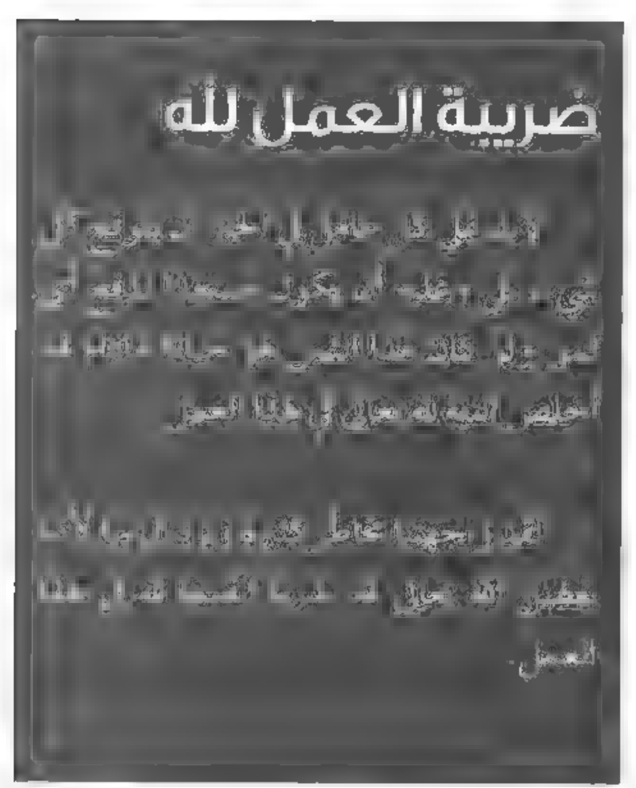
وأذكر ذات مرة أن إحدى الرحلات التابعة للخطوط النيجيرية تم تأجيلها إلى سبعة مواعيد متفاوتة على مدى أربع وعشرين ساعة لدرجة اليأس من تنظيمها، أما إلغاء الرحلات فهو من الأمور المألوفة في المطارات الإفريقية.

إن هذه المعاناة التي تستحوذ على معظم أوقاتي ولّدت في نفسي إحساساً بكراهية السفر، وعمقّت فيها الإيمان بأنه حقيقة قطعة من العذاب.

معضلة المواصلات

ويذكر د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٧٨ - أبريل ٢٠٠٦م: من المعلوم أن الكثير من المناطق في إفريقيا لا تتوفر فيها سيارات لنقل الركاب، ولذلك نضطر عند زيارتنا لهذه المناطق أن نسير كسائر سكانها مسافات بعيدة على الأقدام، وفي بعض مناطق شرق كينيا التي تعاني هذه المشكلة أسس أحد الوثنيين شركة لنقل الركاب والبضائع بالدراجات الهوائية بين القرى في منطقة كليفي، وعين مجموعة من المسلمين سائقين، لكنه اشترط عليهم عدم أداء الصلاة أثناء العمل، فقمنا بشراء ثلاثة دراجات نارية لثلاثة من هؤلاء لكي يعملوا عليها لأنفسهم في نقل الناس والبضائع دون أن يمنعهم أحد من الصلاة، ولذلك اتفقوا على تأسيس شركة ثلاثية، إضافة إلى قيامهم بالدعوة إلى الله تعالى.





العمل في إفريقيا له ثمن آخر

يقول السميط- رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٣٤ - أغسطس ٢٠٠٢م:
ليس هناك شيء أتضايق منه أكثر مما أتضايق من السفر، ولا شك في أنك تشاطرني هذا الإحساس، فأنت تقضي عدة ساعات قبل سفرك في الاستعداد والانتظار، وعدة ساعات أثناء الرحلة، وساعات أخرى عند بلوغك محطة الوصول، كلها مستقطعة من عمرك دون أن تستطيع أن تنتج خلالها شيئاً يذكر، لكن المشكلة الكبرى عندما يكون السفر جزءاً من عملك وأساس حياتك.

وقد أضطر أحياناً إلى زيارة ثلاث دول في أربع وعشرين ساعة، وهذا أمر متعب حتى في بلادنا، فما بالك إذا كان في إفريقيا حيث تلغى رحلتك أحياناً وأنت على متن الطائرة!

فقد تبيع بعض الخطوط الجوية الإفريقية طائرتها الوحيدة بينما أنت في المطار تنتظرها! حقاً إن السفر قطعة من العذاب.

كم من مرة أصل فيها إلى مطار إحدى الدول الإفريقية، ويكون في استقبالنا أحد العاملين في مكتبنا مصحوباً بسمة الدخول الأصلية، ومعي نسخة منها أرسلت لي بالفاكس، ورغم هذه الإجراءات الاحتياطية، يرفض موظفو الجوازات السماح لي بمقابلة مدير مكتبنا الموجود في المطار لأستلم منه تأشيرة الدخول، بل يرفضون كذلك حتى دخول موظفي مكتبنا لتسليمي سمة الدخول، فتكون النهاية أن أعود من حيث أتيت بسبب تعنت بعض المسؤولين في المطار.

لقد تعرضت لمثل هذه المواقف عدة مرات، حتى إنني ألفت هذه المعاملة فلم أعد أغضب مما يترتب عليها، لأنني مقتنع بأن هذا التحمل هو جزء من الثمن الذي ينبغي أن يدفعه من نذر نفسه للعمل في إفريقيا.



متعة الحياة القديمة

يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٢٥ - نوفمبر ٢٠٠١م: العمل الخيري في إفريقيا علمنا أموراً ماكنا نعلمها في بلدنا مثل ركوب الحمير كوسيلة مواصلات، وامتطاء ظهور الجمال في المجاعات، واستقلال الشاحنات خاصة في الصندوق الخلفي المخصص لحمل الأمتعة.

لن أجامل وأقول إنها متعة، فركوب الجمل لمن لم يركبه من قبل محنة متواصلة، واستخدام الحمار يحتاج إلى صبر أيوب -عليه السلام-، خاصة إذا عصى راكبه وامتنع عن الحركة، أما الشاحنات فلا أزكيها إطلاقاً خاصة في الطرق الوعرة حيث تتدحرج فيها كأنك كرة سلة تصعد وتنزل عدة مرات كل دقيقة إلى حد ينسيك الحياة الهانئة في السيارات العادية.

أحد الإخوة من المتطوعين الكويتيين، وهو محام قضى مدة طويلة في أقصى غرب السودان في أعمال الإغاثة، ونظراً لعدم وجود وسيلة نقل أخرى اشترى حماراً (وهو ابن العائلة الثرية) كان وسيلته التي يحمل عليها ما يحتاج إليه من مواد الإغاثة، وكان - جزاه الله خيراً - سعيداً بهذه الحياة الصعبة والمعاناة هناك كأن حياته كما يقول: «أصبحت ذات معنى بخدمته لإخوانه المحتاجين» وهو رأي أغلب المتطوعين، أسأل الله أن يجمعني وهؤلاء في جنات النعيم.



رحلة صعبة إلى منطقة لانغاني (مدغشقر)


استخدام القوارب للتنقل بين الجزر

ونقلت مجلة «الكوثر» - العدد ٥١ - يناير ٢٠٠٤م عن د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله -: سبق لي أن كتبت قبل فترة عن إحدى المناطق المنعزلة في مدغشقر اسمها نماكيا، وأود أن أكتب اليوم عن بلدة أخرى هي لانغاني التي تبعد عن عاصمة إقليم ماجونغا ٨٠ كيلو متراً، ويمكن الذهاب إليها بالسفينة على مرحلتين: إلى ماجمبا عبر سفينة كبيرة وقوية أولاً، وبعده تنتظر على الشاطئ وصول سفينة صغيرة متجهة إلى لانغاني.

تستغرق رحلة الذهاب أو الإياب ما بين يومين وأربعة أيام وفق حالة الجو، إن كان صحواً خالياً من العواصف والرياح والأعاصير، أو مضطرباً وهذا نادر في هذه المنطقة.

أذكر أنني حاولت قبل سنوات زيارة هذه المنطقة، ونظراً لضيق وقتي استأجرت طراداً بمحرك قوي بسعر غال، وبعد حوالي خمس ساعات من السفر المضني وسط الأمواج، اعتذر قائد القارب عن مواصلة الرحلة لأنه لا يستطيع بلوغ هدفنا، فالبحر هائج والوقود بدأ ينفد، ومن المؤكد أنه لا يكفي للذهاب والعودة، ثم طلب منا أن نلجأ إلى أقرب جزيرة تجنباً

للغرق بسبب الأمواج، وبعد عدة ساعات من الانتظار في هذه الجزيرة غير المأهولة، والتي عثرنا فيها على آثار إسلامية ترجع إلى حوالي ٥٠٠ سنة، عدنا بالقارب بعد هدوء العاصفة دون أن أتمكن من زيارة منطقة لانغاني.

إنها المنطقة التي سمعت من مكتبنا عنها الكثير ولم أستطع الوصول إليها، فهي مليئة بالمستنقعات، يعيش فيها ٨٠٠٠ شخص كلهم مسلمون أو كانوا كذلك يوماً ما، لم ير أي من سكانها مصحفاً في حياته، أو أي كتاب إسلامي بأي لغة كانت.

تحتوي على ثلاثة مساجد فقط بنيت من القش والطين وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، أما معلومات إمام أحد المساجد فيها عن الإسلام فتقل عن معلومات طالب الصف الأول الابتدائي عندنا، وعدد الذين يصلون فيها قليل جداً ولا يفقهون دينهم وهم في تناقص، جدير بالذكر أن هناك طريقاً برياً يصلح لسير الشاحنات أو سيارات الدفع الرباعي، تقطعه السيارة في يومين ذهاباً ومثلها إياباً إذا لم تنزل الأمطار ولم تكن هناك عواصف أو تتعطل السيارة.

أرسلنا لهم قافلة دعوية، ولكن الأمطار الغزيرة فاجأت أعضاءها في الطريق، فاضطر الإخوة للبقاء في ماجمبا خمسة أيام تحت عشة مسقوفة بجريد نخيل جوز الهند، وعاشوا على ثماره والأسماك حتى توقفت الأمطار الغزيرة، ثم جاء زورق صغير فنقلهم إلى لانغاني للدعوة هناك.

وزع دعاتنا هناك نشرات إسلامية باللغة المحلية رغم قلة من يستطيع القراءة والكتابة، وحدثوا الناس عن الإسلام، ولكن أياماً قليلة لا تكفي لإصلاح مفاهيمهم، فهم بحاجة إلى داعية يقيم بينهم ثلاثة أو ستة أشهر حاملاً معه بعض الهدايا والكتب الإسلامية باللغة المحلية حتى يعيدهم إلى الإسلام.

تسعة كيلومترات سيرا في الأوحال

يقول السميط في «رسالة إلى ولدي- رحلة خير في إفريقيا» ص ٤٣: في إحدى المرات التي غرزت عجلات السيارة في الطين وتوقف المحرك، أراد السائق أن يطمئننا لأن الظلام بدأ يحل - لا فض الله فاه - فقال: لا تخشوا بأسا، إن هناك قرية فيها مسلمون على جانب الطريق وعلى بعد (٩) كيلومتر ولديهم إبل وأبقار يمكن أن نشرب من حليبها، وتسعة كيلومتر عند إخواننا السواحيليين قد لا تعني أي شيء حتى (٩٠) كيلومترا، وحتى لو كانت المسافة (٩) كيلومترا، فتصور أن تسير على غير هدى وبدون طريق وسط الغابات والمطر الشديد والوحل الكثير والشوك، لكن فضل الله كان علينا كبيرا، إذ استطعنا الوصول إلى المحطة الأولى وهي مدينة هولا ويسكنها حوالي (١٠) آلاف نسمة، ونمنا عند أحد التجار الذين جاء آباؤهم من حضرموت واستقروا في هذه البلدة، واستيقظنا قبل الفجر لنلحق بالصلاة في مسجد البلدة في هذه البلدة في الطرف الآخر، بعدها قمنا بزيارة للأيتام، وهي زيارة مليئة بالفرح والحزن في آن واحد، فرح لأن الكثير من أيتامنا حصلوا على درجات عالية جدا في المدرسة الحكومية، فهم يحصلون على رعاية لا يجدها أي طفل في المنطقة، وكانت تلاوتهم للقرآن جميلة، رغم قصر المدة التي قضوها معنا، والجانب المؤلم في هذه الزيارة لقاؤنا مع بعض الأيتام الذين لم يستطيعوا أن يتلقوا أي علم في المدرسة أو في دار الأيتام بسبب تخلفهم العقلي، وقد كان السبب في هذا التخلف كما ذكر طبيبهم المعالج سوء التغذية شديد في مراحل الطفولة منعت نمو قدراتهم الذهنية، وذكر الطبيب كذلك أن جميع أيتامنا مصابون بدرجات مختلفة من سوء التغذية عندما قبلناهم لأول مرة، فالمحظوظ منهم كان يأكل وجبة واحدة من الدقيق في اليوم، ولم يكن بينهم أي طفل يأكل (٣) وجبات يوميا في منزله.



في الطريق لخوض أحد المستنقعات



العمامة حزام لنقل الحركة

قال السميط – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ٣٠ – إبريل ٢٠٠٢م: في تشاد وفي أحد مواسم هطول الأمطار قبل عدة سنوات جاء مدير مكتبنا في جنوب تشاد إلى العاصمة لإنجاز بعض أعمال المكتب ورغم الأمطار الكثيفة أصر على العودة بعدما أنهى مهمته.

نصحناه بالبقاء في العاصمة إلى حين توقف الأمطار فأبى بدعوى أنه لا يدري متى تتوقف، فخرج متوكلاً على الله ومصطحباً معه عدداً من الإخوة العاملين معه في المكتب، وغادر العاصمة عبر الطريق الترابي الذي تحول إلى كتل وأكوام من الوحل، استطاعت السيارة عبور أول مستنقع بصعوبة، ولكن الفرحة لم تكتمل، فما لبث حزام نقل الحركة (القايش) أن انقطع وحمدوا الله أن كان معهم حزام آخر احتياطياً، قام السائق بتركيبه على الرغم من غزارة المطر، وتحركت السيارة ثانية بعد أن تجدد الأمل في مواصلة الرحلة، ولكن بعد أن استطاعت اجتياز مستنقعين آخرين انقطع الحزام البديل، ولم يكن لديهم غيره، فتفتق ذهن السائق عن فكرة غريبة: إذ قام بفك عمامته وتركيبها بدلاً من الحزام التالف، وهكذا هي إفريقيا! ولكن وعلى مشارف المستنقع التالي توقفت السيارة تماماً، ولم تستجب لأي محاولة لتحريكها.

ما زاد الطين بلة أنهم أصيبوا جميعاً بالملاريا ماعدا السائق، فارتفعت درجات حرارتهم حتى عجزوا تماماً عن الحركة، فما كان من السائق إلا أن توجه إلى أقرب قرية من المكان مشياً على الأقدام طلباً للمساعدة. فتبين أن أهلها وثنيون، ولكنهم هرعوا لمساعدة الإخوة الذين دخلوا مرحلة الهذيان وفقدان الوعي بسبب شدة الحمى.

بعد أن نقلوهم إلى القرية، وضعوهم في كوخ قذر تفوح منه رائحة كريهة فكان الإخوة إذا أفاقوا من نوبة الحمى، عادوا إليها بفعل رائحة الكوخ وما زاد حالتهم الصحية تدهوراً أنهم لم يستطيبوا أو يستطعموا الطعام الذي تبرع به الوثنيون، فلم تكن رائحته ولا طعمه يسمحان لأحد بالاقتراب منه.

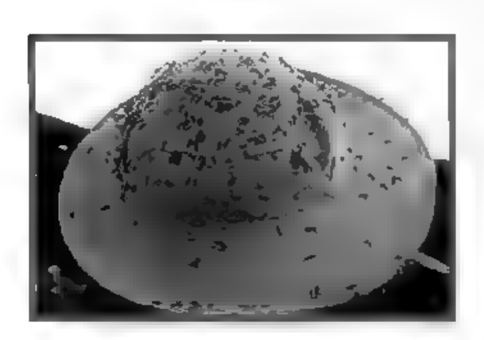
ووسط هذا الجو الكئيب عثر السائق على شاحنة متجهة إلى العاصمة فتسلقها، وعند منتصف الليل وصل إلى مركزنا هناك، فأيقظ العاملين فيه، وتوجهوا إلى أحد الفنيين فأيقظوه من نومه، واصطحبوه معهم وطبيب المركز د. عبد الرحمن جمعة إلى حيث ترك الأخوة في القرية الوثنية!

وصلوا المكان عند الفجر فانهمك الطبيب في علاج المرضى، بينما انشغل الفني بإصلاح السيارة، ولم ينته منها إلا عند الظهر ليعودوا بعدها جميعاً أدراجهم إلى العاصمة.

ورغم هذه الصورة من صور المحن التي نبتلي بها في هذه القارة، إلا أن هناك من يدعي أننا نعيش فيها حياة كلها رفاهية!

«كماشة» البعوض والمطر

ويقول السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٣١ - مايو ٢٠٠٢م: وفي تشاد كذلك أثناء عودتنا إلى العاصمة من زيارة لبعض القرى قبل حوالي عشر سنوات، قرر سائق السيارة التي تقلنا أن يسلك طريقاً ترابياً أقصر مسافة اختصاراً للوقت، وحتى ندرك موعد الإفطار في العاصمة فقد كنا حينها في شهر رمضان.



وما كادت السيارة تغادر الطريق المرصوف، حتى غرزت عجلاتها في التراب، فقد كانت تربة الطريق ناعمة جداً حاولنا بكل الطرق تحريكها، إلا أنها أبت، وتشبثت بالأرض ومما زاد الطين بلة هطول المطر الذي تدفق بغزارة لم تعرف لها المنطقة مثيلاً من قبل، وتجمعت حولنا أعداد هائلة من البعوض الذي أعجبه مذاق دمائنا، فانكب علينا يهاجمنا من كل صوب.

وأسقط في أيدينا ونحن ضائعون بين المطر والبعوض، وعجزنا عن تحريك السيارة لفت حالنا انتباه عدد من شبان إحدى القرى المجاورة، فهرع إلينا ما يقرب من عشرين رجلاً، يبدو عليهم أنهم من الجنوب، فجميعهم عمالقة الأجسام، حاولوا انتشال السيارة من الطين، ولكنها استعصت حتى على أولئك العمالقة.

بعد أن استنفذوا كل الحيل، اتجه أحدهم إلى شجرة وقطع جذعها بفأسه وسحبوه إلى المكان الذي نقبع فيه، فأدخلوا الجذع أسفل السيارة، وبعد محاولات استمرت ست ساعات تمكن الشبان من تحريكها من مكانها وشكرناهم، وأخبرناهم بأننا مسلمون، نؤمن بإله واحد ليس له ولد ولا زوجة ولا مثيل، وإله قادر على كل شيء، وهو الذي يحيي ويميت، وينزل المطر من السحاب، ثم وزعنا عليهم (فانيلات) تحمل شعار «لجنة مسلمي إفريقيا» -الاسم السابق لجمعية العون المباشر-، وحدثناهم عن الإسلام ودعوناهم إليه، وبعد هذا اللقاء جاءوا لزيارة مكتبنا، وأظن أنهم قد دخلوا الإسلام.

عبد الرحمن السميط والدراجة الهوائية



أمطار مدغشقر وماتخلفه من أوحال وصعوبات

وقعت حادثة للدكتور عبدالرحمن السميط - رحمه الله - في مدغشقر وبالتحديد أغسطس سنة (٢٠٠٥م)، كانت سبباً في هذا المشروع، فيصف الدكتور عبدالرحمن السميط الأمطار في مدغشقر فيقول: الأمطار هناك غزيرة ويومية، إذ ينزل من المطر في يوم واحد قدر ما ينزل في الكويت في سنة، والغريب أنك لا ترى في القرية أي نقعة للماء بعد نزول المطر مباشرة، أما الطرق الريفية فتمتلئ بالوحل، مما يتعذر معه الوصول إلى القرى حتى بالدراجة الهوائية.

وبهذه المناسبة أذكر يوماً أعطيت أحد الإخوة سيارتي وحاولت قيادة الدراجة الهوائية للذهاب إلى السوق رغم أن ابني الأصغر سبق أن حذرني منها حتى لا يقع لي حادث، ويبدو أنني نسيت كيفية قيادتها، فوقعت منها وجرحت ركبتي وكتفي ويدي بعد مسيرة خمسة أمتار فقط، ونمت بعدها في السرير يوماً كاملاً، صعب عليّ خلاله القيام والمشي حتى للصلاة وأخذت عهداً بيني وبين نفسي أن لا أقود الدراجة الهوائية مرة أخرى حتى يدربني عليها أحد أولادي أو أحد الدعاة.

النوم تحت المطر أرحم

يروي الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- طرفة من مئات الطرائف التي تدل على خفة ظله وحلاوة روحه رحمه الله.

ويذكر د. السميط – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ٤٩ – نوفمبر ٢٠٠٣م: خلال ربع القرن الماضي سافرت مئات المرات إلى إفريقيا، ورافقت في بعضها عدداً من الأخوة ولكن في أغلبها كنت أسافر إما وحيداً أو مع عائلتي، لكن رحلتي إلى جزيرة مدغشقر مع الأخ فوزي بو قريص لا تنسى –والأخ فوزي بو قريص يعد من أكثر الإخوة ملازمة للدكتور السميط–.

فقد كان من الضروري أن أزور منطقة نائية في جنوب مدغشقر للاطلاع على مشاريع المحسنين والتأكد من حسن تنفيذها، وعقد دورات للدعاة والمسلمين الجدد، وحل أي مشاكل قد تواجه مراكزنا هناك.

السفر بالطائرة كان مزعجاً، حيث تم تغيير رحلتها الداخلية، وانتقلنا إلى طائرة أخرى عبر مطارات بدائية، لكن الأدهى أن منطقة مناكارا كانت مليئة بالبعوض الذي أبدى إعجابه بالدم الكويتي فحرص على أن لا يفارقنا لحظة واحدة في الليل وخاصة مناطق الجسم المكشوفة مثل الساقين واليدين والوجه.

أما في النهار، فالأمطار حولت الطريق إلى أوحال جعلت مرور السيارة أصعب من مرور الراجلين مشياً، حيث تنزلق إلى اليمين فإذا حاولت ضبط اتجاهها انزلقت إلى اليسار وهكذا.

وفي طريقنا إلى القرى النائية، لم تكن هناك مطاعم ولا دكاكين ولا مواد غذائية تباع، وكنا نبقى جياعاً حتى عودتنا إلى مكان إقامتنا منهكين نتضور جوعاً إلى وقت متأخر من الليل.

الأخ فوزي بوقريص (الأول على اليسار) رافق السميط سنوات طويلة

وأذكر جيداً في يوم من الأيام خضنا المستنقعات لمدة أربع ساعات كاملة حتى وصلنا بعد جهد كبير إلى القرية التي نقصدها، واعتذر الأخ فوزي عن العودة إلى مكاننا الذي نبيت فيه بسبب تعبه ولم يكن هناك مكان مناسب للنوم أو الأكل في القرية، وأخيراً عاد معنا بعد راحة دامت بضع ساعات هناك.

لكن المشكلة الكبرى كانت في النوم حيث كان شخير الأخ فوزي يهز الغرفة بكاملها، بشكل لم أسمع له مثيلاً من قبل، الأمر الذي دعا مدير مكتبنا في مدغشقر إلى أن ينام في نفس الغرفة ويترك لي الغرفة الثانية إكراماً لي رغم شخير الأخ فوزي، ولكنه عندما انتصف الليل لم يتحمل غطيط رفيقه ففضل النوم تحت المطر!

هذه القصة رغم ما فيها من طرائف إلا أنها تبين مقدار المشقة البالغة التي كان يعانيها السميط ورفقة الخير من العاملين بجمعية العون المباشر، أربع ساعات في الأوحال ومعاناة في النوم والانتقال والتعايش، ورغم ذلك تجد علامات الرضا والبسمة على الوجوه، فلله در من أرضى الله بمشقته، وقنع قلبه بحلاوة الإيمان.

العذاب صديق الرحلة في تشاد

يقول د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ٣٩ – يناير ٢٠٠٣م: كنت في زيارة إلى أقاليم – شرق ووسط– تشاد حيث وصلتنا تقارير عن مجاعة في بعض الأقاليم، فالعشرون كيلو متراً الأولى من طريقنا إلى هناك كانت معبدة، ولكن سرعان ما ودعنا هذه الرفاهية التي يسميها الناس الطرق المعبدة، حيث بدأنا السير في طرق ترابية رديئة للغاية تخترقها بعض مجاري السيول، وتغطيها أتربة ناعمة للغاية تدخل عينيك وأنفك، وإذا تثاءبت أو فتحت فمك امتلأ بها.

لم أدر كيف كان السائق يقود السيارة، فلا أثر للطريق ولم نكن نرى شيئاً عن اليمين ولا على الشمال إلا إذا كانت هناك شجرة على بعد متر منا، لم نستطع أن نرى حتى السماء - وظللنا على هذه الحال ساعات، لا يقطعها إلا التوقف للصلاة أو الطعام في قرية من القرى وأفضل طعام تجده عندهم اللحم المشوي الذي تكسوه الأتربة ، وإذا أردنا شرب الماء كان لزاماً علينا ألا ننظر إلى لونه - كان الله في عون أهالي هذه القرى - ، وإذا أقبل الليل كنا نفترش حصيراً لكننا كنا نختفي تحته، وننام على الأرض الخشنة ونجعله غطاء لنا بسبب البرد رغم الخوف من الأفاعي والعقارب.



الغريب أنه طوال الطريق كنا نرى الكثير من الشاحنات معطلة على جانبيه - هذا إذا سميتم ذلك طريقاً - منذ أيام، والتشاديون لا يتضايقون من ذلك، فهم يعتبرونه جزءاً من استحقاقات سفرهم، فتراهم يخرجون أواني إعداد صنع الشاي ويقضون وقتهم في شربه، أما نحن فرغم أن سيارتنا مبروكة - أي مباركة -، وهي سيارة (من نوع جيب) قطعت أكثر من ٣٠٠ ألف كيلو متراً نادراً ما تعطلت بنا، فقد كنا أفضل حالاً، وأسرع وصولاً إلى أماكننا المقصودة.

ورغم ذلك كم كان سرورنا عظيماً عندما كنا نمر بقرى هذه المنطقة ونرى العشرات من الأطفال والرجال والنساء في حلقات القرآن الكريم يتعلمون، فأهالي تشاد يهتمون كثيراً بحفظ القرآن الكريم بواسطة ألواح الخشب، فرغم فقرهم لا يفرطون في هذه الحلقات، وإذا ما دعاك شخص إلى طعام فإنه يقدم إليك أكلة من قطع كرش الحيوان، لأنها أفضل وأحب جزء من الحيوان المطبوخ عندهم.

الغوص في المستنقعات

وفي كتاب «رجل. . من زمن الصحابة» للدكتورة رسمية شمسو ص ١٠١

في رحلة السميط -رحمه الله- إلى قرية مكة ذهب في الطائرة ثم ركب سيارة قديمة، ثم سار ساعتين مشيا على الأقدام ثم مرّ في مستنقع، ومشى فيه أربع ساعات وسط الأرواث والتماسيح أربع ساعات متواصلة في مستنقعات يصل فيها الماء أحيانا إلى أعلى الصدر كلها روث بهائم، كلها أوساخ، وهو مصاب بالسكري، ليس معه نقطة ماء للشرب، فاضطر أن يشرب من ماء المستنقع الملوث بروث البهائم.



صورة توضح قذارة مياه المستنقعات

النوم في الصحاري والغابات

كان ينام وسط الحيوانات المتوحشة، وكان ينام تحت الأشجار.

في يوم من الأيام كان هو وعائلته في حالة تعب شديدة، فقد كانوا في السيارة منذ أربع وعشرين ساعة، ومعه أطفال ويحتاجون إلى الراحة، فطلب من المرافق معه - وهو إفريقي من الدعاة الأفارقة - أن يسمح لهم بالنوم، فرفض المرافق لأن المكان مليء بالحيوانات المتوحشة، ولاسيما البحيرة ففيها الكثير من التماسيح، فرد عليه د. السميط من شدة تعبه: يا أخي فليأت التمساح وليأكلنا فقد تعبنا، معي أطفال يصعب عليهم أن يناموا في السيارة، السيارة قديمة جداً، وليس عندنا إمكانية أن نشتري سيارات جديدة كما عند الأوروبيين.



د. عبد الرحمن السميط وقد قبض على تمساح عمره ٨ أشهر ولو كان التمساح أصغر لكانت أمه تحميه ولو كان أكبر لافترس من يقترب منه

أيها الشباب المسلمون الذين أخذتهم أضواء المدنية الغربية ورونقها، هلا سمعتم بهذا الرجل النبيل الذي تعلم في أرقى الجامعات الغربية وعندما أراد استكمال مسيرة حياته اختار إفريقيا، فهي أكثر الأماكن حاجة إليه، إن كان يعجبكم النظر إلى أعطافكم وملابسكم وصوركم، انظروا كيف كان السميط ومن معه لا يجدون ثيابا أحيانا إلا ما يستر أبدانهم، وتقع سيارتهم في الوحل فيكملون الطريق سيرا في الأوحال وبين الوحوش القاتلة في سبيل بلاغ رسالة الإسلام إلى من لم يسمع بها. إن كنتم قد مللتم من أنواع الأطعمة والأشربة بكل أنواعها وأشكالها، فهلا قرأتم عن دعاة يغيب الطعام عن بطونهم بالأيام والليالي، ويشربون ماء ملوثا ليحفظوا أنفسهم من الهلاك. إن كنتم لم تسمعوا أو تقرؤوا، فتعلموا ذلك من سيرة عبد الرحمن السميط -رحمه الله- والرفقة الطيبة من دعاة جمعية العون المباشر وغيرهم من الدعاة حفظهم الله ورعاهم.

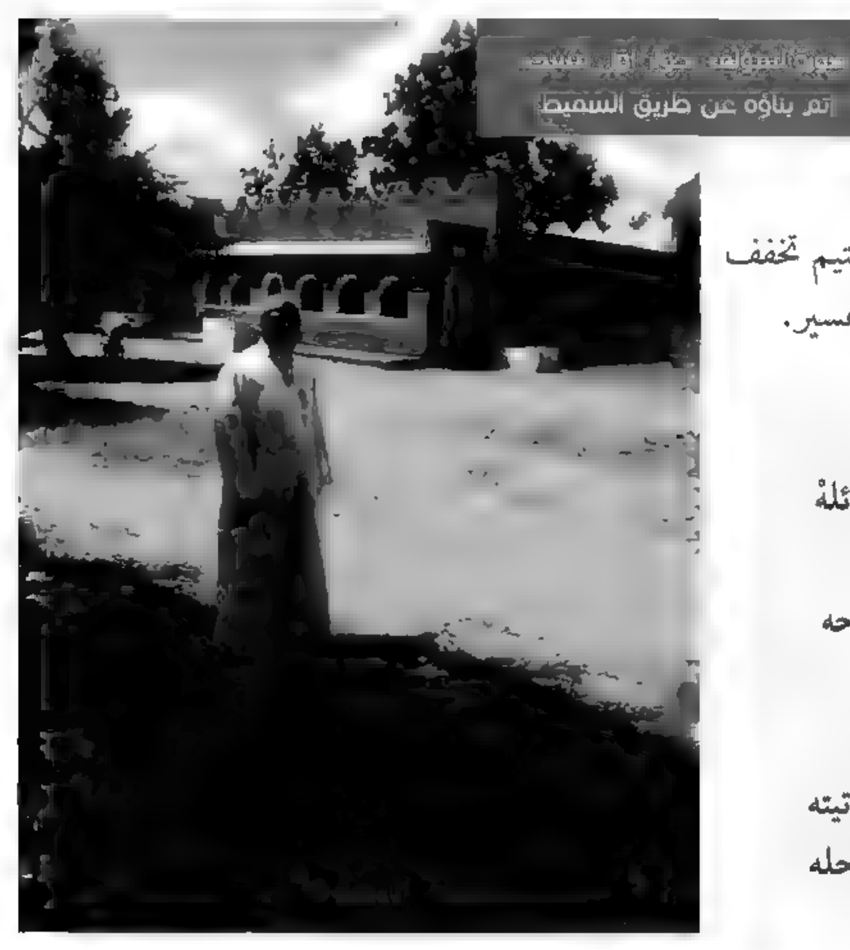
معوقات في طريق الدعوة

إن النجاحات التي حققها الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- والذي يعد بحق رائد العمل الخيري الميداني في عالمنا العربي والإسلامي، ومن معه من صحبة الخير من الدعاة والعاملين في جمعية العون المباشر، حتى صارت من أكبر المؤسسات الإسلامية والعربية العاملة في مجال العمل الخيري الدعوي والإنساني، وهي واحدة من أشهر وأهم الهيئات الإغاثية والخيرية على المستوى الدولي، كل هذه الإنجازات العظيمة التي تجل عن الحصر والعد، لا يعني ذلك أن الأمر كان ميسورا لعبد الرحمن السميط ومن معه، أو ممهدا ومفروشا بالورد والرياحين، بل كانت هناك العديد من المعوقات والعراقيل التي واجهت السميط وما تزال تواجه «جمعية العون المباشر»، وهذه المعوقات تزيد من عظمة الإنجازات التي تحققت في ثلاثين سنة وما زالت تتحقق على أرض الواقع بحمد الله ومنته.

فعندما تجد ملايين من الأفارقة أسلموا على يدي الرجل النبيل الدكتور عبد الرحمن السميط، ومعه الرفقة الطيبة من دعاة جمعية العون المباشر وآلاف المساجد والمدارس وحفر الآبار وكفالة الأيتام وإعالة الفقراء والمساكين، تستشعر كم الجهد المادي والعلمي والمعنوي، وكفاءة الإدارة الواعية التي تقف وراء هذه الأعمال الراقية النبيلة.

لم يكن الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- ذلك الطبيب الشاب الذي ذاق حلاوة المدنية والحضارة في كل مراحل حياته يتوقع أن رحلة قصيرة إلى إفريقيا لبناء مسجد سيطول بها العهد حتى تتخطى الثلاثين عاما، ترك خلالها كل هذه المظاهر الحضرية والمدنية وراء ظهره من أجل رسالة نذر نفسه لها حتى لاقى ربه، وقلبه ما زال معلقا بإفريقيا والدعوة الإسلامية والعمل الإنساني هناك. عاش السميط بين الأفارقة واحدا منهم، جاع مثلهم حتى إنه مرت به الأيام دون أن يطعم لقمة واحدة، وعطش حتى شرب من الماء الملوث، وأصيب بالأمراض الفتاكة كالملاريا وغيرها

وبجلطة في القلب عندما كان في الصومال، وكسرت فخذه وأضلاعه والجمجمة أثناء قيامه بأعمال إغاثة ومساعدة للمحتاجين في العراق، وتعرض للقتل من بعض القبائل المتعصبة، وتعرض للدغات الحيات ولصولات من الوحوش والضواري يشيب لها الرضع والولدان، ومع ذلك لم تثنه هذه المصاعب عن السفر والترحال والبذل في عمله ومشروعه الضخم في تقديم الهداية ودين الإسلام والعيش الكريم ومشاريع التنمية لأناس نسيهم العالم خلف الأدغال.



كانت لذة الدعوة والفرحة بإسلام ضال أو إغاثة محتاج أو كفالة يتيم تخفف عنه كل ألم وتهون في عينيه كل صعب وعسير.

تراهُ إذا ما جئتهُ متهللاً
كأنكَ تعطيهِ الذي أنتَ سائلهْ

فلو لم يكن في كفه غير روحه
لجاد بها فليتق الله سائله

هو البحر من أي النواحي أتيته
فلجته المعروف والجود ساحله

وجمعية العون المباشر قد أخذت على عاتقها عدم الاستسلام لتلك المعوقات، فقامت - بفضل الله - بتذليلها، وسعت جاهدة لتنافس غيرها لتكون في صدارة المؤسسات الإغاثية العاملة في إفريقيا.

تنوع المعوقات وضرورة تصنيفها

تتنوع المعوقات والصعوبات التي تواجه الدعوة الإسلامية المعاصرة في إفريقيا، وتختلف وفقا للبيئة والمنطقة والمدينة والدولة ، وتتباين من حيث القوّة والضعف، والأسباب والمظاهر، والأشخاص الذين يضعونها، سواء كانت معوقات مالية، أو إدارية، أو أمنية، أو قانونية أو طائفية، أو غير ذلك، ولا تكاد تخلو بيئة من معظمها.

أولا: العشوائية والارتجال وغياب التخطيط:

بما أن الدعوة من أفضل الأعمال عند الله فلابد من أن يوليها القائمون عليها عناية خاصة تليق بتلك المكانة الرفيعة، وحتى تؤتي تلك الدعوة أكلها وتنتج ثمارها فلابد من دراسة أسباب النجاح والمعوقات التي تقف في سبيل تقليل الثمار أو تعطيل النواتج. وقدوتنا في ذلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأن التخطيط والتدبير من باب إتقان العمل الذي يحبه الله ورسوله، الذي يقول: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» أخرجه الطبراني بإسناد صحيح .

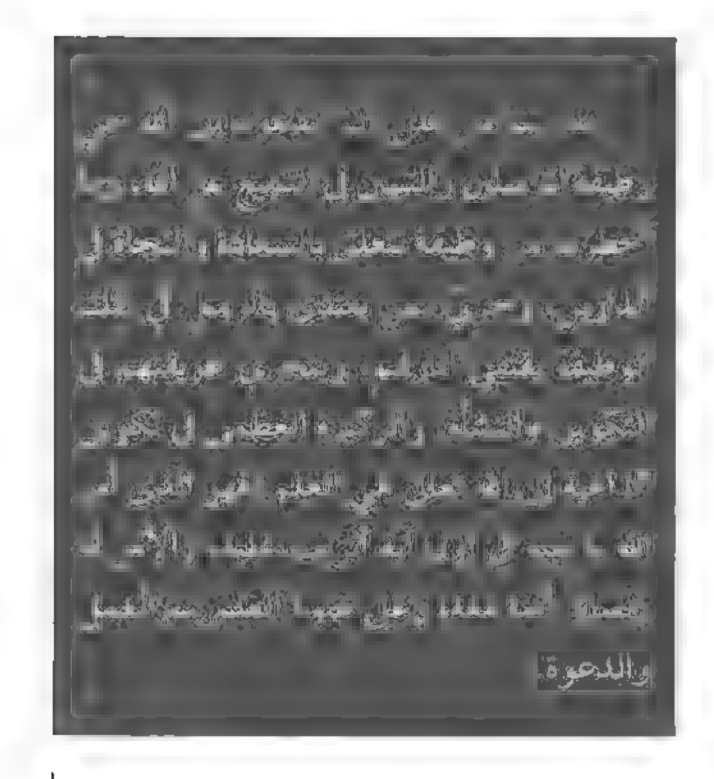
فإذا تعلق الأمر بالدعوة كان هذا الإتقان من باب الواجبات وليس التحسينات فحسب، لأن ما لا يتم به الواجب فهو واجب، وفي الحديث آخر يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ماينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قدر الله وما شاء فعل فإن (لو) تفتح عمل الشيطان». رواه البخاري ومسلم .

ويقول – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ٧٠ – أغسطس ٢٠٠٥م: يحتاج العمل الخيري الإسلامي إلى نظم إدارية حديثة، تعمل وفق استراتيجية واضحة وخطط عمل قصيرة المدى وأخرى طويلة المدى، ورؤية واضحة الأهداف التي يراد تحقيقها.

لقد مللنا من أعمال التخبط والارتجال والعشوائية التي تحيط بالعمل الخيري، فقد رأيت عشرات الوفود التي تأتي إلى إفريقيا وتعود من حيث أتت دون أن تحمل معها برامج تحدد من خلالها أهداف الزيارات أو المسيرات والقوافل الدعوية سوى قولها إنها خرجت للدعوة، وهي كلمة فضفاضة عامة، تحتمل عشرات الدلالات والمعاني، ولكني أؤكد أنه ليس من بينها دعوة حقيقية تضرب جذورها في الأرض، وتتفرع في السماء شجرة مثمرة يراها الجميع بعيونهم ويشعرون بظلالها.

فقد يعود زيد من الناس ليفخر في مجالسه بأن عشرين شخصاً قد أسلموا هنا وعشرة هناك على يديه، ولكنك عندما تسأله عن خطته لمتابعتهم وتعليمهم لا يستطيع أن يعطيك جواباً مقنعاً، وعندما تسأله كذلك عن عدد الأشخاص الذين تسبب في تثبيط عزائمهم لمعرفة الإسلام بتعامله الجاف وطريقته غير الحكيمة في الدعوة إلى الله، فربما تضايقت نفسه من مثل هذا السؤال .

ثانيا: ضعف التأهيل العلمي والتربوي للدعاة:



يقول تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٠٨﴾ (يوسف ١٠٨) وليس المراد بالعلم العلم النظري فقط بل على الداعية أن يكتسب الخبرات الميدانية والعملية للواقع والبيئة التي يعمل فيها، وفهم التباين بين المجتمعات المختلفة والطرق الناجعة لكل بيئة والتي قد تصلح لمكان دون آخر ولحال دون آخر.

إن من أكبر عقبات الدعوة عدم وجود دعاة تعلموا عملياً كيفية الدعوة، فجامعتنا الإسلامية أحياناً مع الأسف تعلم ولكنها لا تربي، لذا فإن الكثير من خريجيها لديهم علم كثير والتزام أقل، ولذا لا أتردد في أن أقول أن أعداء الدعوة في إفريقيا هم بعض أبناء الإسلام مع الأسف بسبب الحماس أو التهور ، فنحن بحاجة إلى حكماء يفعلون ما يقولون ، ويجسدون أخلاق القرآن فعلياً في حياتهم ويترفعون عن الصغائر. لابد من إعطاء عناية كبيرة لإعداد الدعاة فقهيا وسلوكياً وروحياً وفكرياً، ولابد أن يأخذ هذا الجانب عناية فائقة من طرف مسؤولي المكاتب ومسؤولي الدعوة فيها.

ثالثا: المعوقات المالية:

إن استثمار الأموال في أي مجال دنيوي محفوف بمخاطر الخسارة بالإفلاس أو السرقة وإتلاف الجوائح واختلاس الشركاء وكساد السلع وإعراض المشتري ومنافسة السوق، أما التجارة واستثمار المال في الدعوة إلى الله ونصرة الدين ومواطن الخير فمن أضمن الاستثمارات، فالمنفقون لهذا المال ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾[فاطر: ٢٩] أصحاب هذا الاستثمار هم الآمنون يوم الخوف الأكبر، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨- ٨٩].

يعتبر الدعم المالي والمادي من أهم عوامل نجاح الدعوة الإسلامية منذ البعثة المحمدية، فقد كان لأصحاب المال دور عظيم في نصرة الحق وأهله، حتى قال النبي - صلى الله عليه وسلم - عن أبي بكر: «ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يدا يكافئه الله به يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر، ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا» رواه الترمذي.

وقال - ﷺ- عن عثمان حين جهز جيش العسرة بماله: «ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم».

إن مؤشرات التخلف المخيفة التي تعاني منها البلدان الإفريقية بشكل عام والمسلمون منهم بشكل خاص، هو العامل الذي فرض على جمعية العون المباشر أن تتوسع في مجال تداخلاتها كوضع استثنائي وإنساني، لأن الأصل في عمل المنظمات غير الحكومية هو التخصص فحيثما يرحل الدعاة للعمل، واجهتهم حالات الفقر والحاجة لأبسط الضروريات، ودائماً تضطر جمعية العون المباشر لتعديل البرمجة الزمنية لبرامج تأهيل المهتدين الجدد مثلاً حتى لا تتعارض مع مواسم الزراعة والحصاد حيث لا يمكنهم البتة التفرغ في أي وقت لتعلم دينهم، وهذا على سبيل المثال لا غير، وتتمثل أهم المعوقات في:

- ضعف التأهيل نظرا لضعف قلة التكوين في بعض مكاتب الجمعية.

- انعدام الحافز المادي المشجع يؤدي لانتشار الروتين الممل في العمل.

- قلة الرواتب يحول دون توظيف طاقات مؤهلة تأهيلا جيدا.

- قلة الوسائل المساعدة على إنجاح الأعمال بشكل جيد (سيارات، دراجات.. الخ)

- غلاء المعيشة وخاصة غلاء التعليم الخاص بالبلاد الإفريقية خاصة وأن التعليم في دولة إفريقية يكون باللغة البرتغالية هي اللغة الرسمية، ويكون مستوى التعليم ضعيفا ، لذا لا يستطيع الإخوة العاملون الخارجيون إدخال أبنائهم في المدارس الخاصة.

- المنافسة الشديدة من الهيئات غير المسلمة، والتي تنفق أموالا طائلة، وتمتلك إمكانات هائلة تسخرها لخدمة أهدافها في المناطق المختلفة، رغم أنها لم تحقق أي تقدم في خططها في البلد.

وقد عمل الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- وجمعية العون المباشر على تذليل هذه العقبات المالية وإبداع الطرق والوسائل لتوفير الموارد المالية اللازمة لإقامة مشاريع الجمعية وضمان استمرارها،

وذلك من خلال الأعمال الوقفية وحسن استغلال الموارد، والتواصل الدائم مع مصادر التمويل الخيري من المتبرعين والمحسنين صغارهم وكبارهم، والهيئات الرسمية والحكومية في جميع أنحاء العالمين العربي والإسلامي، حتى صارت أعمال الجمعية مصدرا للثقة في كفاءة العمل الذي تقوم به. ومن وسائل الإبداع في استغلال الموارد المالية في العمل الخيري أن السميط وجمعية العون المباشر اعتمدت طرق التنمية المستدامة للأفارقة بدلا من التبرع المالي للمحتاجين، فنادراً ما كان السميط يقدم المال للفقراء، ولكن يقدم مشروعات تنموية صغيرة مثل فتح بقالات أو تقديم مكائن خياطة أو إقامة مزارع سمكية، فهذه تدر دخلاً للناس وتنتشلهم من الفقر، وغالباً تترك أبلغ الأثر في نفوسهم.

رابعا: المعوقات الإدارية والفساد:

إن تفشي الفساد الإداري في المؤسسات الحكومية يؤدي في كثير من الأحيان إلى تأخر الإجراءات التي يعتمد عليها في تنفيذ العمل، وتحديدا تعانيه بعض المؤسسات الحكومية في الدول الإفريقية من البيروقراطية الشديدة التي تعطل أعمال جميع مكاتب جمعية العون المباشر في دول إفريقيا.

وعلى سبيل المثال يقول د. عبد الرحمن السميط في برنامج «صفحات من حياتي» على قناة المجد الفضائية عام ١٤٢٤هـ: حصلنا في موزمبيق – إحدى أفقر دول العالم – على ترخيص حكومي ببناء مستوصف في منطقة شديدة الفقر، وعندما تم الانتهاء من بنائه وحدد يوم افتتاحه، إذا بالمسؤولين يفرضون على الجمعية تعيين تسعة عشر موظفاً في هذه المستوصف الصغير الذي تقل مساحته عن خمسين متراً مربعاً، مع العلم أنه ليس في البلد كله مستوصف حكومي بنفس الحجم يعمل فيه مثل هذا العدد المقترح من الموظفين.

حاولنا إقناع هؤلاء المسؤولين بصعوبة استيعاب هذا العدد الهائل، فصموا آذانهم، وكنا كمن يخاطب حائطاً من الإسمنت، ولم يبق أمامنا سوى الاستجابة لهذا «التنطع البيروقراطي»، أو التخلي عن هذا المشروع الخيري بعدما بذلنا في إنشائه كل غال ونفيس، فاضطررنا لتحويله إلى مدرسة قرآنية.

وفي نفس البرنامج السابق يقول – رحمه الله –:
أما في أنغولا التي لا تعترف بدين اسمه الإسلام، فالتضييق فيها على العمل الخيري الإسلامي بلغ مبلغاً قد لا يكون له مثيل حتى في الدول التي يحارب فيها علناً، ولذلك فإن بناء مسجد حتى داخل محيط المركز الإسلامي يعد أمراً مخالفاً للدستور، وتعليم أيتام المسلمين الصلاة أمر مخالف لقوانين البلد، أما استيراد المصاحف المترجمة والكتيبات الإسلامية، فيكاد يكون نوعاً من التهريب أو التجارة الممنوعة!

وفي إطار هذا البند الأخير يقول السميط:
سبق لنا في أحد الأيام أن استوردنا مجموعة من الكتب ضمنها مصاحف شريفة، لكن « السلطات الجمركية » طلبت منا بطريقة « ودية » دفع «هدية مالية» قدرها ١٠ آلاف دولار أمريكي لتمرير هذه الشحنة « الممنوعة» بدون صعوبات، لكن عملنا القائم أساساً على الحلال يأبى علينا اللجوء إلى مثل هذه السبل غير المشروعة حتى في حالة الضرورة الشرعية، غير أن أحد التجار المسلمين (ينحدر من أصول هندية) دفع «المبلغ» المذكور وتم الإفراج عن المصاحف والكتيبات، لكن الذي تبين لنا بعد هذا الموقف وغيره أن جميع الحقوق «ممنوعة » أو «غير ممنوعة» يهون الوصول إليها بتقديم الرشاوي.

فليس غريباً إذن أن نضطر إلى دفع ١٠٠ دولار أمريكي عن كل يتيم يراد الحاقه حتى بالمدرسة التي أقامتها جمعية العون المباشر في هذا البلد.

فتخيل عزيزي القارئ المبالغ الطائلة التي يكلفها تعليم أبناء المسلمين هناك! فلو كانت هذه الأموال المغتصبة تصرف كلها، أو القليل منها في المصالح العامة، لكان وقعها في نفوس من أخذت منهم قهراً أخف مما هو عليه، لكنها مع الأسف الشديد تنفق في إيواء وإطعام الشياطين، فليس في البلد إلا فندق واحد ومطعم وحيد، أما سيارات الأجرة فلا أثر لها فيه، لكن المعلمة التي تسترعي انتباهك أكثر، فهي تلكم التلال من الزبالة والقمامة في العاصمة، حيث تمر أحياناً ثلاثة شهور دون أن تزال من أماكنها، وتحولت البحيرة الواقعة في قلب العاصمة إلى مصب لمياه المجاري دون معالجتها.

خصومة بسبب النجاح!!

كثيرا ما واجه الدكتور عبد الرحمن السميط ومن معه من رجال «جمعية العون المباشر» معضلة غريبة وهي الغضب من النجاح، فبدلا من أن يواجه عملهم النبيل بالقبول والترحاب، يكون الواقع مغايرا لذلك، حيث تلعب الأهواء النفسية والمصالح الشخصية دورا كبيرا في حرمان الفقراء والمساكين من أعمال لا تسبب أذى لأحد، لكن للنفوس المريضة رأي آخر، وكثيرٌ ما هم. من ذلك أن أحد المستوصفات الصحية الذي بنته إحدى الهيئات الخيرية الإسلامية في ولاية البراكنة تم إغلاقه بسبب أن الإقبال عليه كان كبيرا من السكان مما هدد بفقدان مستوصف حكومي في المنطقة للعديد من الامتيازات التي يستفيد منها القائمون عليه، مما دفعهم إلى العمل على إغلاق المستوصف الذي أغلق قبل سنوات، ولا يزال مغلقا.

خامسا: الجهل الديني والتعليمي

يذكر د. السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٧٠ - أغسطس ٢٠٠٥م: يعتبر الجهل أحد أكبر التحديات الكبرى التي تواجهها الدعوة الإسلامية في القارة الإفريقية، ولذلك كانت المسؤولية الواقعة على كواهل جمعية العون المباشر عظيمة تستهدف تخليص المسلم الإفريقي على وجه الخصوص من العقائد الباطلة المتمثلة في الوثنية والنصرانية والمذاهب المنحرفة، ومن الجوع والمرض، والجهل والكسل.

فالجهل الذي ينتشر في مناطق المسلمين يتخذ في الغالب مظهر اختلاط تعاليم الإسلام بمظاهر الوثنية والخرافات، أو البدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولا أصل لها في الهدي النبوي الشريف.

وقد قصصنا لك في الفصول السابقة مجموعة من المشاهدات والمواقف التي عايشها الشيخ عبد الرحمن السميط -رحمه الله - ولولا أنه قصها علينا ما تخيل العقل حدوثها ولكان شأنها شأن قصص الخيال والمحال، من هذه القصص مثلا أن بعض المسلمين يصلون الجمعة بالمسجد والأحد بالكنيسة، والإثنين

يعبدون الأشجار، وقصة صلاة الجنازة بركوع وسجود، وصلاة الجمعة يوم الأحد، واعتقاد أن الإسلام دين للعرب فقط، وقصة ذات أنواط في إثيوبيا، والمسلمون البروتستانت، وغير ذلك من مئات القصص التي تنم عن الجهل العظيم الذي أصاب المسلمين في هذه المناطق بسبب غياب الدعوة والدعاة لعشرات السنين.

المرأة أكبر الخاسرين من الجهل

قد يبلغ مدى هذا الجهل في كثير من مظاهره درجة حرمان النفس من حقها في الحياة الطبيعية العادة، فمن ذلك مثلاً أن المرأة في إحدى المناطق المسلمة بكينيا تحرم من ممارسة حياتها الطبيعية في أيام معينة التزاماً ببعض العادات الجائرة التي لا يستسيغها لا التفكير السليم ولا واقع الحياة ، إذ يحرم عليها أثناء فترة الحيض أن تغتسل أو تنظف ملابسها، وعليها كذلك أن تلزم البيت ولا تخرج منه، وأن تقضي هذه المدة في غرفة مظلمة لا إضاءة فيها ولا نور يدخلها، وإذا أرادت أن تنام فعلى جلد بقرة فوق الأرض مباشرة، حتى إنه ليحرم عليها بعض المأكولات والمشروبات كالحليب مثلاً إلى غير ذلك من الممارسات والعادات الضالة.

وعندما حلت إحدى قوافلها بهذه المنطقة، كان ترحيب النساء بها كبيراً كأنهن يبحثن عمن يحررهن من سجن هذه البدع والعادات السيئة.

الغريق نجس عند الأنتيمور

من الأمور المنتشرة في إفريقيا الخلط الواضح بين الاعتقادات الوثنية والجاهلية أو العادات والتقاليد مع بقايا التعاليم الإسلامية.

ويذكر د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٢٣ - سبتمبر ٢٠٠١م عن عادات قبائل من عادات الأنتيمور: بعض قبائل الأنتيمور الاحتفال بعيد الحصاد، وفيها يقوم صاحب أفضل مزرعة بجمع مجموعة قليلة من سنابل الأرز ثم ينثر حباتها على رؤوس الحاضرين تعبيراً عن الفرحة وشكراً لله على النعمة، ويتكرر هذا الاحتفال مرتين في السنة، في شهري يونيو وديسمبر.

وخلال هذه الاحتفالات ينزل الرجال عند فجر أحد أيام يونيو للاستحمام في النهر للتطهر من الذنوب، ولكن من يغرق منهم لا يحزنون عليه، فهم يعتبرونه فاسداً نجساً.



تجمع لقبائل الأنتيمور

لا إسلام بدون أخذ الإذن

يقول السميط: جاء عن بعض دعاتنا أنهم خرجوا في قافلة دعوية إلى إحدى قرى غرب مدغشقر تسمى (أمبونيو)، وزاروا فيها أسرة مكونة من زوجين وابنتهما البالغة عشر سنوات، تسكن في كوخ فرحبت بهم ترحيباً كبيراً، وعرف أفرادها الإسلام لأول مرة في حياتهم فأحسوا أنه دين يناسب طبيعة الإنسان ويعزه ويكرمه فأسلموا جميعاً.

وفي أثناء ترديد أفراد هذه الأسرة الشهادتين، لاحظ أعضاء القافلة من بعيد رجلاً قد قارب عمره الثمانين عاماً وهو يقترب منهم حتى جلس تحت ظل شجرة ليتابع هذا المشهد عن كثب، فتوجه إليه أحدهم وسأله إن كان يرغب في التعرف على الإسلام، فأجابه أنه كان ينتظر مثل هذه الفرصة، إذ سبق له أن عرف الإسلام



واقتنع به، ولكنه كان دائماً يعتقد أن إسلامه لن يكون صحيحاً إلا إذا أعلنه على يد غيره من المسلمين، ثم أسلم وردد الشهادتين ثم تبسم وقال: لقد جئت إليكم لأحصل على هدية ما، وما كنت أتوقع أن أعود بهذه الهدية الكبرى وأن أهتدي للإسلام، والحمد لله رب العالمين.

ومن العجائب التي أوقفت الدكتور عبدالرحمن السميط هذه الموقف الذي جرى سنة (٢٠٠٨م) والذي يقول فيه: كنا ذات مرة في جولة دعوية بشرق كينيا، فشاهدنا بعض العمال من قبيلة الغرياما يحفرون بئرا ضمن مشروعات الجمعية، فعرفناهم بأنفسنا أننا عرب مسلمون من أرض مكة المكرمة، وأننا جئنا لدعوتهم إلى دين الله الحق، فقالوا: إنهم سمعوا عن الإسلام، وأنهم ظنوا أنه لا يجوز لهم اعتناقه إلا بإذن المسلمين، فبينا لهم خطأ هذا الاعتقاد فأسلموا جميعاً، ووصينا بهم المقاول المسلم ليعلمهم أمور دينهم الجديد.

سادسا: المعوقات القبلية:

العصبية القبلية أحد أطوار المجتمع البشري حيث كان الفرد المنتمي للقبيلة لا يجد الأمن والاستقرار إلا في رحاب القبيلة، فهي البنية الاجتماعية المعتبرة في بيئة ينعدم فيها النظام والعدل، وقد بلغت سلطة ونفوذ القبيلة على روح الفرد مبلغا عظيما، حتى حالت دون دخول كثير من أهل الجاهلية إلى الإسلام رغم اقتناعهم الداخلي به، حتى قال أحدهم وهو أبو جهل: تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا، وحملوا فحملنا، وأعطوا فأعطينا، حتى إذا تجاثينا - أو تحاذينا - على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذا؟ والله لا نؤمن به أبداً ولا نصدقه.

ومن حكمة الله أن هذه العصبية كانت نصيرا للمسلمين أيضا في بعض المواقف حيث دافع أبو طالب عن ابن أخيه الرسول - صلى الله عليه وسلم-، حيث كان من العار عندهم ألا ينصر القريب قريبه، ولو خالفه في المعتقد، وكانت قوة تأثير القرابة، وعصبية الدم سبباً في إسلام حمزة - رضي الله عنه-.

وقد عمل الإسلام على تهذيب هذه العصبية، وتذويبها لصالح بناء الأمة الواحدة، وحذر من طغيانها على الحق والفضيلة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٠] وقال – صلى الله عليه وسلم-: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. قيل: يا رسول الله فكيف أنصره ظالماً؟ قال: تمنعه من الظلم فذاك نصرك إياه» رواه البخاري. وكما كانت العصبية القبلية البغيضة سببا في إعراض بعض العرب عن الإسلام، كذلك الحال في القبائل الإفريقية. حيث يعتبر تعدد الثقافات، والأعراق واللهجات المحلية التي تختلف من منطقة إلى أخرى ومن قبيلة لأخرى هي العقبات التي تحول دون تحقيق أهداف جمعية العون المباشر.

فبعض الناس مترسخ بداخلهم أولوية الولاء القبلي على الولاء الديني ، حيث لا تزال العصبية القبلية متجذرة ، وتتجاوز حدود الشعور الطبيعي بالانتماء القومي كشعور فطري عليه دأبت جمعية العون المباشر أن تختار الدعاة من نفس القبائل والمناطق التي ينتمون إليها بناء على قاعدة كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم يبدع فيها، والأصل فيها قول الله تعالى ﴿وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

ومن هذا المنطلق تسهم الحساسيات القبلية في إعاقة العمل بمكاتب الجمعية في بعض الأحيان.

ونورد هنا قصة غريبة في هذا المجال، وهي أن إحدى الهيئات الخيرية الإسلامية العاملة في البلد أرادت بناء مدرسة ابتدائية في إحدى مقاطعات العاصمة نواكشوط، وفي منطقة تعاني مدارسها اكتظاظ الفصول بالطلاب اكتظاظا ليس كبيرا مما يعيق العملية التربوية ويحد من فائدتها، واتصلت بإدارة التعليم في المقاطعة التي ربطتها بالبلدية، وتم اللقاء مع عمدة البلدية في الموضوع، ليتم الاتصال لاحقا بحاكم المقاطعة الذي تحمس للموضوع في البداية، لكنه حين علم باتصالهم بالعمدة قام بإعاقة بناء المدرسة لأنهما كانا من حزبين سياسيين متنافسين في المقاطعة، مما اضطر الهيئة إلى تحويل المدرسة إلى مقاطعة أخرى.

أهوال العصبية القبلية

يقول د. السميط – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ٦٣ – أغسطس ٢٠٠٥م:
نود هنا أن ننقل إليكم صورة من واقع الميدان نستشهد بها على طبيعة عملنا الذي لا ينتهي بهداية الضال، أو تعليم الجاهل، أو علاج المريض، أو إطعام الجائع، بل يتعداه إلى ضرورة إخماد نار الفتن والشرور بين الأفراد أو الجماعات اقتداء بالهدي النبوي الذي انطلق في دعوته الإصلاحية من نبذ العصبية القبلية التي كانت ضاربة بجذورها في مجتمع الجاهلية.

ففي مدينة «أنزيريكوري» تعيش كل من قبيلة «المالينكي» المسلمة التي ينحدر أغلب أفرادها من ليبيريا وسيراليون، والتي كان لها الفضل الكبير في إدخال الإسلام إلى منطقة غينيا الغابية، وقبيلة «غيرزي» التي يمثل أفرادها سكان المنطقة الأصليين، ويدين بعضهم بالوثنية والبعض الآخر بالنصرانية.

ولقد كانت هاتان القبيلتان تعيشان في صراع دائم اتسم في بعض الأوقات بالمواجهة المسلحة وسقوط القتلى في صفوف الطرفين، مما أثر سلباً على انتشار الإسلام، إلى حد أن قبيلة «غيرزي» تنظر إليه من شدة كراهيتها لقبيلة «المالينكي» أنه دين خاص بهذه الأخيرة، ومما زاد الطين بلة أن قبيلة « غيرزي » تتهم منافستها بأنها لعبت دوراً كبيراً في تجارة الرقيق وبيع أجدادهم كعبيد إلى البرتغاليين وغيرهم من الأوروبيين الذين كانوا يشترون العبيد من بعض الدول الإفريقية، إضافةً إلى تشدد أغلب شباب قبيلة المالينكي في أسلوب دعوتهم إلى الله.

لقد ولدت هذه العوامل مجتمعة كراهية للإسلام والقبيلة التي تمثله في نفوس أفراد قبيلة «غيرزي» وأدت أحياناً إلى مواجهات عنيفة كذلك التي وقعت بينهما عام (١٩٩٠م)، وأسفرت عن سقوط ٣٥٠ قتيلاً بين الجانبين، ولولا تدخل القوات الحكومية في ذلك الحادث لربما تحول إلى حرب أهلية وامتدت شرارته إلى مناطق أخرى، وقد توجه وزير الداخلية بنفسه إلى المدينة وأجرى عدة لقاءات مع شخصيات بارزة تمثل القبيلتين لإيقاف ذلك الصراع. ولعقد جلسات مصالحة بين ممثلي الطرفين المتنازعين تحت إشراف كل من حاكم المنطقة وحاكم المدينة ورئيس المجلس البلدي فيها، ومع ذلك فإن وسائل الإعلام الرسمية لم تتعرض للحادث بتفصيل رغم تدخل الجيش وقوات الشرطة والدرك فيه.

وقد ظلت قبيلة « المالينكي» تطالب بإطلاق سراح بعض المعتقلين منهم أئمة، وتهدد باستئناف القتال عبر أفرادها في كل من ليبيريا وسيراليون، وقد وقع حادث آخر في أعقاب مشادات بين أفراد من القبيلتين أسفر عن مقتل نصراني وحرق مسجد إضافةً إلى بعض الأعمال التخريبية المتفرقة في المدينة، وكادت القبيلتان تدخلان ثانية في صراع شامل.

فالنزاعات القبلية تعمل على عرقلة العمل الدعوي والخيري من ناحية، وتفتت وحدة المسلمين من ناحية أخرى، وتزداد فداحة الأمر حين يكون مصدر الفتنة نابعا من بعض الدعاة تعصبا لقبيلته أو شعبه ومنطقته أو للحسد، وربما الرغبة في الانتقام.



من مظاهر الاضطرابات في ليبيا

سابعاً: التقاليد والأعراف عائق في سبيل الدعوة أحياناً:



دعاة الصحوة في سيراليون

لوحظ من خلال العمل الدعوي الذي يمارسه الدعاة إلى الله في القرى الإفريقية أن الموروثات والتقاليد والأعراف في حياة سكانها تشكل أحد العوائق الكبيرة أمام الدعوة الإسلامية، لكن بتوفيق من الله يستطيع المصلحون أن يتجاوزوا ذلك العائق ويخترقوا حدوده ويصلوا إلى قلوب الناس لإقناعهم بفساد الكثير من العادات والتقاليد والعبادات الضالة، وخطورتها الشديدة على سلامة التفكير وصحة الدين والمعتقد، لكن ما الطريق المناسب الذي نسلكه لتحقيق هذه الأهداف؟

إنه باختصار أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، ومجادلة من يسأل ويناقش أو يعارض بالتي هي أحسن، وبالحجة الدينية والعقلية حتى يقتنع بالحق، وله بعد ذلك أن يختار بين طريق الإيمان وطريق الضلال.

إنه الطريق الذي نسير فيه على هدى خير المرسلين ونصل عبره إلى القلوب، فمن هؤلاء الناس من يقتنع بالحق ويدرك أن الإسلام هو الدين الحق، ولكنه يظل حبيس إرث الآباء والأجداد متردداً بين الإيمان والكفر، ومنهم من يتحرر من التقليد الأعمى، فيتحرر عقله وقلبه ويقبل على الإيمان إقبالاً صادقاً.

يقول د. السميط مدللا على ذلك: أود هنا أن أستشهد بموقفين يجسدان الحالتين السابقتين:

أولهما: حالة إحدى العجائز التي تنتمي إلى غرب مدغشقر حيث قالت بعدما اقتنعت فآمن قلبها ولم يؤمن عقلها: كيف يمكنني أن أترك دين آبائي وأجدادي؟ فوالله إنني لمقتنعة بدين الإسلام، ومعجبة أيما إعجاب بتعاليمه السمحة، ولكنني أشعر بوجود شيء في داخلي يحول دون إيماني، وأنا أدعوكم إلى التركيز على الشباب، فلا أعتقد أنهم سيخرجون من محاضرة تعرفهم بهذا الدين حق التعريف غير مسلمين.

وثانية الحالتين لأمير قرية اسمها «ماننجا» كان قد هداه الله لنور الإسلام، ولكنه مرض مرضاً شديداً فعدناه في مرضه وفرح بهذه الزيارة التي حضرها جمع غفير من أهالي قريته، فاستثمرنا هذه المناسبة لنلقي فيهم كلمة توجيهية فأسلم على إثرها خلق كثير فاق عددهم مائة مهتد جديد، وطلب منا الأمير عقبها تكثيف الزيارات إلى هذه القرية والقرى المجاورة لها لدعوة الأهالي إلى الإسلام، كما طلب منا كذلك تعيين داعية متفرغ في قريته ليؤم المسلمين في صلاتهم ويعلمهم أمور دينهم.

لقد أجملنا في الباب السابق بعضا من العوائق والعقبات التي تقف في طريق الدعوة الإسلامية والعمل الخيري والإغاثي الإنساني في إفريقيا، وهي من أهم العقبات على وجه العموم، ولكن هناك بعض العوائق الأخرى والتي تختلف قوة وضعفا عما سقناه، منها التأثر بالحضارة الغربية، والتمسك بالوثنية، ومشكلة اللغة، والعمل الفردي، والتركيز على المناطق الكبرى والمدن دون القرى النائية والصغيرة، وغيرها من المشكلات.

الباب الثالث

السميط والمشاركات الإعلامية

أهمية الرسالة الإعلامية

يعد الإعلام في عالمنا المعاصر من أهم وسائل صناعة العقول وتوجيه الشعوب، ولم يعد خافياً على أحد اليوم مدى تعاظم تأثير الإعلام على الناس في كافة ميادين وشؤون الحياة، وقد أصبح الإعلام أقوى تأثيرا من الغزو العسكري، بل إن تأثير الإعلام على العقول والأنفس والشعوب أكبر وأعمق أثرا من تأثير الضربات العسكرية على شعب من الشعوب.

فالغزو العسكري مهما قام من تدمير للممتلكات فمآله إلى زوال، أما تأثير الإعلام فهو أرسخ وأشد تجذرا فإما أن يبني الأمم فيرقى بها علميا وثقافيا وحضاريا، وإما أن يترك آثارا تدميرية على الهوية والثقافة والوعي الجمعي للأمم، ولا يزول أثره إلا بعمل إعلامي مغاير يستطيع أن يزيل آثاره على المدى الطويل. وقد عرف الإنسان منذ القدم الإعلام واستخدم وسائل إعلامية مناسبة لواقعه في كل عصر من العصور، ولم يغب عن العقل البشري الدور البارز للإعلام في نقل الأخبار، وبث المعلومات، وعرض الحقائق، وفقا لسياسة إعلامية ممنهجة تخدم أغراض الجهة التي تستخدم تلك الوسائل الإعلامية وفقا لأغراضها وأهدافها. وقد عرف العرب قبل الإسلام بعض وسائل الإعلام أهمها استخدام فصاحة القول، متمثلة في الشعر والخطابة، فكان الشعراء هم قادة الرأي والقائمون على بث روح الحماسة والفخر في نفوس أتباع قبائلهم، ورفع روحهم المعنوية عند القتال والنزال. وعندما تضع الحرب أوزارها تجد الشعراء والخطباء ينسجون القصائد في تلطيف الأجواء ومدح المصلحين من سراة القبيلتين المتنازعتين وتهدئة النفوس الثائرة وزرع روح الصفح والعفو بين القبيلتين المتقاتلتين، كما فعل زهير

بـن أبي سـلمى في معلقته الشـهيرة في الصلح بـين قبيلتي ذبيـان وعبـس بعـد انتهـاء حـرب «داحـس والغـبراء» التـي أكلـت الأخـضر واليابـس طـوال أربعـين عامـا. وقـد كان للإعـلام دوره العظيم في نشر الإسـلام في بقاع الأرض، ومـا تبليـغ الرسـل لرسـالاتهم في الأصـل إلا نـوع مـن أنـواع الإعلام، كـما في قولـه تعـالَى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾(إبراهيـم ٥٢) وقولـه تعـالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (النحـل ٤٤) وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقد كتَب الرسول – صلَّى الله عليه وسلَّم– إلى كسرى وقيصر، والنجاشي، وإلى كل جبارٍ، يدعوهم إلى الله تعالى. والدعوة إلى الله عز وجل هي في الأصل أيضا نوع من أنواع الإعلام بشرعه ودينه وهديه القويم.

ونحن أمة الإسلام مأمورون بالدعوة إلى الخير، والتداعِي إلى الفضل، والإعلام في الإسلام لا يَنفَكُّ عن الدعوة بحال؛ لأنَّه في حقيقته بلاغ مبين لحقائق هذا الدين، بكل أسلوب شائق، ووسيلة تتفق في سموها ونقائها مع مضمون الدعوة الرائق.

الإعلام في إفريقيا في خدمة التنصير

لم يدخر المنصرون وكنائسهم جهدا في نشر أفكارهم وبث سمومهم، فشنوا حربا شاملة على الإسلام في إفريقيا والعالم كله، ولم يكتفوا بالغزو العسكري المسلح بل تعدوه إلى غزو الأفكار واستعمار العقول، مستعملين وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة فغلفوا بها دعاويهم ومضامينهم المنحرفة لتقدم طُعما إلى أعداد كبيرة من البشر في جميع بقاع العالم.



وفي ظل التطور الهائل الذي وصلت له وسائل الإعلام وقدرتها على الاستقطاب والتأثير فقد استغلها المنصرون كوسيلة فاعلة في مساندة حملاتهم التنصيرية، وقاموا بتفعيل الدور الخطير الذي تلعبه الكلمة المسموعة والمقروءة في إيصال رسالتهم وتبليغ أفكارهم إلى الأفراد والمجتمعات.

وفي كتاب «التبشير والاستشراق» للدكتور علي مشاعل ص ٢٠٥ يقول: فعلى حد تعريفهم للوسائل الإعلامية المستخدمة لخدمة أغراض التنصير: (إننا نعتبر أن المطبوعات ووسائل الإعلام تشمل: الكراسات الدينية، والصحف، والرسوم الكرتونية المتحركة، والكتيبات والكتب، والمجلات، ودورات المراسلة، والنصوص الإذاعية، والتسجيلات، والمسرحيات، ومواد القراءة والكتابة، وترجمات الكتاب المقدس، والصور، والملصقات، وأي مواد إيضاحية أخرى.

ومن أهم الوسائل التي انتهجها المنصرون الإذاعات، حيث يعد استخدام الراديو لخدمة أغراض التنصير ظاهرة إعلامية واضحة، وتنتشر الإذاعات التنصيرية في إفريقيا انتشار النار في الهشيم، ومعظم هذه المحطات يتبع الكنائس والجمعيات الكنسية الأمريكية. وهناك إذاعات دينية محلية في بعض البلدان الإفريقية أنشأها الاستعمار وبقيت بعد استقلال هذه الدول، وماتزال هذه الإذاعات تقدم برامجها في المجتمعات المحلية، كما أن بعض إذاعات الدول الإفريقية تخصص بضع ساعات من بثها الإذاعي لبرامج تنصيرية تعدها المنظمات الكنسية مثل إذاعة نيجيريا وزامبيا مع أنهما بلدان فيهما أغلبية مسلمة .

وقد أنشأت الهيئة التنصيرية العالمية عام (١٩٧٠م) مركزاً ضخماً للإنتاج الإعلامي في دولة زامبيا، ويقوم هذا المركز بإمداد الإذاعات الدينية وغيرها من الإذاعات الإفريقية بالبرامج والمواد الإعلامية المختلفة.

وتعد إذاعة (حول العالم) Transworld Radio أهم الإذاعات التنصيرية العالمية وأقواها، وتقدم هذه الإذاعة برامجها من محطة إرسال الإذاعة (مونت كارلو) ولها جهاز إرسال قوي في جنوب إفريقيا، وتستهدف المستمعين العرب والمتحدثين بالعربية في القارة الإفريقية.

ومن الإذاعات التنصيرية الأخرى في إفريقيا إذاعة «إلوا» ELWA وتعني عبارة «بمنتهى الحب نكسب إفريقيا» ومقرها ليبيريا التي تحوي نسبة كبيرة من المسلمين، وتتبع هذه الإذاعة البعثة الأمريكية السودانية ، وتبث برامجها بخمسين لغة ولهجة من لهجات إفريقيا، وهناك إذاعة أخرى هي إذاعة صوت الإنجيل التي بدأت إرسالها من أديس أبابا سنة (١٩٦٣م) وهي تابعة لهيئة الكنائس اللوثرية، وتستهدف الدول العربية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

(انظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة (٦) التنصير ج٢٢ ص٢٤٠- علي بن نايف الشحود)

عبد الرحمن السميط
في مواجهة الإعلام التنصيري

أدرك الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- هذا الدور الخطير للإعلام في إفريقيا وما تقوم به القوى التنصيرية من استغلال للجهل والحاجة، وكذلك غياب لوسائل الإعلام الإسلامية في بقاع إفريقيا، فعمل - رحمه الله - على اقتحام هذا المضمار قدر الإمكان رغم ما يستلزمه ذلك من تكاليف مادية واحتياجه للكفاءات الفنية التي تفتقر إليها المجتمعات المسلمة في تلك البقاع في أغلب الأحوال.

وسائل الإعلام التنصيرية وتشويه الإسلام

عملت الإذاعات التنصيرية في إفريقيا كرأس حربة ضد الإسلام وتعاليمه في إفريقيا منتهجة سبل الكذب والتشويه والمغالطات المتعمدة عن الإسلام والمسلمين، لصرف القلوب عن أتباعه أو الاستماع لدعاة الحق، سائرة في ذلك على نهج أسلافهم من أهل الجاهلية الذي قال الله فيهم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فصلت: ٢٦].

يقول د. السميط- رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ١٩ - مايو ٢٠٠١م: نتيجة للهجمة الإعلامية ضد الإسلام والمسلمين التي تقودها الصهيونية، والتي يشارك فيها بعض السياسيين العرب مع بالغ الأسف، بدأ الناس يعيشون في رعب حتى في إفريقيا.

فقد ذكر لي أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة راند في جنوب إفريقيا - وهو رجل أبيض غير مسلم - أن أحد الطلبة في الجامعة سأله قائلاً: لماذا لا يستطيع المسلمون أن يعيشوا في سلام مع الآخرين ؟

وتأثرت إحدى النساء من خلال مشاهدتها بعض البرامج التلفزيونية، وقراءتها للمقالات الصحفية التي تبرز « جرائم المسلمين » فقالت له: إن الدنيا ليل وأنا خائفة من أن يقتلوني فقال لها: إن المسلمين يعيشون هنا منذ ٤٠٠ سنة، فلماذا لم يقتلوك من قبل؟

مراكز إذاعية ضخمة

هنا جمعية العون المباشر

إن اشتياق المسلمين في إفريقيا لسماع القرآن الكريم لا يعدله شوق، فهؤلاء لا يحتاجون للطعام والشراب والسكن والكساء بقدر حاجتهم لسماع القرآن الكريم الذي هو للنفس رحمة وشفاء لما في الصدور. يقول السميط: إن أفضل وسيلة تستطيع من خلالها أن نصل إلى الناس في تلك الأماكن المتباعدة هي وسيلة الإعلام الجماهيري: الإذاعة.

ففي وسط جمهورية توغو الواقعة في غرب إفريقيا توجد مدينة «كارا» التي يبلغ عدد سكانها مع القرى المجاورة لها ستين ألف نسمة، فيها سبع محطات إذاعية تابعة للكنيسة، لكن لا توجد بها إذاعة إسلامية واحدة.

وقد كانت لنا تجربة واسعة في المجال الإذاعي منذ عام (١٩٨٦م)، حيث اشترينا محطة إذاعية متكاملة من حكومة سيراليون، كانت قد تلقتها كهدية من ألمانيا، إلا أنها عجزت عن تسييرها لتكلفتها الباهظة، وعندما تسلمناها عملنا على تخفيض عدد العاملين بها إلى أقل من العشر، أغلبهم من الحراس، وكان عدد الفنيين قليلاً، أما المذيعون، فكان عددهم أقل.

وقد واجهتنا مصاعب كثيرة، ولكننا مع مرور الوقت وكثرة التجارب، استطعنا أن نتغلب على هذه الصعوبات ونتعلم أشياء كثيرة عن إدارة المحطات الإذاعية - بفضل الله سبحانه وتعالى - .

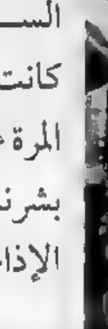
فرحة المسلمين بالإذاعة

ذكرت مجلة «الكوثر» - العدد ٩٠ - أبريل ٢٠٠٧م عن د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - أنه قال: أثناء قيامنا بصيانة الإذاعة، كنا نغدو ونروح إلى المحطة التي كانت تبعد بحوالي اثنين وأربعين كلم عن مكتبنا، وكنا نضطر إلى الوقوف في عدة نقاط للتفتيش، وذات يوم أوقفنا أفراد الشرطة في نقطة أمنية وأخذوا يسألوننا فيما يشبه التحقيق:

قال: إلى أين أنتم ذاهبون؟ قلت: إلى محطة الإذاعة.

قال: وما هو عملكم في هذه المحطة؟ قلت: نحن من المسلمين وقد اشترينا الإذاعة.

قال: من أي البلاد أنتم؟ قلت: نحن من الكويت، وهي قريبة من أرض مكة المكرمة والمدينة المنورة، ونرغب في تحويلها إلى إذاعة خاصة بالقرآن الكريم.



لقد ترددنا عبر هذه النقاط مرات كثيرة، فكانوا يسألوننا في كل مرة: هل بدأتم في بث برامج الإذاعة أم لا؟ فكنا نقول لهم في كل مرة: قريبا إن شاء الله، وهكذا حتى استطعنا إصلاح المحطة، وبدأنا بث برامجنا، وعندما سألونا السؤال المعتاد، كانت الإجابة هذه المرة غير المعتادة، إذ بشرناهم ببدء البث الإذاعي في محطتنا.

وما إن سمعوا هذا الخبر، حتى أغلقوا الطريق بالحواجز لمنعنا وغيرنا من المرور، وتفرقوا داخل معسكرهم، وبعد لحظات إذا بهم يخرجون وفي يد كل واحد منهم راديو، وطلبوا منا ضبط المؤشر على موقع الإذاعة ففعلنا، وراحوا يستمعون إلى المقرئ عبد الباسط عبد الصمد - رحمه الله تعالى - وهو يتلو آيات من القرآن الكريم.

لقد فوجئنا بتصرف غريب جداً من هؤلاء الجنود، حيث أصابتهم موجة عارمة من الفرح الشديد جعلتهم يرفعون أصواتهم بالصراخ ويتقافزون في الهواء أو يضربون بأقدامهم الأرض حاملين المذاييع، حاولنا أن نقول لهم: إن هذا الفعل لا يجوز عند الاستماع إلى القرآن الكريم: إذا قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، لكننا لم نجد فرصة إلا أننا بعد ذلك سألناهم عن ذلك ، فذكروا لنا أن الضباط الذين يرأسونهم معظمهم من النصارى، وكانوا يستهزءون بهم - كما يقولون - ، ويعيرونهم بضعف موقفهم السياسي في البلد كمسلمين، ويقولون لهم متفاخرين: إنكم رغم نسبتكم التي تصل إلى ٨٥٪ من السكان إلا أن إدارة البلاد ورئاسة الجمهورية وكذلك النواب في البرلمان لنا نحن النصارى منذ استقلال البلاد ، ويسخرون منا على الدوام!

ففهمنا أنهم فرحون جداً لنجاح المسلمين في عمل عظيم كهذا، ويرون الإذاعة الإسلامية إنجازاً عظيماً يستحق الإشادة والفرح به.

فكنا إذا مررنا بهم بعد ذلك أدوا لنا التحية العسكرية، وذلك في عدة نقاط للتفتيش، وكنا نرى مذياعاً معلقاً في طرف المعسكر ومذياعاً آخر معلقاً في طرفه الآخر وقد ارتفع صوتهما بالقرآن الكريم.

هكذا علمنا السميط - رحمه الله- أنه لا يأس مع قوة الإيمان والإرادة وحسن التوكل على الله وسلامة المقصد ورفعة الأغراض، وما يحققه الآخرون في سبيل الباطل وينفقونه من ملايين يضيع هباء منثورا، وما تنفقه فئة الحق يبارك الله فيه فينتج ثماره في أقصر وقت وبأقل تكلفة. فما أعظم أجر من أدخل السرور على قلب هؤلاء الناس بسماع أجمل الكلم، وخير الأعمال سرور تدخله على قلب رجل مؤمن، وهذه الفرحة العامرة تشبه ما ورد في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك- رضي الله عنه -، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من

راحلته، فبينا هو كذلك إذا هو بها، قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» رواه البخاري ومسلم .
لقد أحيت هذه الإذاعة القرآنية ما كاد يندثر بينهم وما كادت آذانهم أن تنساه، فأحيا الله الأمل في نفوسهم الطيبة بهذا العمل الطيب المبارك.

إذاعة القرآن الكريم في سيراليون

رغم هذه الجهود التي تبذلها الكنيسة في تنصير الأفارقة إلا أن نور الحق إذا مس شعاعه القلوب يبدد بفضل الله كل تلك الظلمات التي نشرتها تلك الوسائل الإعلامية الكاذبة.

يقول السميط- رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٢ - ديسمبر ١٩٩٩م: كثير من المتعلمين الأفارقة من النصارى، أكثرهم لا يؤمن حقاً بالعقيدة النصرانية، بل يحسون أنها غريبة عليهم وأنها ديانة المستعمر.

فعندما قررت جمعية العون المباشر شراء محطة إذاعية في سيراليون كانت هدية من ألمانيا إلى الدولة، ويبدو أن الحكومة عجزت عن إدارتها فقررت ببيعها، فذهبت وقابلت رئيس الجمهورية واسمه الجنرال جوزيف سيدو موماه وهو تحريف لاسم يوسف سعيد محمد، ورغم أن الجنرال نصراني ويضع على مكتبه صليباً كبيراً من الذهب هدية من منظمة نصرانية إلا أنني فوجئت به يطلب منا أن نجعل الإذاعة قوية لتصل إلى أكبر عدد ممكن من الناس بدلاً من الإذاعات النصرانية في المنطقة وقال: إنكم غالبية السكان هنا في سيراليون ، إذ يبلغ المسلمون ٨٥٪ ولكنكم متأخرون إعلامياً، وطلب منا بشكل خاص أن نزيد من عملنا الدعوي حتى نصل إلى باقي سكان سيراليون وتحولهم إلى مسلمين.

وهذه القصة تعد كاشفة لمدى إصرار البعثات التنصيرية في تنفيذ مخططاتها، فرغم أن عدد مسلمي سيراليون يتجاوز ٨٥٪ من السكان إلا أن الإذاعات التنصيرية منتشرة في البلاد مستهدفين تنصير أغلب السكان أكثر من استهدافهم لتبشير أتباع النصرانية الذين يشكون في صحة معتقدهم أصلا. فانظر إلى الأجر العظيم الذي سينال إن شاء الله من ساعد على بث هذه الإذاعة لنشر القرآن الكريم بين المسلمين ليسمع المسلمون أخيرا صوت هويتهم وعقيدتهم يشدو في الآفاق.

إذاعة الصفا للقرآن في توغو

من معجزات القرآن السمعية أنه يأسر القلوب والأسماع للمسلمين وغير المسلمين، للناطقين بالعربية وغير الناطقين بها أو الفاهمين لها على حد سواء، حتى إن «إرنست رينان» المؤرخ والكاتب الفرنسي كان يقول: لم يعتر القرآن أي تبديل أو تحريف، وعندما تستمع إلى آياته تأخذك رجفة الإعجاب والحب، وبعد أن تتوغل في دراسة روح التشريع فيه لا يسعك إلا أن تعظم هذا الكتاب العلوي وتقدسه.



[illegible]



إذاعة دعوية

يقول د. عبد الرحمن السميط: في توغو أنشأنا إذاعة الصفا للقرآن الكريم وبدأ الأخوة يذيعون القرآن الكريم فقط حتى يتموا إعداد الأرشيف للبرامج الأخرى ، وجاءنا رجل مثقف خريج من الجامعة وهو مسيحي وقال: إنه منذ أيام يستمع لإذاعتنا، ولا يعرف ماذا نبث لأنه باللغة العربية، ويظن أنه أغنية أو نشيد، وقال: إن ما نبثه يدخل إلى أعماق قلبه رغم أنه لا يفهمه، وطلب منا أن نشرح له ذلك، فذكرنا له أن هذا هو القرآن الكريم ، ويبدو أنها المرة الأولى التي يسمع فيها بالقرآن الكريم ، فأخبرناه أنه الكتاب المقدس عند المسلمين، فطلب معلومات عن القرآن الكريم فأهديناه نسخة من القرآن مع ترجمة معانيه بالفرنسية، فشكرنا وذهب وجاءنا بعد يومين غاضباً وقال: إنني أستغرب منكم أيها المسلمون كيف يكون عندكم سورة قل هو الله أحد، وتتركون شخصاً واحداً في إفريقيا لم يُسلم!

أسلم الرجل فأهديناه بعض الكتيبات الإسلامية، وجاءنا بعد بضعة أيام ومعه زوجته وأولاده ، فقد أقنعهم بالإسلام وازداد حماس هذا الرجل كلما قرأ كتاباً جديداً عن الإسلام.

تجربة ناجحة وأثر إيجابي

كان الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- يتمتع بالحس الاقتصادي والتنموي في كل ما يقوم به من مشاريع، فهو دائما ما يستغل هذه الإمكانات لديه في دعم ما تقوم به جمعية العون المباشر من أعمال، ومن آثار هذا الحس الاقتصادي أنه دائما ما كان يعمل على جعل المشاريع منتجة قدر الإمكان لتدر دخلا يساعد على استمراره وعدم توقفه.



إمكانات بسيطة للبث الإذاعي

يقول د. السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٩٠ - أبريل ٢٠٠٧م: لتسيير أي مشروع إسلامي بشكل صحيح يضمن بقاءه واستمراره لابد من توفير أوقاف تدر أرباحاً سنوية لصالح هذا المشروع أو ذاك، حتى لا يشعر العاملون في البرامج الدعوية والإغاثية أو الأخوة المتبرعين الذين يهمهم كثيراً نجاح المشاريع التي يتبرعون لها بالإحباط نتيجة الفشل المتكرر لبعض مشاريعنا في هذا المجال هنا وهناك.

لقد أنشأنا بفضل الله تعالى عدداً من محطات (FM) الإذاعية في إفريقيا، وهي بداية سلسلة من المحطات التي كنا نتمنى أن تشمل كثيراً من الدول الإفريقية.

وبفضل الله تعالى كان الأثر الإيجابي لهذه الإذاعات كبيراً يبشر بكل خير، فقد استقبلها الناس هناك بكل حب وحرص واهتمام، وهذه بعض القصص العجيبة التي إن دلت على شيء، فإنها تدل على أهمية الإذاعة في إيصال العقيدة الإسلامية إلى كل قرية من القرى، ومدى تفاعل الناس مع برامجها، وتأثرهم البالغ بما يسمعون من توجيهات إسلامية وإرشادات دعوية.

مذياع وساعة

من أعجب الأمور وأحبها إلى النفس أن ترى هؤلاء الأفارقة البسطاء، ومنهم من لا يملك قوت يومه ولا كسوة غده، يضحي بكل ما لديه من متاع الدنيا البسيطة والتي هو أحوج ما يكون إليها من أجل طلب العلم، واستماعه ومتابعته. يذكر د. السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٩٠ - أبريل ٢٠٠٧م: كان لأحد إخواننا الأفارقة دراجة يستخدمها في سفره إلى إحدى المزارع التي يعمل بها، وكانت رغبته شديدة في الاستماع إلى إذاعتنا وما تبثه من تسجيلات للقراء ودروس في العقيدة والفقه والعبادات، فباع دراجته ليشتري بثمنها مذياعاً وساعة.

فسألته يوماً: لماذا اشتريت الساعة مع المذياع؟

فأجابني بقوله: وكيف أتمكن من معرفة مواعيد البث إذا لم تكن معي ساعة؟! لقد أصبحت الإذاعة في حياة هؤلاء وجبة إيمانية وروحية تتصاغر أمامها لذات الدنيا بأجمعها، وكما قيل : من ذاق عرف، ومن عرف اغترف.

إذاعة القرآن أهم من الحليب!


بعض النساء باعت بقرتها الوحيدة في سبيل شراء (راديو) للاستماع للإذاعة

ويقول - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٩٠ - أبريل ٢٠٠٧م: وهذه امرأة عرفت بالخير والصلاح لم تتوان في بيع بقرتها الوحيدة التي تشرب من حليبها كقوت يومي رئيس، ولكنها ضحت بها من أجل أن تشتري مذياعاً حتى يسمع جميع أهل القرية إذاعة القرآن الكريم.

هؤلاء المسلمون الطيبون هانت عليهم دنياهم واستصغروها أمام آخرتهم وإيمانهم، فبذلوا كل ما يملكون رغم قلته، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: « سبق درهم مائة ألف درهم» قالوا: وكيف؟ قال: «كان لرجل درهمان تصدق بأحدهما، وانطلق رجل إلى عرض ماله، فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها». رواه النسائي بإسناد صحيح .

قال حاتم الطائي:

أماويّ إن المال غادٍ ورائح
ويبقى من المال الأحاديث والذكرُ

أماويّ إني لا أقول لسائلٍ
إذا جاءَ يوْماً حَلّ في مالِنا نَزْرُ

أَمَاوِيّ إمَّا مَانِعٌ فَمُبَيَّنٌ
وإمَّا عَطَاءٌ لا يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ

أماويّ ما يغني الثراءُ عن الفتى
إذا حَشْرَجَتْ نَفْسٌ وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

يقول السميط: وهناك قصص كثيرة حدثت معنا بالنسبة للإذاعة ولكن بصورة عامة إذا كانت الحكمة هي منهج الإذاعة فتأكدوا بأنها تستطيع أن تكسب العديد من الناس فهناك قرى بأكملها أسلمت بفضل الله سبحانه وتعالى عن طريق الإذاعة، وأسلم آلاف الأشخاص - بفضل الله - عن طريق إذاعة القرآن الكريم التي بثثنا فيها برامجنا بعشر لغات هي: التمني والمندي والسوسو والجولا والفلاني والمندنكا والهوسا والكريو والإنجليزية وغيرها من اللغات.

منهج الإذاعات الإسلامية

من أهم مرتكزات الدعوة عند عبد الرحمن السميط - رحمه الله - ومعه رجال جمعية العون المباشر نبذ الخلافات والصراعات، وقد أثبتت التجربة أن أنجع الطرق لنشر الإسلام هو الاعتماد على قوته الروحية والفطرية التي لا تعدلها قوة أخرى، فعلينا أن ننشر الهداية بين الناس ونوضح لهم عظمة شريعة الإسلام ومنهجه بالقول والعمل والقدوة، دون تجريح أو هجوم على أحد وشعارنا قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقد سارت الإذاعات الإسلامية التي أشرفت عليها جمعية العون المباشر على هذا النهج العفيف المترفع في الدعوة والتعليم.

يقول السميط: ونحن لا نتدخل في الخلافات السياسية والقبلية ولا نهاجم الآخرين ولا نثير الفتن، بل نحاول فقط أن نبين سماحة ووسطية الإسلام.

وقد لعبت الإذاعة دورا كبيرا جداً في نشر الإسلام في قبيلة اللوكو وهي قبيلة رئيس جمهورية سيراليون الأسبق حيث كانت نسبة المسلمين فيها ٥٪ ، وبعد سنتين من الإذاعة وصلوا إلى ٦٠٪ ، وبنينا فيها مدرسة ومستوصفا ، وحفرنا فيها ست آبار ، وبنينا عددا من المساجد ، ونفذنا بها مشروع إفطار الصائم، وكنا نوزع عليهم أضاحي، فضلا عن الكتب والملابس، ولما أسلم زعيم القبيلة أرسلناه للحج ، وأعطينا منحا لطلبتهم في المدارس ، وأرسلنا لهم الدعاة ، وكفلنا لهم أيتاما وغير ذلك ، والحمد لله جاء ذلك بنتيجة طيبة وهي ارتفاع نسبة المسلمين إلى ٦٠٪ ، وأصبحوا أكثرية في هذه القبيلة.

وقد توخينا ألا نعلم شيخ القبيلة أمام أفراد قبيلته لأنه قد يقرأ القرآن ويخطئ فيه أو يتوضأ ويخطئ في الوضوء، فنرسل له داعية يعلمه داخل بيته، لما لشيخ القبيلة من مكانة بين قومه فنحفظ له تلك المكانة بين عامة الناس ولهذا أثر كبير في نفوس الناس هناك.

إن مراعاة سلامة الصدر وكرامة الإنسان هو من أسس الدعوة الإسلامية الناجحة، وكذلك من حصافة الداعية إنزال الناس منازلهم، وليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويعطي عالمنا حقه، والحفاظ على مقام التقدير لشيوخ القبائل له أثر عظيم في نشر الدعوة وتقبلها والإعانة على سرعة نشرها.

عرض الحقائق دون تجريح

لقد عجزت قرائح دعاة الباطل من المنصرين عن إقناع الناس بصحة معتقداتهم وإثبات ربانية منهجهم، فعمدوا إلى أبشع أنواع الخداع والحيل والكذب في سبيل



التدليس على البسطاء من الناس بمعجزات مكذوبة عن شفاء المرضى وإبراء الأكمه والأبرص، ويشاء الله عز وجل أن تظهر سريعا أكاذيبهم وخدعهم.

يقول السميط: وأذكر في أحد الأيام أتى منصر ألماني مشهور اسمه «راين هارت»، وهو من طائفة نصرانية تسمى «إيفانجليكان»، وأصلهم في الولايات المتحدة، وهذه الطائفة تؤمن بأن الروح القدس تستطيع شفاء المرضى، فلما جاء وألقى محاضرة حضرها كالعادة مئات الألوف من الناس، وقال: هل هناك مريض يريد أن أعالجه، فبدأ المرضى يأتون إليه، وجاءه مصاب بالسرطان ، وآخر مصاب بالسكر ، وثالث مصاب بالشلل، وقال له مريض السرطان: من ثلاث سنين وأنا عندي سرطان في رئتي وليس لي دواء، وليس هناك فائدة من العلاج فأحضروه للمنصر على كرسي متحرك فوضع يده عليه وقال: باسم الروح القدس، قم وأنت مشفي ، فقام المريض، وأخذ يقفز أمام الناس فصاح الناس باستغراب، ورجل آخر مصاب بالشلل، وأتوا به بنفس الطريقة على كرسي متحرك فوضع يده عليه وقال: قم باسم الروح القدس فقام الرجل، وآخر اسمه موسى، وقد قابلته فيما بعد فسألته: أنت كنت أعمى فقال لي: نعم بمائة دولار أصبحت أعمى! فقلت له: كيف ذلك، فقال: والله لقد أعطوني مائة دولار وقالوا لي: تمثل أمام الناس أنك أعمى، فإذا وضع المنصر يده على رأسك، وقال باسم الروح القدس وباسم المسيح تشفى ويرد لك بصرك وافتح عيني وأمشي أمام الناس وأقول لهم: لقد بدأت أبصر!

ونفس الشيء بالنسبة للمشلول والآخرين، والقضية كلها لم تكن سوى تمثيل وضحك على الذقون.

فنحن نوضح للناس الحقيقة بدون الهجوم حتى على أمثال المنصر «راين هارت» ، ونخبرهم بالحقائق الطبية وربما نقابل موسى على الهواء وبدون أن نهاجم الآخرين نجعله يبصر الناس بالحقائق في مثل هذه الأمور خاصة والناس هناك بسطاء ويصدقون كثير مما يسمعون.

لقد حذرنا الإسلام من الكذب، وإن من أفجر الكذب في الإسلام الكذب على الله وعلى رسوله، ودين الله الحق لا ينصر أبدا

بالكذب والخداع، وقد قال - صلى الله عليه وسلم -: « إياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا، وعليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا » رواه البخاري ومسلم .

دعوة لنشر الخير من داعية الخير

ويطلق د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - دعوة فيقول: إخواني ... إن للإذاعات دورا كبيرا في توضيح مبادئ الإسلام الصحيحة دون تعنت أو إثارة، وبها نستطيع الوصول لأكبر عدد ممكن من الناس، فالإذاعة تدخل كل بيت ، وتصل إلى كل قرية شئنا أم أبينا ، وهي تبصر المسلم بمعلومات أكثر عن دينه كالحلال والحرام وتشرح له عقيدته التي في الغالب لم يسمع بها ولم يدرسها.

نحن نستطيع أن نصل إلى عشرات الألوف وربما مئات الألوف من خلال الإذاعة الواحدة وندعو من خلالها إلى الله سبحانه وتعالى وتتذكر أن هذه الدعوة واجبة على كل مسلم.



فإخواني نحن لأننا كسلنا عن الوصول بالدعوة الإسلامية لأكبر عدد من الناس فإن الله سبحانه وتعالى سوف يحاسبنا على ذلك، لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول « كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطراً ولتقصرنه على الحق قصراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ثم ليلعنكم كما لعنهم» رواه أحمد .

فما الذي يحدث عندنا نحن المسلمين، اليوم نحن – إلا من رحم الله متفرقون في اتجاهات مختلفة، وكل مجموعة لها شيخ مع الأسف الشديد، فأنا أناشد إخواني أن يحاول كل منهم أن يحول نفسه إلى داعية.

وفي الختام أود أن أذكر إخواني وأخواتي أن معدل تكاليف دخول الشخص في الإسلام عن طريق الإذاعات الإسلامية (مثل الإذاعة التي ننوي إن شاء الله إنشائها) هي ٢٢ دينار كويتي أو ٢٧٥ ريال سعودي.

فهل ستمتنع أخي الفاضل عن كسب إنسان إلى الإسلام بسبب أننا لم ندعم إذاعات القرآن الكريم الموجودة في إفريقيا وغير إفريقيا.

الباب الرابع

غرائب المشاهدات

مشاهدات الدكتور السميط
بين الدعوة وأدب الرحلات

عاش الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- رحالة في سبيل الله، يضرب الفجاج ويقطع السهول والوديان في ربوع القارة السمراء، يغرس الإسلام في النفوس تارة، ويمسح الغبار عما اندثر في قلوب أناس نسوا هويتهم الإسلامية تارة أخرى، وهو مع ذلك يسجل بعيني قلبه وقلمه الملاحظات ويجمع البيانات، ويستقرئ العادات والمشكلات. لكنه وهو صاحب العين الخبيرة والنفس المحبة للطرافة والمُلح، وما يتمتع به السميط - رحمه الله - من الذكاء وسرعة البديهة، لم ينس أن يربط كتاباته بشيء من طرائف المشاهدات والعجائب التي مرت به طوال عقود، ولا يخلو الأمر من طرافة التعليق وخفة الظل التي كان - رحمه الله - يتمتع بها.

وقد يضيق بنا المقام في استقصاء ما دوَّنه السميط -رحمه الله- من عجائب وغرائب المشاهدات، والتي أودعها في مقالاته الدورية في مجلة الكوثر التي تصدرها جمعية العون المباشر والتي تعد من أروع الدوريات المعنية بأحوال إفريقيا، فنكتفي منها ببعضها الذي يعتبر مثالا على ما لم يذكر منها، وهذا القسم من كتابنا يعد نواة قيمة لمؤلف حافل من أدب الرحلات والتي تعتبر من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، حيث يستقي الكاتب المعلومات والحقائق من المشاهدة والمعايشة، والتصوير المباشر، مما يبعث فيها روحا نابضة حية كأن القارئ يشاهدها رأي العين.



السميط والأفاعي وجها لوجه



الكوبرا الإفريقية

عاش الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- ثلاثين عاما بين الأحراش والأدغال الإفريقية ولابد أن له الكثير والكثير من المغامرات والحوادث مع الأفاعي، بل والعجيب أنه صارت له خبرات لا بأس بها في أنواع الأفاعي الإفريقية. يتضح ذلك من معرفته بأنواعها ومواصفاتها وأخطار كل منها.

يقول الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- مجلة «الكوثر» - العدد ٥٢ - فبراير ٢٠٠٤م: ما من سائح يزور قرى إفريقيا أو غاباتها، ويقضي مدة فيها، إلا وتكون له حكايات أو مغامرات مع الأفاعي الإفريقية التي تعيش في الأدغال والأجمات بين الحشائش والأعشاب التي تشكل الموطن الملائم لحياتها.

يقول - رحمه الله -: اكتشفت من خلال تتبعي لحياة هذه الكائنات السامة، ومن المعلومات والحقائق العلمية والمغامرات الشخصية التي كانت لي مع العديد منها، أن هناك خمسة أنواع رئيسة من الأفاعي السامة الكبيرة هي: الأفاعي البدائية الحافرة، والأصلة (البايثون)، والكوبراء والبامبا المرعبة، والأدر، إلى جانب أنواع أخرى من الأفاعي العادية التي تزيد أنواعها على اثنين وستين نوعاً.

كانت تلك جولة سريعة في عالم الحيّات الإفريقية اقتصرت فيها على أبرز سلوكيات هذه الكائنات المخيفة.

وبما أن عملي مرتبط إلى حد كبير بالأسفار والتنقل بين الأماكن والمناطق المتنوعة في هذه القارة، فلابد أن يكون لي نصيب من القصص والمغامرات مع بعض أنواع الحيّات التي حدثتك عنها في السطور السابقة.

لكن أغلب تلك الحكايات كانت مع الكوبرا التي صادفتها مرات عدة في أحراش موزمبيق أو في أدغال شرق كينيا (في ماليندي بالخصوص) أو في ملاوي على سبيل التمثيل لا الحصر.

وللنظارة الطبية مآرب أخرى!

من كرامة الله لعبده المؤمن أن يدافع عنه ولو بأبسط الأسباب مصداقا لقوله تعالى ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ ﴾ [الرعد: ١١] وعن ابن عباس: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدر الله خلوا عنه، وقال ابن كثير: أي للعبد ملائكة يتعاقبون عليه حرس بالليل والنهار يحفظونه من الأسواء والحادثات.



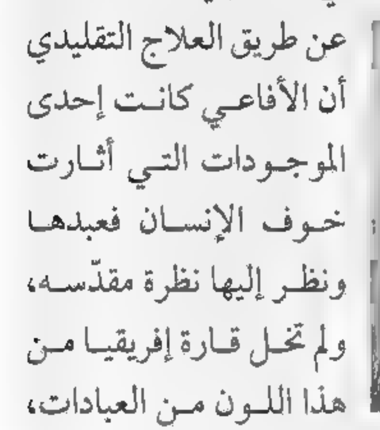
يقول الدكتور عبدالرحمن السميط - رحمه الله -:

حاصرتني مرة أفعى الكوبرا فوقعت في مأزق محرج فنفثت في عيني سماً قوياً، ولولا عناية الله ثم النظارات التي كنت أضعها، لكنت في عداد العميان أو الموتى، بل أحمد الله تعالى أن كان الموقف الأشد خطورة خلال أزيد من ربع قرن عملاً في مناطقها

السباحة خير من لدغة الأفعى

يذكر كذلك الدكتور السميط حدثاً مثيراً وقع في عبارة كانت تقل أكثر من مائتي مسافر بعبور أحد الأنهار الواقعة في شرق كينيا، فإذا بأحدهم يصيح بأعلى صوته: أفعى.. أفعى.. فهاج الركاب وتدافعوا هنا وهنالك، فلما علمت أنها لدغت مسافرين اثنين، قفزت إلى النهر لأقطع بقية المسافة التي لم تكن بعيدة كثيراً عن شاطئه سباحة. والحمد لله أنه لم تكن هناك تماسيح في هذا الجزء من النهر الذي يمتلئ عادة بها.

صحيح أن إفريقيا تمتلئ بأنواع الأفاعي القاتلة، لكن الأمر الذي يدعو إلى الغرابة أن المستشفيات في كثير من المناطق لم تستقبل خلال عقد ونصف من الزمن أيه حالة إصابة من هذا القبيل، فلما استفسرت عن سبب ذلك أخبرني بعض أطبائنا العاملين في المستشفيات أن الملدوغ إما أن يلقى حتفه في الحال، وإما أن يعالج عن طريق الطب الشعبي، ونذكر في سياق الحديث عن طريق العلاج التقليدي أن الأفاعي كانت إحدى الموجودات التي أثارت خوف الإنسان فعبدها ونظر إليها نظرة مقدّسه، ولم تخل قارة إفريقيا من هذا اللون من العبادات، فلقد سبق لي أن زرت معبداً للأفاعي يقع على مقربة من عاصمة جمهورية بنين يعبد الناس فيه الأَصَلَة (أو البايثون)، لكن صهيبا ابني كان مولعاً بصيد نوع من الأفاعي الخضراء التي تعج بها منطقة يقع فيها أحد مراكزنا الإسلامية ليضعها في قنينات المياه الغازية، بهدف غرض آخر من هذه الكائنات وهو اللعب والتسلية.



احذر الهادئ إذا غضب

وذكرت مجلة «الكوثر» - العدد ١٠ - أغسطس ٢٠٠٠م عن د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - قوله: كنا في عبارة تعبر أحد الأنهار في شرق إفريقيا، وعليها مئات من الناس والعديد من السيارات، وفجأة اكتشف أحد الركاب أفعى على سطحها، فصرخ وبدأ الهرج والمرج والصراخ والعويل، ولم يستطع أحد قتلها، فاضطربت الأفعى وخافت من الصراخ، وفعلت ما فعلته أي أفعى عند خوفها، فلدغت أحد الركاب، ثم انسلت إلى النهر سابحة إلى الشواطئ.

قلت في نفسي: لو أن هذا الراكب تصرف بحكمة، لاستطاع بعض الركاب التخلص من الأفعى وقذفها في النهر من دون مشاكل، فإذا رأيت أفعى تذكر أنها لا تلدغ إلا إذا كانت خائفة.

تمساح في الصحراء

يذكر د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - مجلة «الكوثر» - العدد ٦٠ - أكتوبر ٢٠٠٤م: بعد رحلة استغرقت اثني عشر يوماً بلياليها على متن شاحنة بين حر النهار وغباره، وبرد الليل القارس، مروراً بشمال كردفان، وصولاً إلى إقليم دارفور عبر الصحراء في أقصى غرب السودان، عثرنا على بركة مياه راكدة يزيد طولها على ألف متر، وعرضها حوالي مائتي متر، ولكننا لانعرف مدى عمقها.

كان لون مائها كلون الطين، تنبعث منه رائحة كريهة بسبب جثة حمار متعفنة كانت ملقاة وسطها، ولم يكن أمامنا من خيار آخر سوى الشرب منها إرواء لظمئنا؛ شأننا شأن سكان هذه المنطقة، حيث إن أقرب مورد للمياه الصالحة نسبياً للشرب يبعد عن هذا المكان بعشرات الكيلومترات، ولم تكن هذه البركة مورد ماء لبني آدم فحسب، بل تشاركهم فيها كذلك الحيوانات المختلفة من إبل وحمير وأبقار وغيرها التي يحلو لها أن تتبول فيها أحياناً.

لكن الذي أثار استغرابنا في هذا المكان هو وجود تمساح في هذه البركة الصحراوية، مما يطرح تساؤلاً كبيراً عن الطريقة التي وصل بها إلى هذا المكان، وبعد عناء ذهني في التفكير في هذه الظاهرة، لم أهتد إلا إلى احتمال واحد أن تكون السيول القادمة من جنوب السودان هي التي جرفته إلى هذه البركة ليعيش فيها على الحيوانات الميتة.

النوم في حضرة الأسد!

يقول الأمين المساعد لشؤون الدعم الفني والعلاقات العامة والإعلام بأمانة العمل الخيري بجمعية الإصلاح الاجتماعي عبدالرحمن المطوع: سافرت خمس رحلات تربوية دعوية خيرية إلى كينيا بالتعاون مع جمعية العون المباشر ورأيت جهوده الكبيرة في جميع أنحاء كينيا وخاصة قبيلة الماساي، ورأيت كيف أن الناس يحبونه حبا عميقا، وحدثنا مرة أنه كان نائما في مسجد إحدى دور الأيتام التي أسسها ذات مرة، وعندما استيقظ وجد أطفال الدار متجمعين حول المسجد خوفا على الدكتور عبدالرحمن من حبهم له، حيث كان باب المسجد مفتوحاً ويوجد أسد في الخارج ، وكان أطفال الدار يرمون الأسد بالحجارة ليبتعد عن المكان.



الفيلة أم الأسود؟!

يقول الدكتور عبدالرحمن السميط - رحمه الله - في كتاب « الداعية الصغير » عن مسجد تم بناؤه: لبناء هذا المسجد قصة حيث بدأنا بناءه حوالي عام (١٩٩٥م) وعندما أكملنا بناء أحد جدرانه وجدت الأفيال من المحمية القريبة أن حك جلدها بالجدار الإسمنتي يبعث على الراحة، فكانت تزورنا كل يوم، فيهرب العمال من موقع العمل، خوفا منها، حتى إننا لم نجد عاملا بالمدينة يرضى بالعمل معنا، فاضطررنا لاستيراد عمال من القرى المجاورة لم يسمعوا بقصة الفيلة، كما قامت الفيلة بأجسامها الضخمة بهدم بعض جدران المسجد، وضعنا أسلاكا شائكة لمنع الفيلة إلا أنها خربتها، فاستشرنا ضباط حماية الحيوانات البرية من الغابة القريبة، فاقترحوا علينا كهربة الأسلاك وفعلا تم ردع الفيلة، لكن بدأت ضيوف أخرى تزورنا وهي الأسود، والميزة الجيدة من وجه نظرنا في الأسود أنها تزور القرية بالليل، لذا لا تعطل العمل ولا يهرب منها العمال، لكنها بدأت تأكل ماعز أهل القرية، فقام الأهالي بذبح معزه وتسميمها رغم أن ذلك ممنوع في كينيا، لكن الأسود انقطعت عن زيارة القرية بعد موت عدد منها بالسم.



الجني داخل الكاسيت!

ويقول - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٣ - يناير ٢٠٠٠م: ذهبت إلى قرية في غرب إفريقيا وأنشد الأطفال في أحد الكتاتيب القرآنية لي نشيداً جميلاً قمت بتسجيله على آلة تسجيل صغيرة كنت أحملها، وعندما انتهوا قمت بإعادة الشريط، وفوجئت بأن الأطفال لم يصدقوا أن قطعة من الحديد أو البلاستيك تكرر ما قالوه لأنهم لم يروا مسجلة في حياتهم، وأصروا على أن فيها جنياً أو ساحراً، وحاولوا النظر داخلها لرؤية هذا الجني.

نادوا أهليهم وجاءت النساء وحتى العجائز وجاء الجميع وهم يستغربون من هذا الجني الذي في يدي وهو يقلد أصوات أطفالهم وأخذوا يضحكون ويقهقهون بأعلى أصواتهم.

قمت باستغلال الفرصة وشرحت لهم مبادئ الإسلام، بعد أن دخلت عليهم من مدخل الجن، وهو بالنسبة لهم موضوع الساعة.

فتى الشلالات المغامر

يذكر د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٤ - فبراير ٢٠٠٠م: كنت في أوغندا أتفقد بعض مشاريعنا، وخلال ذلك ذكر لي أحد الأخوة العاملين معنا أن منابع النيل قريبة من المكان فقررت الذهاب إليها مع العائلة، وجاءني شاب أوغندي يعرض عليّ أن يلقي بنفسه في الشلالات، وسألته لماذا؟ فقال: مقابل أن تعطيني ٥٠٠ دولار أمريكي، ولأنني لم أكن أنوي تشجيعه على هذه الخطوة الجنونية قلت له: لن أعطيك إلا نصف دولار فقط، رفض في البداية، وفرحت من رفضه وبالتالي تخلصت من إلحاحه، ولكنني فوجئت به بعد دقائق يعود ويبدي موافقته، ورغم أنني صعقت لكونه سيلقي بنفسه في الشلالات الهادرة، قلت له سأعطيك المبلغ شريطة ألا تلقي بنفسك في الشلالات، ولكنه بعد أن استلم نصف الدولار أخذ جالوناً فارغاً من البلاستيك وضمه إلى صدره ولدهشتي ألقى بنفسه في دوامة المياه الهادرة.



اختفى الفتى وسط هذه الشلالات الضخمة، وندمت على أنني أعطيته نقوداً وبدأت ألوم نفسي لأنني ربما أكون قد شجعته على ذلك ولم أحس بالراحة إلا بعد أن برز رأسه على بعد نصف كيلو متر من بين المياه التي تُزبِد.

قلت له: هل أنت مجنون؟ قال: لا ولكني أفعل ذلك عدة مرات كل يوم للسياح ولأنه كما يبدو من ثوبك ومن حجاب زوجتك أنك مسلم لم أفعلها من أجل المال ولكن من أجلكم، أي لإسعادكم، قلت له: لا بارك الله في سعادة تأتي عن طريق تعذيب الآخرين.

الملكة عراويلا من جهنم!

ومن مشاهدات السميط قوله في مجلة «الكوثر» - العدد ٨ - مايو ٢٠٠٠م: يعتقد الكثير من الأهالي في جنوب شرق أثيوبيا أن الملكة عراويلا قطعة من جهنم، ويروي الأهالي أن عراويلا التي كانت تحكمهم قبل أكثر من قرن من الزمان، وكانت ظالمة إلى أقصى حد، فاجرة تعذب الرجال عذاباً شديداً دون سبب، وتستخدمهم للأغراض الدنيئة، وهم يعتقدون أنها بعدما ماتت ودفنت بقرب إحدى الطرق التي يسلكها الأهالي إلى الحج يخرج من قبرها فيح من النار وحرارة شديدة.

ولهذا ترى جميع المارين في الطريق وهم يحملون أباريق ماء يصبون منها على ملابسهم ورؤوسهم عندما يمرون حذو قبر هذه الملكة، حتى لا تصيبهم الحرارة الصادرة من قبرها!

مستعمرة المجذومين!

ويقول أيضا: أعلنا عن برنامج لعلاج مرضى الجذام Leprosy في السودان بعد أن وصلتنا تقارير عن حالتهم من مكتبنا بالمنطقة وكان أن تبرعت إحدى الأخوات الفاضلات واسمها (أم هلال) بمبلغ لعلاج هؤلاء، فقررت أن أسافر إلى إحدى قراهم في الجنوب.

وعندما وصلت وشاهدت الوضع على الطبيعة أصابتني الدهشة ولن أنسى إطلاقاً ذلك المنظر الذي شاهدته في القرية ، فالكثير منهم من دون أيدي أو أصابع أو أقدام بعضهم تشوه وجهه بالندبات والأورام، فرأينا منهم من يزحف عدة كيلومترات، وآخر يجهد في ربط آلة حش الزرع بساعده ولا يملك إلا فمه يحاول به ربط الحبل، وهذه تحمل طفلها وتحاول أن تغسله وليس لديها يدان.

طبخ القردة والتماسيح

الغابونيون لا يأكلون اللحم إلا متعفناً بدوده

وفي مجلة «الكوثر» - العدد ٩ - يوليو ٢٠٠٠م عن د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله- أنه قال: في زيارة إلى مدينة ليبرفيل عاصمة الغابون، مررنا بقرب سوق الخضار واللحم، فشممت رائحة كريهة للغاية، بعدها اكتشفت أن الوثنيين والمسيحيين في الغابون يصيدون القرود والتماسيح، ويقتلونها ثم يضعونها في سوق الخضار ويغطونها بأوراق الموز عدة أيام حتى يتحلل اللحم وتظهر فيه الديدان فيأكلونها بعد ذلك، فهم يعتقدون أن لحمها بعد أن يتعفن يصبح طيباً سهلاً على المعدة، في ذلك اليوم، لم أستطع تناول غدائي ، ولله في خلقه شؤون.



مرض الجذام يأكل الأطراف

هذا المنظر لا أستطيع نسيانه، فقد تعلمت منه شكر الله على الكثير من النعم التي لا نفكر عادة فيها، فكم يشعر الإنسان بالسعادة عندما يعلم أن أحدهم شفي ، وبالتالي أصبح بإمكانه العودة إلى قريته – هذا إذا وافق أهل القرية على عودته – وإلا فإنه سيبقى في مستعمرة المجذومين، وسيصاب بالعدوى مرة ثانية من المرضى الآخرين.

راعي المجانين!

يقول السميط – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ١١ – سبتمبر ٢٠٠٠م: في منطقة قريبة من العباسية في جبال النوبة (جنوب غرب السودان) استقر شيخ وداعية عربي اسمه عبد القادر منذ أكثر من أربعين سنة.

المختلون عقليا يعاملون بقسوة وبدون رعاية في كثير من الدول الإفريقية

هذا الرجل آلمه وضع المجانين في المنطقة، حيث لا راعي يرعاهم، ولا طبيب يداويهم، فقرر الاهتمام بهم، وبدأ الأهالي يأتون إليه بمرضاهم، وهم مقيدون بالأغلال خوفاً من تصرفاتهم، واستطاع الشيخ أن يفرض طريقته في الحياة اليومية على هؤلاء المرضى وعلمهم الزراعة، حتى بدأوا التأقلم والعيش من كسب أيديهم، لقنهم الشهادتين بنغمة يرددونها، لأنهم ليسوا عرباً.

لقد حل هذا الشيخ – جزاه الله كل خير – مشكلة عجزت عنها حكومات متعاقبة انطلاقاً من شعوره بواجبه الديني ومنهجه الحكيم.

المعروف أن هناك أكثر من خلوة (كتّاب قرآني) في السودان تهتم بالمجانين وتحاول إيجاد بيئة مناسبة لهم.

المرء قليل بنفسه

ويقول د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ١٤ – ديسمبر ٢٠٠٠م: في طريقي لزيارة أحد المشاريع التي أقمناها في إحدى مناطق إفريقيا، مررت بغابة فيها محمية طبيعية، ورأيت أسداً يطارد مجموعة من الجواميس البرية، واستطاع أن يغرس أنيابه في فخذ عجل منها فسقط على الأرض، إلا أنه ظل يقاوم، وجاءت أمه تدافع عنه، ثم تجمعت الجواميس البرية الأخرى لتهاجم الأسد، فما كان منه إلا أن آثر السلامة وانسحب بعيداً عنها، تذكرت من خلال هذا المشهد المثل العربي القائل: « الإنسان قليل بنفسه كثير بأهله ».

ممنوع أكل المذبوح

ويقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ١٧ - مارس ٢٠٠١م: من الغريب أن النصارى من طائفة الإيفانجيليكان بروتستانت - مقرها في أمريكا - قد نجحوا في منع المسلمين من ذبح الأبقار حسب الشريعة الإسلامية في زيمبابوي لأكثر من عام.

فأجاب النصارى: لا يوجد في الإنجيل ما يمنعنا من أكل ذبائح المسلمين. وأجاب المسلمون : بأنه لا يجوز لهم أكل مالم يذكر اسم الله عليه.

فقال المسؤول: لا يحق للقسس الاعتراض، وأمر بأن يستمر المسلمون في ممارسة الذبح طبقاً لشريعتهم.



حيلة القسيس

ذكر د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ١٧ – مارس ٢٠٠١م: ذهبت مجموعة من قبيلة الغبرا في شمال كينيا إلى أحد القسس طلباً للعمل، فعرض عليهم العمل مقابل الطعام، وبعد مضي يومين قال لهم: نحن في هذا المبنى (الكنيسة) ندعو الله، والذي يدخله ويصلي فيه يبارك الله في أمواله، فتتكاثر عنده الإبل والأغنام، ثم طلب منهم الجلوس وقال لهم : إنه سيدعو الله وعليهم أن يغمضوا أعينهم، فاستنكروا ذلك، وقالوا له: إن الله فتح أعيننا وأعطانا النظر، فكيف نغمضها في الصلاة ، ولم تنطل حيلة القسيس في تزويد عدد الأغنام من الأبواب الخلفية للكنيسة لأنهم عرفوا نعمة النظر ومكانته في الصلاة.

وحكاية المؤذن

كما ذكر د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ١٧ – مارس ٢٠٠١م: وعرض نفس القسيس على أحد المؤذنين أن يعمل عنده في البناء، فقبل المؤذن العمل وأكرمه القسيس وأحسن معاملته، إلا أنه بعد مرور بضعة أيام من بدء العمل، حاول إغراءه قائلاً له: إنك رجل فقير وفي حاجة إلى المال، فخذ عشرة آلاف شلن، واترك هذا الإسلام الذي كان سبباً في فقرك واعتنق النصرانية، فما كان من المؤذن إلا أن رمى بآلة الحفر ورد على القسيس رداً عنيفاً: لن تستطيع أن تشتري ديني بمالك ونصرانيتك، فخاف القسيس بأسه، وما كان منه إلا أن اعتذر له واسترضاه.

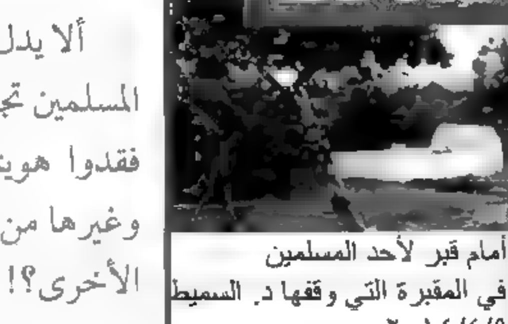
زعيم القرية يعالج العنوسة

وينقل لنا د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ١٨ - إبريل ٢٠٠١م: عن زعيم قرية موليسة في كينيا مسلم ملتزم بتعاليم دينه جداً، رفض السماح للنصارى بإقامة كنيسة، ومنعهم من ممارسة أي نشاط في القرية، وهذا الرجل يرفض بقاء أي فتاة من دون زواج، لهذا نجد أن أغلب رجال القرية متزوجون من اثنتين أو ثلاث، وقد أصبح الجميع ملتزمين بدينهم، فإذا حان وقت الصلاة نجد أحدهم يؤذن لها حتى ولو كان بمفرده في الصحراء، فيصعد على شجرة ليرفع الأذان.

بلاد الواق واق والرازانا!

يقول السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ١٩ - مايو ٢٠٠١م: معظم القبائل في مدغشقر التي كان جغرافيو العرب يسمونها «بلاد الواق واق» تؤمن بإله واحد، وبجانب إيمانها بهذا الإله كانت تمارس الرازانا أو عبادة الأجداد، وعليه فإن كل من يريد الدعاء يجب أن يدعو الله وأجداده، ويعتقد سكان هذه القبائل أن أرواح أجدادهم في السماء، ومن عاداتهم أنهم يُجلسون ضيوفهم ونبلاءهم دائماً في اتجاه الشمال الشرقي ، ولم أكن أعرف سر ذلك إلا بعد أن قمت ضمن جماعة للصلاة، فوجدت أن ذلك هو اتجاه القبلة.

وقبل احتلال المستعمر الفرنسي لهذا البلد وقيام الكنيسة فيه، كانت الكتابة في كل مدغشقر بالحروف العربية .



أمام قبر لأحد المسلمين في المقبرة التي وقفها د. السميط ٢٠١٤/٤/٩

ألا يدل ذلك على تقصير المسلمين تجاه إخوانهم الذين فقدوا هويتهم في مدغشقر وغيرها من البلاد الإسلامية الأخرى؟!

حبة الإسبرين

ومن كلامه – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ٢٠ – يونيو ٢٠٠١م: في زيارة إلى منطقة نائية في إحدى الدول الإفريقية وفي مكان منقطع، رأيت شخصاً يبحث عن شيء يسكن الآلام التي يشكو منها في ظهره، قال: إنه يبحث عن أي عشب أو دواء منذ مدة وهو يتنقل من قرية إلى أخرى.

من خلال هذا المشهد المؤثر عرفت قيمة حبة الأسبرين التي لا تساوي شيئاً عندنا لأنها متوفرة في كل بيت، تمنيت لو كانت معي حبة واحدة لتسكين ألم هذا المسكين، قلت في نفسي: نحن في نعمة لانعرف قدرها.

الإعدام على الطريقة الملاوية

يقول أبو صهيب – رحمه الله –في مجلة «الكوثر» – العدد ٢١ – يوليو ٢٠٠١م: عندما زرنا أعلى جبل في ملاوي يسمى هضبة زومبا، تحيط به قرى مسلمة كثيرة من قبائل الياو، وجدنا حفرة في أعلاه، قطرها حوالي متر وعلى مدى العمق الذي يزيد عن ٣٠٠ قدم تبرز صخور ونتوءات حادة، وفي الأسفل ينبع نهر مليء بالتماسيح ، قيل لنا إن اسم الحفرة «شنغالا»، وأنها كانت تستخدم في القرون الماضية لإعدام المجرمين، حيث يلقى بالشخص من أعلى، وتتكفل النتوءات الصخرية بتقطيعه إلى قطع تسقط وجبة جاهزة على التماسيح أسفل النهر!

مذابح رواندا المروعة

يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله -في مجلة «الكوثر» - العدد ٢٣ - سبتمبر ٢٠٠١م: من أبشع الذكريات في إفريقيا زيارة رواندا أثناء وبعد عمليات القتل الجماعي والتطهير القبلي الذي حدث عام (١٩٩٤م)، حيث قتل ما يقارب من (٩٠٠) ألف شخص معظمهم من الأبرياء، وأذكر أنني عندما ذهبت إلى الحدود التنزانية الرواندية وعلى الجسر الذي يفصل بين البلدين كنا نلقي بالحبال إلى المتطوعين الواقفين على الصخور وسط النهر لربط الجثث التي حملها النهر في طريقه إلى بحيرة فكتوريا، ويومياً كانت تستخرج مئات الجثث لدفنها.

بعد المذابح مباشرة قمت بزيارة رواندا مع عائلتي وزرنا الكنائس ورأينا المئات من الجثث بعضها تحلل وبعضها أصبح هياكل عظمية، رأينا الجماجم والهياكل العظمية على جانبي الطريق، بكى أولادي حتى شبعوا وهم يرون جماجم الأبرياء وقد غرست فيها حربة أو سكين لم يستطع غارسها أن يخرجها، سرنا في القرى وسط الجثث التي لم يتمكن أحد من دفنها، استغربنا من وصول الإنسان إلى هذا المستوى من القسوة التي يعف عنها أشد الحيوانات افتراساً.

أشد ما آلمني هو أن معظم قادة المذابح كانوا من القسس، الذين يفترض فيهم أن يكونوا قد تشبعوا برسالة المسيح التي جاءت تبشر بالحب، وتبشر بالتسامح بين البشر والتي تنص على أنه يجب أن لا تقاوم عدوك، وإذا صفعك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر، وإذا سحبك قليلاً فامض معه طويلاً ، ولكن هيهات هيهات فما بينهم وتعاليم المسيح عليه السلام كما بين السماء والأرض.



ساحر المطر في جنوب السودان

يقول د. السميط - رحمه الله -في مجلة «الكوثر» - العدد ١٥ - سبتمبر ٢٠٠١م: في عام (١٩٨٦م) زرت منطقة جبال النوبة في جنوب السودان وقابلت فيها أكثر من عشرة من كبار السحرة يسمونهم الكجور، والغريب أن لكل ساحر منهم تخصصه، فبعضهم متخصص بإنزال المطر، وآخر بأمراض العيون، وثالث بحمل النساء العاقرات. . . الخ.

جلست مع أحد هؤلاء الكجور، وإكراماً لي أجلسني على نفس سريره الخشبي، وكان رجلاً كبيراً في السن، سألته عن تخصصه فقال: إنه يصلي للآلهة لإنزال المطر صلاة خاصة لا يعرفها أحد غيره، وهو عادة يطلب تقديم بعض القرابين التي قد تتغير من سنة إلى أخرى، ويعطيه الأهالي نسبة من محصولهم الزراعي بعد حصاده.

سألته عن مدى نجاحه في استمطار السماء فقال: إنه في أغلب الأحيان ينجح، وأراني ساعده، وقد لبس عليه أكثر من عشرين سواراً من الحديد، يرمز كل منها إلى السنة التي نجح فيها وتقبلت صلواته كما يدعي.

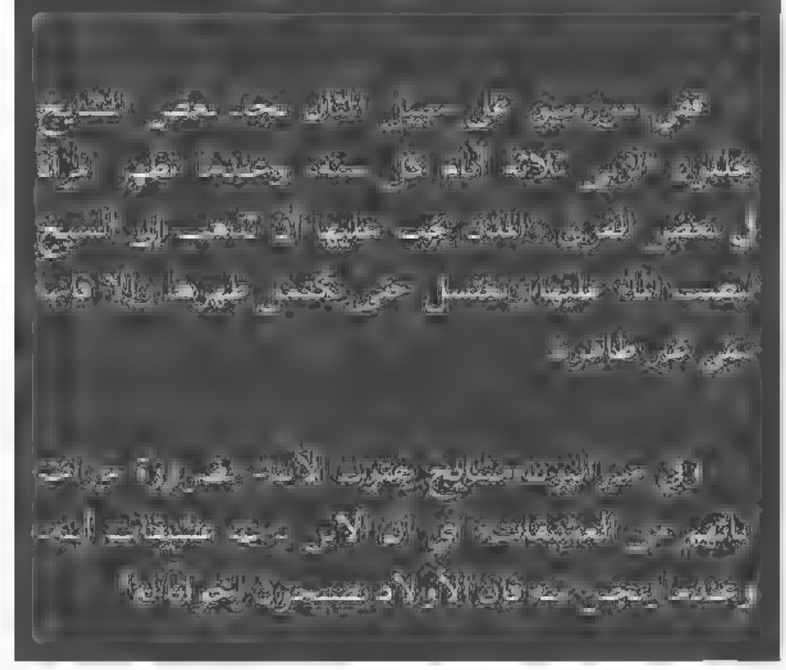
حدثته عن مبادئ العقيدة الإسلامية وأركان الإسلام وأعطيته هدية ثم تركته. سمعت عنه بعد ذلك أنه ترك السحر والشعوذة ودخل في دين الله، ومات - رحمه الله - بعد مدة قليلة من إسلامه.

آه من الجهل

ويقول د. السميط – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» - العدد ٢٤ - أكتوبر ٢٠٠١م: مآسي الجهل عند المسلمين في إفريقيا كثيرة ورغم وجود علماء كبار في بعض الأماكن، إلا أنهم غالباً ما يكونون منقطعين لعلمهم لا يعرفون ما يجري خارج قراهم ، وأعرف الكثير من كبار علماء النحو والصرف والفقه في الحبشة والصومال ممن يقل أمثالهم في البلاد العربية، ولكنهم ليس لهم أي علاقة بالدعوة الإسلامية وسط الناس، حيث يبقى الشيخ في بيته في القرية ويأتيه بعض الطلاب للدراسة على يديه ولكنه لا يفعل شيئاً غير هذا وبعضهم لا يستطيع النطق بجملة عربية واحدة بشكل صحيح نظراً لانعزاله وسط أناس لا يتكلمونها، وفي قرى مجاورة لهم تجد الجهل في أبشع صوره.



منظر لمدرسة في الهواء الطلق في موزمبيق





موقع موزمبيق على الخريطة

عقاب طلاب الخلوة وشيخهم

ويقول – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ٢٥ – نوفمبر ٢٠٠١م: من الزيارات التي لا أنساها تلك التي زرت فيها خلوة من خلاوي القرآن الكريم في السودان قبل خمس عشرة سنة (الخلوة هي مكان يتعلم فيه الأولاد أو البنات القرآن الكريم ، ويحفظونه، ويقيمون فيه عادة في ظروف معيشية صعبة)، ويومها رحب بنا شيخ الخلوة الذي يبلغ السبعين من عمره.

ورغم حياة الزهد والبساطة والفقر التي يحياها جاءنا الشيخ بالعشاء فإذا به دقيق الذرة وبامية مطحونة حاولت أن أتذوقه تبركاً بطعام أهل القرآن، لكنني لم استطع رغم الجوع، ومن حسن حظي أن المكان كان مظلماً رغم أنهم جاءوا بالمصباح احتفاءً بالضيوف، إلا أنه كان قليل الوقود ، ولذا كان ضوؤه ضعيفاً، فلم يلحظ الشيخ أنني لم أتناول أي شيء رغم أنني أمد يدي إلى الطعام، ثم أرفعها فارغة إلى فمي وأمدح الأيادي التي صنعته.



رأيت بعض الطلبة الصغار وقد قيدت أرجلهم بأغلال حديدية، وقد أخبرني الطلاب الكبار أن هذا العقاب يطبق في حق الطالب الذي يهرب من الخلوة أو يتكاسل متعمداً عن حفظ القرآن، وهناك درجات من العقاب أخفها وضع القيود في الأرجل مع ربطها بكره ثقيلة من الحديد يحملها الطالب بيديه عندما يتحرك (يتحرك ببطء شديد بسبب القيود)، ثم أقصاها وضع القيود في الأرجل مع ربط الطالب بسلسلة في شجرة وسط الخلوة، وهي مخصصة لمن كرر الهروب عدة مرات ورفض حفظ القرآن.

وذكر لي أن الطلبة ينامون على التراب وكذلك شيخهم رغم أنه حصل على سجادة هدية من أحد آباء الطلبة يستخدمها للصلاة.

أعجبني أمران: أولهما: قدرة الطلبة على قراءة ألواح القرآن رغم الظلام الدامس .

وثانيهما: قدرة الشيخ الجالس في وسط الحلقة على التصحيح لكل طالب رغم أنهم يقرأون من سور مختلفة في نفس الوقت، ورغم صعوبة النوم ولسعة البرد والجوع، إلا أنني أتمنى لو تكررت هذه الليلة مرة كل شهر.

القزم الكذاب

يقول السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٢٦ - ديسمبر ٢٠٠١م: إن الزيارات التي أقوم بها إلى مناطق الأقزام في رواندا وأوغندا وزائير (جمهورية الكونغو الديمقراطية الحالية) وإفريقيا الوسطى تترك أثراً كبيراً في نفسي ، فهؤلاء البسطاء هم سكان إفريقيا الأصليون، رغم أن حقوقهم ضائعة في أغلب الأحوال، حيث يستغلهم الآخرون أسوأ استغلال بالعمل في مزارعهم مقابل الحصول على المخدرات والشاي فقط!

عندما أزور مناطقهم وأجلس معهم على الأرض تحت شجرة وأستمع إلى أحاديثهم التي لا تخرج عن العالم الذي يعيشونه، فقليل منهم من يكون قد زار قرية من القرى المجاورة أحيناً، ونشاطهم لا يخرج عن الصيد وجمع الثمار.

جلست مرة أستمع لأحدهم واسمه (ليندو) ويبدو أنه يكذب بطريقة ساذجة، فقال: إنه خرج ذات يوم في رحلة صيد، وحصل على لحم غزال ولحم قرد، ولكن سيده الذي يعمل عنده وهو إفريقي ذو قامة عادية طلب منه اللحم بعد أن تركه حتى جف، فقال: إن روحاً شريرة اعترضته في الطريق وطلبت منه اللحم الذي لفه في ورق الموز، ولكنه أخبرها أن هذا اللحم لسيده

الإفريقي، وأنه لا يستطيع أن يفرط فيه، ولكنها أبت إلا أن تأخذ اللحم، فما كان منه إلا أن فر هارباً منها.

واستطرد ليندو قائلاً: إن الروح الشريرة ظهرت له ثانية وقد عادت هذه المرة في صورة جدته التي ماتت منذ سنين والتي يجب أن يعاملها باحترام، وقالت له حسب روايته: ياليندو، أين تذهب بكل هذا اللحم؟ فقال لها: إلى سيدي الإفريقي.

فقالت الجدة: هل ستغضبني وتأخذ اللحم بعيداً عني وأنا جدتك؟ فقال لها: إن سيدي الإفريقي رجل طيب معي وهو محتاج إلى اللحم. وأضاف: رفضت جدتي الاستماع إليّ وخطفت اللحم مني وهربت بعيداً، ثم تحولت إلى روح شريرة فلم أستطع ملاحقتها.

وأضاف: عدت إلى سيدي وسألني عن اللحم، فلما أخبرته بما وقع، وافقني على أن الأرواح الشريرة تملأ الغابة فعلاً، فأعطاني شيئاً من الأرز والبطاطس.

أدركت من خلال هذه الحكاية الخرافية أن ليندو كان دائماً يختلق مثل هذه القصص عندما يقوم بسرقة الأرز والبطاطس.



بعض أفراد غرب إفريقيا أثناء تجهيزهم للصيد

إنسانية الغرب المزعومة!!

يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٢٩ - مارس ٢٠٠٢م: كنت ولازلت من المهتمين بتاريخ بعض الظواهر السلبية في إفريقيا، ومنها على الأخص سرقة العبيد ونقلهم إلى أوروبا والأمريكيتين عبر السفن البريطانية والفرنسية والهولندية والبرتغالية وغيرها في ظروف مأوساوية، فقد كان أكثر من ثلث العبيد يموت خلال هذه الرحلات، أما الناجون منهم فكانوا يعاملون معاملة أحط

عائلة من الأقزام

من معاملة الحيوانات، كان الرجال والنساء من العبيد يقضون مدة الرحلة بين إفريقيا والغرب مقيدي الأرجل والأيدي في قاع السفينة، وكم انتشرت الأوبئة بينهم وخاصة الكوليرا، ثم يأتي الغربيون ليحدثونا عن القيم الإنسانية.



تنقل الأوروبيين في المنطقة قبل ١٠٠ سنة

أستغرب من الغربيين الذين يقيمون الدنيا إذا ما تسلقت قطة شجرة ولم تستطع النزول، أو اكتشفوا أن حوتاً ما كسرت إحدى زعانفه ، وهم لا يهتمون بتاريخهم الأسود هذا، ولا يحاولون تعويض إفريقيا عما اقترفوه في حقها من آثام.

أذكر مرة أن الصحف البريطانية قلبت الدنيا رأساً على عقب لأن دبلوماسياً إيرانياً في لندن ذبح خروفاً عند باب بيته في عيد الأضحى، ولم يتركوا وصفاً سيئاً إلا ووصموا الإيرانيين به.

تذكرت هذا عندما كنت في زيارة لجمهورية بنين حيث توجد بوابة تسمى بوابة اللاعودة تقع على المحيط، والتي كان العبيد المساكين يساقون من خلالها إلى السفن لتنقلهم إلى المستقبل المجهول، بكيت مراراً عندما تذكرت تلك المواقف المؤلمة، وكيف كانوا يفرقون بين الأم وطفلها، وبين المرء وزوجه، عشرون مليوناً من الأبرياء شحنوا بطريقة تخلو من أدنى قواعد الإنسانية إلى الأسواق الأوروبية والأمريكية، بعد أن باركهم قسيس الكنيسة الكاثوليكية، حتى تطهر أرواحهم مقابل دفع مبلغ من المال للكنيسة عن كل عبد!

تذكرت كذلك الآلاف الذين تم جلدهم حتى الموت أمام أعين أقاربهم، وكيف كان البحارة الأوربيون يختارون من نساء العبيد ما يحلو لهم لقضاء وقت المتعة خلال الرحلات الطويلة!

الحليب بالذباب والنمل الطازج

ويقول: تختلف العادات والتقاليد تبعاً لاختلاف الشعوب والقبائل والجماعات.

فالذي يكون منها غريباً عند جماعة قد لا يكون كذلك عند جماعة أخرى، فقد لا يصدق البعض أن من بين الشعوب العربية مثلاً من يأكل الجراد والجربوع والضب!

أذكر أن من جملة العادات الأكثر غرابة تلكم العادة التي تتعلق بأهمية الختان عند قبائل غرب كينيا، لدرجة أنهم عندما يكتشفون أن شخصاً ما غير مختون، فإنهم يسحبونه بالقوة إلى أماكن التجمعات الجماهيرية مثل مواقف سيارات الأجرة مثلاً، ويجبرونه على الكشف عن عورته أمام الملأ ليتأكدوا مما إذا كان مختوناً أم لا، فإذا وجدوه غير مختون، طلبوا له عجوزاً متخصصة لتختنه بالقوة، وعليه أن لا يظهر أي شعور بالألم.

والواقع أن العادات الغريبة من أمثال هذه العادة وغيرها التي ما تزال حية بين الشعوب والقبائل الإفريقية أكثر من أن تعد وتحصى، وخصوصاً عادات الأطعمة والأشربة، فلا تستغرب إذا سمعت عن بعض القبائل في جنوب إفريقيا وشرقها أنها تتناول الديدان حية أو مجففة، بل تطور الاهتمام بها إلى درجة تعليبها ، ولا تستغرب كذلك إذا سمعت عن بعضها الآخر أنهم يأكلون النمل الكبير طازجاً أو مطبوخاً ، أو غيرهم ممن يأكلون الفئران التي يعرضها الباعة على جنبات الطرق السريعة بأسعار عالية، لذلك كانت من الأكلات التي تخص الأثرياء!

ويقول د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – في «حقيبة مسافر» ص ٤٤: وأذكر مرة خلال زيارتي لأحد مساجدنا القريب من أحد الأسواق التي تباع فيها الفئران أنني قمت بجولة في هذا السوق، فشاهدت أحد باعتها وهو يطهوها وينادي علي لأتذوق، فسألته مازحاً هل هي مذبوحة ذبحاً شرعياً؟ !

فئران مشوية جاهزة للأكل

ومنذ ذلك اليوم، كلما دخلت السوق إلا وأسمع بعضهم ينادي بأعلى صوته : تعالوا أيها المسلمون، فهذه الفئران لذيذة مذبوحة بطريقة حلال!

لكن أكثر اللحظات العصيبة التي مررت بها كانت أثناء زيارتي إلى قبيلة بدائية في وسط كينيا لدعوة زعمائها وأبنائها للإسلام حيث قدموا لي حليباً تعبيراً عن كرم الضيافة، في إناء لم أر أقذر

منه في حياتي يحوم حوله الذباب ، وهم ينظرون إليه بدون أدنى حركة لإبعاده، لدرجة أن بعضه يسقط في الإناء فمنه من يسبح فيه، ومنه من لقي حتفه ، وكان عليّ التزاماً بآداب الضيافة أن ألبي الدعوة وأنا طبيب سابق وأشرب من إناء الحليب من غير أن أظهر أي اشمئزاز أو تهرب من الموقف حتى لا تكون دعوتي إياهم إلى الإسلام محل اعتراض، مستفيداً مما سمعته عن مجموعة من المنصّرين الأمريكيين زاروا إحدى القرى الإفريقية لدعوة أهاليها إلى النصرانية ، فعندما عافوا الطعام الذي قدم إليهم ترحيباً بهم، رفض أهل القرية الاستجابة لدعوتهم والدخول في ملتهم.

لكننا عندما قمنا بزيارة إلى هذه القرية نفسها، دعونا أهاليها إلى دين الله الحق فدخلوا فيه، حتى إذا عرفنا سبيلاً إلى نفوسهم طفقنا نبين لهم أن النظافة من الإيمان ، نظافة البدن والمكان والملبس والطعام، والحمد لله الذي هداهم للإسلام.

نعم إن الدعوة إلى الله تعالى ليست بالأمر الهين في جميع الأحوال، لكن التحلي بالحكمة والرزانة وحسن التصرف في المواقف الصعبة لكفيلة بتذليل الصعاب وتجاوز العقبات.

في مدغشقر يرقصون من شدة الحزن

ويقول - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٣٥ - سبتمبر ٢٠٠٢م: حب الرقص وسماع الموسيقى من أبرز مظاهر الحياة الاجتماعية لدى غالبية الشعوب الإفريقية، ومطلب من مطالب مناسباتها المتنوعة: فضرب الطبول الإفريقية، والعزف على الآلات الموسيقية المحلية من المشاهد المألوفة لدى كثير من الجماعات في المناسبات أو في الأيام العادية.



مدغشقر الرقص مع الأموات أيضاً

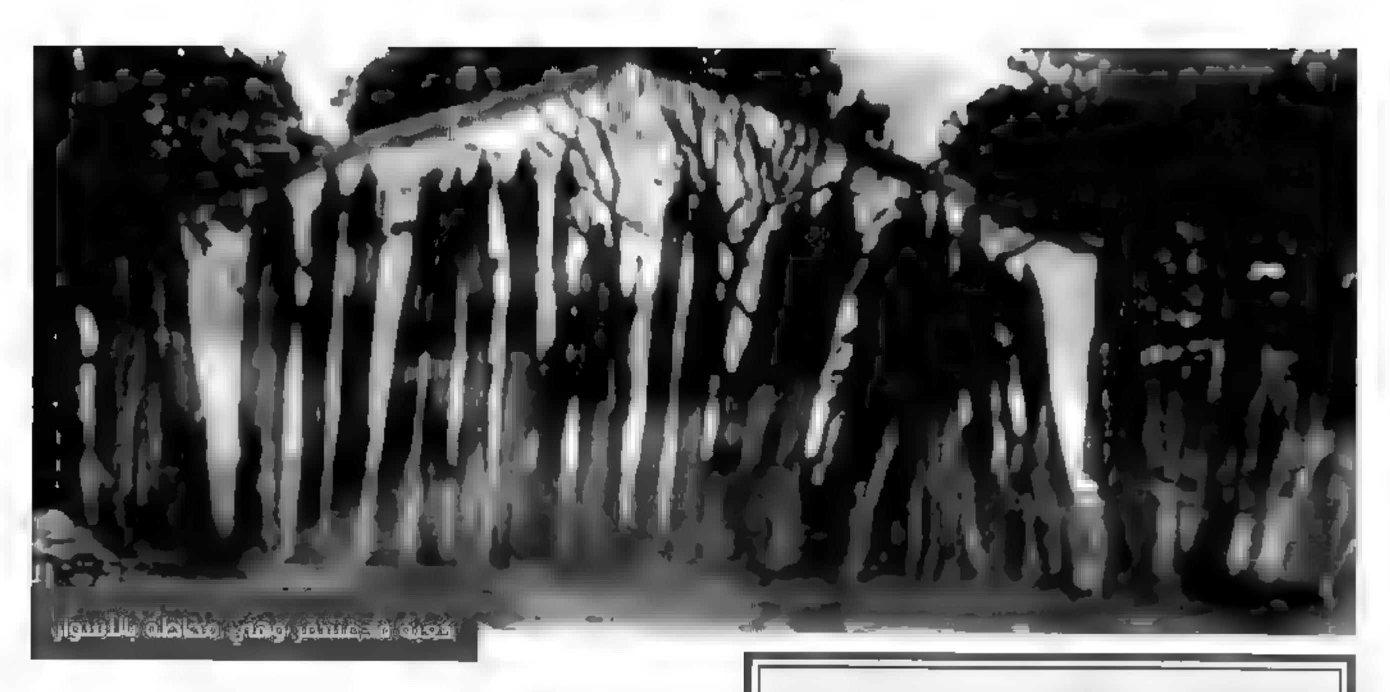
فليس غريباً وأنت تتجول في إحدى قرى أو مدن بعض البلدان الإفريقية أن تقابل شخصاً في طريقك يسير وهو يرقص، أو تجد جماعة ترقص في مكان ما، فالرقص في هذه المجتمعات ليس مجرد حركات فنية يؤديها أفراد موهوبون كما يفهمه معظم الناس، بل هو مطلب اجتماعي ذو دلالات اجتماعية ونفسية وسياسية ، وهذا ما استخلصته من خلال دراستي لهذه الظاهرة في العديد من المناطق الإفريقية، فهو أسلوب من أساليب التعبير عن الفرح والسرور كما في مناسبات الاحتفال بالمواليد الجديدة أو الزواج، أو هو وسيلة من وسائل إظهار الحزن والأسى على فقيد له مكانته في النفوس كما هو الحال في مآتم بعض القبائل المدغشقرية التي يقضي أفرادها أياماً وليالي في الرقص وشرب الخمر حزناً على وفاة أحد كبار السن فيها، اعتقاداً بأنه اكتسب خبرة كبيرة تؤهله لأن يكون أحد الشفعاء الذين يشفعون لأفراد قبيلتهم لدى الآلهة، وأنه سوف يزورهم في أحلامهم الليلية ورؤاهم الخاصة ليدلهم على الطريق السليم.

وقد يكون الرقص من الشعائر التي يتقرب بها إلى الآلهة، وهذا أحد المداخل التي استغلتها بعض طوائف النصارى البروتستانت من أجل استقطاب الأفارقة إلى عقيدتها باعتماد الرقص طريقة لأداء صلواتها.

كعبة مدغشقر تنافس مكة بسبب الجهل !

ويقول السميط: هل سبق لك أيها القارئ العزيز أن سمعت بكعبة بنيت في مكان آخر من الأرض، وأناس يحجونها للعبادة على غرار شعائر الحج في الإسلام؟!

لقد قمت بزيارة إلى هذه الكعبة التي أقيمت في قرية من قرى جزيرة مدغشقر تسمى (تسارارانومبوني) تابعة لإقليم ماجونقا، تحجها قبائل (السكالافا) الوثنية في شهر يوليو من كل عام عندما يصبح القمر بدراً.



كعبة مدغشقر وهي محاطة بالأسوار

لقد توجهنا إلى هذا المكان للتعرف على شعائر الوثنيين في حجهم هذا، ودعوتهم إلى الإسلام، فكان علينا أن نقابل المرأة المسؤولة عن أعمال الكعبة من حيث تيسير الخدمات، وشرح طقوس الحج للحجاج الجدد. استقبلتنا هذه السيدة في مقرها بحضور أعوانها وأخبرناها بأننا قدمنا من دولة الكويت، وطلبت من شخص إعطاءها والحضور نبذة موجزة عن تاريخ أسلافهم المسلمين في إشارة إلى أن ما يمارسونه من عبادات اليوم إنما هو راجع إلى أصول إسلامية، وطلبت منها زيارة كعبتهم.

- قصة بنائها:

ويروى في مجلة «الكوثر» - العدد ٤٩ - نوفمبر ٢٠٠٣م: أن شخصاً يدعى (راندريا منديسو أريفو) ينحدر من أصل عماني أو يمني هو الذي نشر الإسلام بين قبائل الساكالافا، ولكنه توفي قبل أن يتمكن الدين الجديد من غالبية أفرادها، وحدث مرة أن توجه وفد منها إلى الديار المقدسة لأداء فريضة الحج على متن سفينة، فهبت عليها عاصفة فغرقوا جميعاً، ففكروا عقب هذا الحادث المؤلم في بناء كعبة محلية يحجونها كل عام بديلاً عن حج بيت الله الحرام في الديار المقدسة ، وقد لقيت هذه الفكرة آنذاك استحساناً من المسلمين لضعف إيمانهم، وجهلهم الكبير بحقائق الإسلام وشعائره وتعاليمه.

- **محتوياتها:**

وفي مجلة «الكوثر» - العدد ٤٩ - نوفمبر ٢٠٠٣م: بنيت هذه الكعبة أول ما بنيت بالخشب والقصب وظلت على حالها إلى سنة (١٩٩٨م) حيث تم هدمها وإعادة بنائها بالآجر (الطابوق) والأسمنت وسقفت بالزنك، وفرشت بالحصير، ويحتوي داخلها على قرون مجوفة مصنوعة من الذهب فيها شعر وأظافر ورفات للداعية المسلم (راندريا منديسو) حسب اعتقادهم.

وعلى مقربة من القرنين وضع طبلان كبيران وجرار وعصي تستخدم جميعها في أعمال الحج أو في بعض المناسبات الدينية الأخرى، وعلقت في إحدى زواياها ستائر لتغطية القرنين الذهبيين، وهم يؤمنون بقداسة هذه الرفات المدفونة في القرنين لأنها تؤوي أرواح أجدادهم، بما فيها الروح الكبرى المعروفة عندهم باسم: زومبا التي تقدم لها النذور والقرابين.

- **موسم الحج وأعماله:**

يحل موسم حج هذه الكعبة في أواخر شهر يوليو من كل عام، ويقصدها حجاجها من كل مكان في مدغشقر، حتى من فرنسا وجزر القمر وأماكن أخرى كثيرة.

وتبدأ أعمال الحج بالاغتسال والتجرد من المخيط وارتداء إزار وكشف شعر الرأس للرجال والنساء على حد سواء، وعند دخول (الحرم) للطواف بالكعبة يتعين تقديم الرجل اليمنى على اليسرى، ومن أخل بواجب من واجبات (الحج) التي ذكرنا بعضها فعليه دم بذبح بقرة وإلا بطل حجه.

وتقام معظم مناسك هذا الحج ليلاً تحت ضوء القمر الساطع ودوي الطبول والرقصات الصاخبة والطواف بالبيت المقصود.

- لولا رحمة الله... !

ويقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٤٩ - نوفمبر ٢٠٠٣م: عندما سمع أفراد أسرتي بقصة هذه الكعبة، تاقت نفوسهم إلى زيارة هذا المكان لمشاهدة هذه الطقوس عن كثب، غير أننا لم ننعم بهذه الزيارة لأول مرة لأنها وافقت يوم الثلاثاء الذي تحرم فيه زيارة الكعبة، لنعود بعدها في يوم آخر، لكن القيمين على أعمال الحج منعوا زوجتي وبناتي من دخول المكان لأنهن رفضن نزع الحجاب، فلما قابلت أميرهم وأخبرته بأننا مسلمون نرغب في زيارة هذه الكعبة، وأن الأهالي منعوا بقية أفراد أسرتي من ذلك، دون أن أذكر له موضوع الحجاب، أمر بعض أعوانه بالسماح لزوجتي وبناتي بزيارة المكان، فما كدن يدخلنه حتى استشاط الناس غضباً، وعلا صراخهم في السماء احتجاجاً على الحجاب، وهموا بالفتك بهم.

دب الرعب في قلب أم صهيب وبناتها، ففرت بهن نحو السيارة للنجاة بأرواحهن ونحن نصد الجموع الغاضبة، والأمير غاضب كذلك وهو يأمر بصدهم دون جدوى ، ولولا رحمة الله وعنايته لكنا صرعى تحت أقدام الغاضبين.

- متطلبات الدعوة:

يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٤٩ - نوفمبر ٢٠٠٣م: لا أعتقد أن قصة هذه الكعبة تحتاج إلى تعليق على وضع الدعوة الإسلامية في هذه المنطقة وواجب المسلمين أينما كانوا نحوها، لقد طلب مني زعيمها الذي نسب نفسه إلى أصول عربية أن نقيم سوراً حول هذه الكعبة معللاً طلبه بأن الرفات التي يحتفظون بها ويقدسونها إنما هي لعربي مسلم، فالمسؤولية إذن جسيمة، والعمل على تصحيح هذا الوضع، وإعادة هؤلاء الناس إلى دين أسلافهم، وإزالة هذه الأوهام من حياتهم ليس بالأمر الهين، لكن بالقليل اليسير الدائم نستطيع أن نحقق الكثير في حياة هؤلاء الناس ونعيدها تدريجياً إلى إسلامهم السليم بإذن الله تعالى.

« الشلوخ » من عادات قبيلة الدينكا



يقول د. عبد الرحمن السميط: من العادات والتقاليد السائدة في مجتمع هذه القبيلة نذكر تلك العادة التي تميز بها أفرادها عن باقي القبائل الأخرى والتي تتم بوشم الجبهة عن طريق إحداث خمسة جروح فيها لتكون علامة على كمال الرجولة، والتي يسميها إخواننا السودانيون (الشلوخ).

ومن تمام الرجولة والجمال كذلك عندهم أن يكسر أحدهم اثنتين من أسنان فكه السفلي حتى إن الواحد منهم ليعير الآخر بأنه لم يكسر أسنانه طعناً في رجولته، ولله في خلقه شؤون!

لكن مثل هذه العادات القاسية أخذت تختفي من حياة الدينكا تدريجياً.

دعوها تعيش في أماكنها الطبيعية

ويقول - رحمه الله - مجلة «الكوثر» - العدد ٥٤ - أبريل ٢٠٠٤م: تعرفت على سيدة غربية كانت مولعة بالحيوانات البرية في إفريقيا خصوصاً الأسود، حيث قضت أغلب عمرها في رعاية الجرحى والأيتام منها - كما تصفها - إلى درجة إيوائها بعض الأشبال التي عاشت معها في بيتها أكثر من خمس وعشرين سنة. تطعمها وتعتني بها عناية فائقة، لكنني سمعت عنها مؤخراً أن أحد الأسود قد افترسها.

ولازلت أذكر قبل حوالي خمسة وثلاثين عاماً، عندما كنت طالباً في كلية الطب، أن أحد المتخصصين في صيد الأفاعي بمدينة بغداد أهداني أفعى طولها متر ونصف، وطمأنني بأنه نزع أنيابها السامة، وأنها لم تعد تشكل أي خطورة على حياة الإنسان، وكنت ساعتها حائراً في أمر هذه الهدية الغريبة، التي احتفظت بها عدة شهور متسائلاً في كل مرة عن الفائدة من تربيتها!

فلما حان موعد العطلة الصيفية، قدمتها بدوري هدية لأحد أصدقائي، وبعد يومين من استلام هديته بلغني أنها لدغت كلبه الذي كان يمازحها على ما يبدو فلقي حتفه من فوره، فتذكرت في هذه اللحظة الأيام السود التي قضتها هذه الأفعى في بيتي، وحمدت الله كثيراً أنني لم أُلدغ كما لدغ الكلب المسكين.

والحقيقة أنني أريد أن أهدي هذه القصة الواقعية لهواة الحيوانات البرية الخطرة كمثل هذه الأفاعي أو التماسيح أو غيرها. والذين يأمنونها ويجعلون بيوتهم سكناً لها غير آبهين بغرائزها القاتلة التي قد تثور في أية لحظة فتذهب بالأنس والألفة والعشرة، راجياً أن يتعظوا بالكثير من القصص المأساوية، ويتركوا هذه الحيوانات تعيش في أماكنها الطبيعية عملاً بسنن الله الكونية.

حسبتني لصاً

ويقول د. السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٤٠ - فبراير ٢٠٠٣م: لن أنسى النادرة التي كانت لي مع سيدة بدينة في عقدها السادس وأنا في رحلة من كينيا إلى زامبيا، فقد كانت جالسة في الجهة المقابلة، وبما أن المقعد المجاور لها كان شاغراً، فقد فضلت أن أضع فيه جهاز الكمبيوتر المحمول، فما كان منها إلا أن حملته وألقت به عليّ لتضع أمتعتها مكانه، فلما التفت إليها حسبتني لصاً، فأمسكت بيدها أغراضها، وكانت من حين لآخر تنظر إلي بنظرات ملؤها الريبة والشك في أنني (حرامي) ويبدو أنها أول رحلة في حياتها لأنها كانت تسأل المضيفة في كل مرة إن كانت الطائرة متجهة إلى زامبيا!

ولم أتنفس الصعداء، ولم أشعر بالاطمئنان إلا عندما سألتني عن وجهة الطائرة، وكأنها أرادت بسؤالها أن تقول « لقد تأكدت أنك لست مجرماً «!

أليس السفر قطعة من العذاب؟ وهو أشد عذاباً بين سماء إفريقيا وأرضها.

من ينّقب عن المسلمين في إفريقيا

يقول د. عبد الرحمن السميط في «رسالة إلى ولدي- رحلة خير في إفريقيا» ص ٥: في رحلتي إلى كينيا سافرت من نيروبي العاصمة بالسيارة إلى مدينة ماليندي على الساحل عن طريق ممباسا، والتي تستغرق رحلتها في الأحوال العادية عشر ساعات، وفي طريقي كنت أشاهد خطوط السكك الحديدية التي تربط ممباسا ونيروبي ثم تتجه إلى كمبالا عاصمة أوغندا.

هذا المشهد جعلني أتذكر الآلاف من العمال الهنود ومعظمهم من المسلمين ممن جلبهم الإنجليز قبل مائة سنة لمد خطوط السكك الحديدية هذه، حيث التهمت الأسود الآلاف منهم أثناء ساعات العمل، وفي الطريق كنت أشاهد الزرافات والنعام والقرود.

وصليت في مسجد كان أحد الإخوة الهنود قد تبرع ببنائه، وكان يقدم فيه الطعام والشراب مجانا للمسافرين، والمبيت أيضاً في إحدى الغرف الملحقة به.

ومن المشاهد الممتعة في هذه الرحلة انتشار القرى خاصة قبل الوصول إلى مدينة ممباسا، حيث ترى الطابع الإسلامي يبرز بوضوح، وعن اليمين وعن اليسار محميات الحيوانات المتوحشة، تعيش فيها طليقة، ويزورها السياح من مختلف بلاد العالم، وفي داخل هذه المحميات فنادق راقية تم بناء بعضها بقدر ارتفاع رؤوس الأشجار، حيث تمر من تحتها الحيوانات المتوحشة، بينما الزرافة وحدها التي تستطيع إدخال رأسها إلى غرف النوم لتوقظ من فيها بدعابة، ناهيك عن غابات أشجار جوز الهند الباسقة.

ومن المعالم الإسلامية التي تدل على عراقة الإسلام في هذه الأرض المركز الإسلامي الذي أقامته جمعية تحفيظ القرآن التي يرأسها بحار إنجليزي كان قد أسلم منذ أكثر من ثلاثين سنة، وتزوج امرأة مسلمة من أصل عربي، وكان - جزاه الله خيراً - يقوم بنشاط دعوي كبير في هذه المنطقة عبر هذا المركز الذي يضم أيضاً مدرسة ومسجداً ومستوصفاً.

شهداء لحوم الكلاب في رواندا

ويقول - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٧ - مايو ٢٠٠٠م: تولت إحدى الشركات الصينية أمر تعبيد طريق رئيسي في رواندا بين مدينتين، ويبدو أن العمال الصينيين فرحوا بوجود عدد لابأس به من الكلاب السائبة، التي كانوا يصطادونها ويطبخونها وجبة شهية لهم وسط استغراب الأفارقة.

في أحد الأيام اصطادوا كلباً يبدو أنه كان مريضاً، وقاموا بطبخه وأكله، وكانت النتيجة إصابة الجميع بالتسمم، مما أدى إلى موت تسعة منهم، دفنوا في جانب الطريق، والمسلمون في المنطقة يسمونهم شهداء لحوم الكلاب!



كجور جبال النوبة وتحديه الشيطان

يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٨٣ - سبتمبر ٢٠٠٦م: ليس الحج مجرد ركن من أركان الإسلام فقط بالنسبة للكثير من القادة التقليديين الذين نرسلهم لأداء هذه الفريضة، بل هو صفحة جديدة مع الله.

أذكر أن ساحراً مشهوراً من قبيلة النيانج في جبال النوبة الواقعة غرب السودان، كان قد أسلم وسمى نفسه إسماعيل غبوش.

قال لي: كنت كجور المنطقة - الكجور هو الساحر باللغة المحلية - ، وكنت أعالج الناس ولم أكن أعرف شيئاً عن الإسلام، وكانت لي مكانة اجتماعية عالية، يهابني جميع الناس ويحترمونني، لأنني كنت من كبار سحرة القبيلة، وكانوا يدينون لي بالولاء والطاعة لكسب رضاي، لكنني بفضل الله ثم بمساعدة جمعية العون المباشر أسلمت وأنا الساحر السابق، فظن الكثير من الناس أنني سأموت عندما تركت السحر وفارقت الشيطان، وكنت أنا الآخر أعتقد هذا الاعتقاد الآتي من كيد الشيطان ووسوسته، حتى كان الجميع يسأل كل صباح: هل مات إسماعيل أم ما زال حياً؟!

جاءني كثير من الناس يطلبون مني بإلحاح الردة عن الإسلام والعودة إلى الضلال والسحر، ولكن الله تعالى كان يعصمني من ذلك وله الحمد والشكر.

لقد زاد من قوة إيماني ترشيحي لأداء فريضة الحج على نفقة جمعية العون المباشر، وعندما رأيت عظمة هذا الدين الذي يجسد مبدأ المساواة في صورته الحقيقية، لا فرق فيه بين أبيض وأسود، أو عربي وأعجمي، أو غني وفقير، أو ذي حسب وجاه وغيره.

لقد رجمت الشيطان في منى فلن يجعل الله له علي سبيلاً إن شاء الله، غير أنني أصبت بالإنفلونزا الآسيوية، وتعبت بسببها تعباً شديداً حتى إنني أنبت شخصاً ليرجم عني في اليوم الثاني من رمي الجمرات.

وبعد عودتي من الحج لازمت الفراش شهراً كاملاً، فشاع بين الناس وأهلي أن الشيطان ينتقم مني، وأنني سوف أموت عقاباً منه على إسلامي.

وهنا أخذ دعاة الضلال يتسامرون ويتنادرون بسيرتي في مجالسهم في انتظار انتقام السحرة وأعوانهم الشياطين مني لكن الدعاة وقفوا على جانبي ولله الحمد بالنصح والإرشاد والدعاء حتى خاب ظن السحرة وعبدة الأوثان، وشفيت بإذن الله تعالى، فدخل الناس في دين الله أفواجاً، والحمد لله رب العالمين.



عصابة المطار «حاميها حراميها»

ويقول أبو صهيب - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٥ - مارس ٢٠٠٠م: أثناء سفري في أحد مطارات إفريقيا كان في جيبي مائة دولار أمريكي من فئة الدولار الواحد، وأثناء تفتيش الركاب عند الصعود للطائرة، رآها أحد رجال الشركة، ولمح لي بأنه يريد رشوة، وطبعاً رفضت، فما كان منه إلا أن قال: عليك أن تثبت أن هذه الدولارات هي أموالك، وتساءلت في داخلي كيف يستطيع أي إنسان أن يثبت ذلك؟ وظللت متمسكاً بموقفي، فأنا لست من المشهورين بالاستسلام بسهولة، فتأخرت عن ركوب الطائرة، حتى نادوا على اسمي في الميكروفون.

أثناء ذلك مر ضابط بجواري، وقبل أن أناديه مستنجداً به، بادر بقوله موجهاً كلامه للشرطي : لا تطلقه إلا بعد أن تنتهي من التحقيق معه!

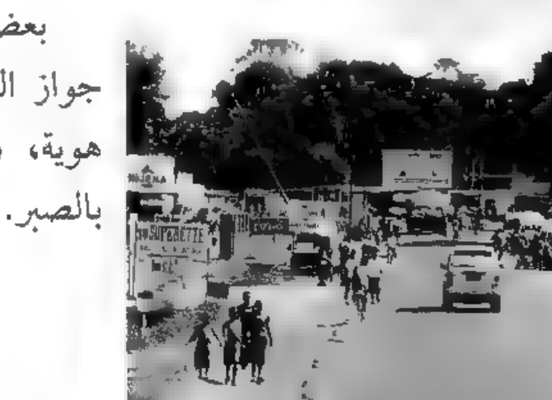
وعندما أيقنت أن الجماعة ما هم إلا عصابة، اضطررت لإعطاء العسكري قلماً سعره نصف دينار كويتي، فأفرج عني ولحقت بالطائرة قبل إقلاعها بدقائق!



كثيرا ما يواجه المشاكل في المطارات الافريقية

الصبر مطلوب جداً !!

يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٢ - ديسمبر ١٩٩٩م: دخلت زامبيا عن طريق البر من مالاوي وأنهيت إجراءات الجوازات والجمارك، وبعد أن غادرت المركز الحدودي استوقفنا عسكري وطلب جوازات سفرنا - رغم أنهم عادة يحترمون الأجانب - أعطيته جواز سفري الدبلوماسي، فسألني ما هو عملك قلت له: دبلوماسي، وبعد أن فتش الجواز قال: هل معك ما يثبت ذلك؟ طبعاً استغربت من سؤاله لكنني لم أظهر ذلك وسألته بكل لطف: ماذا تريد بالتحديد لأن الجواز دبلوماسي وفيه أنني دبلوماسي قال: لا إنني أسأل عن ورقة أو رسالة مكتوب فيها أنك دبلوماسي!!



اعتذرت له بأننا من دولة متأخرة لا تعرف الأصول والقوانين التي يتحدث عنها لذلك لم تزودني بهذه الرسالة.!

بعض الناس لا يعتبر جواز السفر كافياً كإثبات هوية، وعليك أن تتحلى بالصبر.

السيارة العجيبة تحملنا ونحملها!

كلما توقفت السيارة لتزويدها بالزيت، أطلب من ولدي صهيب أن يقف خلفها لمراقبة أي مسلح قادم، أو خطر داهم.

بينما أقف أنا في الأمام ومعي قطعة من الحديد، لكن الله تعالى أحاطنا بحفظه ورعايته، فوصلنا إلى هدفنا سالمين، والحمد لله رب العالمين.

وأذكر أنني سافرت بها مرة في رحلة طولها أكثر من ٢٥٠٠ كيلومتراً وكان معي أولادي، فتوقفت عشرات المرات إلا أنني لا أنسى فعلتها تلك بعد منتصف الليل في طريق يفصل ملاوي عن موزمبيق حيث كانت تدور حرب أهلية، ولا يجرؤ أي إنسان على السير فيه في مثل هذه الفترة المرعبة من الليل بسبب العصابات المسلحة، ولهذا كانت العديد من الوحوش هي الكائنات الحية الوحيدة التي نصادفها في الطريق.



موقع ملاوي مع موزمبيق

المعزة والبندقية لا يجتمعان

ويقول د. السميط - رحمه الله - مجلة «الكوثر» - العدد ٢٠ - يونيو ٢٠٠١م: كان بعض دعاتنا مسافرين في جنوب السودان حيث الطرق الوعرة، وفي واحدة من الزيارات قابلوا شاحنة عسكرية تحمل مجموعة من الجنود ومعهم أربعة مدنيين وثلاث معزات مربوطة بالحبال.

وتشاء إرادة الله بسبب وعورة الطريق أن تتحرك إحدى المعزات وتشد حبلها الذي حرك بدوره زناد إحدى البنادق فانطلقت ست رصاصات أصابت أحد المدنيين الأربعة من أصحاب الماعز في ركبته وفخذه، وبسبب بطء سير الشاحنة العسكرية لقدمها وتهالكها، حمل دعاتنا الجريح في سيارتنا الوانيت (البيك أب) إلى أقرب مستشفى على بعد ساعتين من مكان الحادث، والحمد لله رغم النزيف وصل حياً إلى المستشفى.

وكان هذا الحادث درساً مفيداً علمنا أن الجمع بين الحيوان والسلاح في مكان واحد أمر غير آمن.

السيارة وفنون القفز السينمائي

ومن مشاهداته ومواقفه - رحمه الله - كما جاء في مجلة «الكوثر» - العدد ٢٩ - مارس ٢٠٠٢م: خرجت بسيارتي القديمة طراز (١٩٧٢م) من العاصمة الكينية متجهاً إلى مدينة ممباسا (٧ ساعات) مع زوجتي وأولادي، وقررت ألا أسافر عبر الطريق الرئيسي، ولكن عبر طريق آخر يأخذك إلى الحدود مع تنزانيا، ثم يعرج بك إلى محمية كبيرة جداً، ثم إلى طريق ممباسا، وذلك حتى نكتشف أية قرية أو قبيلة مسلمة على هذا الطريق، لكن لم أقدر مسافة الطريق، وبدأنا سيرنا من الصباح، ولم يكن معي سائق أو مترجم، خرجنا من طريق معبد إلى طريق سيئ جداً كله حجارة، فانقضى نهارنا ومضى شطر من الليل، ونحن نسير في الطريق ولا نشاهد فيه حياة آدمية إلا لماماً، ولكن رأينا الكثير من الحيوانات المتوحشة.

وبما أنني لا أعرف المنطقة جيداً فقد تبين لي أنني ضللت الطريق، ومضى نصف الليل وأنا وأولادي في سيارة قديمة، لا أعلم متى سينفد الوقود منها، ومما زاد الطين بلة أنني اكتشفت أن الأخوة غيروا إحدى عجلات السيارة بعجلة أكبر من باقي العجلات الأخرى، ولذلك كانت السيارة تقفز في كل مطب أمتاراً ذات اليمين وذات اليسار دون أن أستطيع التحكم فيها.



بلغت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، ولا شيء من حولنا إلا الوحوش وفجأة خرج علينا رجال مسلحون بأسلحة أوتوماتيكية وعليهم ملابس مدنية، فلم أشك في أول وهلة أنهم عصابة لصوص، ولكن في مؤخرة المجموعة رأيت شخصاً يلبس ملابس عسكرية، أمرونا بالتوقف وسألونا: لماذا نسير في هذا المكان في مثل هذا الوقت، وهل نحن مجانين؟!

عرفت بعد دقائق مرت كأنها دهر أنهم من الشرطة، وأنهم يبحثون عن عصابة مسلحة من اللصوص ودلونا على طريق فندق نقضي فيه ما تبقى من الليل، وطلبوا منا عدم مغادرة الفندق إلا مع حراس أو بعد ظهور الشمس.

رغم الجوع الشديد، لم يبد أي من أولادي رغبة في الأكل، فالكل يريد النوم.

استيقظنا لصلاة الفجر، وعرض علينا صاحب الفندق أن نذهب لمشاهدة الحيوانات ولكن التعب لم يسمح لأي منا بالموافقة على شيء آخر غير الفراش.

في اليوم التالي أكملنا سيرنا إلى مدينة ممباسا، ولقد أبدت السيارة من فنون القفز مالم يشاهد مثيلاً له في أي فيلم سينمائي!

عندما عدت إلى العاصمة كان أول قرار لي بيع السيارة وشراء سيارة أحدث منها طراز (١٩٨٦م).

عندما تكون البسمة ضرورة

ويقول - أثابه الله - كما في مجلة «الكوثر» - العدد ٥٥ - مايو ٢٠٠٤م: في إطار الجولات الميدانية التي أقوم بها من خير لآخر بين مراكزنا المقامة في الكثير من الدول الإفريقية زرت في أحد الأيام مركز النور في شمال دولة توغو على بعد ست ساعات عن العاصمة سفراً بالسيارة، فخرج سكانها على بكرة أبيهم يرحبون بقدومي في هذه المنطقة التي قلما رآها الدعاة العرب.

وقد شد انتباهي العدد الكبير من الوثنيين الذين خرجوا بطبولهم المدوية وأهازيجهم الصاخبة احتفاء بالضيف العربي المسلم.

والواقع أنني لم أكن في قرارة نفسي سعيداً بملابس نسائهم ولا برقصهم المثير، ولكن كان عليّ أن أبتسم في وجوههم تقديراً لحسن الحفاوة وكرم الضيافة، ولم أكتف بذلك فحسب، بل جئتهم بثور سمين وذبحته لأعبر لهم عن شكري الجزيل على حرارة الاستقبال.

ولقد حدث بعد هذا الاحتفال بأيام ماكنت أتوقعه سلفاً، إذ جاء بعضهم إلى مركزنا ليعلنوا إسلامهم، ولنبدأ معهم مسيرتنا الإيمانية حتى يصبحوا مسلمين عارفين بدين الله الحق ثابتين عليه.



احتفاء الأهالي بمقدم السميط

هل هي حقاً شعوب كسولة؟

يقول السميط: يتهم الكثير من الناس الأفارقة عموماً بالكسل والخمول وعدم الرغبة في العمل، وإذا كانت هذه النظرة تنسحب على بعض المناطق في القارة الإفريقية، فإن من بين سكانها من يصل إلى حد الإبداع الثقافي والحضاري إذا وجدوا الحوافز المادية والمعنوية.

فبم تفسر إذن، في إطار هذه النظرة النشاط الزراعي عند بعض المدغشقريين الذي يشمل ثلاثة مواسم لزراعة الأرز؟ ويكفي أن نعرف عدد تلك المواسم لندرك المجهود المضني والمتواصل الذي يتطلبه العمل فيها، الأمر الذي يعني أن الكسل والخمول لا مكانة لهما في حياة هؤلاء الناس لاسيما إذا عرفنا أن الوسائل الزراعية المستخدمة لديهم مازالت يدوية وبدائية.

ومن الشعوب المدونة أسماؤها في قائمة الاتهام بالكسل والخمول كذلك شعب السودان، إذ يلاحظ الكثير من زوار هذا البلد عزوف أهله عن العمل.

لكن هل تنطبق هذه النظرة على السودانيين الذين يعملون خارج وطنهم كالعاملين منهم مثلاً في دول الخليج؟ لقد ثبت لدى الكثير من المدراء ورجال الأعمال وأصحاب الشركات وحتى القطاعات الرسمية أن العامل أو الموظف السوداني يتحلى بالإخلاص والجدية في العمل، ولو كان النظام الإداري في بلده يراعي هذه الصفات فيه بعدالة مبدأ المكافأة والحساب لتغيرت تلك النظرة السلبية عن السودانيين.



حتى الأطفال يعملون في إفريقيا وهنا مشاركتهم في الزراعة

زوج ملكة نماكيا يسجد لها!!

يقول د. السميط – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ٤١ – مارس ٢٠٠٣م: تقع بلدة نماكيا في منطقة منعزلة غرب جزيرة مدغشقر، ويبلغ عدد سكانها حوالي ١٥٠٠ شخص يعتمدون في عيشهم على صيد الأسماك، وأغلب هؤلاء مسلمون، ولكن بسبب انعزالهم في هذه المنطقة النائية فضلاً عن عدم توفر داعية أو إمام يرشدهم إلى أمور دينهم، انحرف أغلبهم وتحولوا إلى الوثنية.

تحكم هذه المنطقة ملكة عربية الأصل، ويبدو من ملامح وجهها ولون بشرتها أنها يمنية، أحبها الناس فأقبلوا على عبادتها، فلما استيقنت من خضوعهم لها أمرتهم ببناء معبد تجلس فيه يوم السبت من كل أسبوع ليسجدوا لها، ويقدموا لها الهدايا والقرابين.

الوصول إلى هذه المنطقة صعب ويحتاج إلى تضحية كبيرة وصبر جميل، فهو يتم على مرحلتين: تبدأ الأولى من مدينة ماجونغا (مدينة المسلمين في مدغشقر) حتى بلدة أمبونيا لقطع مسافة ثلاثين كيلومتراً بالشاحنة تستغرق ساعتين إلى ثلاث ساعات في الأحوال العادية إذا كان الجو صحواً، أما في حالة هطول الأمطار، فلا أمل في الوصول إليها، ثم من أمبونيا إلى نماكيا. ورغم أن المسافة التي تفصل بينهما لا تتعدى ستين كيلومتراً، إلا أنها تستغرق يومين أو ثلاث أيام بالسيارة ذات الدفع الرباعي، إذا كانت الأحوال الجوية على ما يرام، والواقع إنني لا أعرف شخصاً استخدم هذا الطريق ولم تتعطل شاحنته فيه، بسبب كثافة الغبار أو تراكم الأوحال مما يضطر المسافرون في أغلب الأحوال إلى التوقف في منتصفه أو العودة إلى أمبونيا.

والوضع العام لمسلمي هذه البلدة تلخصه قصة هذه الملكة فمن بقي منهم على الإسلام، أصبح ضعيف الإيمان قليل المعرفة بأمور دينه بمن فيهم زوج الملكة نفسه الذي يصلي طوال الأسبوع في المسجد، ولكنه يذهب يوم السبت إلى المعبد ليسجد مع الساجدين لها.

وبلغ الأمر بهم أن تركوا صلاة الجمعة بسبب عدم وجود إمام يصلي بهم، وكل ما لديهم امرأة من جزر القمر تحفظ الأطفال آيات من القرآن الكريم.

هؤلاء مثال حي على عشرات المجتمعات الإسلامية المنعزلة التي فقدت هويتها وعاشت بين الهداية والضلال.

فهي بلا ريب في حاجة ماسة إلى إرسال القوافل الدعوية لتصحيح صورة الإسلام في حياتها، وإلى توزيع الكتب المناسبة لغة ومضموناً.

ومما ينبغي التركيز عليه كذلك في متطلبات الدعوة بينهم كفالة بعض أبنائهم ليتمكنوا من الالتحاق بالمدارس الإسلامية ليصبحوا دعاة الغد بين أهليهم ومواطنيهم.

الغوريلا السكران!

يقول السميط: أذكر في يوم من الأيام هجمت عليهم غوريلا ، هجمت على امرأة كانت قادمة من الغابة ومعها ماعون من الفخار ملأته خمرا من بعض الأشجار فهم يستخرجون الخمر من الأشجار ، ووضعته على رأسها، فالغوريلا كبيرة أكبر من الإنسان، مشت وراء المرأة، وخافت المرأة فأنزلت الخمر خوفا من أن تسقط، وهربت، فجاء الغوريلا يشرب الخمر، والغوريلا لا يحتمل إذا كان غير سكران فكيف إذا سكر؟!

فلما سكر قام يشم رائحة المرأة وتبعها إلى القرية وبدأ يخرب في القرية، قدر الله أنه كان يوجد شرطي بالقرب من المكان، فنادوه وجاء الشرطي ورأى الغوريلا يخرب بالبيوت وغيره، أخرج المسدس وضرب طلقة طلقتين ثلاثة، لا يوجد فائدة ، فقالوا له: اتركنا نحن نتعامل معه، أخرج واحد منهم البوص، هذا الذي ينفخوه، ووضع فيه سهما مسموما ونفخ على الغوريلا، فسقطت وماتت، والآن الغوريلا في المتحف في بنجي في متحف العاصمة.



يعالجون القطط والحُمُر وينسون البشر

ويقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٩ - يوليو ٢٠٠٠م: كنت مع عائلتي في شرق كينيا وذهبت لزيارة مركز الأيتام التابع لنا في جزيرة لامو التي لعبت دوراً كبيراً في نشر الإسلام في شرق إفريقيا، وجميع سكانها مسلمون، وفوجئت بوجود مستشفى للحمير - أعزكم الله - أنشأته الجمعية الدولية لرعاية الحمير، ومقرها في بريطانيا، وتقدم لها الحليب وغيره، علماً بأن ٩٩٪ من سكان الجزيرة لايستطيعون شراء الحليب.

نسيت أن أذكر أنني عندما زرت الجزيرة لم يكن فيها مستشفى للبشر ولكن حنان وحب البريطانيين للحمير جعلهم يهتمون بها وينسون البشر، وعندما علمت جمعية أوروبية أخرى بأن القطط في الجزيرة لايوجد من يعالجها قررت فتح مستشفى للقطط يزوره أطباء من بريطانيا بشكل دوري، وعندما علم بعد الإخوة في السعودية بالأمر، قرروا بناء مستشفى للبشر.

قلت في نفسي: الرفق بالحيوان لا يكون بنسيان بني آدم!



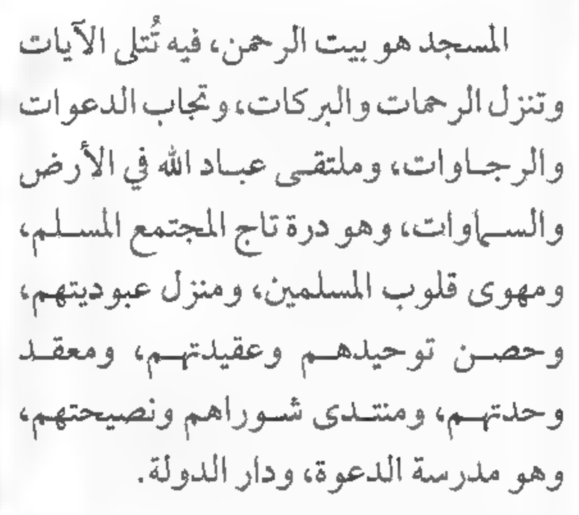
الفصل السادس

عبد الرحمن السميط وسجل العطاء

الباب الأول

بناء المساجد

في البدء كان المسجد



المسجد هو بيت الرحمن، فيه تُتلى الآيات وتنزل الرحمات والبركات، وتجاب الدعوات والرجاوات، وملتقى عباد الله في الأرض والسماوات، وهو درة تاج المجتمع المسلم، ومهوى قلوب المسلمين، ومنزل عبوديتهم، وحصن توحيدهم وعقيدتهم، ومعقد وحدتهم، ومنتدى شوراهم ونصيحتهم، وهو مدرسة الدعوة، ودار الدولة.

المسجد بيت الأتقياء ومدرسة الأنبياء، ومناط أفئدة الصالحين والأولياء، إذا حضرت صلاتهم اصطفوا بين يدي الرحمن الرحيم، صفا لا عوج فيه، يرجون رحمته ويخافون عذابه، وإذا ألم بهم خطب كان المسجد مأواهم وموئلهم، فيه يجتمعون ويتناصحون ويتشاورون.

والمسجد هو الجامعة العلمية للدارسين والعلماء والفقهاء، وفي رحابه كان تعقد مجالس الحكم والقضاء.



مسجد قباء حديثا

والمسجد أول بقعة مباركة يعقد فيها الأمير ديوانه، ويقسم زكاة أموال المسلمين وصدقاتهم، ومنه يرسل ولاته وعماله.

وفي المسجد تجهز الجنود وتبسط البنود، وفيه استقبال الوفود وإبرام العهود، فإذا أمضى المسلمون غزوة للجهاد في سبيل الله كان المسجد منطلقهم، وإذا دخلوا بلدة كانت منائر المساجد علامة لكف الأيدي عن أهل هذه البلدة.



مسجد قباء قديماً

ولشرف منزلة المسجد وفضله كان أول ما بناه الرسول – صلى الله عليه وسلم – للمسلمين في قباء في اليوم الأول لهجرته إليالمدينة، وحين قدم المدينة كان أول أعماله كذلك بناء مسجده – صلى الله عليه وسلم –، وحمل أحجاره بيديه وعلى كتفيه الشريفين فكان المسجد النبوي، ليكون المسجد أول لبنة في المجتمع المسلم ثم الدولة المسلمة.

وبناء على هذا كان سعي الدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله – في إنارة ظلمات القارة السمراء بالمساجد، ليكون نواة لمجتمع المسلمين الأفارقة في كل قرية، وليكون المسجد عروة وثقى يتمسكون من خلالها بدينهم ويسترجعون في كنفه هويتهم التي طمسها الجهل والفقر والعوز، وغياب نور الدعوة وأيادي الفضل طويلا عن إخواننا في القارة السمراء البكر.



صورة تخيلية للمسجد النبوي زمن النبي صلى الله عليه وسلم

إفريقيا... أول الملحمة مسجد!

كان الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - يحمل طاقة خيرية هائلة، لم تُتَحْ لها فرصة أن تنبع وتفيض بالخير بقدر ما كان يحلم ويتمنى، رغم أن أياديه البيضاء وموهبته الفطرية في العمل الخيري وتكوينه النفسي والتنشئة الطيبة قد ظهرت آثارها في كل مكان ذهب إليه، منذ كان طالبا في المرحلة الثانوية، مرورا بدراسة الطب ببغداد، ثم رحلة دراساته العليا في الغرب، ورحمته بالفقراء والمحتاجين كجعل سيارته وقفا لهم، وتوزيعه للكتيبات الإسلامية على المساجد.

كل ذلك لم يكف ليروي غليله ونهمه للعمل الخيري، وكان حلمه الذهاب إلى إفريقيا ليمد مع غيره من المسلمين يد العون إلى الشعوب الإفريقية التي تعاني من ويلات الظروف الاقتصادية والاجتماعية السيئة.

وقد كان مسجد المحسنة أم علي جابر الأحمد الجابر الصباح - حفظها الله - في ملاوي بمثابة النبع الذي تفجرت منه طاقة الخير الهائلة التي أنعم الله بها على الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله -، فأنشأ على إثره «لجنة مسلمي ملاوي»، ثم تغير الاسم إلى «لجنة مسلمي إفريقيا»، وبمرور الوقت تغير الاسم مرة ثالثة إلى «جمعية العون المباشر» والذي تحتفظ به إلى يومنا هذا.

انطلق الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- في ربوع إفريقيا يرفع المنائر، ويبني المآذن لترفع من قلب إفريقيا وأطرافها شهادة التوحيد في أكثر من أربعين دولة إفريقية، حتى جاوز ما ساهم في بنائه (٥٧٠٠) مسجد يصدح فيها المؤذنون بالآذان، فياله من فتح، ويالـه من فاتح عظيم!



مسجد للمسلمين من القش والطين

كان الدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله– يقطع مئات الكيلومترات في الغياهب السوداء بين الغابات والأوحال والمستنقعات والظروف البيئية العصيبة في أماكن نائية، يقطعها حينا بالسيارة، وأحيانا على قدميه، معرضا نفسه للأخطار، بل واستطاع بهمته السامقة أن يصل إلى أماكن في إفريقيا لم يصلها أحد قبله، لا المنظمات التنصيرية، أو حتى بعض الجمعيات الخيرية، لا لشيء إلا ليبني مسجدا أو مدرسة ليتحول الوثنيون إلى دعاة إلى الله بفضل الله ثم ببركة عمله.

تعطلت السيارة في الطريق وسط الطين والطريق شبه مقفل

كانت همة الدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله– العالية مثلا يحتذى ونورا يقتدى في حب الإسلام وخدمة المسلمين بل والإنسانية جميعها.

وكان ابتداء هذه الرحلة المباركة للدكتور عبد الرحمن السميط –رحمه الله– ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾ [البقرة: ٢٦١]، فتتابعت الأعمال المباركة، بل استطاع وحده أن يقوم بعمل ما لم تقم به دول كاملة، بل قام –رحمه الله– بما قدمه من عطاء في خدمة البشرية بدفع بعض الحرج والإثم عن أكثر من مليار مسلم قصرت بهم أعمالهم عن نجدة إخوانهم في إفريقيا وإنقاذهم من التنصير والجوع والمرض والجهل، فنعم الرجل كان، ونعم المؤمن هو. . . رجل بأمة. ومفتاح الملحمة الأسطورية لفاتح إفريقية في العصر الحديث الدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله– في البدء كان هو المسجد.

المساجد محاضن جمعية العون المباشر الدعوية والإغاثية

من أهم الوسائل الدعوية لتبليغ رسالة الإسلام إلى الناس وتثبيت المسلمين على دينهم خاصة في بلدان إفريقيا هو المسجد باعتباره الحلقة الوثيقة التي تربط الأرض بالسماء، وتعود بالخلق إلى خالقهم وإن طال الزمن وبعدت الهوة، لذا حرص الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- على إقامة أنشطة جمعية العون المباشر الدعوية في المساجد لجذب الناس إليها.

فالمسجد هو رمز الإسلام ومحضنه التربوي والإغاثي ودعوته الصامتة التي تخاطب القلوب والوجدان، إذ بمجرد أن تقع عليه العيون حتى تطفو على السطح الفطرة الصافية التي فطر الله الناس عليها، وكم من نفس بشرية أذعنت للإسلام بمجرد رؤية المساجد أو باجتماع المسلمين فيها أو تعظيمهم لها، ولعل الذي جعل الإسلام يثبت في إفريقيا إلى اليوم رغم الحملات الصليبية الحاقدة هي المساجد المنتشرة في كل قرية على بساطتها لكنها قامت بالدور المنوط بها لعقود طويلة.



من أهم الوسائل الدعوية لتبليغ رسالة الإسلام هو المسجد

آلام إفريقيا... إرث ثقيل
رقعة في الثوب تلتهم الثوب

عندما تحط رحالك في بلاد إفريقيا، ثم تطلق لحواسك العنان لاستقراء أحوال الحياة من أرض ومناخ وسكان، لن يطول بك الحال حتى تصطدم عيناك في كل مكان بأجساد عارية تلوح عظامها معلنة عن نفسها من خلف ما تبقى من جلد، حتى لَتجد أحسنهم هو من كسى لحمُه عظمَه، فإن زاد من الله فضلا فترى عليه الأسمال البالية والأطمار المهترئة.

إفريقيا بلاد تعج بالخيرات والحيوانات والجلود لا تجد ما تستتر به عورات أبنائها!

ولن تخطئ عيناك في رؤية الوجوه الشاحبة التي غلب شحوبُها سوادَ لونها، وانسحبت ظواهر بطونها حتى كادت أن ترجع خلف ظهورها من شدة الجوع، وتتشقق جلود هؤلاء المساكين كالأرض الطينية السوداء خاصمها الماء حتى تشققت من فرط العطش والظمأ.

إفريقيا أكثر القارات مطرا وأكثرها أنهارا، ولكن يد الجدب الباطشة وسواعد التصحر المتجبرة تضرب إفريقيا بلا رحمة، وكأن الشاعر قد عناها بقوله:

> كالعِيسِ في البيداء يقتلها الظما
> والماء فوق ظهورها محمول

إفريقيا... حاكمها الأكبر هو الجهل يتخذ وزيرين له هما الفقر والمرض، وجنوده المنتشرون في كل مكانهم الأوبئة الفاتكة، والمجاعات المهلكة، والمعارك الطاحنة المفنية، فإلى أي ركن تلجأ القارة المنكوبة المظلومة المنهوبة، ومن أي شيء تتقي، وقد أحاطتها الخطوب من كل صوب، ولا عاصم لها إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. وحالها كحال المتنبي إذ يقول:

> رَماني الدّهرُ بالأرزاءِ حتى
> فُؤادي في غِشاءٍ مِنْ نِبالِ
>
> فَصِرْتُ إذا أصابَتْني سِهامٌ
> تكَسّرَتِ النّصالُ على النّصالِ
>
> وهانَ فَما أُبالي بالرّزايا
> لأنّي ما انْتَفَعتُ بأنْ أُبالي



من أكثر القارات مطرا وأنهارا.. قرية الميجيكندا

إفريقيا القارة التي نهب الغرب ثرواتها واستنزف المستعمرون خيراتها، فلما أثخنت الجراح في جسد هذه القارة، فأظلمت عقولهم بالجهالة، وصرخت أجسادهم من فرط الجوع والعطش، ومدوا بأياديهم المتشققة إلى أي أحد يداوي جراحهم أو يسد رمقهم أو يكسو عوراتهم، إذا بجحافل المستعمرين وهو المستخربون واللصوص القدامى الذين سمنت بطونهم من خيرات هؤلاء الأفارقة، وتريشت أبدانهم من ثروات غاباتهم، وعلقوا على أعناق نسائهم الأوربيات الذهب والماس الذي نهبوه من مناجمهم، إذا بهؤلاء مصاصي الدماء يقايضونهم، الخبز أمام الإيمان بالإله المسيح، والدواء في مقابل الإيمان بالكنيسة وبآيات العذراء أم المسيح!

فعملت تلك الحملات الخبيثة على استغلال الجهل والفقر هناك وبدأت تمارس لعبتها القذرة وتضغط على الأهالي هناك لترك دين الإسلام.

وللأسف الشديد وبسبب الجهل الشديد والفقر المدقع انساق الكثير وراء تلك الحملات... فهل من يد تنتشل هؤلاء مما حل بهم؟!



كتب تنصيرية توزع في إفريقيا

بماذا نبدأ...

إذا قرأت ما سبق من معاناة إخواننا الأفارقة من الجهل والجوع والمرض، وأردت أن تمد يدك بالخير لترقع فتقا في هذا الثوب الإفريقي المتهالك، فبماذا تبدأ، أتطعم الأفواه الجائعة دوما، أم تكسو الأجساد العارية، أم تُراك تبني مدرسة للناشئة، وهل تعلم أن آباءهم أيضا لم ينالوا أي حظ من التعليم! ها... أخبرني بماذا تبدأ.. أتحفر بئرا وتكون لك حسنات جارية كالنهر الجاري، أم تبني مسجدا تأوي إلى ركنه القلوب المتعطشة للإيمان، ويكون لهم بيتا ووطنا وكنفا، ومدرسة وجامعة ومنارة علم، ومرتكزا للهوية؟! لم يترك الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - من هذه الأعمال السابقة عملا إلا وكان له فيه اليد الطولى في إفريقيا، ولكن بأيها يبدأ ويقدم إن كان الاختيار قاصرا على خيار واحد، هذا ما تجيب عنه تلك المرأة الإفريقية.

امرأة إفريقية تصرخ.. .. ديننا قبل الطعام والكساء!

لقد أصغى الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- بقلبه المرهف إلى لسان حال الملايين من إخواننا الأفارقة وكأنهم يقولون:

نعم نحن جوعى، ولكن ما يغني الطعام والشراب عنا يوم يكون طعام أهل النار ما بين الغسلين والضريع والزقوم؟!

نعم نحن عطشى، ولكن ماذا يغني عنا الماء إن كان شرابنا يوم القيامة ما بين يحموم وحميم؟!!



وماذا تغني عنا الملابس إن كان مصيرنا إلى قوله تعالى ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٩ - ٥١]، ولباس التقوى ذلك خير.

هذه الكلمات لخصتها امرأة إفريقية في الموقف التالي:

فأثناء قيام المكتب في النيجر بتوزيع المساعدات على الناس هناك، وقد سبق ذلك كلمة دعوية عن محاسن الإسلام، إذا بامرأة تقوم من فرط تأثرها بما رأته من موقف، وما سمعته عن الإسلام، فقالت: إننا لا نحتاج إلى مساعدات، وإنما بحاجة للعلم والدين، ولم ينته الأمر عند هذا الحد، بل تفتح للخير نبع، حيث قامت امرأة أخرى بالتبرع بقطعة أرض لبناء مسجد صغير عليها، والحمد لله رب العالمين.

ماذا يريد أهل دارفور من أهل الكويت؟

يذكر القائمون على العمل في جمعية العون المباشر بمكتبها بالسودان موقفاً قائلين: التقينا لدى سفرنا إلى معسكرات النازحين بولاية شمال دارفور ضمن فعاليات مشروع إغاثة دارفور بشيخ كبير ووقور تظهر عليه علامات الورع والتقوى وطلب مقابلة رئيس وفد القافلة فلبينا طلبه، فقابله وقال: ياشيخ. . . . أنتم الكويتيين أهل الإسلام والقرآن وخدمة الإسلام والمسلمين، وجميعنا في هذا المعسكر مسلمون، وكما تعلمون فإن الخواجات – يعني الأوروبيين – جاءوا إلينا بالطعام والكساء، فهل ننتظر منهم أن يشيدوا لنا مساجد ويدعموا لنا الخلاوي – وهي أماكن التدريس وتحفيظ القرآن – ؟!

> ومشكلتنا المقلقة الآن هنا هي نقص أو بالأحرى انعدام دور العبادة بالنسبة لنا كمسلمين ولأبنائنا ومشكلة دعم الخلاوي، فأرجو أن تساعدونا بتشييد مساجد وتدعموا لنا خلاوي القرآن. هكذا كانت أولوياتهم، أدركونا بالهداية والإيمان قبل الطعام والشراب وكساء الأبدان.

وعلى ذلك كان ديدن ومنهج الدكتور عبد الرحمن السميط –رحمه الله– ومن ورائه جمعية العون المباشر، لاسيما وأنه لم ينشغل ببناء المساجد عن جميع أنواع الخير، من بناء المدارس وحفر الآبار وتقديم كل أيادي الخير بكل أشكاله، فصار الدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله – كمثل النخلة السامقة المثمرة، يستظل الجالس في ظلها ويطعم الجائع من ثمرها، وتثبت للأرض تربتها، وتعطي لها جمالها ورونقها، فهي تشارك في كل أنواع الخير لا يشغلها باب منه عن باب. . . وهكذا فليكن المسلمون كافة والدعاة إلى الله خاصة.



كنيسة الأنبياء الجدد التابعة للبروتستانت الأمريكان التي أنشأها رجل أعمال أمريكي ضمن ألف كنيسة يتم أقامتها في مناطق المسلمين (قبائل الديمكندا)

منهج الدكتور عبد الرحمن السميط في بناء المساجد

حرص الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- ومعه جمعية العون المباشر أن تتميز أعمال الجمعية المتمثلة في بناء المساجد عن غيرها من المساجد التي تبنيها غيرها من الجمعيات ومؤسسات العمل الخيري، وذلك لتكون معلما بارزا من معالم الجمعية المتميزة، وقد روعي في بناء المساجد عدة اعتبارات منها:

١ -أن يكون الشكل الهندسي العام واحدا رغم اختلاف أحجامها المختلفة والتي تتناسب مع المساحة المتاحة من جانب، وإمكانية المتبرع من جانب آخر.

٢ -أن تبرز في معمارية المسجد الهوية الإسلامية بالمنارة، والمصلى الداخلي والفناء والمرافق الأخرى.

٣ -توحيد لون المساجد في بعض البلاد لتكون سمة بارزة للجمعية في تمييز عملها عن الجمعيات الأخرى، فمن رأى المسجد من بعيد عرف أن هذا المسجد من مشاريع جمعية العون المباشر.

وزيادة في الاطمئنان، ورغبة في التواصل المستمر بين المتبرع والجمعية فإن إدارة المشاريع في جمعية العون المباشر تقوم بإرسال تقاريرها المستمرة إلى المتبرعين ليكونوا على اطلاع تام على مراحل تطور المشروع، وإنجازه في المدة المتفق عليها.

كما تتيح جمعية العون للمتبرعين أصحاب المساجد أو غيرهم فرصة المساهمة في عمارة المساجد، وأدائها لدورها عبر المشاركة في صيانتها وتجديدها، أو إقامة الأنشطة الدعوية والخيرية فيها.

ولكم نغيط بقلوب مستبشرة هؤلاء المحسنين من بناة المساجد على هذه النعمة التي أكرمهم بها الله سبحانه وتعالى ، فهم بأموالهم الطيبة استبقوا لآخرتهم الباقيات الصالحات، وارتقوا بلبناتها الزكية أعلى الدرجات، بما فعلوه من أفضل القربات، فاستحقوا بحسن صنيعهم ومحمود فعالهم موفور الحسنات، وهي بفضل الله جارية لهم ومرفوعة، لا مقطوعة الأجر عنهم ولا ممنوعة.

تشييد المساجد والاهتمام بها
وهنا مسجد الخير - موريتانيا

فكلما صلى في مساجدهم مصل، أو هلل لله الحميد مهلل، أو استظل عابر بسقف لهم مظلل، جرى لهم الأجر بإذن الله جريانا، شكرا من الله لهم وعرفانا، فما من عبد يتقرب في المسجد لله قربة إلا وفي الأجر شاركوه، وفي العطاء الإلهي ناصفوه، سواء كانوا على قيد الحياة باقين، أو كانوا في قبورهم مدفونين.

فحي هلا لنطوف بين بيوت الله سبحانه التي أنشأتها جمعية العون المباشر بإشراف الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - وبأموال المحسنين الأبرار، والفضل لله من قبل ومن بعد.

فخلال رحلة الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- التي جاوزت الثلاثة عقود لم يخل يوم منها من عظة أو فائدة، ووراء كل عمل قام به - رحمه الله - العبر والعظات التي ينتفع بها الدعاة إلى الله، الكبار منهم والناشئة، ونحن نسوق إليكم فيما يلي نزرا من كثير، وغيضا من فيض، ونقطة من بحر خضم.

عندما يجتمع الجهل والحمق!

وقد عانى الملايين من الأفارقة من الظلم والبغي والجهل وقلة التعليم للأغلب الأعم منهم، مما جعل الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- يعاني من سوء الظن أو الفهم.



آفة الفقر والجهل

لم يكن العمل الخيري الذي يقوم به الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- مفروشا ببساط من الورود، ولم تكن مخاطر الطريق أو الوحوش هي العقبات الوحيدة أمام إتمام العمل في غياهب إفريقيا، وقد أتاحت له إقامته الطويلة لثلاثة عقود في إفريقية معرفة الكثير من عادات الناس وتقاليدها.

يقول د. عبد الرحمن السميط -رحمه الله- في مجلة «الكوثر» - العدد ٣٦ - أكتوبر ٢٠٠٢م: أبلغني مكتبنا في إحدى الدول الإفريقية بوجود قرية كبيرة أهلها مسلمون ولكن ليس لديهم مكان يصلون فيه، وقد قدموا كتاباً يطلبون فيه بناء مسجدٍ لهم، فذهبت إلى القرية واجتمعت بالأهالي وأخبرتهم أننا درسنا الأمر وقد وافقنا على بناء المسجد، ولكني فوجئت بأحدهم يطلب مني كشفاً بالتبرعات التي جمعتها من أجل ذلك، وأن عليّ أن أقدم لهم كشفاً بالمصاريف، وسيقوم هو بالتأكد من أنني لن أسرق أموال المسجد! (هكذا قال!).

التفتُّ إلى أهالي القرية الآخرين ونظرت إليهم مستنجداً، ولكني فوجئت بهم يؤكدون على قوله، مع علمي أنهم ربما لا يعرفون حاصل جمع ٥+٥ وأنه من السهل جداً على أي لص أن يستغلهم.

حاولت إقناعهم أن هناك من يحاسبني، وأن المتبرع هو الذي له الحق الأول، وأنهم لا شأن لهم بالمحاسبة المالية ولا حق لهم في معرفة المبلغ المخصص للمسجد إلا ما أقوله لهم، لكنهم أصّروا ورفضوا بناء المسجد إذا لم التزم بشروطهم!!

حملت أوراقي ورحلت وبنينا المسجد في مكان آخر، ولازالت هذه القرية من دون مسجد بعد مرور خمس عشرة سنة على هذه الواقعة.

التعامل مع البسطاء ليس دائماً سهلاً، كما أن انتشار عدم الأمانة في بعض المجتمعات يجعل الناس يشكون في أمانة كل إنسان.

يومها تذكرت القول المأثور « إن من الناس من لا يصلح له إلا الفقر ولو أغنيته لأطغيته ».

فليعلم الدعاة إلى الله أن معاملة الناس فن لا يحسنه إلا من وهبه الله علما بالنفوس البشرية، وأن الناس في الفهم والإدراك ليسوا متساويين كأسنان المشط، فليقدر الداعية الخبير لكل إنسان من هؤلاء قدره، وليعامله على قدر فهمه وعقله، وأن يحسن إلى الحمقى منهم أكثر مما يفعله مع عقلائهم، وليرفق في شأنه كله، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – « ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه » رواه مسلم .

أول الغيث قطرة ثم ينهمر المطر

في أثناء عمل الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- في إفريقيا وجد بعض القرى يندر فيها المسلمون، فلعل يخطر في بال أحدنا أن بناء مسجد في هذه القرية يعد مضيعة للمال المؤتمن عليه، وأن الحكمة تقتضي أن يبنى المسجد في مكان ينفع الله به جماعة من المسلمين أكثر عددا وأعز نفرا حيث تزداد قاعدة المستفيدين من هذا المسجد.

ولكن الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- قد رزقه الله بصيرة قلبية، وخبرة ميدانية، علم من خلالها أن المسجد هو في الأرض عامة وفي إفريقيا خاصة يعد بمثابة الداعية الصامت، الذي تهتدي بمرآه قلوب الناس إلى الإسلام، ويؤلف الله به قلوب المسلمين، ويثبتهم على إسلامهم وإيمانهم.

يقول - رحمه الله - في «رسالة إلى ولدي- رحلة خير في إفريقيا» ص ٢٣: في كينيا وفي قرية «تيزو» أسلم أكثر من ثلاثين شخصا خلال زيارات قمنا بها لهم.

وفي قرية «ماسنجيرى» قررنا بناء مسجد لتسعة من المسلمين في القرية، حيث إن البقية كانوا وثنيين، فأسلم باقي أفراد القرية .

السميط في نشاط دعوي في مسجد طيني في إحدى قرى قبيلة الغرياما

وسمعت قرية مجاورة أنهم يقومون ببناء مسجد فتطوعوا لمدة يوم للمساهمة في بنائه، تقربا إلى الله وتبركا بالمسجد على حد زعمهم، رغم أنهم غير مسلمين، وبعد أن حفروا الأساسات للمسجد رفعوا أيديهم إلى السماء وبدأوا في دعاء جماعي يطلبون أن يرزقهم الله مسجدا مثل هذا المسجد حتى يدخلوا في الإسلام... !

فعلى الداعية أن يهتم بوضع بذرة الخير أينما حل ونزل، ولا يشغلن قلبه وعقله بالثمرات فهي بيد الله عز وجل، وليتوكل على الله في قليلها وكثيرها، لاسيما وأن أرض الدعوة في إفريقيا خصبة بكر تكاد أن تنبت من غير مطر، وأهل إفريقيا يتميزون عن غيرهم من أرض الله بالاستعداد الفطري المدهش لقبول كلمة الله ودعوته، فهلموا أهل الخير ودعاة الحق، وابذروا في أرض الله بذور الإسلام الطاهرة ومدوا بالخير والمعروف أيديكم.

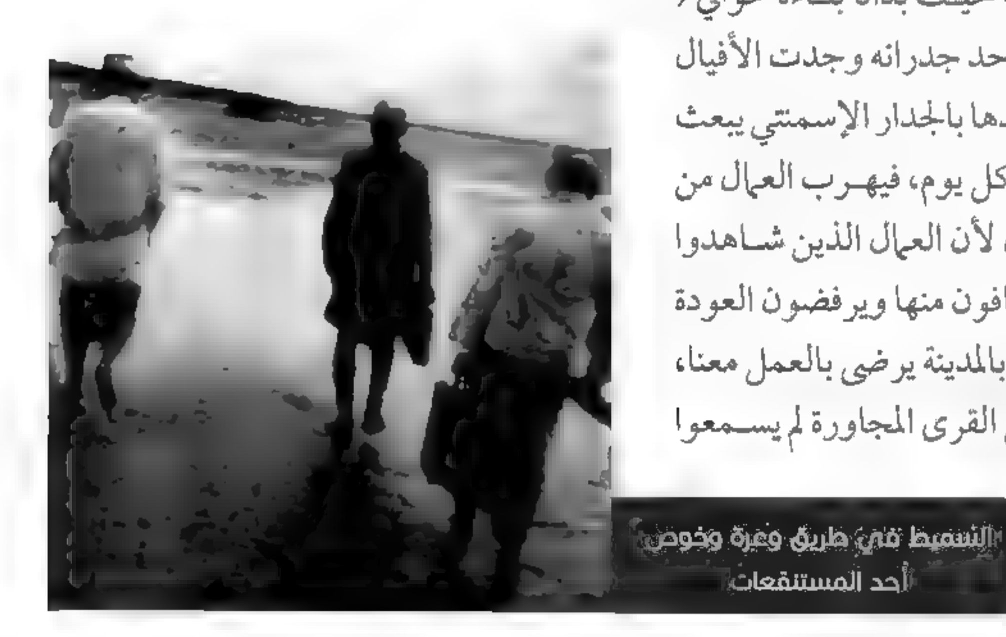
بين هجوم الفيلة والأسود بنينا المسجد

بناء المساجد في إفريقيا لا يعني تبرعا ماليا وتجهيز أرض ومواد للبناء فقط، فقد يعترض البناء ما لا يخطر لبشر، خاصة من عاش في المدينة، ولا يعلم عن القارة السمراء شيئا من هذه العجائب.


مهاجمة الفيلة والأسود للقرى من مشاكل العمل الدعوي

ولنقرأ هنا إلى ما قاله د. عبد الرحمن السميط - شكر الله صنيعه - حول بعض المخاطر والعقبات التي تواجهه في الدعوة إلى الله وبناء المساجد تحديدا: أكملنا طريقنا في كينيا إلى «قاراري» وهي قرية للرنديلي فيها كنيسة وبنينا فيها مسجدا للمسلمين ،ومن هناك نصعد سفوح جبل مرسابيت لتقابلك قرية «أولا» التي بنيت فيها أكثر من كنيسة ولسبب قربها من مدينة «مرسابيت» فإن عدد المسلمين من الريندیلی فيها كثير.

ولبناء هذا المسجد قصة حيث بدأنا بناءه حوالي (١٩٩٥م) وعندما أكملنا بناء أحد جدرانه وجدت الأفيال من المحمية القريبة أن حك جلدها بالجدار الإسمنتي يبعث على الراحة، فكانت تزورنا كل يوم، فيهرب العمال من موقع العمل، وكنا نغير العمال لأن العمال الذين شاهدوا الفيلة تزورهم يوميا، كانوا يخافون منها ويرفضون العودة للعمل، حتى أننا لم نجد عاملا بالمدينة يرضى بالعمل معنا، فاضطررنا لاستيراد عمال من القرى المجاورة لم يسمعوا بقصة الفيلة، كما قامت الفيلة بأجسامها الضخمة بهدم بعض جدران المسجد، وضعنا أسلاكا شائكة لمنع الفيلة إلا أنها خربتها، استشرنا ضباط حماية الحيوانات البرية من الغابة القريبة، فاقترحوا علينا كهربة الأسلاك وفعلا تم ردع الفيلة، لكن بدأت ضيوف أخرى تزورنا وهي الأسود، والميزة الجيدة من وجه نظرنا في الأسود أنها تزور القرية بالليل، لذا لا تعطل العمل ولا يهرب منها العمال، لكنها بدأت تأكل ماعز أهل القرية، فقام الأهالي بذبح معزه وتسميمها رغم أن ذلك ممنوع في كينيا، لكن الأسود انقطعت عن زيارة القرية بعد موت عدد منها بالسم.


السميط في طريق وعرة وخوض أحد المستنقعات

لا يجب أن أنسى أنه أثناء بناء هذا المسجد قمنا بزيارته القرية أكثر من (١٥) مرة والطريق طويل جدا بالسيارة (حوالي ١٩ ساعة) وسيئ للغاية نضطر إلى تغيير عجلات السيارة الأربع بعد كل زيارة، لذلك كان هذا المسجد من أكثر المساجد كلفة علينا، وطبعا لم نخبر المتبرع بأي من هذه التفاصيل، وتحملناها بصمت، خوفا من أن المحسن قد يشك في صدق روايتنا لأنها أقرب من الخيال، وكنا قد قررنا بناء المسجد في هذه القرية لأن سكانها كما ذكرت من قبيلة الرنديل ذات الأصول الإسلامية والتي نعتبرها من بين أكثر القبائل صعوبة في اعتناق الإسلام.

قرية مسلمة بدون مساجد

ليس من المستغرب في إفريقيا أن تجد قرى كثيرة يسكنها المسلمون، وليس فيها مسجد يؤدون فيه صلاتهم، إما لفقرهم الشديد فلا يجدون ما يقيمون به بناء المسجد، وإما لظلم من بعض المسئولين غير المسلمين المتعصبين ضد الإسلام.

ويقول د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – في «حقيبة مسافر» ص٥٠: زرت بعض القرى في بوركينافاسو، واستقبلني زعيمها المسلم موسى كابولي الذي أسلم منذ ثمان وعشرين سنة، وكان كابولي يتميز بمنزلة كبيرة بين قومه، حيث يحترمه الأهالي ويقدرونه إلى درجة أن الكثير منهم تأثر بإسلامه فاعتنق الإسلام.

كان موسى كابولي مقيما في قرية بيلا، ولكنه لم يكن ملتزماً بتعاليم الإسلام، إلا أن الجهود التي بذلها دعاتنا في إقناعه بضرورة الالتزام بمنهج دينه جعلته يندفع في تطبيق ما يعرف من أحكام اندفاعاً عملياً، لاسيما في السنتين الأخيرتين.

وقد مكناه من أداء فريضة الحج، ليعود بعدها وكأنه تخرج من دورة تدريبية دينية، فأصبح يدعو الناس إلى الإسلام وهو جالس تحت شجرة عند بيته، وقد بلغ من مظاهر حرصه الشديد على الصلاة -لاعتبارها عمود الإسلام- أنه أحاط بقعة من أرضه بحاجز من الحجارة لتكون مصلى تؤدي فيه الصلوات الخمس لأول مرة في تاريخ هذه القرية.



الدكتور السميط تحت الشجرة

وكان يتنقل بين القرى التابعة له على متن دراجته البخارية أو على ظهر حمار لدعوة الإسلام.

وأذكر على سبيل المثال أن أحد عشر شخصاً من النصارى والوثنيين قد أعلنوا إسلامهم أثناء احتفال عودته من الحج، وعقب أول صلاة جمعة بعد حجه أسلم تسعة عشر مهتدياً، وراء كل واحد منهم أسرة.

ولا شك أنه لو توفر مسجد لهذه القرية لتضاعف عدد المهتدين والداخلين في الإسلام.

والغريب أنه عندما زرته في قريته استقبلني تحت شجرة كبيرة بالقرب من كنيسة كبيرة بنيت حديثاً، ويمكنها أن تستوعب كل أهالي قريته على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم،

تساءلت وأنا أنظر إليها عن الدوافع الحقيقية لبناء مثل هذه الكنيسة في قرية قد أصبح معظم سكانها من المسلمين، ولم أكن مقتنعاً إنها أقيمت كرد فعل تجاه ما يقوم به الداعية موسى من نشاط في مجال الدعوة الإسلامية.

وعندما حان وقت صلاة الظهر سألت عن أقرب مسجد من هذا المكان فقيل لي: ليس هناك إلا مسجد طيني على بعد عدة كيلومترات من القرية مما اضطرني إلى الصلاة في عين المكان تحت شجرة مع أهالي القرية من المسلمين.

فمن المؤلم جداً أن تفتقر مثل هذه القرية المسلمة إلى مسجد، علماً بأن عدد المسلمين فيها لا يقل عن ألف شخص وهم في تزايد مستمر بينما لا يتجاوز عدد النصارى فيها المائة شخص وهم في تراجع سريع بسبب إسلام بعضهم.

وقد قال الشيخ موسى أمام حشد من أهل القرية والدموع تملأ عينيه: والله إن زيارتكم وأنتم قادمون من أطراف شبه جزيرة العرب لتذكرنا بوفود رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى البلاد المجاورة لدعوة أهاليها إلى كلمة الحق.

ثم دعانا للغداء في بيته، ولكنني اعتذرت بسبب الأعمال الكثيرة التي كانت تنتظرنا، وأبدى أسفاً شديداً لهذا الاعتذار، ثم قال وهو يودعنا: إن زيارتكم لنا فيها رفعة للإسلام والمسلمين.

وعند مغادرتنا القرية تعالت أصوات أهاليها وألسنتهم تردد كلمة واحدة: نريد بناء مسجد لنا، فهم لا يريدون مالاً ولا طعاماً ولا كساءً، وإنما يتمنون إقامة مسجد في قريتهم واعدين بأن يتحول من بقي فيها من غير المسلمين إلى الإسلام.

ففي هذه البلاد يعد بناء المسجد أكبر باب للدعوة وتثبيت القلوب على الإسلام، وكثيرا ما كان بناء مسجد مفتاحا لدخول العشرات بل المئات إلى الإسلام، والمستقبل في إفريقيا – إن شاء الله – سيكون للإسلام.

امنعوا بناء المساجد

ذكر د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في محاضرة بعنوان: «بعد الأوثان سجدوا للرحمن»: من أكثر العقبات التي واجهتنا في بناء المساجد في إفريقيا النشاط التبشيري والتنصيري في هذه البقاع، والذي يستمد قوته من القوة المادية والمالية من خلال إنفاق الملايين بل بلايين الدولارات على التنصير وبناء الكنائس وأعمال الإغاثة المتصلة بالكنائس الغربية.

ولم يتوقف سعيهم على نشر المسيحية ولكن امتد سعيهم ونفوذهم هناك لوقف الزحف الإسلامي أيضا، ومن ذلك وقف بناء المساجد. يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٢٢ - أغسطس ٢٠٠١م: ذهب وفد مسيحي من ساحل العاج لمقابلة رئيس جمهورية توغو مستنكراً السماح بالتوسع في بناء المساجد في كل مكان في توغو، وخاصة منطقة مسقط رأس الرئيس نفسه وهو وثني، وقد كرر رئيس الوفد السؤال ثلاث مرات، والرئيس صامت تماماً، ولما ألح عليه في المرة الرابعة انفجر غاضباً وقال: هل أخذوا أراضي الكنيسة؟ إن الناس يطلبون بناء مساجد، وتقوم جمعية العون المباشر بالبناء، اذهبوا، ابنوا الكنائس إذا طلب الناس منكم ذلك، فلن نمنعكم.

مركز مسيحي بني على الطراز الإسلامي سماه الكاثوليك
مركز مكان انتجاع المسلمين

فما زال الصراع على أشده بين الدعوات التنصيرية الحثيثة التي لا تفتأ تضع العثرات أمام الإسلام، وبين جهود أهل الخير من دعاة الإسلام وأصحاب الإحسان، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون، ويقيض الله من غير أهل هذا الدين العظيم من دفع عنه كيد الكائدين وحقد الحاقدين، فالحمد لله رب العالمين.

القرية التي لم يكن فيها غير بيت من المسلمين

تعد كينيا من أوائل البلاد الإفريقية، التي دخلها الإسلام؛ حيث كانت بداية وصول الإسلام إلى كينيا مبكرة تعود إلى العقد الأخير من القرن الهجري الأول في نهاية العصر الأموي، وانتشرت الدعوة الإسلامية في كينيا مع تحركات المسلمين في التجارة.

وقد واجهت الدعوة الإسلامية حروبا كبيرة من البرتغاليين بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح في القرن السادس عشر، ثم بعد سقوطها تحت الاستعمار الألماني والإنجليزي وسيطرتها على هذه المنطقة، قاموا بعرقلة سريان الدعوة الإسلامية، وشجعوا البعثات التنصيرية، وقد قاوم المسلمون الاستعمار والتنصير، ويصل عدد المسلمين حوالي ٣ ملايين نسمة بواقع ٣٠٪ من السكان.



يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٤٢ - أبريل ٢٠٠٣م إشارة إلى غربة بعض المسلمين وتفردهم: سافرت قبل مدة إلى بعض القرى الواقعة في شرقي كينيا، في إطار البرنامج الذي وضعته جمعية العون المباشر منذ سنوات لدعوة قبائل (الماجكندا) إلى الإسلام.

وفي أثناء زيارتي إلى إحدى القرى المذكورة قابلني شيخ مسلم من أهاليها، وحدثني عن وضع المسلمين فيها، وعن بداية دخول الإسلام إليها بفضل المسجد الذي أقامته الجمعية على أرضها.

كان أفراد عائلة هذا الشيخ هم أول من اعتنق الإسلام من سكانها، فلما بنت الجمعية المسجد فيها اعتبروا هذا الإنجاز تكريماً وتشريفاً لهم، وإعلاء لشأن قريتهم بين القرى المجاورة، فأقبلوا على دين الله أفواجاً وفرادى، حتى لم يبق في القرية اليوم سوى ثلاث عائلات على غير دين الإسلام.



امرأة مسلمة كانت تقابل القسيس بالبكاء والحسرة والألم كلما طرق باب بيتها يدعوها وأولادها لاعتناق المسيحية، وكانت في كل مرة تطلب منا بناء مسجد في قريتها قبل أن تلقى ربها

وعندما هممت بوداعه، طلب مني أن أبلغ إخوانه في بلاد العرب وسائر بلاد المسلمين برغبته في أن يزوروا قريته حتى يشعر سكانها بالاعتزاز بين غير المسلمين في هذه المنطقة.

ومن الفطنة التي تحلى بها هذا الشيخ الحكيم في الدعوة إلى الله أنه كان شديد الحرص على بناء مدرسة لاقتناعه التام بأن هذا المشروع الخيري سيسهم في استقطاب القرى المجاورة إلى الإسلام، ويعمل على إنقاذ أبناء المسلمين من الأمية والجهل والضلال، وقد رأيته يجمع كمية من الرمال والحجر استعداداً لتنفيذ مشروعه، ولم يحل بينه وبين المشروع فيه إلا الفقر وشدة الحاجة، وكان أكثر ما يخشى على نفسه أن يتوفاه الله دون أن يحقق هذا العمل في سبيل الله، فدعوت له بطول العمر حتى ينجز وعده.

واحد من عشرات المساجد التي بنيت في المنطقة حديثاً وسدت جزءاً من حاجة القرى إليها

تلك هي الرسالة التي كلفني بتبليغها، ولا أعلم عنه إلى اليوم شيئاً، ولا أعتقد أنه استكمل بناء المدرسة بسبب الفقر الشديد الذي تعيشه المنطقة.

فهذه البلاد الإفريقية تنتظر من إخوانهم المسلمين عامة ومن العرب خاصة أن يتواصلوا معهم بالتزاور والصلة، لاسيما أهل العلم وطلابه، وبقوافل الدعوة تارة والندوات التعليمية والتثقيفية، أو بأعمال الخير التي هم أحوج الناس إليها، فلا تعادل فرحتهم حينئذ فرحة أخرى، فهم ينظرون إلى إخوانهم المسلمين من العرب خاصة على أنهم من بلاد مهد الإسلام وموطنه الأول، فلا تفوتن فرصة للدعاة وأهل الخير إلا واغتنموها لتحقيق هذا التواصل بين قلب الأمة العربي من جهة، وبقية جسد الأمة في ربوع الأرض ومنه القارة السمراء من جهة أخرى.

المسجد يُبنى ويُحرس في إفريقيا بجهود مسيحية

طبيعة الإنسان الإفريقي غير المسلم التسامح مع الإسلام، ويندر أن تجد مسيحياً متعصباً إلا النادر، ولذلك يقبل كثير منهم أي مشروع دعوي سواء كان إسلاميا أم غير إسلامي، فهم يقبلونه بدافع الحاجة تارة، وبدافع الطيبة وتصديق الآخر تارة أخرى.

وقد اغتنم د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – هذه الخصلة الإفريقية في التعريف بالإسلام ومعالمه المضيئة، بل استطاع أن يمد جسر تواصل مع غير المتعصبين من المسيحيين الذين نصر بعضهم مشاريع جمعية العون المباشر.



يقول – رحمه الله –: وأذكر على سبيل المثال أن الكلية العسكرية في كينيا طلبت منا بناء مسجد قبل عشرين سنة لأن الكنيسة بنت عدة كنائس لمختلف طوائف الكنيسة بينما المسلمون ليس لديهم مكان يصلون فيه، فاتصل الضابط المسؤول عن الشؤون الدينية طالباً بناء مسجد، فأخبرناه أن الطلب يجب أن يأتينا من أعلى سلطة في الجيش وهو رئيس الأركان.

وفعلاً أحضر لي رسالة من رئيس الأركان، وقمنا بزيارة الكلية وكان مسلماً برتبة عقيد، إلا أنه لم يكن مرتاحاً للتعامل معنا، وكان متردداً، فلما أعطانا قطعة أرض، اعترض المسيحيون لأنهم يريدونها للكنيسة..!

اعتذر لنا العقيد المسلم وخرجنا وفوجئنا بضابطين أحدهما برتبة مقدم والآخر رائد وكلاهما مسيحي ينتظرانا خارج المكتب على أحّر من الجمر، وبمجرد خروجنا من مكتب عميد الكلية سألونا: ماذا تم؟

أخبرناهم أن الكنيسة احتجت على تخصيص الأرض لنا، وأن العميد المسلم رضخ لمطلبهم رغم أنه غير قانوني، فقالا: هل تريدون الأرض؟ قلنا: نعم. فقالا: اتركا هذا الأمر لنا.

وفعلاً اتصلا بنا بعد أيام، وقالا: إن الأرض جاهزة وبنينا المسجد، واكتشفا أننا نؤجر شاحنات لنقل مواد بناء المسجد، فقاما بتدبير شاحنات من الجيش لذلك، وقاما كذلك بفرش المسجد على حساب الجيش، والحمد لله أكملنا البناء، وهذا مجرد مثال على مئات الأمثلة في تسامح الآخرين تجاه الإسلام.


الصورة مجرد مثال وليس بالضرورة أن تكون مطابقة لشكل المشروع

مسجد مركز موياني - كينيا

ويضيف - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ١٠٨ - أكتوبر ٢٠٠٨م: أذكر قبل حوالي ربع قرن أننا زرنا معسكراً للجيش في سيراليون للاطلاع على مسجد المعسكر الذي لم يكتمل، فلما دخلنا المعسكر في منطقة لونجي، سألنا عن آمر المعسكر ولأن اليوم كان يوم أحد وهو العطلة الأسبوعية فقد أخذونا إلى بيته، وكان الرجل بملابسه المنزلية وبنطلون شورت، وكان جالساً مع زوجته وباقي أفراد العائلة يشرب الخمر، وعندما علم أننا مسلمون اعتذر لنا وأخفى الخمر، وأحضر لنا مشروبات غازية ورحب بنا، ثم لبس ملابس لائقة وخرج معنا إلى موقع المسجد الذي لم يكتمل وهو يقول: أنا مسيحي ودائماً أصلي لربي قائلاً: يا رب إن الكنيسة اكتملت منذ سنين، فلماذا لا تيسر إكمال المسجد!

كما أخبرنا أنه رغم أن المسجد بلا سقف ولا اكتمال للحوائط إلا أنه خصص أحد الجنود لتنظيفه يومياً إذ لا يجوز أن يبقى بيت لله مهملاً!!

إن الإنسان الإفريقي غير المسلم أقرب ما يكون إلى الإسلام بفطرته التي لم تلوث وأدعو الله أن تسود ثقافة التسامح العالم كله مسلمين وغير مسلمين.

وفي إحدى القرى أسلم صبي عمره ثلاث عشرة سنة، ولكنه كان يخفي ذلك عن أسرته حتى لا يعاقبوه وهم المتعصبون لدينهم، رآه أبوه يوماً يستمع إلى درس في المسجد وهو خارج المسجد يستمع، فقام أبوه بجره وضربه بعصا غليظة حتى كسر ساقيه، ولكن هذا التعذيب لم يزد الفتى إلا إيماناً ويقيناً وثباتاً على الإسلام رغم صغر سنه.

وحينما افتتحنا أحد مساجدنا في منطقة بولغوا، دعا الأهالي ثلاثين زعيماً للقرى المجاورة وبعد الافتتاح عقدوا اجتماعاً، وناشدوا من لم يسلم منهم أن يفكر في الإسلام بجدية وأن يروا كيف بارك الله في القرى التي أسلمت.

قـام زعيـم قرية سـومدي التي أسـلم فيهـا (١٥٠٠) شـخص ماعـدا الزعيـم ومسـاعده وعائلاتهـما، قـال : إنـه رأى في المنام عدداً كبيراً من الرجال والنساء البيض منهم امرأة ألقت إليهم بثوب أبيض، وكان الرجال يمـرون عليه ويمسـحون بأيديهم عـلى رأسـه، وأنه يعتقد أن هـذه الرؤيا من الله وتطلب منه أن يسلم وأعلن الشهادتين وسط تكبير الناس وتهليلهم.

فمن ركائز الإسـلام التـي جعلها الله لـه دون غيره مـن الأديان أنـه لا يرتد من أتباعه أحد سـخطة لدينـه بعد أن يدخـل فيـه، ولـولا غيـاب العلم والدعـوة عـن أهـل هـذه البلاد، واسـتغلال جحافـل التنصير فيها للجوع والفقـر والجهل والمرض، في دفـع النـاس إلى اعتنـاق غـير الإسـلام لرأينا هؤلاء الملايين من النفـوس الطيبـة ثابتـة عـلى دينها ثبات الجبال.

قرية « كافونتين » المسلمة

جـاء في مجلـة «الكوثـر»: - العـدد ٦٥ - مارس ٢٠٠٥م: تقع قرية « كافونتين» التي تطل على المحيط الأطلسي في جنوب السنغال على مقربة من الحدود مع غامبيا، وقد بلغ عدد سـكانها الذين يشكل المسلمون غالبيتهم حوالي اثني عشر ألف نسمة.



كاتدرائية داكار في السنغال

وتعتبر هذه القرية من المناطق السياحية في السنغال، حيث يتوافد عليها السياح بأعداد كثيرة، لذلك عرفت نشاطاً تنصيرياً كبيراً، ولا أدل على ذلك من وجود أربع كنائس، إضافة إلى عدد من المدارس النصرانية فيها، بينما لا يمتلك المسلمون وهم الأغلبية إلا مسجداً واحداً قديماً بني بالطين والقش.

لقد حاول هؤلاء المسلمون بناء مسجد جامع، ولكنهم لم يتمكنوا من إتمامه بسبب فقرهم الشديد، وعندما توجهت قوافل جمعية العون المباشر الدعوية إلى هذه القرية أسلم خلال لقائها بالأهالي ستون شخصاً من النصارى، لكن المعضلة التي يواجهها المسلمون فيها أن المدارس وهي كلها تابعة للكنيسة لا تقبل بتسجيل أبنائهم فيها إلا إذا غيروا أسماءهم، على عكس المدارس الإسلامية التي تقيمها الجمعية في ربوع القارة لتستقبل كل من يرغب في الدراسة بغض النظر عن عقيدته، وهو الأمر الذي ترك أثراً حميداً في نفوس غير المسلمين.

وكنتيجة هذه الوضعية التي تعيشها القرية يلاحظ انتشار مظاهر التخلف بين المسلمين فيها، وقلة عدد الذين يوظفون في القطاع الحكومي أو الخاص، إلى جانب ندرة المياه في مناطقهم، غير أن الله سبحانه وتعالى فتح أبواب قلوب بعض المحسنين الكرام لبناء مسجد وحفر آبار.

وكانت للدكتور عبد الرحمن السميط - أثابه الله - جهود دعوية كبيرة في هذه القرية.



من جهود جمعية العون في السنغال

المسجد والرئيس المتعصب

كثيرا ما تعرض الدكتور عبد الرحمن السميط –رحمه الله– لقيادات إفريقية نافذة تكون عقبة في طريق عمله الدعوي والخيري، ورغم نبل هذا العمل وظهور نفعه لمن هم في أمسِّ الحاجة إليه من الأفارقة الذين يرزحون تحت الفقر والجوع، فلا يشفع ذلك أحيانا في قيام الدكتور عبد الرحمن بعمله إلا بعد جهد جهيد. فيذكر د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ٢٤ – أكتوبر ٢٠٠١م: رغم أن رئيس جمهورية ساحل العاج السابق همفري بوانييه نصراني متعصب، وشيد أكبر كنيسة في العالم بكلفة ٢٥٠ مليون دولار أمريكي في قريته ياماساكو، ومنع دخول أي داعية مسلم إليها، بل حارب الإسلام في ساحل العاج كلها، وأقام علاقة مع كل من إسرائيل وفرنسا، إلا أنه بنى مسجداً كبيراً في قريته كما بنى معبداً للوثنيين من عبدة التماسيح.

والحقيقة أن هذا الرجل مثال على العقلية الإفريقية، فالكثير من النصارى الأفارقة رغم كراهيتهم للإسلام والمسلمين يبدون إعجابهم أحياناً بما يقوم به المسلمون.

يقول الدكتور عبد الرحمن السميط : وأذكر أن رئيس إحدى دول شرق إفريقيا كان لا يترك مناسبة إلا ويظهر فيها حقده على الإسلام، ويصر على معاملة المسلمين في بلده كمواطنين من الدرجة الثانية رغم أنهم يشكلون أكثر من ثلث السكان، ورغم هذا فإنه عندما زار الكلية العسكرية، ورأى المسجد الذي بنيناه فيها أعجب بجماله، وأوقف موكبه الرسمي ليشاهده عن كثب،



جهوده دائمة في مقابلة قيادات الدول لتسهيل الأعمال الخيرية

وصرح أمام المرافقين بأنه سعيد باهتمام المسلمين بمساجدهم، وعقب هذا الحدث وصلتنا طلبات من سبعة عشر معسكراً تابعة للجيش والشرطة في هذه الدولة تطلب منا بناء مساجد فيها.

فقد صدق في ذلك قوله تعالى ﴿وَلَا تَسْتَوِى الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤] وكما قال أحدهم:

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم
فطالما استعبد الإنسان إحسانُ

وكن على الدهر معواناً لذي أمل
يرجو نداك فإن الحُرَّ مِعوانُ

ذهب الرئيس وبقي المسجد

يقول الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله-: من الأمور التي تعلمتها في الدعوة أن دولة الباطل ساعة، أما دولة الحق فدائمة إلى قيام الساعة، وعلى أهل الحق أن يتصبروا وأن يتعاونوا وأن يعتصموا تنفيذا لأمر الله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وجاء في مجلة «الكوثر» - العدد ٢٦ - ديسمبر ٢٠٠١م: الحقد على الإسلام مع الأسف يرضعه البعض في الكنيسة منذ نعومة أظفاره، وأحد هؤلاء المشهورين بكراهيتهم للإسلام كان الرئيس السنغالي الأسبق ليو بلد سنغور، الذي حكم دولة أكثر من ٩٥٪ من سكانها مسلمون، لكنه لم ينس ماغذته به الكنيسة التي رعته ودعمته حتى يوم وفاته.

وفي القصة التالية أكبر دليل على ذلك، فبعد عودة سنغور من واحدة من سفرياته الخارجية، وبعد خروجه من مبنى المطار في العاصمة داكار فوجئ بمبنى يبنى على يسار الشارع، فسأل عنه، فقيل له: إنه مسجد بدأ المسلمون بناءه ولم يستطيعوا إكماله، فقال بالفرنسية: « إنه المسجد الذي لن يبنى»!!

وشرع في تهديد المقاول والمهندس المشرفين على بنائه، ولم يكن المشروع آنذاك في حاجة إلى تهديد قط؛ فقد كان البناء متوقفاً بسبب نقص الإمكانات المالية.

سمع بعض المسلمين بذلك فتعاقدوا مع مقاول آخر، ولكنه هُدِّدَ كذلك من أعلى جهة في الدولة فانسحب من المشروع.

انتشر الخبر وسط الناس، وانهالت التبرعات من كل مواطن فقيراً كان أم غنياً، فقد تحولت القضية إلى تحد؛ أحد طرفيها رئيس جمهورية مسيحي يحكم شعباً مسلماً، والطرف الآخر شعب مسلم مستضعف.

تدافع أهل السنغال صغيرهم وكبيرهم من كل الفئات وأتموا بناء المسجد بأنفسهم، ليرتفع صوت التوحيد منه خمس مرات يومياً، ومات الرئيس الذي أقسم أنه لن يسمح ببنائه، وبقي المسجد الذي لايزال يحمل اسم



مسجد «توبا» في دكار، أحد المساجد الشهيرة في السنغال

«المسجد الذي لن ينى» شاهداً على صورة أخرى من صور سلب المسلمين حقوقهم، وصدق الله تعالى في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ (سورة إبراهيم - ١٣).

فلو يعلم المسلمون في بلادنا مقدار نعمة الله عليهم في حفظه عليهم دينهم، وأنهم لا يفتنون في دينهم كما يحدث لإخوانهم المسلمين في بلاد إفريقية، لما وسعهم إلا أن يسجدوا لله ليل نهار، ولشعروا بأن هناك من يتمسك بدينه وكأنه يقبض على الجمر.

لابد من هدم المسجد

تعد رحلة بناء مسجد في إفريقيا في بعض الأحيان ممزوجة بكل أنواع المشاق والعقبات، من تعنت السلطات تارة، وعداوتهم للإسلام تارة، ومن معوقات التمويل أو مخاطر البناء تارة أخرى، ولكن بعد بناء المسجد ينسى المرء كل ذلك وتبقى لذة العمل الصالح في القلب لا تغادره.

ولكن أكثر ما يحزن المرء أن تأتي أوامر السلطات المفاجئة وغير المسوغة لهدم مسجد من المساجد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.



بناء المساجد والإشراف عليها لذة عظيمة

يقول السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر: - العدد ١٥ - يناير ٢٠٠١م: دعانا مدير البلدية إلى لقائه في مدينة ماجونغا في مدغشقر، وتساءل محتجاً: لماذا تبنون كل هذه المساجد؟ إننا لسنا في حاجة إليها، وأنا سوف آمر الجرافات بهدم كل ما بنيتموه...!!

قلنا له: أنت مدير البلدية، ولا نشك في أنك ستتخذ القرار الصائب في إطار القانون، ولكن لدينا عدة ملاحظات:

أولاً: نحن لم نبن حتى الآن أي مسجد في أي موقع جديد، فكل المساجد التي بنيناها في المنطقة دمرت وهدمت أيام مذابح المسلمين التي حدثت في المدينة عام (١٩٧٦م).

ثانياً: في عام (١٩٧٠م) كانت هناك كنيسة واحدة في المدينة وضواحيها وهناك أربعة وعشرون مسجداً، أما الآن وبعد ثلاثين سنة أقيمت عشرات الكنائس، بينما نقص عدد المساجد واحداً فأصبح عددهم ثلاثة وعشرين مسجداً فقط.

ثالثاً: الكنيسة لم تأخذ إذناً من البلدية لبناء أي كنيسة، وكل المساجد التي بنيناها قد أخذنا إذناً موقعاً منكم ببنائها.

موقع السنغال في إفريقيا

بعد ذلك حاول مدير البلدية تنفيذ تهديده، وذلك بضغط من زوجته الكاثوليكية المتعصبة ولكن أعضاء المجلس البلدي وقفوا جميعاً ضده وخاصة نائبه، وهو غير مسلم، وهددوه بالتصويت لطرده من المجلس، الأمر الذي جعله يتصل بنا لتقديم اعتذاره.

وصدق الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨].

فعلى المؤمن أن يثق في موعود الله بالنصر والسداد، وأن تهدأ نفسه ويطيب قلبه لأقدار الله في كل حال، فلا تدري ماذا يخبئ لك العليم اللطيف الخبير.

فكم لله من لطفٍ خفي
يدق خفاه عن فهم الذكيّ

وكم أمرٍ تُساءُ به صباحا
وتأتيك المَسَرَّةُ في العشيّ

وكم يسر أتى من بعد عسر
ففرج كربة القلب الشجيّ

هل نترك «نتاجا» تتخلى عن دينها؟!

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه– قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ » رواه البخاري ومسلم.

فلا يشعر المسلم بحلاوة الإيمان حتى يكره لنفسه أو لغيره من المسلمين العودة في الكفر كما يكره أن يقذف في النار، وكم من بلد مسلم أو قرية كانت مسلمة عادت إلى الكفر، وعلى المسلمين أن يجتهدوا غاية جهدهم في منع ذلك لإخوانهم في إفريقيا، كما يجتهدون في الفرار من النار في الدنيا والآخرة.



انتشار الجهل في إفريقيا

جاء في مجلة «الكوثر» - العدد ٤٨ - أكتوبر ٢٠٠٣م: ومنطقة نتاجا في ملاوي أيضاً، وهي أول منطقة في إفريقيا بنى فيها د. عبد الرحمن السميط ومن معه مسجداً في أوائل الثمانينات الميلادية، وأهلها فقراء يعيشون على حد الكفاف، فما يزرعونه لا يكاد يكفيهم إلى نهاية العام.

ورغم أن جميع سكانها من المسلمين، إلا أنه منذ ثلاثين عاماً بدأت الكنيسة الكاثوليكية الإيطالية وأكثر من اثنتين وعشرين منظمة بروتستانتية أغلبها من الولايات المتحدة نشاطها التنصيري وسطهم، حيث أقامت عشرات المدارس ومئات الكنائس، فضلاً عن مشاريع تنموية أخرى.

ومع غياب أي جهد إسلامي فيها باستثناء ثلاثة مساجد بنتها جمعية العون المباشر في الفترة الماضية، ووسط الجهل الكبير بالإسلام تحول أكثر الطلبة الذين تعلموا في المدارس الكنسية إلى المسيحية بسبب عدم وجود مدرسة إسلامية بين هذه المدارس، بل لا يوجد فيها داعية، ولا أثر لكتب إسلامية.

يقول د. عبد الرحمن السميط: في زيارتي الأخيرة لها حدثني مدير مكتبنا هناك عن أشخاص مسلمين تحولوا إلى النصرانية، وسألني: متى يمن الله علينا بمتبرع يقيم لنا مركزاً إسلامياً متكاملاً يضم مسجداً وداراً للأيتام ومدرسة ومستوصفاً وبئراً ومزرعة ودارًا لتدريب النساء ليكون قاعدة لانطلاق الدعوة إلى الله في هذه المنطقة؟


أول كنيسة أنشئت عام ١٨٨٨ في منطقة رابي الواقعة في شرق أفريقيا

سألته عن الكلفة المتوقعة للمشروع فأجاب بأنها تبلغ حوالي مائتي ألف دينار (٢٠٠ ألف دينار كويتي)، وأضاف:

في شهر سبتمبر سنة ٢٠١١م مررنا خلالها بمدينة نهرورو ذات الشلالات الجميلة، وفيها ثلاث معسكرات للجيش، كنا قد بنينا مسجدا بين المعسكرات بناءً على طلب من رئاسة الأركان، وقال لنا بعض الجنود المسلمين: إن الأرض واسعة، ونخشى أن تُعْطَى الأرض للكنيسة، وهذا بحد ذاته ليس فيه مشكلة، لكن إذا جاء قسيس حاقد يحب الاستفزاز، ويبحث عن المشاكل وركب مكبرات الصوت على الكنيسة، ورفع صوتها لأعلى درجة بالموسيقى والغناء أثناء صلاة المسلمين، فهذا ما لا يتمنونه.



المؤلف أمام مسجد لطيفة الفريح في ملاوي

صحيح هذا المبلغ كبير، لأننا سنأتي بكل مواد إنشاء المركز من أماكن بعيدة، ولكن علينا أن نعلم أن الفاتيكان خصص لهذا المنطقة تسعة ملايين دولار سنوياً لنشر الكاثوليكية، فما بالنا لو أضفنا ما تصرفه المنظمات التنصيرية الأخرى!

ويقول الدكتور عبدالرحمن السميط -رحمه الله- في كتاب «الداعية الصغير»:

ذهبنا إلى قائد المنطقة وطلبنا منه باقي الأرض. سألنا: لماذا تريدونها؟ فقلنا له: نريد أن نزين المسجد بحديقة واسعة وفيها زهور وأشجار! ابتسم القائد وقال: أنا أعرف السبب الحقيقي لطلبكم الأرض حتى لا تبنى كنيسة بقربكم، ما دمت في منصبي اذهبوا وازرعوا الأرض وخاصة بالأشجار المعمرة حتى لا يضايقكم أحد.



صورة أخرى للمؤلف مع العاملين في مكتب جمعية العون المباشر في ملاوي

قس يبني مسجدا للمسلمين!



عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: « إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفاجر» رواه البخاري. يقول الدكتور عبدالرحمن السميط – رحمه الله – : وفي «توجو» أقنعت قِسا فرنسيا كاثوليكيا ببناء مسجد ومن أموال الكنيسة !! وذلك القس كان قد عقد اتفاقية مع مصلحة السجون بأن يأخذ الشباب الذين دخلوا السجن لأول مرة فيضمهم إلى قريته لمدة سنتين يعلمهم مهنة من المهن كنوع من التأهيل، ثم يعودون للانخراط في المجتمع كمواطنين صالحين، ثم يطلب منهم أن يأتوا كل يوم للصلاة في الكنيسة، ولم يكن ذلك القس متعصبا، وقد بلغ به ذلك أنه كان يطلب من المسلمين أن يأتوا أيضا للكنيسة ويصلون صلاتهم، فرفض المسلمون ذلك، فأتاني مرة يشتكي من ذلك، قائلا: لم تبغضون الكنيسة وتأبون الصلاة فيها؟ فقلت له: يا حضرة القسيس لو أنك علمت ما وراء هذا الرفض ما اشتكيت ولا غضبت، بل تشكر المسلمين! قال القس الفرنسي: وكيف هذا؟

قلت: إن المسلمين يبنون موقفهم هذا على مرجعية تاريخية، حيث يقتدون في ذلك بالخليفة الثاني عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –، ذهب إلى بيت لحم بالقدس الشريف، ولما حضر وقت الصلاة، وكان قد أتى إلى كنيسة القيامة، فدعاه البطرك للصلاة بالكنيسة فأبى، فسأله: ولم ذلك، قال: لو صليتُ داخل الكنيسة أخذها المسلمون بعدي وقالوا: هنا صلَّى عمر، فيحولها المسلمون من بعده إلى مسجد. فقلت للقس: ولهذا السبب واحتراما لدور عبادتكم، فهم لا يصلون داخل الكنيسة. فقال القس: فماذا تقترح علي؟ قلت: أن تبني مسجدا!

قال الدكتور عبد الرحمن السميط: وبالفعل بنى الرجل مسجدا للمسلمين، يقيمون فيه صلاتهم، وفي كل مرة أذهب إلى «توجو»، ويلقاني هذا الرجل ويشكرني على اقتراحي هذا.

رحم الله الدكتور عبد الرحمن السميط، فما من فرصة أتته استطاع فيها أن يرفع لواء الإسلام إلا اقتنصها واغتنمها.

بناء المساجد تجارة ممنوعة

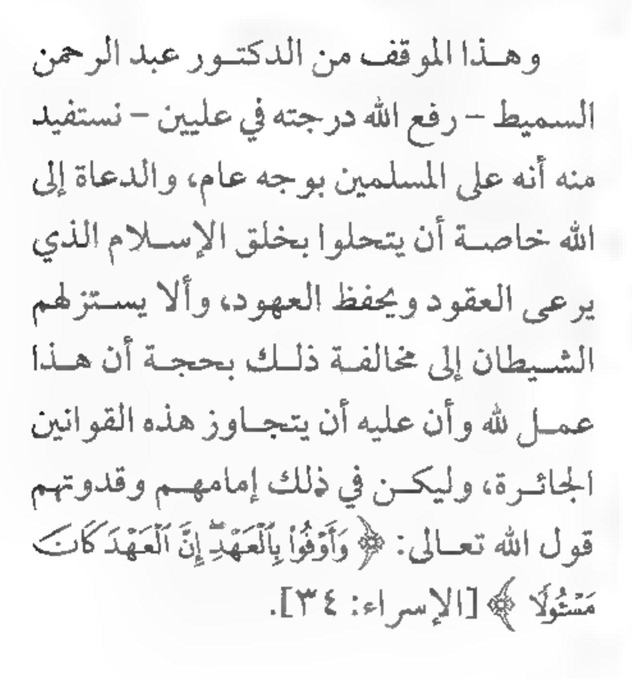
في إفريقيا تنتشر كل أنواع المخالفات القانونية، فكل شيء مباح إذا دفعت في سبيل تحصيله مالا، وفي لحظة أخرى يصير كل شيء ممنوعا بقوة القانون أيضا! ! ورغم ما يكتنف التعاملات الاقتصادية والإدارية من فساد، إلا أن الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- كان حريصا على اتباع قوانين البلاد التي يعمل بها، حتى ولو تعارض ذلك مع عمله أو ساهم في عرقلة جهود العمل الخيري، متأسيا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١]. وقد عرف عن جمعية العون المباشر منذ اشتغالها في الدعوة والإغاثة في إفريقيا التزامها بقوانين وأنظمة البلد، ومع ذلك فقد تصادم أحيانا بتعصب بعض المسئولين أو الموظفين، ومخالفتهم لأنظمة بلادهم في تسهيل عمل



الدكتور الداعية عبد الرحمن السميط

المنظمات الإغاثية، فتضطر الجمعية لتجاوز ذلك التعنت بطريقة أو بأخرى تحقيقا للهدف الأسمى، وهو إيصال المساعدات للمحتاجين هناك.

ومن ذلك ما جرى في أنغولا التي يعد رفع بناء مسجد حتى داخل محيط المركز الإسلامي أمراً مخالفاً لدستورهم، وتعليم أيتام المسلمين الصلاة مخالفا لقوانين البلد.





تقديم الإغاثة بحرص والتزام بقوانين البلد كما عودهم السميط

وهذا الموقف من الدكتور عبد الرحمن السميط – رفع الله درجته في عليين – نستفيد منه أنه على المسلمين بوجه عام، والدعاة إلى الله خاصة أن يتحلوا بخلق الإسلام الذي يرعى العقود ويحفظ العهود، وألا يستزلهم الشيطان إلى مخالفة ذلك بحجة أن هذا عمل لله وأن عليه أن يتجاوز هذه القوانين الجائرة، وليكن في ذلك إمامهم وقدوتهم قول الله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٤].

إذاعة للقرآن الكريم تبث من المسجد

في كثير من الأحيان تتفتق أذهان الدعاة بفضل الله عن أفكار مبدعة لنشر الدعوة الإسلامية، فرغم قلة الإمكانات المادية للدعاة هناك إلا أن الله ييسر بقليل من هذه الإمكانات وسائل عدة لنشر الإسلام والدعوة لم تكن لتوجد إلا بنفقات باهظة وأموال كثيرة، والحمد لله رب العالمين. إن المساجد التي ساهم الدكتور في بنائها في إفريقيا وظفت لتكون منبرا حقيقيا من منابر الدعوة إلى الله تعالى، وتعريف الناس بالدين الإسلامي باستخدام كل وسائل الدعوة إلى الله، ومنها الوسائل الإعلامية والحديثة.

فقد أنشأت جمعية العون المباشر مسجداً في قرية أكباسي الواقعة شمال غرب بنين، وأثناء زيارة دعاة مكتب الجمعية للمسجد دهشوا من وجود عمود هوائي أعلى المنارة، وعندما تساءلوا عن السبب اقتادهم إمام المسجد إلى أسفلها حيث اكتشفوا وجود صندوق خشبي يحتوي على بعض قطع مذياع ومسجلات قديمة وأسلاك صنع منها أهل القرية إذاعة محلية تبث القرآن الكريم لمدة ثلاث ساعات يومياً، وتغطي مساحة قطرها أربعة كيلومترات، كما تستعمل في الإعلان عن الاجتماعات وإعلانات الزفاف والوفاة، حيث تم الاستغناء عن الطبول. فلا يحقرن أحدكم من المعروف شيئا، ولا يقعدن عن العمل الصالح بحجة قلة ذات اليد أو ضعف الإمكانات.

قال الشاعر:

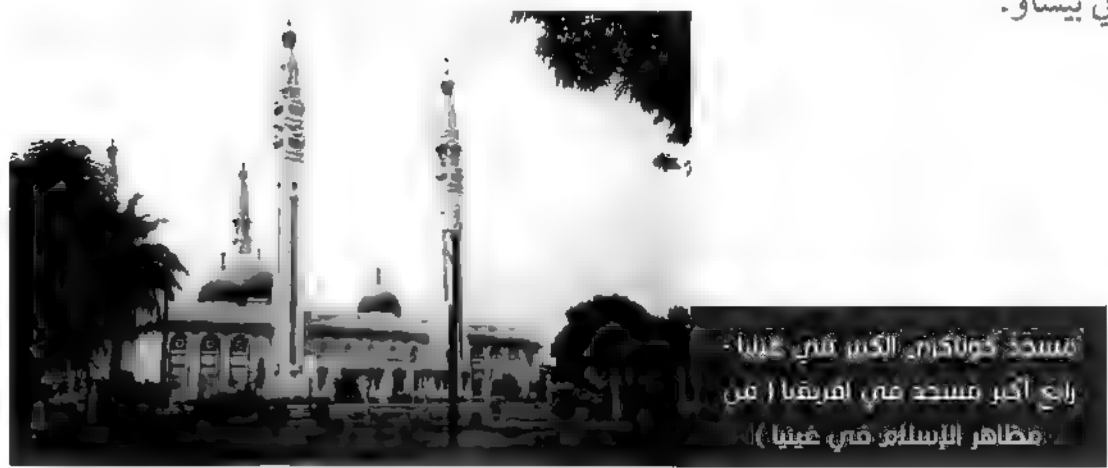
وما استعصى على قوم منال
إذا الإقدام كان لهم ركابا



إحدى المحطات الإذاعية التي أقامها العون المباشر لنشر سماحة الإسلام

العون المباشر تبني أضخم المساجد

من الأخبار الجميلة التي ذكرها د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - ما كان في سبتمبر سنة ٢٠٠٣م وبحضور الوزير بوتشي كاندي نائباً عن رئيس جمهورية غينيا بيساو تم افتتاح مسجد الخرافي بمركز الخرافي الإسلامي في العاصمة بيساو الذي يقع على الطريق الرئيسي المؤدي إلى مطار بيساو الدولي، ويذكر أن هذا المركز كان قد تعرض لأضرار بالغة إبّان الحرب الأهلية التي اندلعت عام (١٩٩٨م)، حيث دمرت أغلب مبانيه، ويعد هذا المسجد الذي تبلغ مساحته ٦٥٠ متراً مربعاً من أضخم مساجد غينيا بيساو حيث يتسع لحوالي ١٥٠٠ مصلٍ، وقد حضر حفل افتتاحه ٢٠٠٠ مصلٍ، وإلى جانب الوزير الذي افتتح المسجد نيابة عن الرئيس والذي قدم شكره لدولة الكويت على مساعداتها التي تقدمها لبيساو حضر حفل الافتتاح عدد من الوزراء منهم؛ وزير الصحة، ووزير التعليم، ورؤساء الجمعيات المحلية وسفراء عدد من الدول العربية في بيساو.



مسجد كوناكري الكبير في غينيا - رابع أكبر مسجد في أفريقيا (من مظاهر الإسلام في غينيا)

المساجد توحد الخصوم

ومـن الأمور المهمـة التي يحرص عليهـا د. عبد الرحمـن السـميط أن يـؤدي المسـجد دوره في اجتماع الكلمة، وتأليف القلوب، ورأب الصدع لاسـيما بين الأقارب المتنافرين، وهذا المسـجد شاهد على ما كان يهدف إليه – رحمه الله–.

يقـول مدير مكتـب جمعيـة العـون المباشر في السـودان: ومـن أمثلـة آثـار المسـاجد أن الجمعيـة شـيدت مسـجداً في قرية في وسـط السـودان، وكان سـكان المنطقة على درجة مـن التنافر والاختلاف في كل شيء حتـى في تأييدهـم لعمـدة القريـة وكبيرها، وعندما جاءنا أهل المنطقة طلبنا منهم أن يرسـلوا لنا موافقة الجهات الحكومية وسكان المنطقة لتشييد هذا المسـجد في منطقتهم، وتأخرت الإجـراءات ، وبعد إصرار وأخـذ ورد جـاءت الموافقـات مـن الجهـات المطلوبة، وتم تشييد المسجد الذي كما قال أحد أعيان المنطقة: إن منطقتهم لم يشيد فيها مسجد بالمواد الثابتة منذ دخول العرب والمسلمين السودان .

وكان يـوم افتتاح المسـجد صلحا لعداوة اسـتمرت عـشرات السـنين بـين أهـل المنطقة فكلف زعيم معارضة العمدة أن يلقي خطاب اللجنـة الشـعبية، وكلـف العمـدة بـأن يلقـي خطـاب الإدارة الأهليـة، فاجتمـع الأعـداء تحت سـقف واحد ليراجعوا كلماتهم في مشهد لم يـره أهـل المنطقـة منذ زمـن بعيد، واشـترك الفريقان في واجب ضيافة الناس واسـتقبالهم. فالحمـد لله الـذي اسـتل من القلـوب الأحقاد الآسنة، والجاهلية العفنة، وطهر القلوب ببركة هذا المسجد، الذي ألف الله المؤمنين بين أكنافه وجنباتـه الطيبة الطاهرة مما يؤكد دور المسـجد الاجتماعي والإنساني وليس الدعوي فقط.



مسجد اليقين في السودان

الصورة مثال لأحد المساجد ... وليست بالضرورة أن تكون مطابقة لشكل المسجد ...

حتى النصارى يشاركون في حفل افتتاح المساجد

لا يستغرك العجب والدهشة إن وجدت كثيرًا من الأفارقة لا يتعصبون ضد الإسلام رغم أنهم مسيحيون، فالأفارقة يتميزون بالقلوب الصافية والأنفس الطيبة التي تحتفظ بكثير من الفطرة السليمة، ولذلك فكثير منهم لا يحمل حقدًا على الإسلام، وهذا ما يساعد كثيرًا منهم على دخول الإسلام وتقبله بلا ضغينة ممن حوله.

ومن أهم الصفات التي رأيتها في د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - قدرته على تحويل النصراني المخالف إلى دينه إلى مسلم موحد، والأفقر إلى محب غير مبغض ولا محارب، وكل هذا بالخلق الحسن، وتمكينهم من الاستفادة من كثير من المساعدات والخدمات التي تقدمها جمعية العون المباشر، ولهذا فإني رأيتهم يشاركون في فعاليات جمعية العون المباشر، ويساعدونهم تطوعًا، من ذلك ما كان في ديسمبر سنة [illegible]م ووسط احتفال رسمي وشعبي شهده ممثلون عن السلطات المحلية، وأعضاء من جمعية العون ودعاة وأئمة، وكل من مدير مكتب مؤسسة آل مكتوم الخيرية، ورئيس الجمعية الوطنية لتطوير التربية القرآنية، وبعض المسؤولين عن الكنائس المحلية، وعدد كبير من سكان المنطقة، تم افتتاح مسجد يحمل اسم أم مصعب بقرية بوزيري بالي التي تبعد عن بانغي عاصمة جمهورية إفريقيا الوسطى بحوالي ستة وعشرين كيلومترًا، وقد نال هذا الصرح الإيماني إعجاب سكان القرية، فأثنوا على من بناه، فهذه الأنفس الطيبة كالأرض الخصبة التي لا يعسر على الزراع أن يستنبتوا منها الخير، وهم من أقرب الناس إلى دخول الإسلام لو خلصت الجهود في الدعوة ومد يد العون لهم بالتعليم والإرشاد وبناء المساجد ودور العلم.



إحدى الاحتفالات مع الفقراء في افتتاح أحد المشاريع

مسجد يتحول إلى محلات تجارية

إن انتشار الفقر والجهل في ربوع إفريقيا يدفع الكثيرين من أهلها إلى طلب لقمة العيش بأي سبيل هربا من الجوع والحاجة، فإذا أضيف لذلك الفقر جهلٌ بأحكام الشريعة الإسلامية، وعدم معرفة بمكانة المسجد وحرمته عند المسلمين، ترى من جراء ذلك العجب العجاب.

يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٨٨ - فبراير ٢٠٠٧م: حدثت قصة المسجد الذي تحول إلى محلات للإيجار، ففي أحد أحياء بانغي عاصمة جمهورية إفريقيا الوسطى تعيش مجموعة كبيرة من المسلمين يؤدون صلواتهم في مسجد يقع في أرض يملكها أحد المسلمين، فلما توفي صاحبها باع ورثته هذه الأرض بما فيها المسجد لامرأة مسلمة تنحدر من قبيلة تسمى (الهوسا)، ولكنها لم ترع حق الله والعباد في ملكها، حيث عمدت إلى إغلاق المسجد بعدما رمت فرشه في الشارع، ومنعت الناس من الصلاة فيه، وجزأته إلى ثلاثة محلات تجارية بغرض تأجيرها، لكنها ظلت خالية وصار المسلمون يصلون في بيوتهم أو في العراء نحو سنة ونصف، إلى أن قام مكتب جمعية العون المباشر في هذا البلد بمشروع بناء ثلاثة مساجد في العاصمة على نفقة أحد المحسنين، منها مسجد يقام في هذا الحي المذكور، فلما سمع سكانه بهذا الخبر السار فرحوا فرحاً كبيراً، ودعوا للمحسن الكريم بأن يبارك الله له في أهله وماله وعمره.

فالحمد لله الذي جعل من بعد العسر يسرا ببركة جهود الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - وجمعية العون المباشر، فقد أبدلهم الله بمساجدهم التي سلبت منهم مساجد أخرى خيرا وأطيب.



نشاط دائم في أقسام المشاريع وبناء المساجد

إشهار إسلام نائب الملك أثناء افتتاح أحد المساجد

للمسجد أدوار دينية واجتماعية متعددة، فهو ليس كدور العبادة في الديانات الأخرى، فهو مهوى الأرواح ومقر الأفراح، ومجتمع الأحبة، ويأنس المسلمون فيه بإقامة أجمل المناسبات وأعزها على الأنفس.

في إبريل سنة ٢٠٠٣م أعلن نائب ملك المنطقة الشرقية في زامبيا إسلامه أثناء افتتاح أحد المساجد هناك، وقد أبدى الملك استعداداً للتعرف على الإسلام أثناء زيارة قام بها دعاة جمعية العون المباشر له، ويذكر أن هذه المنطقة من زامبيا بحاجة إلى العديد من المشروعات، ورعاية المساجد التي تم بناؤها فيها.

فلعل استكمال جهود الدعوة والأعمال الخيرية والإنسانية هناك يكون مفتاح خير لهذه البلاد، ونسأل الله أن يوفق هذا الرجل ومن خلفه من غير المسلمين للإسلام وأن يكون عونا وسندا لنشر الإسلام في ربوع بلاده وما حولها من البقاع.



حفل افتتاح بحضور كبار ممثلي الدولة

يرفع قضية لهدم المسجد، ويموت يوم المحاكمة ويبقى المسجد ! !

إن المواقف التي أيد الله فيها الجهود المباركة للدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- لا تعد ولا تحصى، وإن دلت فإنها تدل على صدق النية، ورقي الغاية ونبل العمل الذي كان يقوم به -رحمه الله- يقول الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- في حديث لمجلة « الوعي الإسلامي » :

مجلة الوعي الإسلامي وتبدو صورة د. السميط

والقارة الإفريقية مؤهله للدعوة لكن ينقصنا الإمكانات ، ولذلك تأخرت الدول الإفريقية من الناحية الإدارية والسياسية والثقافية والقانونية، فمثلا في إحدى الدول قُدمنا للمحاكمة لأن الحكومة اكتشفت أننا بنينا مسجدا لإحدى الشخصيات السياسية في الخليج وقدر الله أن يموت وزير عدل تلك الدولة الذي كان قد رفع علينا الدعوة في نفس يوم المحاكمة ولم يحضر أحد من طرفه لتمثيله في قاعة المحكمة ومما أدى إلى إلغاء القضية. كذلك طُردنا من أنغولا لأننا بنينا مسجداً هناك، هذا كله يبين مدى الأحقاد التي زرعتها الكنيسة في نفوس أهل تلك الدول رغم عدم التزامهم في الكنيسة في الوقت الحاضر ، ولكن التزامهم بما تعلموه من مدارس الكنيسة.

الباب الثاني

حفر الآبار

فضل سقي الماء

جعل الله الماء سر حياة للمخلوقات جميعا، فقال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]..

وشبه حالة نزول الماء على الأرض بالروح التي تدب في الأبدان فتحيا بأمر الله بعد موتها، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ﴾ [النحل: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [فاطر: ٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

ولذلك كان بذل وسقي الماء من أفضل الأعمال وأعظم القربات إلى رب الأرض والسماوات، لاسيما مع الحاجة الشديدة لها، وهو بمثابة إحياء للأنفس ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، فكلما كان العمل للناس أنفع كان أكثر قربا لله، لقوله - صلى الله عليه وسلم-: « أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس » أخرجه الطبراني في « الأوسط » وإسناده صحيح. وقال: «أفضل الصدقة سقي الماء» أخرجه أحمد وأبو داود بإسناد صحيح



ماء في أحد الصحاري
(نادر الوجود)

ويعد من أفضل الصدقات الجارية للميت وقد أتى سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله، إن أمي ماتت أفأتصدق عنها؟ فقال: «نعم». فقلت: أي الصدقة أفضل؟ قال: «إسقاء الماء» أخرجه ابن خزيمة بإسناد صحيح

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم–: «بينما كلبٌ يُطيفُ بِرَكيَّةٍ قد كاديقتُلُه العَطشُ إذْ رأتْه بغيٌ مِن بغايا بني إسرائيلَ فنزعتْ مُوقَها فاستقتْ لهُ بِهِ، فسَقتْهُ فغُفِرَ لها بِهِ » متفق عليه.

فإذا كان الله قد أدخل بغيا من بغايا بني إسرائيل الجنة لأنها سقت كلبا عطشان ماءً بحذائها، فكيف بمن يسقي إنساناً معرضا للهلاك لنقص الماء أو انعدامه.

كان منهج الدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله – وجمعية العون المباشر المباركة بسط مظلات الرحمة في ربوع إفريقيا ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا.

وانطلاقا من هذا التعليم الرباني من الله ورسوله، والذي يدل على عظم رحمة الله بالخلق بشرا كانوا أو دوابا، مسلمين كانوا أو غير مسلمين، فالراحمون يرحمهم الرحمن، ولما كان سقي الماء من أكبر أسباب الرحمة للخلق فقد عملوا على تقديم هذا الماء في صورة حفر الآبار، لقوله – صلى الله عليه وسلم –: «من حفر بئر ماء لم تشرب منه كبد حرى من جن ولا إنس ولا طائر إلا آجره الله يوم القيامة». رواه البخاري في تاريخه وصححه الألباني.



مشقة الوصول الى الماء

ولذلك عني الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- وجمعية العون المباشر بحفر الآبار.

ومما يزيد من أهمية هذه العمل المبارك ما تعانيه إفريقيا من مصائب الجفاف ونقص المياه حيث تعتبر قارة إفريقيا من أشد مناطق العالم جدبًا، وأكثرها فقرًا في مصادر المياه لأسباب يصعب حصرها؛ منها التغيرات المناخية، وعدم استقرار مواسم الأمطار، وارتفاع نسبة التبخر لارتفاع الحرارة، وتقسيم الغرب لدول إفريقيا تقسيما جغرافيا يَضمَن تفجير الخلافات الدينية والعِرقية والحدودية ، وكانت مصادر المياه محورًا أساسيًّا في هذا التقسيم؛ مما جعل المياه ومناطق الرعي مصدرًا للقلاقل والحروب بين العديد من دول إفريقيا.

إفريقيا بين الوفرة المائية والجفاف

رغم أن إفريقيا تمتلك أطول أنهار العالم وهو النيل، وكذلك يوجد بها أكبر بحيرات مياه عذبة في العالم، إلا أنه تعد من أكثر مناطق العالم جفافا وحاجة للماء، ومن رحمة الله عز وجل أنه يبسط ظلال رحمته من حيث لا يعلم الناس ويجعل من بعد عسر يسرا، وهذا اليسر يتمثل في وجود أكبر مخزون مائي في العالم في إفريقيا.

ويقول العلماء: إن مصادر المياه الجوفية هذه يمكن أن توفر مايكفي من الاستهلاك البشري والزراعة في إفريقيا كلها، وقدروا أن مخزونات المياه الجوفية في أنحاء القارة تعادل مئة ضعف ما على سطحها من مياه، ولكن ليس كل هذا المخزون قابلا للاستخراج أو الاستخدام لأسباب تتعلق بالتكلفة لبعد الماء، أو تلوث بعض هذه المياه.

وبعيدا عن هـذه التنظـيرات العلميـة نجد أن الدكتور عبد الرحمن السـميط -رحمه الله- قد ألهمه الله أن يعمـل على إغاثة إخوانـه الأفارقة وتقديم يد العـون إليهم من خلال حفر هـذه الآبار، ليفتح الله مـن خلاله بابـا للرحمة، فقـد جعل الله الماء أساسـا للحياة.

Aquifer productivity
(litres per second)
Very high: > 20.0
High: 5.0 – 20.0
Moderate: 1.0 – 5.0
Low-moderate: 0.5 – 1.0
Low: 0.1 – 0.5
Very low: < 0.1

خريطة توضح أماكن وكمية المياه الجوفية في إفريقيا

وجود الماء وعصمة الدماء

يقول د. السميط- رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العـدد ٧٢ - أكتوبر ٢٠٠٥م: يقول الناس: الماء هو الحياة، إذ لا يوجد كائن حي من الفيل إلى أصغر الكائنـات يمكـن أن يعيش بدون مـاء ، ولقد رأينا أثـر الجفاف في موت المراعي والمـزارع يعقبه موت الحيوانات ثم الإنسـان، وقبل كل ذلك يقول الحق سبحانه وتعـالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠] ، ولسـت أجد أصدق من هذه الآية الكريمـة، فقـد زرت مناطق عـذة كان فيها الأهالي كرمـاء معنا إلى أقصى حد، إلا في الماء إذ حين نطلبه للوضـوء، ينظرون إلينا باسـتغراب، كيف نسـمح لأنفسنا بتضييع الماء في الغسيل والوضوء؟!







ندرة الماء وحاجتهم له .. تعبر عنها الصور أعلاه

ويضيف د. – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ٣٥ – سبتمبر ٢٠٠٢م: في تشاد رأيت آثار معارك بين قبيلة بني راشد (الرشايدة) وبني خزام قبل سنوات سقط فيها ثمانون شخصاً، ولم تتوقف هذه المعارك إلا بتدخل الجيش التشادي، كل هذا بسبب البئر الوحيدة في المنطقة، وقد حاولنا أن نحفر بئراً ثانية فوجدنا الكلفة آنذاك أكثر من أربعين ألف دينار كويتي لأن الماء عميق جداً.

يسقط سنوياً مئات من الفلاحين والرعاة في مناطق مختلفة في إفريقيا مثل جبال النوبة في السودان وبعض مناطق الصومال وشمال كينيا وبوركينافاسو ومالي وغيرها قتلى بسبب الخلاف على حقوق السقي والرعي، وحالات الجفاف التي يسهم في زيادتها العالم الصناعي نظراً لإنتاجه كميات كبيرة من ثاني أكسيد الكربون، مما يؤثر في الطقس العالمي (الولايات المتحدة كمثال تشكل ٣٪ من سكان العالم ولكنها تنتج ٢٥٪ من ثاني أكسيد الكربون في العالم، وترفض التوقيع على الاتفاقات الدولية التي تلزم دول العالم بتقليل إنتاج ثاني أوكسيد الكربون في العالم).

ومن الأمور المؤلمة كذلك أن مجاري الأنهار تتحرك في كثير من الأماكن بسبب الجفاف، أعرف أكثر من نهر في إفريقيا منها نهر في بوتسوانا كان يصب في بحيرة نغامي

التي جفت تماماً الآن، فتحول مجرى النهر جنوباً وتحرك معه الناس والقرى بل حتى المدن، والآن بدأ النهر يجف وينتقل إلى مجرى آخر.


صورة توضح أهم مجاري أنهار قارة إفريقيا

ومنها كذلك نهر النيجر في مالي، والنيجر صورة أخرى من الجفاف، وبحيرة تشاد كذلك التي انحسر فيها الماء أكثر من كيلو متر عن سواحلها.

لقد أقمنا في منطقة صحراوية في دارفور قبل سنوات سداً ترابياً مع الأهالي كلفنا حوالي أربعين ألف دولار أمريكي، وحجزنا مياه السيول في وادي عرايديه في بحيرة صناعية مساحتها ٦٠٠٠٠ متر مربع استفاد منها ثمانون ألفاً من المزارعين والرعاة.

والمشكلة هنا أن مثل هذه البحيرات تحتاج إلى صيانة وتنظيف سنوياً من الطمي الذي يتجمع قبل السد في البحيرة، وإلا أصبح عديم الفائدة، وإذا لم يكن لدى الناس الحافز لخدمة أنفسهم فلا فائدة.

وقد رأيت امرأة مسنة تزرع عند البحيرة وتحمل سلة مليئة بالطماطم وتقول لي وهي تبتسم: إن عمرها سبعون سنة ولم تر في حياتها أرضاً تعطي كل هذا الإنتاج.

بئر تسلم به قرية

ذكرنا مرارا أن من مرتكزات العمل الدعوي والخيري عند الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- وفلسفة عمل جمعية العون المباشر أنه لا فرق بين مسلم وغير مسلم في هذا العمل النبيل، فإن في كل ذات كبد رطبة أجر.

وقد كانت من أهم الأقوال المأثورة للدكتور عبدالرحمن السميط - رحمه الله -: «الآبار التي نحفرها للمسلم وغير المسلم والمدارس كذلك، من أسلوب معاملتنا يسلم الناس، الدين المعاملة».

صورة تبين مشقة وصعوبة الحصول على الماء (مع للولاد الشديد)



ويذكر أيضاً الدكتور عبدالرحمن السميط - رحمه الله - أن محافظاً في جنوب السنغال اتصل به مرة وطلب منه مساعدة ست قرى نصرانية ليس فيها مسلم واحد، وذكر أن المتمردين اتصلوا بأهالي القرى وطلبوا منهم الالتحاق بالتمرد، وتبين لنا - كما يقول السميط - أن عملنا هناك قد يساهم في منعهم من اختيار طريق العنف، فزرنا القرى وقابلنا شيوخها وطلبنا أن يسمح لنا بحفر آبار مياه فرحبوا بنا لأنهم كانوا في حاجة إلى الماء.



السميط بجانب أحد الآبار التي تم إنشائها

بعد إنجاز الآبار بعدة أسابيع جاءنا مندوبو ثلاث قرى منهم يسألون عن المقابل الذي نريده منهم، فلما علموا أننا مسلمون لا نطلب منهم مقابلاً، قررت هذه القرى أن تسلم على بكرة أبيها، فبدأ الإسلام ينتشر في القرى الأخرى.

ولقد حرص د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - على مشاريع حفر الآبار، وسقي الماء في البلاد الفقيرة في قائمة يطول ذكرها من المشاريع المتميزة والمهمة.

إن النفس البشرية جبلت على أمرين: أولهما أنه لا عمل إلا بأجر، ثانيهما: محبة من أحسن إليها، وعندما يعلم الناس أنك لا تريد من البشر عرفانا ولا شكورا، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]، ويعلمون أن إله الرحمة قد أنزلها للعالمين دون تفرقة، يستحث ذلك في النفوس التطلع لمعرفة هذا الدين العظيم الذي يتوافق مع الفطر السليمة، ويثير احترام من تلوثت فطرته في كثير من الأحيان.

إن حفر البئر لا يكلف شيئا كثيرا، ومهما كلف من قيمة فعند النظر في أثره الكبير يدرك الإنسان أثر هذه الصدقة المباركة، وقد نوعت جمعية العون المباشر مشاريعها في حفر الآبار لتشمل أشكالا متنوعة بحسب الحاجة، وإمكانية الحفر، أو بحسب ما تجود به نفس المتصدق.

فرح وأهازيج عند حفر البئر



التنقل لمسافات طويلة من أجل الماء ونقله على ظهورهن

حفر البئر في مكان يعني أن تبث فيه معنى الحياة، وتنقذ الناس من هلاك متحقق، لاسيما في المناطق البعيدة النائية، والتي لا يجد أهلها أحيانا حتى المياه الملوثة، لذلك ليس من الغريب أن تسمع أن جماعة من الناس يرقصون ويغنون أغانيهم الشعبية عند حفر بئر.

وكم حفر السميط - رحمه الله - ومكتب جمعية العون المباشر بمالي آبارا كثيرة في مناطق كانت في أمس حاجة إلى الماء، وكان سكانها يقطعون مسافات طويلة تصل إلى عدة كيلومترات من أجل الحصول على ماء يطفئ بها الظمأ فحسب، وقد تكون في أغلب الأحوال غير صالحة للشرب.

كان منهج السميط وجمعية العون المباشر السعي دوما إلى توفير المياه الصالحة للشرب، والتقليل من الجهد والمعاناة التي تبذلها المرأة بصفة خاصة في الدول الإفريقية عموما، مما يتسبب في عمليات تدهور للصحة العامة وسط فئة الأطفال بصفة خاصة، ووسط فئة النساء بكثرة الإجهاض، نتيجة الترحال في طلب الماء ونقله من مسافات طويلة في كثير من الأحيان.

حفروا البئر.. ولكن ادفعوا لتشربوا

يعد حفر الآبار إنجازا إنسانيا وتنمويا عظيما، ولكن قد تعترض الصعوبات المالية في إنجاز هذا العمل، فقد يعجز كثيرون من إخواننا الفقراء في إفريقيا عن دفع ثمن إنشاء هذا البئر، ولا مفر أمامهم إلا استخدام الماء الملوث وإلا فالعطش مصيرهم، وقد تدفع تلك الحاجة العظيمة بعض المنتفعين والجشعين إلى استغلال ذلك.


صورة معبرة من إحدى نشرات العون المباشر

وفي مايو سنة ٢٠٠٤ عندما انتهى أحد سكان قرية (نادوبة) في دولة توجو من إنجاز حفر بئر سطحية، طلب من أهاليها دفع مبلغ من المال قدره ١٧٥٠٠ فرنك سيفا أي ما يعادل ٢٧ دولاراً أمريكياً للفرد الواحد مقابل الاستفادة من مياهها، لكن إمام مسجد (سميحة أحمد حسن) الذي أقيم في هذه القرية أبلغ السميط - رحمه الله - وكان حينها موجوداً بمقر جمعية العون المباشر بمدينة (كارا) بهذا الأمر، حيث بادر د. السميط إلى حفر بئر المرحومة (دلال جاسم ذياب الذياب) بجوار المسجد ليصبح مشروعاً متكاملاً يستفيد منه جميع سكان القرية، وقد أسفرت هذه البادرة الطيبة عن إسلام عشرين شاباً.

يذكرنا ذلك بصنيع الخليفة الثالث عثمان بن عفان - رضي الله عنه - في شرائه بئر رومة وجعله سبيلا للمسلمين، حيث روى البخاري في صحيحه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من يشتري بئر رومة، فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين». فاشتراها عثمان - رضي الله عنه -، وفي رواية قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «من يحفر بئر رومة فله الجنة». فحفرها عثمان.

اللهم اجعل جزاء من احتفر بئرا لينشر بـه رحمة الله فيسقي به الإنس والدواب والطير كجزاء عثمان بن عفان في الجنة.

يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - مجلة «الكوثر» - العدد ٥٤ - أبريل ٢٠٠٤م: إن نعمة الحصول على الماء النظيف الصالح للشرب لا تضاهيها نعمة، فالماء أساس الحياة، ولذا نحن نعيش في نعمة قد لا نشعر بها، خصوصا أن الحصول عليه في عصرنا الحاضر لا يكلفنا سوى فتح الصنبور لينزل الماء زلالا سائغا للشاربين.

الموت عطشا... وطلبا للماء أحيانا

كثيرا ما تضرب يد العطش الباطشة القرى الإفريقية حتى تجدب الأرض ويموت الزرع ويجف الضرع، وتكون نقطة الماء أغلى من نقطة الدم، فيقع الاقتتال والتناحر على الماء، أو تعريض النفس للهلكة في سبيل الوصول إلى الماء كما حدث في هذه القصة التي يرويها عبد الرحمن السميط -رحمه الله-.



امرأة افريقية مع أطفالها من أجل الماء

كانت هناك مأساة في قرية تقع شمال كينيا اسمها (توربي)، يعيش أهلها على رعي الإبل والماعز، تعرضت للجفاف لمدة ست سنوات متوالية، الأمر الذي اضطر أهلها، وخصوصا النساء منهم إلى قطع مسافة تصل إلى عشر ساعات مشيا على الأقدام من أجل الحصول على جالون سعته عشرون لترا من الماء، وما يزيد النفس ألما أن النسوة اللاتي لديهن أطفال صغار يلجأن إلى حملهم على ظهورهن لمسافة لا تقل عن أربعين كيلومترا، وقد يظل هؤلاء الأطفال من دون طعام طوال هذه الرحلة.

الحفر الطينية التي يشربون منها

وقد أدى هذا الضغط على طلب مياه الشرب إلى تعطل الآبار العاملة في المنطقة مع عدم القدرة على حفر آبار جديدة بسبب كلفتها العالية، لأن الوصول إلى الماء في البئر يتطلب الحفر إلى عمق ألف قدم من سطح الأرض، يضاف إلى هذا الوضع المزري تلك المشاجرات التي تحدث بين البدو حول هذه الآبار في تسابق لسقي مواشيهم وإطفاء ظمأهم.



استخراج الماء في قرية اسا بواسطة سلسلة بشرية تنقل الدلو من شخص إلى آخر وهي عملية خطرة جداً إذ كثيراً ما ينهار الرمل ويقتل الأشخاص العاملين في استخراج الماء

وعندما زار الدكتور عبد الرحمن هذه المنطقة وأقام فيها مدة قليلة، لم يكن أمامه من خيار سوى الشرب من مياه الأمطار الملوثة التي يجمعها الأهالي في حفر طينية، أسوة بطلاب معهده الشرعي الذين يشربونها، ويكفي أن تعرفوا أن هذه المياه تتحول مع مرور الأيام إلى موطن للديدان المتنوعة.

يقول السميط – رحمه الله – في «رسالة إلى ولدي– رحلة خير في إفريقيا» للدكتور عبد الرحمن السميط ص ٣٩: أخذنا (زعيم القرية المسلم) إلى حيث الحفائر والآبار واستغربنا كيف يشكل الناس سلسلة بشرية من قاع البئر إلى سطح الأرض، ويرفع أحدهم الدلو التي تمتلئ بالأوساخ والرمال إلى الشخص الواقف أعلى منه، وكم من مرة تحركت الرمال قليلا تحت أقدام أحدهم لترى حالة الاستنفار عند هذه السلسلة استعدادا لملاقاة الموت كل هذا من أجل بضع رشفات ماء نشرب مثلها عشرات المرات دون أن نعرف مقدار هذه النعمة التي أنعم الله بها علينا.

أيهما أنفع؟!

حرص السميط – رحمه الله – وجمعية العون المباشر على التدقيق في أولويات الإنفاق، وطرق تقديم العون بناء على قاعدة فقه الأولويات، وكثيرا ما كان غوث الناس بحفر بئر أو توسعته أشد إلحاحا من بناء مسجد لهم، وذلك وفقا لدراسات الواقع والحال.

خرج نائب رئيس الجمهورية في مدغشقر مع نائب برلماني مسلم في زيارة تفقدية إلى مقاطعة ماجونغا، وعند دخولهما إحدى القرى قال النائب البرلماني لمرافقه بعد أن رأى النصارى قد بنوا كنيسة – وكانت جمعية العون المباشر قد حفرت بئراً للقرية –: أيهما أنفع للناس: من يبني كنيسة أو يحفر بئراً؟ قال نائب الرئيس: بالطبع من يحفر بئراً. فرد النائب البرلماني: هذا هو الفرق بيننا كمسلمين وبينكم كمسيحيين.

بناء كنيسة في قرى عطشى وجوعى

إن من أهم سمات الشريعة الإسلامية الغراء تقديم الأولويات وترتيب المقاصد بحسب أهميتها، وذلك توافقا مع حاجات البشر الدينية والدنيوية، فأينما توجد مصالح العباد فثم شرع الله. وحفر البئر أولى وأنفع للناس من بناء كنيسة بجوارها كنيسة، ولكن أحيانا تكون البئر أنفع لهم من المسجد أيضا.

إن كثيرا من الكرام المحسنين لا يلحظ في أفعاله تلك القاعدة الذهبية من تقديم الأولويات، كمن يحج كل عام منفقا آلاف الدنانير أو مئات الألوف من الريالات، وهو عمل صالح بلا شك، ولكن توجيه بعض تلك الأموال للمنكوبين واليتامى والمستغيثين الذين يطرق الموت أبوابهم بغلظة أولى وأقرب إلى الله زلفى، فخير الناس وأحبهم إلى رب العباد أنفعهم لعباده وخَلقه.

الهدية تقصّر المسافة أمام الداعية

لم تكن الأبواب مفتحة دائمة أمام الدكتور السميط -رحمه الله-، ولم تكن الأذرع مرحبة بقدوم هؤلاء المسلمين الذين يرونهم غرباء في كل مرة أثناء رحلة العمل الدعوي والخيري، ولكن السميط - رحمه الله- كان يتسم بسرعة البديهة والذكاء الفطري الذي مكنه من التغلب في كثير من الأحيان على هذه العقبات وفقا لمقتضيات الحال، فكانت الهدية ممثلة في حفر بئر أكثر الأدوية الناجعة لاستلال الكراهية من النفوس، ﴿ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤].

وأثناء تنفيذ جمعية العون المباشر لمشاريع حفر الآبار كانت تواجه الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- مشكلة كبيرة في طريق دعوته لأهل بعض القرى، وهي كيف يستطيع أن يدخل عليهم بدعوة الإسلام، فلذلك كان يوظف حفر البئر في سبيل الدعوة إلى الله.

يقول عبد الرحمن السميط -رحمه الله- في مجلة «الكوثر» - العدد ٦٧ - مايو ٢٠٠٥م: «ملومب» قرية تقع في جنوب السنغال، معظم سكانها وثنيون يتولاهم أمير وثني يقدّسه الأهالي، وله مكانة عظيمة في نفوسهم.

حاولنا في أول الأمر أن نقابل هذا الأمير باعتباره المفتاح الذي نستطيع أن نفتح به أبواب القرية لدعوة الحق، ولكننا أخبرنا أنه لا يستقبل أحداً من سكان القرية ولا من الغرباء الذين يستحيل عليهم لقاؤه، ومن هنا كان علينا أن نبحث عن منفذ آخر لهذه القرية.

يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في «حقيبة مسافر» ص ٣٤: عدنا ثانية إلى هذه القرية، وكنا في هذه المرة مصحوبين بالهدايا الخاصة بأمير القرية وببعض المساعدات، فلاحظنا أن البئر التي حفرناها تركت مياهها أثراً حميداً واسعاً في نفوس السكان بمن فيهم الأمير الذي استقبلنا استقبالاً طيباً، وأخبرناه أن الهدايا التي قدمناها له وغيرها من المساعدات هي من العرب المسلمين الذين يأمرهم دينهم بالإحسان إلى الناس مهما كانت مللهم ونحلهم، وضربنا له بعض الأمثلة من مشاريعنا الخيرية التي أنجزتها جمعية العون المباشر في جنوب السنغال بأموال المحسنين الكرام.

لقد شعرنا أن السكان يعانون ندرة المياه فحفرنا بئراً فيها، فأدرك بعضهم أن هذا العمل الإنساني الذي قام به هؤلاء المسلمون لا يمكن أن يكون نابعاً إلا من دين يتصف بالرحمة ويحمل في تعاليمه كل خير، فأسلم عدد من الوثنيين استجابة لهذا النداء الصادق (وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان).



بعض القبائل الوثنية في لباسهم التقليدي

لقد ترك هذا اللقاء أثراً عميقاً في نفس الأمير، وانطبعت فيها صورة الإسلام الصحيحة حتى عبر عن ذلك بقوله: إن الأعمال التي يأمركم بها دينكم أعمال عظيمة ، ويبدو لي أن الإسلام هو دين للناس كافة.


حفر بئر في إفريقيا وسط أشباح الموت ليس ترفاً

وقبل أن نودعه طلب منا حفر بئر ثانية في قريته لحاجة الأهالي الماسة إليها، ووعدناه بتلبية رغبته، ودعونا المولى عز وجل أن يفتح قلب هذا الرجل للإيمان لأننا نعلم أن إسلامه سيقلل من احتمال إثارة المشاكل بين الوثنيين والمسلمين، ويسد الباب بالتالي أمام أي فتنة بين الطرفين حقناً للدماء.

إن حفر بئر في إفريقيا وسط أشباح الموت وسراياه التي تظلل كل مظاهر الحياة هناك، ليس ترفا ولا عملا تنمويا عاديا، بل هو بكل معنى الكلمة إحياء للأنفس والأرض الميتة، ودفع لسيوف المنايا المشرعة على أعناق الجميع، وهي من جهة أخرى رسول محبة وحقن لدماء الناس الذين يقتتلون بحثا عن نقطة ماء.

كم حقن الدكتور السميط وجمعية العون المباشر من هذه الدماء؟!

اللهم اكتب لكل من ساهم وتبرع وبنى وشارك ولو بكلمة طيبة في هذا العمل المبارك، وأبدله اللهم بكل نقطة ماء من هذه الآبار شرابا من الجنة لا يظمئون بعدها أبدا.

ومن جانب آخر يقول د. عبد الرحمن السميط عن قبائل الأنتيمور في مدغشقر: وكنا نذهب إلى قراهم ونحفر بئرا ونكتب عليه: هدية من إخوانكم المسلمين ونتركه ونمشي، ونعود بعد سنة فيستقبلوننا استقبال الملوك وقد أسلموا جميعهم، وحصل هذا في قرى كثيرة عندهم.

أفضل الصدقة سقي الماء

إن من فضل الله على المؤمن أن يريه ثمرات عمله في الدنيا قبل الآخرة، ومن ذلك مدح الناس وثناؤهم وفرحتهم بهذا العمل الطيب، وقد قيل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن». رواه مسلم .

يقول د. السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٢٢ - أغسطس ٢٠٠١م: قمت في بعض الأيام بزيارة إلى بوركينافاسو، وقضيت ليلة في بيت أحد الإخوة العاملين بالجمعية، وعندما حان آذان الصبح توضأت ثم توجهت إلى مسجد قريب من مكان إقامتي للصلاة، وفي طريقي توقفت عند بئر كنا قد حفرناها منذ أربع عشرة سنة، وقد تجمعت حولها العشرات من النساء في هذا الوقت المبكر من اليوم لملء جرارهن ، قالت إحداهن: بعد وقت قليل سيتوافد المزيد من أفواج النساء على البئر، وقد تضطر الواحدة منهن إلى الانتظار لمدة أربع ساعات حتى يحين دورها لتملأ جرتها وتنصرف.



حشد من النساء حول أحد الآبار

فهنيئاً لمن حفر هذه البئر بالثواب العظيم عند الله، وطوبى لمن سقي مسلماً شربة ماء، فلو رأى كل محسن كريم ثمرات عمله وتبرعه وأثره المشرق على قلوب ووجوه المحتاجين والمساكين واليتامى، لكان ما أنفق من ماله أحب إليه مما بقي في يديه من المال.

من دل على خير كفاعله

قد يواجه د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - ومن معه من الإخوة العاملين مشكلات كثيرة تتمثل في إعاقتهم عن عملهم الدعوي والإغاثي، وقد تصل أحيانا إلى الافتراء ونسج الأكاذيب. ويقول - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ١٤ - ديسمبر ٢٠٠٠م: تتسلم وزارات الخارجية في بعض الدول التي نعمل فيها تقارير كاذبة عنا، وأحياناً مع الأسف يكتبها أو يكتب بعضها مسلمون، ثم ترسل وفداً للتحقيق، وذات مرة زار الوفدُ آبارَنا وأحدَ مراكزنا الإسلامية في مدغشقر، فقال أحد أعضاء الوفد: إنني مسيحي عشت حياتي في دار للأيتام تابعة للكنيسة، وكانت تعاملنا معاملة سيئة وتعطينا القليل من الطعام، وأنا مسرور بأن أجد المسلمين قد أقاموا داراً للأيتام حتى يكون هناك خيار أمام اليتيم أو أهله، وما أنجزتموه في سنين من عملكم في ماجونغا لم تنجزه الكنيسة في خمسين سنة، وضرب مثالاً بقوله: إن الكنيسة لم تحفر بئراً واحدة، وعندما حفرتم أنتم عشرات الآبار بدأوا في الحفر.

على الداعية أن يفعل الخير دونما نظر إلى ما يقال أو ينتقد، فإن صنائع المعروف كثيرا ما تشفي القلوب من الحقد والضغينة، وستكون تلك الأعمال شاهدة يوما على حسن صنيع من قام بها مهما حاول الكثيرون كتمان الحق والخير، فالحق أبلج والباطل لجلج.

مَن يَفعَلِ الخَيرَ لا يَعدَم جَوازِيَه
لا يَذهَبُ العُرفُ بَينَ اللهِ وَالناسِ

لقد حمل الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- وجمعية العون المباشر على عاتقهم تنفيذ المشاريع المتميزة في عملها، وكان من أبرزها تلك الآبار الارتوازية، وكم كانت تلك الآبار سببا في إسلام عشرات الألوف لما عاينوا أثرها، وأدركوا الأهداف السامية لمشاريع جمعية العون المباشر.



إحدى الآبار الارتوازية التي تقوم بها جمعية العون المباشر

الباب الثالث

رعاية الأيتام

فضل رعاية اليتيم

أنزل الله الكتب وأرسل الرسل رحمة للعالمين، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال – صلى الله عليه وسلم– : «إنما أنا رحمة مهداة» رواه الحاكم وإسناده صحيح، وقسم الله سبحانه الرحمة مائة رحمة فجعل منها في الدنيا جزءا واحدا، واختزن لخلقه تسعة وتسعين جزءا يوم القيامة، فعن أبي هريرة، عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: «إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعا وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة». متفق عليه

وقد أكد الإسلام كثيرا على التكافل بين المسلمين لتقوية البناء المجتمعي، وجعل المسلمين كالجدار الصلب يشد بعضه بعضا، وتوقف كثيرا عند الضعفاء والمساكين ومن لا حول لهم ولا قوة، وهم بحاجة إلى المساعدة والمؤازرة والرعاية كالفقراء والمساكين والأرامل وغيرهم ولاسيما الأيتام.

تعليم أحد الأيتام في الصف الأول الابتدائي

فما من مخلوق في أرض الله أحوج إلى هذه الرحمة من اليتيم، ولذلك فقد شدد الإسلام على رعاية اليتيم وإظلاله برحمة الله التي أودعها في قلوب الخلق، فمن يرحم اليتيم إن غاب عنه حضن الأم أو حضن الأب فصار في الأرض مقطوعا وحيدا وبين الناس غريبا فريدا؟

ومن لليتيم إن فقد الأهلين والظهير المعين والناصح الأمين؟

ومن لليتيم حين تتلاطمه الأنواء وتتقاذفه الأرزاء؟

ليس لليتيم –بعد الله– إلا نفس عطوف وقلب رءوف.



أيتام من أفريقيا

ما لليتيم بعد الله إلا يد رحيمة تقيل لليتيم عثرته، وتمسح عبرته، وتفرج كربته، وتؤنس وحشته. ولعظم بلوى اليتيم في المجتمع وضعف عوده، وغياب النصير والظهير عنه، وحاجته للصيانة والرعاية، فقد ذكره المولى الرحيم في كتابه الكريم في نيف وعشرين موضعا، لا يخلو موضع منها من إيجاب حق له، كقوله تعالى ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ﴾ [النساء: ٢]،أو التحذير من تضييع شيء من حقه كقوله تعالى﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [الأنعام: ١٥٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ﴾ [النساء: ١٠]،أو التذكير بفضل رعايته وإكرامه، كما في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾[الإنسان: ٨] وقوله تعالى:﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ [البلد: ١٥-١٦]

وقد وجه الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنظار المسلمين ومشاعرهم النبيلة إلى ضعفاء المجتمع التي لا تقوى بمفردها على الحياة الكريمة والقيام بدورها في المجتمع إلا بمساعدة ودعم روحي ونفسي ومادي، وعلى رأس هؤلاء الضعفاء اليتامى، ففي الحديث الصحيح: « أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيْمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذا، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُما» رواه البخاري .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلاً شكا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - قسوة قلبه فقال: « إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المساكين، وامسح رأس اليتيم ». رواه أحمد في « المسند » .

إفريقيا قارة الأيتام

لم تصب قارة إفريقيا فقط بالفقر والمرض والجهل، بل ابتلي أبناؤها بغياب الأب أو الأم أو كليهما، وإليك أخي القارئ بعض الإحصائيات وفقا لإحصائيات منظمة اليونيسيف عام ٢٠١٠ م ، فقد بلغت نسبة يتامى إفريقيا أعلى معدل يتم بين أطفال قارات العالم بما يقارب (١٢٪) من الأطفال، وثاني أكبر عدد أيتام بعد قارة آسيا، مما يعني أنه بين كل تسعة أطفال أفارقة يوجد هناك طفل يتيم ، ويبلغ عدد الأيتام في القارة السمراء حوالي ٥٧ مليون طفل .


صورة أخرى للأيتام من إفريقيا

وفي إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى يموت ١ من كل ٩ أطفال قبل سن الخامسة، والملاريا هي القاتل الأول لهؤلاء الأطفال بمعدل ٦٠٠ ألف سنوياعام ٢٠١٠.

مساجين لأنهم أيتام

إن العمل الخيري في نطاق واسع يتجاوز ثلاثين مليون كيلو مترا لهو أمر يسامي المستحيل، سواء على مستوى تنوع المجالات، أو الوصول إلى كثير من بقاع تلك الأماكن المترامية الأطراف، وقد عمل الدكتور عبد الرحمن السميط وجمعية العون المباشر على تغطية أكثر المجالات إلحاحا في العمل الإنساني ومنها رعاية الأيتام وتنشئتهم تنشئة كريمة لا تقل درجتها عن رعاية الطفل الذي لم يفقد أبويه، إن لم تكن تزيد في كثير من الأحيان.

يقول السميط- رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٤٣ - مايو ٢٠٠٣م:
لقد وجهت معظم اهتمامي ووقتي إلى رعاية الأيتام الأفارقة من حيث متابعة أحوالهم الغذائية والصحية والتعليمية متابعة أمينة عملاً بمنهج الإسلام القائم على الرحمة في رعاية اليتيم.



السميط مع يتيم من أحد المجاعات في افريقيا

وأشد ما ركز عليه في هذه الرعاية الجانب النفسي الذي يوفر لليتيم الجو الملائم الذي يعوضه البيت المفقود حتى يحس بنفس طعم اللقمة من يدي أبويه، ويشعر بدفء المنام في سريره كما لو كان بجوار سرير أبويه، وحتى ينطلق ويمرح في فناء الدار وكأنه لم يفقد شيئاً، إلا أن هذا التصور الجميل لهذه الرعاية قد تعكر صفوه أحياناً ظروف طارئة قد يعود بعضها إلى خطورة هذه المسؤولية وشدة حملها، أو يعود بعضها الآخر إلى الجوانب المادية الضاغطة التي تتجاوز إرادتنا وتفوق قوتنا.

ويكمل قائلا: ولعل المشهد الذي أصفه لك موجزاً في هذه السطور القليلة خير مثال على ما نقول: فقد زرت دار الأيتام التابعة لمركزنا في جنوب شرق مدغشقر، وكان الموسم موسم الأمطار التي لم تتوقف أثناء هذه الزيارة واستمرت تسعة أيام كاملة بلياليها بدون انقطاع. فلاحظت أن الأيتام الذين تتراوح أعمارهم بين سبع وعشر سنوات لم يتمكنوا من مغادرة غرفهم وحجراتهم، ولو لوقت يسير يروحون فيه عن أنفسهم، وبدا المكان كأنه سجن حقيقي، وأن هؤلاء الأيتام يقضون فيه مدد سجنهم لأنهم فقدوا آبائهم، وقلت في نفسي وقد أصبحت سجيناً مثلهم: لو تمكنا من بناء مظلات بالأسمنت والزنك الجيد تغطي الممرات الطينية الرابطة بين وحدات المركز، وكذا فناء واسع يمرح فيه الأطفال عندما تسوء الأحوال الجوية، وقدرت الجهات المختصة تكلفة هذا المشروع بحوالي ٨٤٠ ديناراً كويتياً، وتم العمل - بحمد الله -.

إن ضخامة المسئولية وعظمة واتساع أطراف مظلة هذا العمل النبيل قد تتجاوز مطالبه المادية وموارده البشرية إمكانات من يقوم به حتى يتسع الرقع على الراقع، فلابد من تضافر الجهود وزيادة الدعم المادي والمعنوي لتنفيذ هذه البرامج الواعدة التي أحيانا لا تكلف ثمن ثوب أو وجبة خفيفة في بلد من بلاد المسلمين.



في أحد مراكز الأيتام التابعة للجمعية

الكنيسة والخرافة من عراقيل دخول الناس في الإسلام

تعد موجات التنصير في إفريقيا هي الأعتى والأكثر خطرا على الهوية الإسلامية هناك، ويزداد هذا الخطر حين تنزل النوازل، فيعم الفقر وتجف الأرض ويموت الزرع وينضوي الضرع، فلا يجد الناس مأوى إلا الكنيسة، ولا يجدون أبا إلا الكاهن والقس ولا أما إلا الراهبات. يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٧٣ - نوفمبر ٢٠٠٥م: يعيش المسلمون في العديد من البلاد والقرى الإفريقية أوضاعاً اجتماعية صعبة تجعلهم في شبه حصار ضربته الكنيسة حولهم، وعلى سبيل المثال: هذا البستاني الذي كان يعمل في مركز لومي عاصمة جمهورية توغو كان نصرانياً، ولكنه أعجب بنظافة المسلمين وطريقة التعامل فيما بينهم فأسلم تأثراً بهم، فقاطعه أهله، ولكنه ثبت على الإسلام، وبعد أيام من إسلامه لدغته أفعى في مركز الأيتام، فجاءه أهله ومعهم العشرات من الناس، ليقولوا له: إنه لم يلدغ بأفعى منذ ولادته نصرانياً إلا عندما أسلم، ولكنه لم يأبه لقولهم فساعدته الجمعية بالعلاج، وصام رمضان وكان المسؤولون بالجمعية يسألون الله أن يكون مفتاحاً لإسلام أهله وسكان قريته.

صورة لحال اليتيم الإفريقي

يقول د. السميط- رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٨١ - يوليو ٢٠٠٦م: ولد يوسف آدم في قبيلة الغبرا بشمال كينيا من أبوين نصف مسلمين لا يصليان بل لا يعرفان من أمور الصلاة شيئاً!

مات أبوه ثم لحقته أمه بعد سنتين، فنشأ يتيم الأبوين في مركز الكنيسة بقريته (غارمارا) والذي تديره منظمة كاثوليكية في بلدة (أسيلو) حيث انتشلوه من جوع قاتل وفقر مدقع.

عاش يوسف في المركز ست سنوات حتى بلغ إحدى عشرة سنة ووصل الصف الرابع الابتدائي، سمع خاله المسلم بوضعه، فجاء إلى مكتب جمعية العون المباشر في مدينة مرسابيت، وقص على العاملين في المكتب قصة هذا الطفل،

فرثـوا لحالـه، وقـرروا إلحاقه بالمركـز دون انتظار الكفالـة، حيـث بـدأ يشـارك الأيتـام المكفولـين غذاءهـم وملابسـهم والخدمـات الأخـرى التي تقدم لهم.

تردد يوسـف في البداية مـدة من الزمن، ولكن لم يكـن أمامه خيار آخر سـوى الثبات على عقيدته، فكيف يكون نصرانياً وهو الحافظ لستة أجزاء من القرآن الكريم؟! لذا ترك الدراسـة، وفضل التشرد في الشوارع، ولم يرض لنفسه الكفر.

وبعـد مدة امتدت له يـد الوقف التعليمي في جمعيـة العـون المباشر وأنقذته مما هـو فيه، وكفلته حتى أتم دراسته بتفوق.

عـاش آدم في كفالـة الجمعيـة أربـع سـنوات حتـى أنهى بعدهـا المرحلـة الابتدائيـة (الصـف الثامن) بامتياز، وكان الأول على مستوى المنطقة كلهـا، وتم قبولـه في ثانويـة ناكورو العليا، وهي مـن أرقى الثانويات في شـمال كينيـا، لكن فقـره أعجزه عن دفع الرسوم، وفاته موعد الالتحاق بالمدرسة بسبب ذلك.

وأخـيراً عرضـت عليـه ثانويـة تابعـة للكنيسـة الكاثوليكيـة مقعداً للدراسة، واشترطت عليه في المقابل الحضور إلى الكنيسة كل صباح رغم التزامه واقتناعه بالإسلام!

صورة أخرى مع أيتام الجمعية

السميط يطلق مشروع كافل اليتيم

كعادته في السبق إلى الخيرات؛ كان د. عبدالرحمن السميط - رحمه الله - من الأوائل الذين بدأوا مشروع كفالة يتيم إفريقي في دولة الكويت في بداية الثمانينات من القرن الميلادي الماضي، ولاقى هذا المشروع نجاحاً منقطع النظير، وتبعته الجمعيات الأخرى في الكويت وخارجها.

وقد حقق السميط -رحمه الله- من خلال جمعية العون المباشر نجاحاً كبيراً - كباقي المشاريع - في كفالة ورعاية الأيتام وتأهيلهم منذ أن بدأ المشروع تحت شعار (كافل اليتيم)، انطلاقاً من الحديث النبوي الشريف: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى». رواه البخاري.

وتعد جمعية العون المباشر من أكبر وأكثر الجمعيات الخيرية اهتماماً برعاية الأيتام تربية وتعليماً وتسكيناً وعلاجاً، وفق منهج علمي حضاري كبير.

السميط من أوائل من بدأ مشروع كفالة اليتيم في الثمانينيات من القرن الماضي



وكانـت بداية الجمعية مع كفالـة الأيتام منذ بواكير عملها حيث كفلت ما يزيد على الخمسـين يتيما في كينيا، لتتـوالى كفالة الأيتـام تباعاً مع توسـع الجمعية في ربوع القارة السـمراء، وليصبح أيتام الجمعية قادة لشعوبهم، ودعاة إلى الخير وإلى الطريق المستقيم.

وتنقسـم رعايـة الأيتـام إلى رعاية داخليـة ورعاية خارجيـة، وأنشـأت الجمعيـة الكثـير مـن دور الأيتـام مؤخـراً، ووصل عددهـا إلى (١٠٥) دار ممتدة على عدة دول تعطي أكلها كل حين بإذن ربها.

والأيتـام الخارجيـون يوفر لهـم الملبس والمسـكن، وكامل الأنشـطة الضروريـة رياضية وثقافيـة، والأيتام الموجودون في مراكز أخرى تابعة لهيئات أخرى.

ويختلـف التكويـن على المهـن للأيتام مـن دولة إلى دولة ففي نيجيريا توجد مراكز جاهزة، وأحياناً تؤسس الجمعية مراكز للتجـارة والصياغة مثلاً لتدريب الأيتام عليـه، وأحيانـاً أخرى توجـد مراكز تدريـب غير تابعة للجمعية.

والجمعيـة تدفـع الرسـوم لتكويـن هـذه المراكـز التدريبية كما تتكفل بتعليم هؤلاء الأيتام مادياً ومعنوياً.

دور جمعية العون المباشر في رعاية الأيتام

يتمثل دور مكاتب جمعية العون المباشر في رعاية الأيتام في البرامج والأنشطة التي يقوم قسـم الرعايـة الاجتماعية والمختـص بالأيتام بتنفيذها

وتتضمن هذه الأنشطة:

- الإشراف عـلى الأيتـام تربويـاً وتعليمياً، ورعايتهم نفسياً واجتماعياً.
- صرف الكفالات للأيتام وتقديم البرامج التربويـة، وتوزيع الكسـوة عليهم مرتين في العام إلى جانب العيدية.
- تنظيم الرحلات الترفيهية.
- توفير مستلزماتهم الشخصية.


أحد مراكز رعاية الأيتام التابعة للعون المباشر

- إرسال تقارير دورية عن الأيتام تشمل المعلومات الأساسية، وإدخال البيانات الأساسية عنهم في الموقع الالكتروني المخصص لذلك، وتحديث تلك البيانات بصفة دورية.

- تتولى الجمعية دفع جميع الرسوم الدراسية للأيتام، وتوفير جميع المستلزمات الدراسية وتنظيم برامج دروس الدعم والتقوية لفائدتهم.

- كما يقوم مكتب الجمعية بدعم الأيتام الذين يلتحقون بالمعاهد التدريبية والمؤسسات الجامعية دعما يشمل جميع الجوانب المادية والدراسية.

- تقوم جمعية العون المباشر على تقديم الرعاية الاجتماعية والتعليمية والتثقيفية والصحية للأيتام المكفولين.

- تنفيذ العديد من الأنشطة، والبرامج التي تسهم في اكتشاف مواهب الأيتام وقدراتهم ومهاراتهم من خلال الأنشطة الترفيهية التي تقام لأيتام الجمعية في مختلف الدول الإفريقية.

وقد اهتمت جمعية العون المباشر بالأيتام وكفالتهم وتربيتهم وتعليمهم، وابتعثتهم لاستكمال دراستهم ووظفتهم في بلدانهم.

لا تحقرن من المعروف شيئًا

يتميز الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- بسعة الأفق وقدرته على استغلال الموارد سواء القليل منها والكثير، ودائما ما تنصرف أفكاره إلى خدمة المحتاجين والمعوزين من إخوانه في إفريقيا، حتى ولو من خلال أواني الطعام.

يقول الأخ فوزي بو قريص في مقابلة معه: بعد وقف تغذية المدارس في الثمانينات ٨٢-٨٣ في الكويت: كان هنالك كميات كبيرة من الأواني في المدارس وبيعها كان لا يسوى شيئاً لأنه صار التنسيق ما بين د عبد الرحمن السميط - رحمه الله - ووزارة التربية للاستفادة من هذه الأواني الحمد لله، وكان التبرع مجانيا، ومازالت هذه الأواني مستعملة في مراكز الجمعية من الطلبة والأيتام في إفريقيا، ومكتوب على الأواني وزارة التربية - إدارة التغذية، وتم إرسالها إما عن طريق الحاويات والكونتينرات عن طريق البحر أو عن طريق الطيارات العسكرية بنقل مجاني مع أغراض الجمعية واحتياجات المراكز ودور الأيتام.

فلسفة السميط في كفالة اليتيم

لم تكن نظرة السميط لقضية كفالة اليتيم قاصرة على تلبية حاجاته الأولية من طعام وشراب، وملبس ومسكن، بل تعدى ذلك الأمر إلى بناء متكامل للإنسان روحيا وعقليا ونفسيا.

وكان للدكتور عبدالرحمن السميط - رحمه الله - أثر عظيم على الأيتام، وليس فقط عملاً إغاثياً، وتخرج منهم الأطباء والمهندسون والضباط ، لقد كان السميط - رحمه الله- يبني الإنسان ولا يرعى مطالبه المادية في الطعام والشراب والمأوى فحسب. وكان يقول: يا أهل العمل الإغاثي. . . لا تهتموا فقط برعاية الإنسان بل اهتموا ببنائه.

ومن أقواله المأثورة: « أرجوكم ارعوا الإنسان وابنوه لتعمر الأوطان »، وهذا يعني أنه فهم معنى قول النبي - صلى الله عليه وسلم - « أنا وكافل اليتيم كهاتين» فهما حقيقياً.



من الأنشطة الترفيهية للأيتام

هذي مآثرك الجليلة بيننا
فيها الدليلُ لمن أراد دليلا

فملاجئٌ ومدارسٌ أنشأتها
سلَّمتَ أعراضاً بها وعقولا

كم من يتيمٍ بات يندُبُ حظَّهُ
ألفى بها من والديهِ بديلا

وفتاةِ قوم كاد يَلمَسُ طُهرَها
جوعٌ تمثَّلَ إذ رأتهُ غولا

صانت بها زهرَ العَفافِ وإنه
لأَجلُّ ما تبغي النسا إكليلا

وقد قامت جمعية العون المباشر بتنفيذ العديد من الأنشطة والبرامج التي تسهم في اكتشاف مواهب الأيتام وقدراتهم ومهاراتهم من خلال الأنشطة الترفيهية التي تقام لأيتام الجمعية في مختلف الدول الإفريقية، وذلك لإيجاد جيل يتميز بالعبقرية والإبداع، ويكون سببا في نهضة شعوبهم، والارتقاء بها مادياً ومعنوياً.

يتيم جمعية العون المباشر يصنع طائرة!!

من رحمة الله على المرء أن يواسي يتمه وحرمانه من أب أو أم بأن يقيض له من يحوطه بالرعاية والتربية من جهة، ويرزقه من جهة أخرى موهبة تدفعه للإبداع والابتكار، وذلك كفيل بأن يرفع من شعوره بذاته وإنسانيته.

وتقوم جمعية العون المباشر بدور كبير في تهيئة اليتيم ودعم شعوره بكرامته ويفتح ذلك الطريق أمام بروز أية موهبة أو ميزة عند أحد منهم. وجاء في مجلة «الكوثر» - العدد ٢٥ - نوفمبر ٢٠٠١م، قال د. عبد الرحمن السميط : إن اليتيم ديمبا جارا، عمره أربعة عشر عام، يدرس في مدرسة جرياجاهومبا في بانجوي عاصمة غامبيا، بدأ منذ سن مبكرة (الرابعة) في استحداث وصنع أشياء جديدة.

تحدث ديمبا قائلاً: كنت أعيش ظروفاً سيئة حتى كفلتني جمعية العون المباشر منذ عدة سنوات، ووهبني ربي حب ابتكار وصنع الأشياء. وقبل أربع سنوات استطعت أن أصنع مروحة من بقايا مذياع تالف، استعرت منه الدينمو وأكملت صنع باقي أجزائها حتى صارت تعمل بسرعات مختلفة إما بالبطارية أو بالكهرباء.

وقال اليتيم مواصلاً حديثه: في عام (١٩٩٩م) صنعت سيارة من قطع كرتون وصفيح، ووضعت لها ناقل سرعات يعمل بشكل أوتوماتيكي، وهي من طراز الدفع الخلفي، وأخبرنا مدير الأيتام في مكتب الجمعية أن السيارة كانت تسير بسرعة عشر كيلومترات في الساعة، وبعدها بسنة قام اليتيم ديمبا بصنع طائرة هليوكوبتر من بقايا مروحة ومذياع وسيارة، ويستطيع تشغيلها عن بعد، وتهتز كأنها تستعد للإقلاع، وسماها الخطوط الغامبية الدولية !!!

قال أستاذه الأمين سايانانغ: إن اليتيم ديمبا قد لا يكون متفوقاً في المواد الدراسية، لكنه أكثر من ممتاز في الرسم الهندسي.

ويقول الكثير من زملائه: إنه عبقري ويمكن أن يكون مخترعاً كبيراً في المستقبل.

يذكر مدير الأيتام في مكتب جمعية العون المباشر في غامبيا أن ما ينقص هذا اليتيم هو الدعم ليواصل ابتكاراته وينمي قدراته حتى يصبح عالماً، فهو فقير يعيش على كفالتنا، وأتمنى أن أرى دعماً متواصلاً له حتى يشتري بعض ما يحتاج إليه لتحقيق طموحاته.

حبذا لو استطاع مجتمع المحسنين دعم هذه النماذج من المبدعين وأصحاب المهارات كجزء لا يتجزأ من التنمية البشرية الشاملة التي تعتمدها «جمعية العون المباشر» منهجا في بناء الإنسان، فليس اليتيم كائنا يفتقد للغذاء والكساء والسكنى فقط، بل يحتاج أيضا إلى دعم مواهبه وتنميتها ليكون إنسانا صالحا مفيداً لنفسه ولمجتمعه.



طلاب أيتام غامبيا التابع لجمعية العون المباشر فرحا بمسمى « لجنة مسلمي افريقيا »

من غرس د. عبد الرحمن السميط - رحمه اللّه -

إن وجود الإسلام ودعاته متمثلا في الدكتور عبد الرحمن السميط وجمعية العون المباشر في تلك البقاع كان منارة وغوثا ونجدة لكثير من الناس، حيث النظرة المتكاملة لبناء الإنسان بالتأهيل وإيجاد البدائل الطيبة لكسب الرزق، وإعادته إلى الفطرة السليمة بالدعوة والتعليم ، فينطلق منه النور ليهدي من حوله بالقدوة والخلق الحسن.

جانب من أنشطة فرع الأيتام



يقـول د. عبـد الرحمن السـميط– رحمـه الله – في مجلة «الكوثـر» – العـدد ٧٨ – أبريـل ٢٠٠٦م: مـن أحـلى الأيـام في حياتي تلك الأيام التـي أقضيها في مراكز الأيتام التابعـة لنا، التي لا تخلو في كل ليلة من لياليها من قصص وأحاديث أسمعها عن أيتامنا.

قالـت لي أم إدريس وهي والـدة أحد أيتامنا: إن ابنهـا أصبح أفضل أفراد العائلة، وأنه لا يفوته أداء فـرض في المسـجد القريـب، وخاصـة صلاة الفجـر، وأنه يجتهـد في العبـادة والأخلاق، حتى شـعرنا جميعنا بالحياء منه، كل ذلك بفضل التربية الجيدة التـي تلقاها في مركز الأيتـام، وهـا نحـن نجنـي ثمارهـا عندمـا يزورنـا في العطلـة، لقـد كان يكثر من النصح لنا والإرشـاد طوال فـترة بقائـه معنـا، لـذا فأنـا فخورة بولدي هذا وشاكرة لكـم، وأنـا في انتظـاره كل عطلة.

أمـا اليتيم حسـان علي شـافي البالغ من العمر سـبع سـنوات فقـد عاد مـرة إلى بيت أمه أثناء العطلة، ولكنه لم يلبث معها إلا ليلة واحدة حتى جاءت به في اليوم التالي وقابلت مـشرف الأيتـام لتقول لـه: إن ابني حسـان لم يتركنـي أنام البارحة، إذ اسـتيقظ السـاعة الثانيـة فجراً مطالباً بأن أعيده إلى بيته، أجبته بأن هـذا هو بيتك، لكنه قـال: بيتي هناك في المركز (يقصد دار الأيتام) لذا أتيت به باكراً فأرجو أن تتركوه معكم خلال العطلة.


صالة الطعام في مركز الأيتام

وعندما زار اليتيم تسيهاروفيموليدي والدته في العطلة وهي تسكن في قرية نائية، طلبت منه أن يرعى أبقارها فسمع كلامها على مضض، ولما أحست بتذمره سألته إن كان يريد اللعب؛ فقال: إنه يريد مراجعة دروسه حتى يصبح في المستقبل مثل أستاذه، وتركته يراجع دروسه خلال العطلة حتى يحافظ على مكانته في الدراسة باعتباره الأول على مستوى المدرسة.

ويقول د. السميط- رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٨٢ - أغسطس ٢٠٠٦م: أسعد لحظات حياتي كانت حينما عدت إلى مركزنا الإسلامي: «علي الكرار» في جنوب شرق مدغشقر حيث أسكن بعد غياب دام ثلاثة شهور، لقد كان استقبال الأيتام لي مذهلا، فلم أكن أتصور أنهم يكنون لي كل هذه المحبة، فقد كنت أعتبر نفسي جافا في التعامل مع الآخرين، ولكن الأيتام أزاحوا عن ذهني هذا الظن، وكانوا أكرم مني، فبمجرد أن دخلت المركز تصايحوا ونبه بعضهم البعض الآخر وجاءوا جميعاً يركضون للسلام علي.

مساكين أولئك الذين يظنون السعادة في المال والقصور والملابس ، إنهم لم يجربوا المعيشة وسط هؤلاء الأيتام والصلاة معهم خمس مرات كل يوم أو اللعب معهم كرة القدم في أوقات فراغهم، وبما أنني لا أستطيع الجري والركض مثلهم، لذا ألعب دائماً حارس المرمى لأن لعبه لا يتطلب جهدا كبيراً مقارنة ببقية اللاعبين.

كم يا ترى سيدفع أي إنسان ليسعد مثل سعادتي، بعد كل صلاة المغرب أو الفجر، ومع كل يتيم يقرأ ورده من القرآن، بل مع مائتين من الأيتام الصغار، ومائة من طلبة المعهد الشرعي، كل يقرأ مع مجموعة من أمثاله.. إنها أجمل الألحان وأطيب الأشجان؟!

بكم يشتري أي إنسان سعادتي هذه وأنا أشارك الأيتام - كلهم من آباء وأمهات غير مسلمين -، وهم يحتفلون بأحدهم عمره سبع سنوات بمناسبة حفظه جزء (عم) ليعطوه نفاخة (بالونة) وجزءا من بسكوتة؟!

ما هو الثمن الذي يدفعه أي إنسان ليعيش وينام وسط هذا الجو الرائع، ويستيقظ قبل الفجر ليقيم جزءا من الليل في المسجد، وعندما يصل المسجد يجد مجموعة من صغار الأيتام قد سبقوه رغم أنهم لم يؤمروا بقيام الليل؟!

مرح الأيتام يسعد القلب

لا شك أن أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على قلب أخيك المسلم، وما من سعادة تعدل سعادة القلب حين يرى البسمات والضحكات ودلائل البشر والسرور تملأ وجوه الأيتام والصغار، أو يرى رنات ضحكاتهم البريئة تملأ المكان، فينعكس ذلك السرور مباشرة على مرآة القلب فيمتلئ بنور الفرحة والسعادة. يقول السميط – رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ٣٤ – أغسطس ٢٠٠٢م: العمل في إفريقيا محفوف بالمتاعب والمشاكل، لكن الذي يخفف الإحساس بها، أو العناء منها الجلوس إلى أبنائنا وبناتنا هناك في مدارسهم، أو الاستماع إلى أيتامنا منهم وهم يتلون القرآن الكريم، أو يقرأون الأحاديث النبوية الشريفة بلغة سليمة.

الأيتام في أنشطة ترفيهية قرب البحر

لقد كان منظر أطفالنا من الأيتام وأنا أرنو إليهم وهم يمرحون ويلعبون قرب البحر في توغو باباً من أبواب السعادة ولله الحمد.

أيتام في سبيل الدفاع عن الإسلام

وفي يونيو عام ٢٠٠٤م كانت هناك قصة شاب مسيحي اسمه يازوناس، كان معتزاً بدينه ويكره الإسلام والمسلمين، وقد سافر من العاصمة حيث يقيم في بنين خصيصاً ليلوم أخاه الذي اقتنع بالإسلام ويطعن فيه ويجادل المسلمين بالباطل ويدافع عن النصرانية بشدة، وعندما وصل هذا الشاب إلى الشمال أخذ يهاجم



شخص يعلن إسلامه في أحد المراكز الإسلامية التابعة لجمعية العون المباشر

الإسلام، فاستدعى بعض الشباب المسلمين داعيتنا في المنطقة واسمه ماجد درمان للرد على الشاب النصراني والدفاع عن الإسلام، فتم تنظيم ما يشبه مناظرة دعيت إليها مجموعة كبيرة من بينهم شقيق هذا الشاب النصراني، وجرى فيها حوار في جو من الهدوء والحكمة، وكان من جملة ما تأثر به هذا الشاب قول داعيتنا: إذا استطاع أحد أن يغلب ربك ويصلبه ويقتله، أليس أولى لك وأحرى أن تتخذ ذلك الغالب إلهاً بدلاً من المغلوب المقتول؟!

أليس لك من وسيلة لغفران خطئهم وذنوبهم غير أن تقتل ابنك الوحيد؟!

أخذ الشاب يفكر عدة أيام فيها سمع حتى شرح الله صدره للإسلام، واشترط أن يلقنه الشهادتين الداعية ماجد فأعلن إسلامه أمام الملأ، وكرر الشهادتين بعد صلاة الجمعة في المسجد الجامع أمام حشد كبير من المسلمين.

تبكي لا تريد مفارقة بيت جمعية العون المباشر

كانت الرعاية التي يقدمها عبد الرحمن السميط - رحمه الله- للأيتام تعيد إليهم كرامتهم وإنسانيتهم التي أطاحت بها رياح اليتم العاتية، فكان يشعر اليتيم في دور الرعاية الخاصة بجمعية العون المباشر وكأنه في داره يقيم بين أهله وعشيرته، ولكن أصعب الأوقات عليه هي أن يأتي الوقت ليغادر الدار بعد تأهيله تعليميا واجتماعيا ليعود إلى بيته.

وفي مايو (٢٠٠٤م) يروي الدكتور عبدالرحمن السميط رحمه الله - قصة يتيمة فيقول: خديجة إحدى يتيماتنا اللواتي يعشن في داخلية مركز النور الإسلامي بشمال جمهورية توغو في كفالة جمعية العون، ويتابعن دراستهن في المرحلتين الابتدائية أو المتوسطة.

> وفي هذه اللحظة اسودت الدنيا في عيني اليتيمة، وألم بقلبها حزن عميق، فأجهشت ببكاء شديد، وانهمرت من عينيها دموع ساخنة عند سماعها هذا الخبر المفجع

وعندما اجتازت هذه اليتيمة المرحلة المتوسطة والتحقت بالمرحلة الثانوية، أخبرها مدير المركز أن عليها أن تغادر الداخلية وتعود إلى بيتها مع الإبقاء على استفادتها من بقية خدمات المركز المتعلقة بمواصلة الدراسة الثانوية.



فتيات منذ طفولتهن في مركز أبناء العون المباشر

لقد ظن المدير في البداية أن هذه الحالة كسائر الحالات العابرة التي يتعرض لها الأيتام عادة عندما ينتقلون من مرحلة دراسية إلى أخرى ويفقدون أصدقاءهم القدامى .. لكن حالة اليتيمة خديجة كانت مختلفة هذه المرة.

لقد ظلت حزينة كئيبة منذ أن بلغها خبر ترك الداخلية، لا تكف عن البكاء، ولا يحلو لها طعام أو شراب ولا نوم.

فأدرك المدير أن حالة هذه اليتيمة هي أشد مما كان يظنه سابقاً ، فلما سألها عن سبب حزنها المستمر بهذه الصورة، انفجرت بالبكاء بين يديه ثانية وهي تقول: إن عودتي إلى كنف أمي في البيت لم تعد تنفعني في شيء، ولا المساعدات المالية التي ستظل متدفقة علينا ستغنيني عن حياة النعيم الدنيوي الحقيقي التي وجدتها بين أحضان جنة المركز، فأين سأجد رعايته وعنايته وأنسه الدافئ بين أخواتي اليتيمات وآبائي المشرفين وأمهاتي المشرفات؟

لقد تعلمت فيه القرآن الكريم، وحفظت منه ما تيسر لي حفظه، وتخلقت بأخلاق الإسلام التي رأيتها في سيرة حبيبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وصحابته الكرام - رضوان الله تعالى عنهم - من خلال الدروس التي أتلقاها في كل وقت على أيدي المعلمين الأفاضل والدعاة الصالحين، فكيف لا أحزن ولا أبكي على فقدان حياة السعادة الحقيقية؟!

فلما سمع مدير المركز كلامها، تراجع عن قرار عودتها إلى بيتها، وتركها تتم حياتها كما شاءت في بيت جمعية العون المباشر.

لقد فضلت خديجة أن تحيا في دار أيتام على أن تعيش بين أهلها الأصليين، فقد وجدت فيه كل ما تبتغي، ما بين تربية وعلم، وذكر ودعاء، وأخوة إيمانية، وصداقة ومحبة.

وشهد شاهد من أهلها

اعتاد الدكتور عبد الرحمن السميط رحمه الله- على أن تواجهه العقبات والصعوبات في كل مكان ذهب إليه، وذلك يزيد من لذة العمل الصالح في كثير من الأحيان، رغم المشقة والجهد الزائد الذي تتطلبه مواجهة تلك المعوقات، ومن هذه العقبات الشكاوى الرسمية ومحاولات التعطيل الإدارية لأعمال الجمعية سواء من الدول المضيفة لأعمال الجمعية أو من الحاقدين من أتباع الكنيسة الذين يؤذيهم نجاحات العون المباشر في كل مكان. وتتسلم وزارات الخارجية في بعض الدول التي تعمل فيها جمعية العون أكاذيب عن عمل الجمعية أحياناً مع الأسف يكتبها أو يكتب بعضها المسلمون، ثم ترسل وفداً للتحقيق.

وذات مرة زار الوفد بعض مشاريع جمعية العون المباشر وأحد مراكزها الإسلامية في مدغشقر، فقال أحد أعضاء الوفد: إنني مسيحي عشت حياتي في دار الأيتام تابعة للكنيسة، وكانت تعاملنا معاملة سيئة وتعطينا القليل من الطعام، وأنا مسرور بأن أجد المسلمين قد أقاموا داراً للأيتام حتى يكون هناك خيار أمام اليتيم أو أهله، وما أنجزتموه في سنتين من عملكم لم تنجزه الكنيسة في خمسين سنة.

إن من فضل الله أن أعمال جمعية العون المباشر كالصروح الشاهدة على الجهد والعطاء الذي تقوم به الجمعية مستعينة بالله عز وجل، ثم بتبرعات المحسنين والكرام من جهة أخرى، ولا يفت في عضدها كيد ماكر، أو حقد حاقد.

السميط في أحد زياراته لمركز أيتام



عنزة ولو طارت

يروي د. عبد الرحمن السميط- رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٥ - مارس ٢٠٠٠م طرفة تبين مدى التعنت الناتج عن الجهل، والتي لاقاها والعاملون معه من رجال جمعية العون المباشر: ذهب مسؤول الأيتام في مكتب الجمعية في أوغندا إلى أقصى شمال البلاد لزيارة أيتامنا في محافظة أروى كما يفعل بشكل دوري، وبعد أن هبطت الطائرة في المطار فوجئ بأحد رجال الأمن يلقي القبض عليه ويطلب منه جواز سفره، أعطاه الجواز ولكن رجل الأمن لم يتكرم حتى بإلقاء نظرة عليه، ووضعه في جيبه ثم بدأ في سب الإيرانيين وقال لمندوبنا: إنكم يا معشر الإيرانيين لا تعملون لمصلحة الإسلام بل تستغلونه... الخ.

وحاول مندوبنا أن يقنعه بأنه ليس إيرانياً وأنه عربي، ولكنه رفض ذلك، وأصر على أنه إيراني، وألقى به في السجن، وبعد ثلاثة أيام جاء رجل الأمن وبيده جواز سفر الأخ التونسي، وهو يزبد ويرغي بعد أن اكتشف أنه ليس إيرانياً، ورغم أنه على الأغلب لا يعرف أين تقع تونس، إلا أنه صرخ أنتم التونسيون أسوأ من الإيرانيين!!



من أنشطة الإخوة في مكتب أوغندا

ومرة أخرى حاول مندوبنا أن يوضح أنه مندوب منظمة خيرية إلا أنهم كذبوه حيث قالوا: إن مندوبي المنظمات الخيرية تستقبلهم سيارات كبيرة في المطار وأنت لا أحد يستقبلك، أعطاهم الهوية الرسمية التي تثبت ذلك، إلا أنهم رفضوا حتى مجرد الاطلاع عليها.

بعد خمسة أيام امتلأ السجن بالنزلاء من الأوغنديين ومعهم صحفي من بلجيكا، ومدرس من بلد عربي، وتجار من السودان وكينيا ، ورعاة من زائير فأطلقوا سراح مندوبنا بدون ذكر أي سبب لسجنه.

أيتامنا والتغيير المنشود

أيتامنا هم أملنا بعد توفيق الله عز وجل في تغيير الواقع في إفريقيا لصالح المسلمين، ولقد رأينا بفضل الله عز وجل بشريات الثمار الطيبة للاهتمام بهذه الفئة، بعد أن كبر الأيتام وتقلّد بعضهم مناصب مرموقة في بلادهم والأمل لايزال معقوداً في الله سبحانه ثم في دعمكم لكفالة أكبر عدد ممكن من الأيتام في إفريقيا حتى يكتب الله لكم ثواب المشاركة في هذا البنيان المحمود، وتنالوا بشارة الحبيب محمد - صلى الله عليه وسلم - ومرافقته في جنان الخلد إن شاء الله.

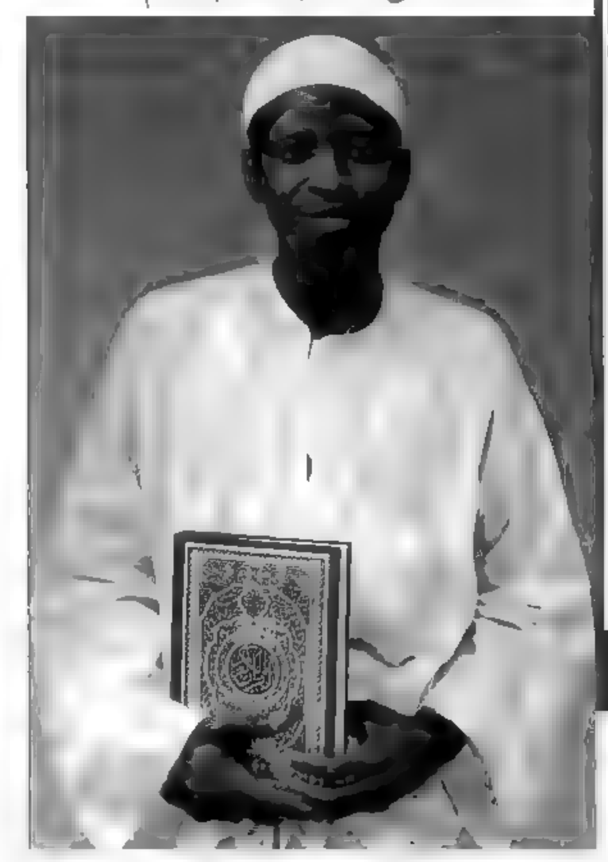


الأيتام ونظرة تفاؤل للمستقبل

هذا أملنا في أيتامنا

مـن نعمة الله عز وجل أن قيض لإفريقيا أمثـال الدكتور عبد الرحمن السـميط وجمعية العون المباشر ليساعدوا في انتشال أبنائها من الفقـر والجهل، ومن المؤسـف أن المسـلمين هنـاك يجهلـون الكثـير مـن أركان الإسـلام وشـعائره، فضلا عن فروعه وآدابه وسـننه، ومـن أهم ثمـرات هـذه النعمة مـا تجده من خريجـي دور الأيتـام والمـدارس الخاصـة بالعـون المبـاشر وهم يعملون عـلى تصحيح المفاهيـم والأفـكار المغلوطـة عن الإسـلام، بعد أن ينالوا قسطا وافرا من التعليم والتفقه السليم بأحكام وشعائر الإسلام.

يقـول د. عبـد الرحمن السـميط- رحمه الله - مجلة «الكوثر» - العدد ٢٢ - أغسطس ٢٠٠١م: كنت في مدغشـقر والتقيت شخصاً مالاغاشياً ذا أصـل عـربي، فقال: إنـه درس القـرآن الكريم في طفولتـه وحفظـه، ولكنـه كان - حسـب قوله - كالببغـاء يردد ما حفظ دون أن يعرف حتى معنى (قـل هو الله أحـد)، وحتى بعـد أن كبر وأصبح رجـل أعمال لم يعرف أن الربا حـرام، وأنه لم يكن متأكداً من أساسيات الإسلام.



من دعاة جمعية العون المباشر

من الجهل والأمية إلى الدكتوراه!

تميز الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- برفعة الهمة وسموها، وعدم الاكتفاء من النجاحات بما يكتفي به الكثير من الناس من ذوي الهمم أيضا، وكثيرا ما تواصل جمعية العون المباشر رسالتها مع الأيتام حتى يصل كثير منهم إلى أعلى المراتب العلمية والاجتماعية، فلا تعجب إن رأيت منهم الوزير والسفير، والطبيب والمهندس والمعلم.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم

يقول الدكتور عبدالرحمن السميط في كتاب « الداعية الصغيرة »: في سبتمبر سنة ٢٠١١م وصلنا مرسابيت في ملاوي بعد حوالي ساعتين، تناولنا وجبة هي بين الغداء والعشاء، وكعادة المناطق الأقل تطوراً فإن اللحم لم يكن ناضجا ولكن لا شكوى بل عليك الصبر.

قال لي هذا الأخ: إنه دخل مسجداً في غرب مدغشقر ورأى أحد أيتامنا يقف بعد الصلاة ويقرأ حديثاً للرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم يترجمه إلى اللغة المحلية، ولما شرح لهم مضمون هذا الحديث الشريف، ضج المسجد بالمصلين الذين اغرورقت أعينهم بالدموع، وتدافعوا يحتضنون اليتيم ويقبلون رأسه ويمسحون عليه، قال لي هذا الأخ: إن مستقبل الإسلام والمسلمين في مدغشقر هو في أيتامكم وطلاب مدارسكم.

إن وجود هذه النماذج من خريجي دور ومدارس العون المباشر هو من أعظم إنجازات السميط على الأرض، فهؤلاء المتعلمون كالنجوم الهادية في الظلمات، ورواد النجاة والرشاد من الضلالة والجهالة، فأنعم بكل من ساهم وشارك في بناء هذه النجوم الزاهرة والقلوب العامرة في ربوع القارة السمراء.



ثانوية الحياة في مالاوي

عرضت على زملائي في الرحلة أن نزور دار الأيتام فوافقوا جزاهم الله كل خير، رغم الجهد الكبير الذي بذلوه هذا اليوم في الرحلة، ولكنهم طلبوا أن يغتسلوا أولا ويبدلوا ثيابهم.

استقبلنا الأيتام بمجموعة من الأناشيد والأهازيج التي يفتخرون بها بانتسابهم للإسلام وتدعو إلى أن يبذلوا المزيد من الجهد في الدعوة لدين الله، ثم استعرض الكشافة من الأيتام أمام الضيوف، ووزع عليهم الضيوف بعض الحلويات ثم زاروا مرافق المركز، وأكثر ما استرعى انتباههم خزانات الماء سواء تحت الأرض أو فوقها التي تجمع مياه الأمطار إن نزل حتى تخفف من مصاريف المركز بدلا من شرائه.

> هذا المركز تم بناؤه بتبرع من أخت فاضلة – جزاها الله كل خير – بعد ما تم شراء الأرض أمام مطار المدينة، وكنا نسمع أن الكنيسة كانت تشتكي بمرارة من قلة الرواد في كل المنطقة بسبب انتشار الإسلام بين الناس وخاصة المسيحيين.

وجدنا جهلاً كبيراً جداً عندهم، وأئمة مساجد لم يكونوا يعرفون أن الزنا حرام، فكانوا يزنون بالنساء داخل المسجد، طبعاً تغيرت الحال الآن، اليوم المسلمون أكثر من ٦٠٪ في ملاوي، أما خريجو الجامعات الإسلامية، فلم يكن لديهم أي خريج مسلم في كل جمهورية ملاوي ، وصرنا نصدر الخريجين للدول الأخرى، وفي سنة واحدة خرجنا من الأيتام الذين نقوم برعايتهم ثلاثين طبيباً، واثني عشر مهندساً، وستة من المحاسبين، وستة معاهد VHD دكتوراه في سنة واحدة .

وممـا يجـب الالتفـات إليـه أن مـا تقـوم بـه جمعية العـون المبـاشر مدعومـة بفضـل ما تسـخو بـه أيادي الكرام والمحسـنين، لا تكون نتيجتـه فقط في من تنفق عليهـم هذه الأمـوال من الأيتام، أو مـن تطبق عليهم البرامـج التربويـة والتأهيلية والدعويـة للعون المباشر بل يمتد أثرها بطريقة المتوالية الهندسـية كما يقول أهل الرياضيـات، حيث يسـهم هؤلاء الأبـرار من خريجي المـدارس ودور الأيتام في تعليـم غيرهم ونشر الدعوة الإسـلامية في ربوع البلاد، مما ينتـج في النهاية ثمرات لا يمكـن تخيل عظمتها واتسـاعها بالنظر على ما ينفق ويبذل.

نماذج مشرقة من نوابغ الأيتام



الشيخ محمد بن حمد الخميس

مـن أجمـل اللحظـات التي تمـر عـلى الإنسـان أن يـرى ثمـرات عمله بشـكل لم يكـن يتوقعـه، فيتذكر حينئـذ حجم الجهد والعمـل الـذي بـذل في سـبيل الوصـول إلى هـذه الثمـرة، ولكـن لحظة بريـق الثمار والنتائج تنسـيه كل مشـقة مـرت في الأيام الخاليـة، فيتحـول التعب إلى لذة نفسـية لا تعدلها لذة.

يقـول الشـيخ محمـد بن حمـد الخميس مدير مكتـب جمعية العون المباشر في الدمام سـابقا في ندوة بعنوان: (السـميط شـمس أضـاءت إفريقيا): على حد علمي أن جمعية العـون المباشر هـي أولى الجمعيات الخيرية التي اهتمت ببرامج رعايـة وتأهيل الأيتام في إفريقيـا كلها وكانت من أسـعد لحظات السميط – رحمه الله – وهو وسط الأيتام.

فها هو سفير كينيا في الكويت كان أحد الأيتام الذين تربوا داخل مراكز رعاية الأيتام التابعة لجمعية العون المباشر.

وفي مقابلة رسمية مع سمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الصباح - حفظه الله ورعاه - وبعد انتهاء مراسم اللقاء الرسمي قال السفير لسمو الأمير: سمو الأمير معلومة قد تخفى عنك وأريد أن أبلغك إياها، أنا أحد أبنائك !

رد عليه سمو الأمير: كيف؟ قال: أنا كنت يتيماً وكفلني الدكتور السميط - رحمه الله -.

ورئيس جامعة زنجبار التابعة للعون المباشر كان أحد الأيتام الذين كفلتهم الجمعية وأرسلته الجمعية لإكمال دراسته في أوروبا.

كم شارك الدكتور عبد الرحمن السميط في مداواة الجراح والآلام ومواساة الأيتام لملايين من البشر في إفريقيا، وهو يعد بحق أب الأيتام في إفريقيا.

ما هو طعم البسكويت؟!!

ما دمت في إفريقيا فلتجهز قلبك لهزات وصدمات كبيرة قد لا تتحملها الأنفس في الأحوال العادية، فمشاهد القحط والجوع والعوز، والتي تتحول في كثير من الأحيان إلى كآبة الموت وكربته، كل ذلك كان يزيد من إصرار الدكتور عبد الرحمن السميط ومن معه من أبطال جمعية العون المباشر على مواصلة الجهود بلا راحة أو ملل في سباق مع الجوع والمرض، ومع الموت أحياناً، وكثيرا ما تفاجأ بأن أكبر أحلام الأطفال والكبار هناك قد لا يتجاوز تكلفة تحقيقه بضعة فلسات!

يقول د. السميط في «رسالة إلى ولدي- رحلة خير في إفريقيا» ص ٥٢: أذكر في زيارة سابقة إلى هذه المدينة أنني ذهبت إلى دار الأيتام التي نديرها فيها حوالي أربعين يتيما من أيتامنا، وكانوا جميعا مصابين بسوء تغذية كما يذكر التقرير الطبي عند دخولهم إلى دار الأيتام، وبدأنا في تغذيتهم بطريقة

صحيحة، ومن بينهم أخوان أحدهما يبلغ من العمر حوالي تسع أو عشرة سنوات، ولم نستطع تدارك تأثير سوء التغذية على مخه فأصيب بتخلف عقلي بصورة دائمة، ورغم محاولاتنا بإعطائه مدرسين خصوصيين واهتمامنا به لم نستطع أن نساعده في عبور امتحانات الصف الأول الابتدائي، بينما كان أخوه الصغير والذي كان مصابا مثله بسوء التغذية ويبلغ من العمر حوالي ست سنوات قد تحسن بشكل كبير ونجح الأول على المدرسة كلها، وكنت أرى بريق الذكاء يلمع في عينيه قضممته إلى صدري وأنا أشعر بالفرح وحملته وتجولت في القرية، وأنا أحمله وأتحدث إليه وقلت له: ما هو حلمك البعيد الذي تتمناه عندما تكون كبيرا والذي ترى صعوبة تحقيقه، هل تريد أن تصبح طبيبا وأن تمتلك سيارة أو أن تصبح طيارا، فرد علي ردا كان كالصفعة التي توقظني من أحلامي.

قال: عندما أكبر أريد أن أذوق طعم البسكويت، ورقرق الدمع في عيني، رغم كل السنوات التي قضيتها في إفريقيا، لا أزال أعيش في عالم آخر.

الحمد لله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، فعلب البسكويت وكعكات كاملة تلقى في المزابل لزيادتها عن الحاجة في كثير من بلاد العرب والمسلمين، وهذا اليتيم المسكين أكبر أحلامه أن يذوق طعم البسكويت، فلا تنسوا أيها الكرام المحسنون إخوانكم في بقاع إفريقيا أن توفروا من ولائمكم قطعة ليذوقها هذا اليتيم، ومثله من ملايين الأيتام لم يذوقوه أيضا!


سيارة محملة ترمي أطنانا من الغذاء


حاوية مليئة بالطعام

وليمة للأيتام على دجاجة عبد الله السميط

من الطرائف التي يرويها الدكتور عبد الرحمن السميط، والتي توحي بفضل الله وبنزول بركته في الأعمال التي يقوم بها من خلال جمعية العون المباشر

يقول عبد الرحمن السميط- رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٥٠ -ديسمبر ٢٠٠٣م: وفي يوم من الأيام اصطحبت معي زوجتي وأطفالي، وكانوا كلما شاهدوا دجاجة مع صغارها ركضوا خلفها، وطلبوا مني البقاء في هذه القرية أو تلك من أجل المشاهدة الممتعة، وأخيراً قررت شراء دجاجة مع فراخها، لتبدأ المهمة الشاقة بالبحث عن مالكها وإرسال الأطفال إليه لمناداته من داخل مزرعته، فلما رأيت أن هؤلاء الناس أضاعوا وقتي وشغلوني عن أداء مهمتي التي جئت من أجلها، عزمت على شراء أي دجاجة بأي ثمن كان، فاشتريت واحدة بثمن غال، وأخذتها إلى منزلي بالمركز الإسلامي ليتولى ولدي الأصغر عبد الله رعايتها طول مدة إقامتنا هناك.

وعندما حان موعد سفرنا المفاجئ تركنا الدجاجة مع صغارها في البيت انشغالاً بهموم السفر، ودون أن نوصي أحداً بتفقد أحوالها.

لكنها استطاعت أن تجد منفذاً في السور، فتسللت عبره إلى الوادي التابع للمركز لتجد فيه من نعم الله ما يكفيها وصغارها مدة غيابي عن هذا المكان، فلما رجعت إلى المركز مرة أخرى، وجدت سرباً من الدجاج بلغ عدده ستاً وتسعين دجاجة صغاراً وكباراً، تكاثرت من تلقاء نفسها دون أن يهتم بتربيتها أحد.



عبدالله السميط مدير جمعية العون المباشر حاملاً ابنه عبد الرحمن

فما كان مني إلا أن قدمت هذا الدجاج وليمة شهية ساخنة إلى أيتام المركز الذين أكلوه بشراهة لا توصف، ولم يكن أغلبهم قد ذاق طعم الدجاج في حياتهم بسبب غلائه في ذلك المكان!

هذه الطرفة تذكرني بلقاء أجراه الدكتور عبد الرحمن السميط مع صحيفة «الوطن» الكويتية حين سئل - رحمه الله - كيف تواجهون التغلغل اليهودي في إفريقيا؟ فأجاب: الوجود اليهودي في إفريقيا على المستوى السياسي فقط، وليس مجالات التنمية والمساعدات، ونحن كمؤسسة كويتية عندنا ثلاث جامعات أنشأناها منذ سنوات طويلة في إفريقيا.

إن المسلم حينما يقدم المساعدة يستحي من أن يراه أحد فيقدم المساعدة متخفيا وحريصا على عدم جرح مشاعر الفقير، حتى عندما نحضر لهم الدقيق والطعام نضعه أمام البيت ثم ندق الباب ونهرب، أما اليهود فعكس ذلك، فقد أقاموا مزرعة فيها مائة دجاجة، وأؤكد مائة دجاجة فقط في سيراليون، وأقاموا لذلك احتفالا حضره رئيسا الجمهورية والوزراء والمسؤولون وكبار رجال الدولة. وقدمت دولة اليهود ألف دولار تبرعا للفريق الوطني لكرة القدم في سيراليون، وفي اليوم التالي نشرت كل الصحف هذا الخبر في صدر صفحاتها الأولى!!

كثيرون لا يعرفون طعم الدجاج واللحوم في إفريقيا

ففاضل بين ما يفعله المسلمون متمثلين في القدوة العصرية الدكتور عبد الرحمن السميط وجمعية العون المباشر من العمل دون مباهاة أو ضجة إعلامية، وبين ما يفعله أعداء الله من المباهاة والرئاء بحثا عن نفوذ دنيوي وتسلط على رقاب الناس، فالحمد لله أن جعل فينا الأسوة الحسنى والقدوة المثلى.

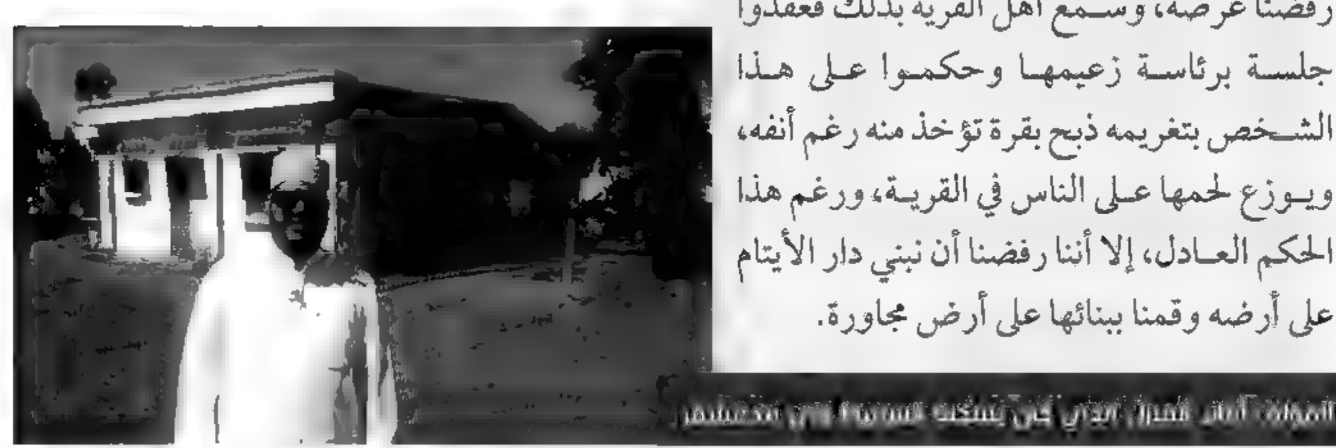
كيف تبنون على أرضي

كان من عادة الدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله – تأليف القلوب وعدم الدخول في صدام مع أحد، ومن الثوابت الإسلامية المهمة التي كانت راسخة عنده هو إعطاء كل ذي حق حقه، والخوف من الوقوع في المظالم، فقد أتى إلى إفريقيا لرفع الظلم الاجتماعي ومد يد العون إلى هؤلاء، فليس من المعقول أن يشارك في شيء من بؤسهم.

يقول د. السميط– رحمه الله – في مجلة «الكوثر» – العدد ١٨ – إبريل ٢٠٠١م: خصصت لنا إحدى القرى، وهي قرية « تسيالازوا « في مدغشقر، قطعة أرض لإقامة دار للأيتام ومدرسة ومسجد، وعندما بدأنا في حفر الأساسات جاءنا أحد القرويين وأخبرنا أن الأرض ملك له، وأنه لن يسمح لنا بالبناء إلا إذا أعطيناه تعويضاً، رفضنا عرضه، وسمع أهل القرية بذلك فعقدوا جلسة برئاسة زعيمها وحكموا على هذا الشخص بتغريمه ذبح بقرة تؤخذ منه رغم أنفه، ويوزع لحمها على الناس في القرية، ورغم هذا الحكم العادل، إلا أننا رفضنا أن نبني دار الأيتام على أرضه وقمنا ببنائها على أرض مجاورة.

وبعد مدة جاء قسيس مسيحي وأعطى صاحب الأرض مبلغاً من المال، وعندما شرع في بناء كنيسة بجوار مركزنا، ثار الأهالي لأنه بنى بدون إذن من الزعيم، وأجبروه على وقف البناء بعد أن أكمل نصفها تقريباً، ثم طردوه من القرية.

بعض الناس للأسف تشغله المصالح الشخصية الضيقة عن المصالح الأعم والأشمل للمجتمع من حوله، وأحيانا يعمل كعقبة في طريق إصلاح وتحسين أحوال المجتمع إذا كانت تتعارض مع مصالحه الذاتية.



المؤلف أمام مدرسة ابتدائية في تسيالازوا في مدغشقر

قسيس كاثوليكي يخشى أن يتنصر عبد الكريم!

رغم ما يعترض أعمال الجمعية من معوقات وصعوبات منها التنافس غير الشريف أحيانا من الكنائس الغربية، وتأليبهم السلطات وإثاراتهم لمنع أو تعطيل أعمال جمعية العون المباشر في مختلف بقاع إفريقيا إلا أنه لا يخلو الأمر من مواقف طيبة لها دلالات إيجابية كثيرة تدل على عدم التعصب عند كثير من المسيحيين الأفارقة، واعترافهم الداخلي الخفي والصريح أحيانا على صدق دعوة الإسلام وعظمتها وأنه الدين الحق، أو على أقل الأحوال هو دين صالح لا يقل في نظرهم عن المسيحية. يقول السميط- رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ١ - نوفمبر ١٩٩٩م: بينما نحن منهمكون في العمل اليومي في مكتب الجمعية في أوغندا فوجئنا بدخول قس كاثوليكي عليه ملابس الكهنوت ويعلق صليباً ذهبياً كبيراً على صدره ويمسك بيد طفل صغير يلبس الطاقية وهي شعار المسلمين في شرق إفريقيا.

رحبنا بالقسيس وسألناه عن غرضه من الزيارة فقال: إنه مسيحي تخرج من كلية اللاهوت ويخدم في الكنيسة الكاثوليكية منذ سنوات بعد أن تم تعيينه قسيساً لإحدى الكنائس الكاثوليكية في أوغندا.

وقال: إنه صديق لوالد هذا الطفل وأن أباه قد توفي منذ مدة وقبل وفاته أوصاه بابنه خيراً وطلب منه أن يحافظ على إسلام الصبي لأن الأب لا يعرف أحداً في المنطقة يمكنه القيام بذلك، وأن الأب يعتقد أن الإسلام وحده سيحفظ الطفل من الانحراف وحافظ القسيس على وصيه الأب، ولكنه اكتشف مؤخراً - أي القسيس - أنه مصاب بنقص في الوزن وحرارة مستمرة وكثرة الأمراض، وعندما ذهب للمستشفى اكتشف أنه مصاب بمرض الإيدز، وأن الكنيسة سوف ترسله إلى الخارج للعلاج ويتوقع أن يموت قريباً.



أضـاف القسـيس أن الطفل ابـن أختـه وهـي نصرانيـة مثلـه ويخشى أن يتركـه عندما فيتنصر بعد أن يتأثر بها..!

وخرج القسـيس من مكتبنا تـاركاً اليتيـم عبـد الكريم كبيرو الذي ألحقنـاه بدار الأيتام التابعة لنا والتي زاد عـدد أيتامنا ٣٠٪ عـا يجب أن تستوعب حتى أصبـح في بعـض الأحيـان ينـام اليتيـمان في سرير واحد بسـبب زيـادة عـدد حـالات الأيتام غير المكفولين مـن أمثال عبد الكريم الذيـن لا نستطيع ردهـم حيث يوجد مائة وثلاثون يتيماً وطفلاً غير مكفولين في دار الأيتام تم قبولهم لأسباب إنسانية.

وهذه النظرة الإيجابية عن الإسـلام والمسلمين وأنهم أناس كرام صالحـون لم يـأت من فـراغ، بل نتج عـن خلق عظيم زرعه الإسـلام في نفوس المسـلمين فظهر على أفعالهـم وأقوالهم ومعاملاتهم اليومية، وهو أكبر الأسباب الداعية إلى اعتناق الإسلام، والثقة في المسلمين.

ومحمد نوح يحكي قصته أيضاً


توزيع مستلزمات الايتام
مركز الزامل - أوغندا

محمد نـوح طفـل عمـره ثماني سـنوات وجدتـه الشرطة يهيم على وجهه في مدينة كاكيري في أوغندا، فأخـذوه إلى مديريـة الحكم المحلي ورفض محمـد، اصطحبتـه إحدى السكرتيرات المسـيحيات معها إلى منزلهـا وبـدأت في تربيتـه لظروف إنسـانية ثـم اكتشـفت أنه مسـلم، وذكـر أن أهلـه يعيشـون علـى بعد مائتـي كيلو متر، بعـد ذلك جاء به مدير الحكم المحلي -وهو مسـلم- يناشـدنا أخذه، وقال: إنه أعلن في الإذاعـة مرتين لأهله ليأخـذوه ولم يأت منهم أحد، وبعد أن وصـل الطفـل عندنـا انطلق ولأول مـرة يتحدث بعد أكثر من سنة من الصمت.

توفي أبـوه وهو صغير ثم ماتت أمه بعد ذلك، فأخذه خاله وكان رجلاً فاجراً قاسياً وظالماً فهرب من هذا الظلم وبدأ يهيم على وجهه وقال وهو يبكي: أرجوكم أدخلوني في هـذا المركز الإسـلامي لا أريد أن أعـود إلى بيت خالي، لأنه يضربني بدون سبب.

إن وجـود محمـد نـوح في إطـار رعاية ما مـن المركز الإسـلامي يعـد أمر حسـنا يخفف آلامه ويهـدئ روعه، ويعوضه شـيئا من آلام غربة اليتيم التي عاشـها في كنف أقاربه قسـاة القلـوب، ولكنـه يحتـاج إلى أن يكفـل كفالـة مباشرة من أحد المحسـنين لكـي يكتمل عقد الرعايـة المتكاملـة التـي تقدمها مراكـز العون المباشر لأبنائها الأيتام.

أيتام مسلمون في مهب الريح

ليس هناك من أحد أقرب إلى خطر التنصر من هؤلاء الأيتام الضعاف الذين لا حول لهم ولا قوة، فإذا كان الفقراء والمرضى من الأفارقة يتنصرون لأنهم كثيرا ما لا يجدون أحدا يبسط لهم يد العون والرحمة إلا يد الكنيسة ولو بشربة ماء، وكثيرا ما تفرض الكنيسة شروطا وضغوطا معنوية لا يتحمله هؤلاء الضعاف فتراهم في حضن النصرانية بين ليلة وضحاها، وإن الأيتام هم الحلقة الأضعف في تلك الدائرة الخبيثة. ويذكر د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ١٧ - مارس ٢٠٠١م: مصطفى وعبد العزيز ومولدي حسين عبد الله ثلاثة أطفال تتراوح أعمارهم بين ٢-٦ سنوات من قبائل الصومال في أثيوبيا، هاجر أبوهم إلى الصومال بسبب الحرب الأهلية، وبعد أن استقرت الأمور عاد إليهم وسكن في مخيم اللاجئين العائدين، ثم ما لبث أن توفي بعد حين.

لم يكن موجودا من المنظمات الإغاثية في هذا المخيم إلا منظمة كاثوليكية تقدم المساعدات لهم، وكانت الأم قد شعرت بقرب أجلها، فأوصت بأن يسلم الأطفال إلى الكنيسة الكاثوليكية لأنها التي أعانتهم وساعدتهم، ثم ما لبثت أن ماتت هي الأخرى بعد أيام، انتشر الخبر بين اللاجئين، وجميعهم مسلمون وثاروا ضد هذه الوصية، وطالبوا باستعادة الأيتام ولما أعادت الكنيسة الأطفال الثلاثة إليهم لم يعرفوا ماذا يفعلون بهم، فالجميع فقراء وليس لديهم ما يطعمون به أطفالهم، فكيف بهؤلاء الأيتام؟




جامعة سيماد بالصومال

وكانت امرأة حبشية نصرانية قد جاءت بهم من حرشن إلى مدينة جيكجيكا، مما أدى بالشرطة إلى اقتحام بيتها بعد شكاوى المسلمين وقد وجدوا الأطفال الثلاثة في حالة سيئة، فأصغرهم وعمره أقل من سنة كان مصاباً بإسهال حاد، بعد ذلك جرى توزيعهم على ثلاثة بيوت فقيرة استنجدت بدورها ببعض المنظمات الإسلامية، وفي النهاية طرقوا بابنا طالبين المساعدة.

كفلنا الأيتام الثلاثة وألحقنا كبيرهم بالمدرسة، أما الصغيران الآخران فتم إرسالهما إلى أحد الكتاتيب القرآنية.

جزى الله أولئك الإخوة والأخوات الذين سارعوا إلى تقديم يد المساعدة كل خير، فلولا دعمهم بعد الله سبحانه وتعالى لكان هؤلاء الثلاثة في مهب الريح.

ومن الجميل في هذه القصة أن ترى حرص المسلمين في إفريقيا على الحفاظ على هويتهم الإسلامية رغم ضعفهم وفقرهم وعوزهم، بل وسعيهم إلى إنقاذ هؤلاء الأطفال الثلاثة من براثن الكنيسة بعد أن كادت أن تختطفهم وتغير فطرتهم الأولى.

وعلى المسلمين في بقاع الأرض أن يلقوا نظرة رعاية واهتمام إلى هؤلاء الضعاف لعله أن يكون في ذلك نجاة لهم.

من مآسي الأيتام

تتعدد صور معاناة أيتام إفريقيا المسلمين، حيث إن نسبة اليتم الناتجة عن الأوبئة والأمراض العاتية وانتشار الجفاف والمجاعات، فضلا عن الصراعات المسلحة والحروب الأهلية، تزيد من احتمالات تعرض من الآباء إلى الموت، تاركين وراءهم الملايين من الأيتام عرضة لأن تتقاذفهم أنواء الحياة حتى لا يجدون لهم مأوى إلا الكنيسة، مع فقر المسلمين وشدة حاجتهم وعدم قدرتهم على التكفل بأنفسهم وأولادهم، فضلا عن قدرتهم على كفالة الأيتام من غيرهم من المسلمين. يقول السميط: عبد الرحمن: كيلوندا أدمون مهتد من الكونغو، وكان قد اعتنق الإسلام فطرده أهله بسبب إسلامه، فهاجر إلى جمهورية إفريقيا الوسطى، وتزوج بامرأة، كانت هي الأخرى حديثة عهد بالإسلام، لكنها تنحدر من أسرة نصرانية متعصبة، وأنجب منها ثلاثة أولاد وبنتاً واحدة، وعاشوا جميعاً حياة طيبة في ظل دينهم الجديد، رغم أنهم كانوا منبوذين من الأقارب والأصدقاء، وفي ضيق معيشة لدخل الأب المتواضع من حرفة التجارة.

وتشاء إرادة الله أن يصاب الأب عبد الرحمن بمرض ليهيم على وجهه دون أن يعرف أحد مكانه ومصيره.

فتزوجت أرملته من مسلم آخر، فهاجر بها وأولادها إلى تشاد، وألحقهم بالمدارس استجابة لمطلب والدتهم لتعليمهم اللغة العربية والتربية الإسلامية، ثم ما لبث أن توفي هو الآخر في حادث أمني، وتصاب زوجته بالتهاب رئوي حاد أودى بحياتها بعد فترة وجيزة من وفاة زوجها، ليلقى أيتامها الأربعة في الشارع دون عائل أو رحيم يرحمهم.

التقط الصليب الأحمر هؤلاء الأطفال الأيتام، وحاول أحد المسؤولين فيه أن يسلمهم إلى أخوالهم النصارى المتعصبين، ولكن هؤلاء رفضوا استقبالهم واقترحوا عليه أن يسلمهم إلى قسيس الكنيسة، ثم التفت إلى المسلمين يبحث عمن يؤويهم لفترة مؤقتة، غير أن هؤلاء اعتذروا بفقرهم وعدم قدرتهم على الإنفاق عليهم.

وكان هذا المسؤول في الصليب الأحمر يعلم أن تسليمهم إلى القسيس سوف يؤثر في عقيدتهم وينشؤون نصارى مع أنه كان نصرانياً.



أيتام في أحد مراكز جمعية العون في تشاد

اتصل هذا المسؤول بأحد أصدقائه اسمه جبريل كان هو الآخر نصرانياً ثم أسلم بعد قصة مريرة مع أهله وأقاربه، إذ كانت أمه نصرانية متعصبة، تزوجت من رجل فرنسي، ولكنه طلقها وأخذ معه بناته اللواتي أنجبهن منها عندما سافر إلى فرنسا، فتزوجت من رجل مسلم، فطلقها هو الآخر بعدما أنجبت منه ولداً تنصر بعد غياب والده، ثم تزوجت من رجل آخر وأنجبت منه ولداً اسمه (جان بيير) ترعرع في أحضان الكنيسة، إلى أن منّ الله عليه بنعمة الإسلام، فسمى نفسه جبريل المذكور الذي يعيش في جمهورية إفريقيا الوسطى مع زوجته المسلمة الفرنسية الأصل التي تعمل موظفة في هيئة الأمم المتحدة، وهي التي تبنت البنت اليتيمة، رغم أن مهمتها في هذا البلد قد أوشكت على الانتهاء وستعود هي وزوجها بعدها إلى إحدى الدول الأوروبية.

أما الأيتام الثلاثة، فقد جاء بهم جبريل إلى مكتبنا هناك يطلب كفالتهم مع أختهم، وأخبرنا بأن عشرات المراكز التابعة للكنيسة مستعدة لإيوائهم وكفالتهم، ولكنه يخشى على عقيدتهم، وأنهم كانوا قد قضوا ثلاثة أشهر في الشوارع، ينامون بجوار الجدران مفترشين التراب، ويلتقطون طعامهم من قمامة البيوت القليلة الهزيلة مزاحمين بذلك الذباب والقطط والكلاب.

إن هذا المشهد الأليم لهؤلاء الأطفال الأيتام ليس إلا واحداً من الكثير من المشاهد المماثلة التي نراها بأعيننا في إفريقيا، والتي تتفاوت في درجة المعاناة والآثار النفسية والاجتماعية الخطيرة الناجمة عنها.

وهؤلاء بأمس الحاجة إلى الكفالة وفي المقابل نريد بهذه المناسبة أن نؤكد حقيقة وهي أن الكفالة التي نتلقاها صغيرة كانت أم كبيرة تقلل من تفاقم مثل هذه الحالات المأساوية، وتثير الإحساس برحمة الإسلام في قلوب المسلمين وغير المسلمين.

حياة بين صورتين

عندما تضطلع بالقيام بعمل خيري أو إنساني تتلاقى فيه مع آلاف بل لا نبالغ إن قلنا ملايين البشر، تمر عليك الوجوه متشابهة متقاربة الملامح، لا يجمعها إلا صورة شاحبة وأجساد ناحلة من الجوع والمرض، إلا أنه تمكث في الذاكرة بعض من صور هذه الوجوه، وتأتي اللحظة التي تسترجع فيها ذكرياتك عنها، خاصة إن رأيت تبدل حالها من الضر إلى الخير، فتحمد الله أنك كنت يدا في نشر ظلال الرحمة والعطاء لهذه الأنفس. يقول د. السميط- رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٦٢ - ديسمبر ٢٠٠٤م: ما زلت أذكر اليتيمة حواء عبد الله التي جاءتنا وعمرها ست سنوات مع من جاء إلينا في مدينة وجير شمال كينيا عام (١٩٩٢م) هرباً من المجاعة التي انتشرت في المنطقة بسبب الجفاف.

فلقد فقدت عائلتها كل ما تملك من أغنام وأبقار بسبب الجفاف الذي طال البشر.

ما زلت أذكرها من بين عشرات الآلاف الذين وردوا مراكز الإغاثة التي أقمناها هناك لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من أرواح حيث ضممناها إلى المستفيدين من مراكز الإغاثة بسبب ما ظهر عليها من آثار المجاعة لتتعلم وتحفظ الكثير من قصار القرآن الكريم إضافةً إلى تزويدها بالطعام.

أخيراً علمت من مكتبنا في شمال كينيا (وجير) أنها قد تزوجت وأرسلت صورتها في يوم زفافها هدية لي وهي تناديني والدي د. عبد الرحمن وبدوري دعوت لها قائلاً: وفقك الله يا حواء، وبارك الله لك في حياتك الجديدة، وجمع بينك وبين زوجك على الخير والسعادة.



المؤلف في أحد مراكز العون المباشر في كينيا

اللهم أدخل البشر والسرور على قلب وروح كل المحسنين الذين شاركوا في تربية حواء ورعايتها حتى تم زفافها عروسا، وندعو الله أن يريهم في أبنائهم وأحبابهم قرة عين وسرورا أبديا.

اليتيم الذي أصبح مزارعاً

يقول د. السميط- رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٨٨ - فبراير ٢٠٠٧م، تربى اليتيم يوسف وارابودوبا في مركز غربتلا الإسلامي التابع لجمعية العون المباشر حيث تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة الدعوة الإسلامية، ثم التحق بثانوية غربتلا، وبعد تخرجه منها شارك في دورة تدريبية لاستخدام الكمبيوتر بمركز ثيكا، ثم عاد بعدها إلى قريته (ريسو) التي تبعد بحوالي ستين كيلومتراً ليقيم فيها مشروعاً زراعياً ناجحاً، ويرزق منه رزقاً حسناً. فتزوج وأنجب طفلين، وهو اليوم يعيش عيشة كريمة بفضل الله ثم بتبرع كافله الكريم ومساعدة جمعية العون المباشر.

وعندما قام وفد من مكتب الجمعية في غربتلا بجولة في قرية (ريسو) لتفقد أحوال الأيتام فيها وترشيح أشدهم حاجة للكفالة، استقبله يوسف وارابو في مزرعته واستضاف أعضاؤه، وقدم لهم بعض منتجاتها من قصب السكر والموز والباباي وغيرها، وقال لهم: إنه كان يتمنى أن يزوره كافله الكريم الذي كان سبباً في عيشه الكريم في مزرعته ليرى بعينه ثمرة إحسانه، ويأكل من غلال مزرعته التي غرسها بماله، ودعا له بالثواب الجزيل من الله الكريم في الدنيا والآخرة.



قرية العراة في كينيا

ذكر الأستاذ وليد الأحمد في زاويته في جريدة الأنباء الأربعاء ١٧ يناير ٢٠٠١ - العدد ٨٨٦٣، قال: أثناء توجهنا لمدينة مارسبيت لزيارة مركز الهداية الإسلامي التابع لجمعية العون المباشر ولمدة خمسة ايام، وقد كان معنا خلال السفرة البرية مسؤول مكتب كينيا الزميل أيمن بركات ومسؤول قسم الدعوة والثقافة الزميل إسماعيل حسن حسين، وخلال تلك المرحلة الشاقة طفنا بمنطقة نانيوكي التي يقع بها خط الاستواء وهي على ارتفاع (٦٣٨٩) قدماً أي ما يعادل (١٩٤٧م) متراً، حيث شاهدنا كيف يدور العود إذا ما وضع في إناء به ماء عكس عقارب الساعة إذا كنا في جهة الجنوب فيما إذا وقفنا تماماً على خط الاستواء لا يدور بل يتوقف، وذلك بسبب اختلاف المجال المغناطيسي للأرض.

وأثناء متابعتنا لخط سيرنا طفنا بقرية اسيولو التي تقطنها قبيلة البوران وهي قبيلة دخلت الإسلام قبل مائة عام تقريباً ولا يزال بعض أفرادها يدينون بالوثنية، ثم وصلنا إلى قرية ارشاس بوست، وشاهدنا أفراداً من قبيلة سمبورو التي تعشق اللون الأحمر، وتشرب دم البقر كوجبة أساسية، وكانوا أمامنا أنصاف عراة ولولا الحضارة لربما شاهدناهم كما خلقتني ربي، كما أن هذه القبيلة كثيراً ما عاشت وتعيش على سرقة الأبقار من القبائل الأخرى، وليس ببعيد أن تتغذى على وجبة دسمة لطفل صغير إذا ما دعت الظروف المعيشية لذلك، وقد قامت الجمعية في وسط هذه القبيلة مركزاً أطلقت عليه اسم مركز المهاجرين في سمبورو لاستيعاب الأيتام ونشر الدعوة الإسلامية بينها، وقد نجحت في إدخال المئات من أفرادها لاعتناق الإسلام ونبذ العادات والتقاليد البالية ومعتقدات الجاهلية والظلال.



صورة لزعماء قبيلة البوران

هدية أحلى من العسل

ويقول الكاتب وليد الأحمد أيضا كما في جريدة الأنباء عدد (الخميس ١٨ يوليو ٢٠١٣ - صفحة الإيمان ص ٣٠): اعتدت في كثير من جولاتي الخيرية مع لجان الخير المختلفة أن نقوم نحن بتقديم المساعدات لدى الأيتام والفقراء، إلا أنه في العام (٢٠٠١م) في جمهورية إفريقيا الوسطى وأثناء سفري مع د. عبد الرحمن السميط أمين عام جمعية العون المباشر السابق بعد أن شاهد الأهالي ما قدمناه لهم من مساعدات إنسانية وتعليمية قَدَّم إلينا جمع من قبائل قرية الأقزام، وهي تسمية جاءت بسبب قصر قامتهم، هدية فريدة من نوعها كانت عبارة عن عسل طبيعي صعدوا الجبال من أجلنا وأحضروا من مناحل الطبيعة أحلى عسل جبلي، ثم لفوه بأوراق الشجر الخضراء وأحكموا عليه القبضة بسعف نخيلهم ليصبح كالإناء الطبيعي الحاضن للعسل، فكانت فرحة لهم كونها الهدية الوحيدة التي يمكنهم تقديمها لنا لشكرنا وتقدير دورنا تجاههم وفرحة لنا أيضا لعشقنا للعسل الإفريقي، إلا أننا لم نتذوقه مع الأسف كوننا نسيناه هناك في إفريقيا الوسطى!

إن الهدية الحقيقية التي هي أحلى من العسل الإفريقي، قد تلقيناها بالفعل من هؤلاء الإخوة في إفريقيا، ألا هي أضواء البشر والسرور التي رأيناها على وجوههم وعلى ألسنتهم الطيبة، ونحن ننقل هذه السعادة والفرحة إلى كل من وضع يدا بيد مع جمعية العون المباشر لرعاية هؤلاء الأيتام والفقراء والضعفاء، نسأل الله أن يذيق قلوبهم السرور الدائم في الدنيا والنعيم المقيم في جنته إن شاء الله.

وليد الأحمد مع السميط والعسل الذي نسوه هناك

السميط يحمل هم الأطفال حديثي الولادة

عاش د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – يحمل هم كل فرد في إفريقيا، ويواسيه بما يستطيع، وكان من أهم من حمل مشروعا إغاثيا لإنقاذهم الأطفال حديثو الولادة.

يقول – رحمه الله – في كتاب الداعية الصغير « شهر سبتمبر عام (٢٠١١م): في قرية كرغي، قمنا بتزويد كل النساء المرضعات والحوامل بوجبة مطبوخة يوميا، قللت كثيرا من أعداد الوفيات بينهم.

وزعنا الطعام الذي أرسلناه بالشاحنة بالتعاون مع وجهاء القرية، وتحدثنا مع المسلمين في المسجد ثم مع غير المسلمين، ثم طلبنا سجلات الأطفال الذين نعطيهم وجبة واحدة يوميا، اكتشفنا أن معدل أوزانهم في الأسبوع الأول لإقامة مركز التغذية كان ٧٠٪ من الوزن الطبيعي، في الأسبوع الثاني إلى ٨٠٪ ثم ٩٠٪ ثم ١٠٠٪، لم نرضَ أن نتركهم لأن الجفاف مستمر وسيعودون إلى المجاعة مرة أخرى إن تركناهم إلى سوء التغذية.

كنا ننقل الماء إليهم في شاحنات تحمل ٢٠٠٠ جالون من الماء، مرة كل ٥ أيام ونخصص لكل فرد لترا من الماء يوميا، ونحن نعلم أن هذا لا يكفي على الإطلاق، ولكن هذا جهد المقل، لأن نقل هذه الكمية من الماء كل ٥ أيام تكلفنا ١٢٠ دينارا كويتيا، أو أكثر من ١٥٠٠ ريال سعودي.

إن هدفنا من تزويدهم بهذه الكمية هو لتقليل الموت عطشا بينهم، ولكن لا نستطيع تلبية احتياجاتهم.

وحيث إن الأرض بركانية، لذا لا توجد مياه جوفية في الأعماق، كما لا يوجد مصدر للمياه نهرا أو بحيرة يمكن أن نسحب منها المياه.



تدربت أمهات الأيتام والنساء الفقيرات على الصناعات اليدوية في دورات تخرج منها الآلاف وأصبحن منتجات يعتمدن على أنفسهن

الباب الرابع

السميط وبناء الإنسان

الإنسان هو محور الحياة، وواسطة العقد في صنعة الإله، فهو المخاطب من الله بالتكليف والعبادة، والمكرم من قبل الرحمن بالتشريف والسيادة، وهو المستحق للريادة في الأرض والقيادة، ومن أجل ذلك فقد نفخ الله فيه من روحه وسره، ووهبه عقلا يميز به بين إثمه وبره، وخيره وشره، وائتمنه على إدارة الأرض بالحق والعدل، والإيمان والإحسان. بل وزاده فضلا بأن خصه بالعقل وحسن الفهم، وخص لسانه بالكلام والمنطق، وكرم جسده وستره بزينة الحلي والملابس، ونوع له المطاعم والمشارب، وسلطه على سائر خلقه، وسخرهم لخدمته وطاعته.

يقول- تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠] - وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٤]، وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]

فإن سما ابن آدم بقلبه، وعرج به إلى طاعة سيده وربه، رفعه الله بذلك فوق كل المخلوقات، وجميع الموجودات، فلا يدانيه في ذلك الفضل مخلوق أينما كان، ولا ملك مقرب ولا جان.

وإن ثقلت به طينته وتمرغ في آثامه وشهواته، وخضع لنزواته وغمراته، فقد سفلت به نفسه الخبيثة إلى أسفل من منازل الوحش والحيوان.

ولما كان الإنسان هو مركز العمارة والفن والحضارة، وهو المنوط به العبادة والديانة، وتأدية ما كلفه الله به من الأمانة، كان لزاما على كل عاقل فضلا عن كل حكيم ومسئول وعالم أن يهتموا ببناء هذا الإنسان وفقا لمنهج الله عز وجل، وإقامته على الصراط المستقيم والسبيل القويم.

ولا يتم ذلك إلا بحفظ كرامته وإشعاره بقيمته عند ربه وولي نعمته، وأنه خليفة من الله العظيم لتعمير أرضه وفقا لمنهج الله وسنته.

فلا يمكن للبشرية صناعة حضارة قويمة حتى يتم إصلاح حال الإنسان روحيا ودينيا، وعقليا علميا، وماديا.

لقد أدرك الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - ومن معه من رجال جمعية العون المباشر أن إعادة صناعة حياة الإنسان في قارة إفريقيا لا يختلف عن بقية سنن الله في صنع الحضارة الإنسانية التي تتكامل فيها جميع الجوانب المادية والعقلية والنفسية والروحية، فلا ينبغي إهمال جانب أو تغليبه على حساب آخر، فلم يكتف بمد يد العون والغوث، بل عمل على بناء حياة إنسانية متكاملة في تلك البقاع التي حل بها هو ورجال الخير من جمعية العون المباشر.

لم يغب عن عقل الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - أن مرتكزات بناء الإنسان تقوم على أعمدة أساسية أهمها التعليم والتوعية والتنمية البشرية المستدامة.

ونحن إذ نعرض بعضا من السيرة العطرة للدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- وهو العَلَم النادر من أعلام الدعوة والعمل الخيري الإسلامي، نورد إليكم بعض جهوده مزينا بأعمال جمعية العون المباشر في مجال التعليم والتنمية والتدريب والمشروعات الصغيرة، والتي كان لها أبلغ الأثر في إعادة صياغة الحياة الكريمة لمئات الآلاف من إخواننا في القارة السمراء.

وصدق أحمد شوقي إذ يقول:

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم	**لم يبن ملك على جهل وإقلال**
كفاني ثراءً أنني غيرُ جاهل	**وأكثرُ أربابِ الغنى اليومَ جُهال**

العلم هو مناط تشريف الإنسـان على سـائر خلق الله، ولفضله أسجد الله لآدم الملائكة، بما اختصه به من علم أسماء كل شيء دونهم.

وبالعلـم تحيـا الأمم وتنمو وترتقي وتزدهر وتتحضر وتحارب الجهـل والفقر والمرض، وتتحول من أمة عالـة عـلى الآخرين إلى أمة معطاءة يدها العليا ليسـت بحاجة إلى أحد والآخرون بحاجـة إليها، عزيزة قوية منيعة، مهابة الجانب مصونة العرض تنال الاحترام ويقتدي بها الآخرون.

ولذلـك عُنيـت جمعية العون المباشر بالجانـب العلمي والتعليمي لأنَّه بمنزلة الروح من جسـد الأمة فلا حياة بدون العلم.

ثم إن الناصح لأمته ليس هو الذي يقدم المسـاعدة للمحتاجين فقط، بل الذي يعمل ويفكر كيف يحول هذا المحتاج إلى إنسان مساهم في مساعدة الآخرين المحتاجين ولا يكون ذلك إلا بالعلم أولاً وآخراً.

اهتمام السميط بالتعليم

كان الدكتور عبد الرحمن السميط يعلم أن التعليم هو الاستثمار الأهم في بناء الإنسان في إفريقيا، ووضعه على الطريق القويم، فقد اكتشف منذ وطئت قدماه أرض القارة السمراء أن الجهل هو أكبر عدو للإنسان هناك، وهو السبب الرئيس فيما أصاب تلك البلاد من مرض وتخلف وفقر وعوز.

فبالجهل عبد الناس غير خالقهم، وانتشرت الخرافات والبدع بين المسلمين، فضلا عن غير المسلمين، وبالجهل استعبدهم المستعمرون والغاصبون من شتى بقاع الأرض، وبالجهل انتشرت الأوبئة والأمراض المهلكة، وغفل الناس عن استثمار مواردهم، واستغلال كوامن الثروة والقوة التي حباهم الله بها.

وبالجهل تنازع الإخوة على كل مناحي الحياة حتى كاد أن يفني بعضهم بعضا، ولو كان بينهم بقية من علم ومعرفة لعلموا أن أرضهم البكر تستوعب بما فيها من خيرات كل إنسان على أرضها لو أحسن استغلال هذه الموارد بالعلم والمعرفة والتكنولوجيا الحديثة.

ولذلك كان من أهم أقوال السميط - رحمه الله - على سريره قبل وفاته: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما استثمرت في إفريقيا إلا في التعليم.

لقد أدرك -رحمه الله- أن حاجة إفريقيا إلى العلم والتعليم أكثر من حاجتها إلى الطعام والشراب.

دور التنصير والاستعمار في انتشار الجهل

كان للتنصير دور مدمر للتعليم بين المسلمين في إفريقيا، فرغم أن عدد المسلمين في إفريقيا يتخطى نسبة ٥٠٪ إلا أن الكثير من المسلمين في بقاع القارة السمراء يعيشون تحت وطأة الفقر والجهل والتخلف والحرمان من العلم.

وعندما دخل التنصير تحت عباءة الاحتلال والاستعمار الغربي وحركات الاستكشاف، كان يدعو الناس إلى النصرانية، فمن استجاب لهم أغدقت عليه الأموال والمنح والمكافآت وفرص التعلم حتى يصير متفوقا علميا، يتمتع بكل عناية ومساعدة، وتشرف عليه الكنائس عموما.

أما إذا رفض أحدهم التنصر واستعصم بدينه حرم من هذه الامتيازات كلها، واستمر المسلمون على جهلهم واقتصر التعليم بينهم على بعض العلوم الشرعية وتحفيظ القرآن في المحاضن أو الدارات والكتاتيب المنتشرة في القرى، وذلك النوع من التعليم ليس كافيا ولا يؤهل أحدا، بل يقتصر فيها على تعليم القراءة والكتابة، وقراءة القرآن وبعض العلوم الشرعية البسيطة، ولذلك لم يكن المسلم على هذه الحال من التعليم قادرا على منافسة غيره، خاصة في تلك الدول التي تحكمها حكومات نصرانية أو علمانية، فتجد أن الذي يتولى المناصب العليا فيها هم من غير المسلمين، وأما المسلمون فقد اكتفوا بأن يكونوا في ذيل المجتمع.

الاهتمام بالتعليم في قارة إفريقيا من قبل جمعية العون المباشر

حتى مع وجود ندرة من الطلاب المسلمين الذي يدرسون في التعليم قبل الجامعي، نادرا ما تجد من يصل إلى الجامعة وذلك لضعف مستواهم.

لم يكتف الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - وجمعية العون المباشر بأعمال الإغاثة والعون، أو بناء المساجد وحفر الآبار، أو تقديم الرعاية الصحية فحسب، بل أولوا عناية كبيرة بنشر التعليم والمعرفة بين ربوع هذه البلاد التي انتشرت فيها مكاتب الجمعية وأنارت أعمالها النيرة ظلام الجهل والأمية، من خلال بناء المدارس والمعاهد العلمية، بل والجامعات أيضا. كان منهج جمعية العون المباشر بقيادة د. عبد الرحمن السميط منهجا متكاملا في العمل والبناء في إفريقيا، فكانت دائما ما تبني مركزا متكاملا شاملا مجهزا بالمرافق المتنوعة، يحتوي على مسجد ومدرسة بمختلف المراحل التعليمية، فضلا عن البئر ومركز صحي أو مشفى تابع لهذا المركز المتكامل.

فالتعليم هو قوام الأمم وثقافتها ومعاشها، وهو أساس المعونة، ومن ساعد فيه ساعد على البناء الثقافي، والاجتماعي والاقتصادي وغيره، وجمعية العون المباشر اهتمت به اهتماماً كبيراً، فأنشأت في إفريقيا مدارس عديدة جداً، وكفلت الكثير من طلبة العلم في شتى مراحله التعليمية.

يقول الدكتور عبدالرحمن السميط- رحمه الله - في برنامج «وجوه إسلامية» قناة العربية ١١/٩/٢٠٠٨م: لقد اهتممت بالتعليم لأنني تألمت وبكيت عندما علمت أنه لا يوجد خريج مسلم واحد في كل ملاوي، وكان الناس من غير المسلمين يسمون المسلم «ألاسالي» وهذه الكلمة تعني « الرجل المتخلف» فأصبح ديننا دين تخلف، فقررنا أن يكون مفتاح التغيير للمجتمع في إفريقيا هو المدرسة، وفي فترة من الفترات كنا ندفع رسوم دراسة عن خمس وتسعين ألف طفل سنوياً عندما كانت الدراسة هناك بأموال، وكانوا يأخذون من كل طالب حوالي نصف دينار كويتي، والآن الدراسة مجاناً.



يقـول الشـيخ محمـد بـن حمـد الخميس في ندوة بعنوان «السـميط شـمس أضاءت إفريقيـا»: كانـت كل أفـرع وأنشـطة العمل الخيري من اهتمامـات السـميط – رحمه الله – فليـس هناك جانـب أو زاوية إلا وطرقها ومع هذا الشعب كانت هناك اهتمامات يهتم بها أكثر من غيرها، ومن أهمها:

التعليـم النظامي وهو التعليـم المُعترف به في هذه الـدول فمعظم الدول التي دخلها السميط كانت علمانية لا تهتم بالتعليم الديني فالمسلمون هناك يهتمون بالمدارس الدينية.

كان السـميط – رحمه الله – يؤمن بأن التعليم هو مفتاح التنمية وبوابة التطور، وعلى سبيل المثال وليس الحصر الجامعة التي أسسـها السميط – رحمه الله – في زنجبـار في كليـة التربيـة تـم تأسيسـها (١٩٩٨م) وكان في نفـس العـام عدد المعلمين في زنجبار خمسـة آلاف وستمائة معلم منهم واحد وخمسون معلما فقط حاصلون على بكاليريوس يعني ١٪ فقط.

ولاهتمام السـميط – رحمـه الله – بالتعليم أراد أن يرفع هذه النسـبة فأسـس الكلية وأخـذت الاعتراف مـن دولـة تنزانيـا الاتحاديـة وبعـد عشر سـنوات من تأسيس الكليـة إذ يقوم وزيـر التعليـم الزنجباري في البرلمان ويسرد الإحصائية التالية، وهي أن المعلمين في زنجبار أصبـح عددهم خمس عشر ألف معلم، وعدد الحاصلـين عـلى البكاليريـوس خمسـة آلاف معلم من كلية التربية بزنجبار التابعة لجمعية العون المباشر.

ولم يكتـف السـميط – رحمـه الله – بالتعليـم الأسـاسي فقـط بـل قفـز إلى التعليـم الجامعي فقد أنشأ ثلاث جامعات واحدة في زنجبار، والأخـرى في نيروبي والثالثة في الصومال، ووضع الأسـس لجامعة في مـلاوي وجامعة في بنين، وتشـتمل هذه الجامعات على كل التخصصات المدنية.


جامعة الأمة – كينيا – ٢٠١٤

وفي كينيا لا توجد جامعة للمسلمين إطلاقاً، ونسبة المسلمين في كينيا ٢٥٪، ولذا فقد وضع السميط أساس أول جامعة إسلامية في كينيا عام (١٩٩٧م) وتم افتتاحها عام (٢٠١٤م).

إعداد الموارد قبل بناء المدارس

من أكثر المشاريع كلفة في العالم عامة، وفي إفريقيا خاصة بناء المدارس والإنفاق على العملية التعليمية، ولذلك حرص عبد الرحمن السميط - رحمه الله - وجمعية العون المباشر على التخطيط والإعداد المتقن لمصادر لتمويل هذه المدارس، لضمان إكمال العمل على أكمل وجه مع استمراره في أداء دوره وتنميته وإكباره قدر المستطاع، وقد استجاب الكثيرون من ذوي اليسر والإحسان لدعم برامج الجمعية التعليمية.

يقول الدكتور السميط: قبل أن نبدأ العمل في جمعية العون المباشر وضعنا خططاً استراتيجية وأهدافاً نسعى لتحقيقها ووضعنا أوقاتاً لهذه الخطط.

ومن الأشياء التي اعتمدنا عليها استهداف الطبقة الوسطى التي من الممكن أن تعطيني عشرين أو ثلاثين دولاراً كل شهر، وخاصة النساء الذين أعمارهن بين أربعة وعشرين وخمسة وعشرين عاماً، لأن أغلبيتهن موظفات، وكانت هذه هي البداية، ولدينا الآن ثمانمائة وأربعون مدرسة، وثلاث جامعات يدرس فيها نصف مليون طالب، كما تأتينا التبرعات من الخليج، وكذلك من المنظمات الدولية، وهذا يشكل ٣٠٪ من عملنا، وهناك تبرعات تأتي من إفريقيا، وقد يستغرب أن كثيراً من التجار في إفريقيا ورجال الأعمال يتبرعون لنا سنوياً، والغريب أنه في المدة الأخيرة بدأنا نعتمد عليهم أكثر من اعتمادنا على التبرعات من خارج إفريقيا.


تكريم سفناء من أحد أعضاء اللافامة

تأسيس علمي متين
يشرف عليه د. عبد الرحمن السميط

اهتمت جمعية العون المباشر بجميع مكونات التعليم فلم تهمل جانبا لحساب جانب آخر، لعلمها أن أركان العملية التعليمية كل متكاتف لا يتجزأ، وعناصر بناء التعليم أربعة: الطالب والمعلم والمدرسة وإدارة العمل التعليمي.

أولا : الطالب

الإنسان هو أساس التنمية البشرية وخاصة التعليم، فالاهتمام بالتعليم في إفريقيا يعني بالدرجة الأولى اهتمام الجمعية بالعنصر البشري الإفريقي، ولذلك كان الطالب هو المحور الأساسي في العملية التعليمة والتربوية، وهذا ما يوجب زيادة الجهد المبذول في تأهيل هذه الكوادر المستقبلية، وذلك من خلال:

- انتقاء العناصر المتميزة واستقطابهم في مؤسسات الجمعية التعليمية.
- إعداد برامج تقوية ومتابعة الطلاب وخلق روح التنافس الإيجابي بينهم.
- المحافظة على الانضباط وروح الالتزام، وغرس مفاهيم التربية الأساسية الإسلامية في نفوس الطلاب من خلال البرامج التربوية والأنشطة الجماعية.
- كسر الحاجز النفسي الذي يعيق تقدم الطالب ومحاولة التواصل معه ومع أهله من خلال عقد لقاءات وإنشاء جمعيات أولياء أمور للمساعدة في حل المشاكل التي تعترض سير العملية التعليمية والتربوية.
- وضع نظام حازم يمنع بقاء الطلبة الفاشلين في مدارس الجمعية ومنع أي درجة من الانحراف بين الأولاد والبنات.

ثانيا: المدرسة المتكاملة

أما بالنسبة للمدرسة وهي الواجهة التي تعبر عن الخدمات التعليمية المتميزة والتي تصبو جمعية العون المباشر أن تقدمها كما أنها الوسط الذي يتلقى فيه طالب العلم علومه، وعليه يجب الاهتمام بما يلي:

- وضع برنامج ثابت لمتابعة المدرسة حتى لا تكون مهملة، ولاتزار إلا مرة كل فترة طويلة.

- استكمال النواقص الأساسية بالمدرسة دون مبالغة مثل المختبرات والفصول والمكتبات وغيرها.

ويقوم مكتب جمعية العون المباشر بأنشطة تعليمية مهمة وهي على قسمين:

- الكفالات التعليمية وهي تقدم للطلاب الفقراء في جميع المراحل الدراسية من الابتدائي إلى ما فوق الجامعي وتشمل الرسوم الدراسية والسكن والطعام والمصروفات الأخرى.

- تسيير المدارس وعادة تتكفل الجمعية ببناء المدارس الابتدائية والثانوية ومن ثم تأسيسها بالكامل والإشراف عليها وتسييرها.

وتتألف مدارس الجمعية من المراحل الابتدائية، والإعدادية، والثانوية.



الاهتمام بالتعليم يبدأ من اختيار المعلم

وقبل بناء أي مؤسسة تعليمية يجب إعداد دراسة كاملة لها، وتقديم طلب في الموضوع إلى الجهات المعنية في الدولة المستضيفة وفق قوانينها.

وتعتمد مدارس الجمعية المناهج التربوية الرسمية للدول التي توجد بها المدرسة بالإضافة إلى مواد اللغة العربية والعلوم الشرعية الإسلامية.

ولكل مؤسسة تعليمية في المركز أو خارجه مدير يقوم بكافة إجراءاتها الإدارية بالتنسيق مع مصالح التعليم الموجودة في البلد.

مدرسة ثانوية في كينيا

- ويشرف على العملية التعليمية الأساتذة والمعلمون الذين يقومون بالسهر على العملية التعليمية، والذين تخرجوا من جامعات حكومية وخاصة داخل بلادهم أو خارجها، وبعضهم كانوا أيتاماً تكفلهم الجمعية.

- ويقوم مدير المركز بالتعاون مع مدير المدرسة بإعداد تقارير شهرية ودورية عن أوضاع المؤسسة والتلاميذ لتقديمها للمقر الرئيسي للجمعية، وإطلاع المسؤولين عليها.

- وقد أسست جمعية العون المباشر الكثير من المعاهد، وتعاقدت مع المدرسين في أكثر من ٣٠ دولة، وسعت إلى توفير فرص التعليم لأكبر عدد ممكن من الطلبة الأفارقة، وعلى رأسهم الأيتام الذين تكفلهم الجمعية، وقد بلغ عدد الطلبة في مختلف مستويات التعليم

العام حوالي ٥٨٠٠٠ طالب أي بزيادة حوالي ٨٠٠٠ طالب خلال عام (٢٠١١م) يدرسون في مئة وثلاث وثمانين مدرسة تديرها الجمعية مباشرة أو بالتعاون مع وزارات التربية في الدول الإفريقية.



بعض منازل المدرسين في مدرسة اسلامية في ملاوي

ثالثاً: المدرسون

يتحمل الكادر التعليمي إعداد هؤلاء النشء، فكان الاهتمام بالمدرسين مهماً جداً وذلك من خلال:

- الاختيار الموفق للمدرسين عند التوظيف سواء من حيث الجانب الأكاديمي، أو الجوانب السلوكية والأخلاقية.

- نشر ثقافة الجمعية ورسالتها في مجال التعليم، من خلال عقد اللقاءات التنويرية حول أهداف جمعية العون المباشر، وحثهم على العمل من خلال تحفيزهم، كتكريم المعلم المثالي والطالب المثالي.

- الاهتمام بالعملية التدريبية، فالجمعية أمام علم قائم بذاته تتطور أساليبه وأدواته بشكل مستمر، وذلك عبر إدخالهم دورات تدريبية، وملتقيات، وتولي الجمعية اهتماماً خاصاً بتدريب المدرسين العاملين في مدارسها لرفع مستواهم، وتطوير قدراتهم من خلال التعاون مع وزارات التربية في الدول المضيفة أو مع المؤسسات المتخصصة، وقد قامت جمعية العون المباشر بتنظيم اثنتين وعشرين دورة تدريبية لفائدة المتدربين في أربع عشرة دولة إفريقية، وهذا خلال عام (٢٠١١م) فقط، استفاد منها حوالي ثلاثمائة مدرس ومدرسة من مختلف المستويات التعليمية.

د. عبد الرحمن السميط يؤسس محاضن علمية متميزة

استطاع د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - أن يؤسس محاضن علمية قوية منتشرة في نواح كثيرة في إفريقيا، وفي مستويات تعليمية مختلفة، وهي:

- أولا: التعليم قبل الجامعي (الابتدائي والإعدادي والثانوية):

- تنتشر بفضل الله المدارس التي أسستها وتشرف عليها جمعية العون المباشر في العديد من دول إفريقيا، لتقدم الخدمات التعليمية الراقية والمتنوعة في جميع المراحل الدراسية (ابتدائي وإعدادي وثانوي) حتى قاربت المائتي مدرسة، يدرس بها ما يقارب من ستين ألف طالب وطالبة في جميع المراحل التعليمية.

ومن أهم ملامح البرنامج التعليمي لهذه المدارس العمل على إخراج الإنسان الإفريقي من أسوار التعليم التقليدي إلى التعليم المعاصر الحديث ليكون في مصاف كبار رجالات الدولة، وهو مع ذلك لم يهمل العلوم الشرعية، بل كان يحرص في كل المدارس التي أسسها أن يكون العلم الشرعي ركنا أساسيا يعتمد عليه، فيعلمهم القرآن والقراءة والكتابة وأساسيات الإسلام، لأنه يعلم أن هذا هو الحصن الحصين الذي يحفظ هذا الطالب إذا تقلد المناصب الرفيعة، ويحفظ عليه هويته.



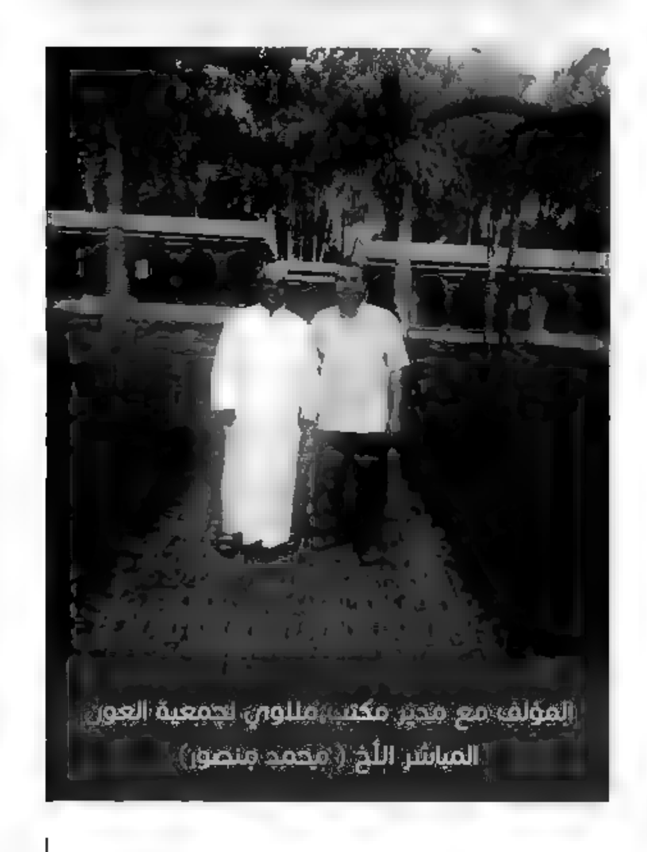
المركز الإسلامي في مرسابيت أغلب أيتامه من غير المسلمين ولكنهم يتأثرون بمعاملة المسلمين فيه

نسبة النجاح الرسمية في مدارس جمعية العون المباشر في ملاوي هي ١٠٠٪

كان عبد الرحمن السميط -رحمه الله- يدرك أن الأمة كما هي محتاجة إلى الدعاة وأئمة المساجد والخطباء، فهي أيضا محتاجة إلى الطبيب والمهندس والمعلم والمتخصصين في علوم الإدارة والاقتصاد والقانون وغير ذلك.

وفي ملاوي على سبيل المثال أقام السميط -رحمه الله- مدرستين ثانويتين، إحداهما بتبرع كريم من ورثة محمد عبد المحسن الخرافي، وثانوية أخرى بتبرع من عبد الله الفريح، إحداهما للبنين والأخرى للبنات، وكانت البشرى الحسنة أن نسبة النجاح في تلك المدرستين الحكوميتين التين تشرف عليهما جمعية العون المباشر هي ١٠٠٪ وذلك بإقرار رسمي من وزارة التربية والتعليم في ملاوي، في حين أن أعلى نسبة نجاح في مدارس مالاوي الأخرى لا تتجاوز ٢٠٪.

وحينئذ قام وفد من وزارة التربية والتعليم في ملاوي بزيارة المدرستين ليقف على أحوال هؤلاء الطلبة، وماذا صنعت جمعية العون المباشر لهؤلاء الطلبة، والجواب : أنها تؤسسهم تأسيسا صحيحا حتى صاروا كوادر مهمة في بلادهم.



المؤلف مع مدير مكتب ملاوي لجمعية العون المباشر الأخ (محمد منصور)

- ثانيا: التعليم الجامعي:

لم يتوقف طموح عبد الرحمن السميط -رحمه الله- وجمعية العون المباشر عند حد تقديم الخدمات التعليمية وبناء المدارس لمرحلة التعليم ما قبل الجامعي، أي الابتدائي والإعدادي والثانوي فحسب، بل عملت على تقديم الدعم للتعليم الجامعي أيضا، من خلال بناء الجامعات والكليات، أو على الأقل تقديم المنح الدراسية لطلاب الجامعة، وخاصة المتفوقين منهم.

وفي إطار توفير فرص التعليم الجامعي في التخصصات المطلوبة استمرت جمعية العون المباشر في إدارة ثلاث كليات في كل من كينيا، وزنجبار، والصومال، وقد بلغ عدد الطلبة المنتمين لهذه الكليات الثلاث حتى نهاية (٢٠١١م) ما يقارب ٤٠٠٠ طالب.

والمتفوق في عرف الجمعية هو من يحصل على مركز من المراكز الثلاثة الأولى، وتقدم الجمعية له منحة ويرجع لبلده طبيباً أو مهندساً، ومن أيتام الجمعية التي تعلموا بجهودها سفير كينيا في الكويت والطبيبة زينب التي هي الآن من أكبر الأطباء في كينيا.

والجهود مستمرة في جمعية العون المباشر لإعداد الدراسات اللازمة لإنشاء كلية لتدريب المعلمين في ملاوي لأن الحاجة هناك ماسة جدا لتخريج معلمين مسلمين، فرغم أن المسلمين يشكلون ٥٠٪ من عدد السكان فإن عدد المدرسين المسلمين المؤهلين لا يزيد على ٤٠ مدرساً، فضلاً عن أن الدولة تفقد سنويا ما بين ١٢٪ إلى ١٣٪ من العاملين في التدريس بسبب مرض الإيدز المنتشر، والاستقالات والموت الطبيعي.

قاعة دراسية لتعليم الطلبة على أحدث الأجهزة

ويبلغ تعداد المدرسين المفقودين سنوياً قرابة تسعة آلاف مدرس من أصل ٩٠ ألفاً هم مجموع المدرسين العاملين في ملاوي، وهو ما تسبب في خلق فجوة كبيرة وعجز واضح في المدرسين المسلمين، وبالتالي فهذا الظرف فرصة كبيرة في سد هذا الفراغ التربوي بالمعلمين المسلمين، هذا بالإضافة إلى إنشاء محطات إذاعية للقرآن الكريم، فقد بدأت جمعية العون المباشر بإنشاء محطة في جمهورية توجو، وهناك مائة محطة يجري العمل في مراحل تنفيذها المختلفة بمناطق مختلفة من إفريقيا، وتبلغ تكلفة المحطة الواحدة عشرة آلاف دينار كويتي، تتضمن المعدات اللازمة ومصاريف التشغيل عاماً كاملاً.

وقد تم إنشاء كلية التربية في زنجبار لتكون صرحاً علمياً للارتقاء بأبناء المسلمين في إفريقيا، وتحتوي الكلية على عدة مباني ومنشآت منها (القاعات الدراسية - سكن الطلاب - سكن هيئة التدريس - مركز خدمة المجتمع - جامع مريم بنت عمران - مركز الهاجري الطبي - مطبعة الكلية).

وقد بدأت الدراسة في الكلية بتاريخ ١٩٩٨/٢/١، ومدة الدراسة أربع سنوات منها سنة تمهيدية مقررة على جميع الطلاب، وقام فخامة رئيس دولة زنجبار مع الوفد المرافق له بزيارة الكلية في شهر مايو ١٩٩٨م.

ويدير مكتب زنجبار مدرسة الإحسان الثانوية للبنات التي يقع ترتيبها التاسع من بين ٦٨ مدرسة بزنجبار وترتيبها ٢٣٩ من ٣١٦٩ مدرسة على مستوى تنزانيا الاتحادية.



برعاية من رئيس الدولة وبحضور رئيس مجلس إدارة جمعية العون المباشر الدكتور عبد الرحمن السميط تخريج دفعة كلية التربية في زنجبار

وقدم المكتب منحا تعليمية بلغت عام (٢٠١٢م) ٨٦ منحة تعليمية منها ٧٢ منحة جامعية، و١٤ منحة تعليم ثانوي.

ويكفل المكتب ١٠ طلاب وطالبات بكلية الطب و٤ بكلية التمريض وشهد عام (٢٠١٢م) تخريج أول طبيبة بزنجبار كفلتها الجمعية .

برنامج المنح التعليمية:

تقدم جمعية العون المباشر منحا دراسية لفائقي الطلبة يعطى للطالب من أجل استكمال دراسته، وتعطى المنح على أساس معايير عدة. وهذا النظام من المنح الدراسية معمول به في جميع بقاع المعمورة، إذ تقوم كثير من حكومات العالم والجامعات والمؤسسات المختلفة بتقديم منح دراسية لمواطنيها أو للطلبة الأجانب للدراسة فيها.

وتعد إفريقيا من أكثر المناطق حاجة لهذه المنح الدراسية لما لا يخفى من عوامل الفقر وضعف الإمكانات، ما يحدو بالكثيرين من طلاب العلم إلى الانصراف عن التعليم تحت وطأة الندرة المالية والبحث عن لقمة العيش.

ومن أبرز الأعمال المشاريع التي تشرف عليها إدارة الرعاية التعليمية هو قيامها بالإشراف على برنامج المنح الدراسية في جميع الدول بالإضافة إلى الإشراف على تسيير عدد من المؤسسات التعليمية يقترب من ٢٠٠ مدرسة متنوعة (ابتدائي / متوسط / ثانوي) بالإضافة إلى العديد من مؤسسات التعليم العالي مثل (كلية الشريعة في كينيا، ومعهد التنمية الإدارية في الصومال).


الاهتمام بالعلم ورعاية طلبته منذ الصغر

وتقدم الجمعية مبالغ مالية تستهدف المحتاجين المتفوقين دراسيا والملتزمين أخلاقيا لتغطية المصاريف الدراسية وهي نوعان:

١-منح داخلية: تتمثل في تسديد جزء من الرسوم الدراسية لبعض الطلبة في المرحلة الثانوية والجامعية.

٢-منح خارجية: تتمثل في تحمل جزء من المصاريف الدراسية للطلاب المعتمدين وفق شروط الجمعية والمسجلين في إحدى الجامعات خارج دولهم.

٣- ويتكون ملف المنحة من:

- طلب.
- صور شخصية للمعني بالأمر.
- الشهادات وكشوف الدرجات.
- تزكية إحدى الجهات الإسلامية أو مكتب الجمعية في الدولة.
- ملء الاستمارة المعدة لذات الغرض.
- إجراء المقابلة.

ومن أبرز أنشطة مكتب الجمعية في مالي توزيع منح مادية على الطلبة والتلاميذ:

١-ترشيح الطلبة والتلاميذ للحصول على المنح الدراسية.

٢-تنظيم دورات لتكوين المعلمين.

٣-تنظيم مخيمات تربوية وتوعوية.

٤-تنظيم أنشطة طلابية.

٥-توزيع كتب دراسية على التلاميذ.

٦-تنظيم أسابيع ثقافية.

٧-تنظيم محاضرات وندوات.

٨-تأسيس منتدى طلبة وتلاميذ مكتب الجمعية منذ عام (٢٠٠٨م).

وأما عن أثر وأهمية تلك المساعدات المادية للطلبة، فقد أكد العديد من الطلبة أنه لولا الله ثم تلك المنح الدراسية لما تمكنوا من مواصلة الدراسة. فقد حكى عثمان بغايوغو - طالب جامعي وابن وحيد لأبيه - أنه كاد أن يهجر الدراسة في الصفوف الثانوية لعامل الفقر والحاجة، فأبوه فلاح صغير، كان يحتاجه في بداية فصل الأمطار، وهو الوقت الذي يصادف فيه الامتحانات النهائية، فلم يكن بوسعه المشاركة في الامتحان السنوي بسبب أعمال الحقل، إلا أن حصوله على منحة من مكتب الجمعية جعله يستأجر بتلك الأموال غيره لمساعدة أبيه في أعمال الحقل الموسمي، على أن يتفرغ هو للمشاركة في الامتحان الدراسي.

مشروع الحقيبة المدرسية

لا يفتأ الدكتور عبد الرحمن السميط ورجال جمعية العون المباشر يفكرون دوما في متابعة وملاحظة المشكلات التي تعترض طالب العلم في مدارس الجمعية والعمل على حلها، وعادة ما تكون هذه العقبات متمثلة في العجز المادي لهؤلاء الطلاب، وتتفتق الأذهان بفضل الله عن حلول تتمثل في مشاريع لحل هذه المشكلات لتسهيل العملية التعليمية على طلبة العلم.

ومن هذه المشروعات الطيبة «مشروع الحقيبة المدرسية»

جاءت فكرة الحقيبة المدرسية من خلال سلسلة زيارات قام بها مسؤولو جمعية العون المباشر إلى الجهات المعنية بشؤون التعليم، حيث تبين أن كثيراً من الطلبة يتمتعون بمستويات جيدة إلا إنهم بسبب ظروفهم المادية لا يستطيعون استكمال دراستهم وخاصة بالمرحلة الابتدائية.



حفل لتوزيع الحقيبة المدرسية « اسم الجمعية بالسابق لجنة مسلمي إفريقيا »

ويستفيد من هذا المشروع أبناء الأئمة وأبناء العاملين في الجمعية المواظبون على أداء الصلوات في المساجد من التلاميذ، والمحتاجون المجتهدون من أبناء المسلمين، ويتكون مشروع الحقيبة من: حقيبة، وعشرة دفاتر، وثلاثة أقلام، وكسوة، وحذاء. ويعمل مشروع الحقيبة المدرسية على تحفيز الطلاب عامة والمتفوقين منهم على وجه الخصوص على الالتزام بالبرامج والمناهج التعليمية في مدارس الجمعية وعدم الوقوع في عيوب التسرب التعليمي.

أما الأدوار التي تقوم بها الحكومة وتخص الرعاية التعليمية وذلك في قيام الحكومة ممثلة في اللجنة الوطنية الكويتية للتربية والعلوم والثقافة، وجامعة الكويت، والهيئة العامة للتعليم التطبيقي بتخصيص عدد من المنح الدراسية للعديد من الطلاب الأفارقة للدراسة في الكويت.

بنت الأعوام الأربعة تتقن العربية وتحفظ أجزاء من القرآن

من أهم الأعمال التي تقوم بها جمعية العون المباشر بناء المدارس والتعليم وتحرص الجمعية على المزج بين البيئة المحلية في التعليم والنظم التربوية الحديثة مع التركيز على بناء الهوية من تعليم اللغة العربية وأساسيات الإسلام.



السميط بين التلاميذ في أحد المدارس

يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٤ - فبراير ٢٠٠٠م: وفي أوغندا أيضاً زرنا مركزاً إسلامياً متكاملاً كنا نقوم ببنائه ورغم أن المشروع لم يكن قد اكتمل إلا أن الأهالي فَرَحًا به بدأوا تدريس أولادهم على أرضه بطريقتهم الخاصة وهي طريقة عقيمة، وكانوا يصلون قرب المسجد الذي يبنى.

وانطلقنا إلى مركز عائشة - رضي الله عنها -، ودخلنا مسجد خديجة - رضي الله عنها - الملحق بالمركز، وقابلنا اليتيمات اللواتي انضممن إلينا منذ أكثر من سبعة أشهر، وأُعجبنا جميعاً بهن وبحفظهن للقرآن، وأشد ما أعجبنا طفلة لم يتجاوز عمرها أربع سنوات تحدثت بعربية فصيحة عن سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وسردتها كاملة، ثم طلبنا منها قراءة عدة سور صغيرة كانت تحفظها، وسألناها بالعربية عدة أسئلة أجابتنا عليها، ضممناها إلى صدورنا وفرحنا بها وبباقي اليتيمات. من الممتع أن يرى المرء ثمار أعماله الطيبة تنمو أمام عينيه، والتعليم يحتاج إلى الصبر والمثابرة وسعة الصدر، فلا يتعجل الإنسان ثمرات عمله ولا ييأس، خاصة إن كانت الأرض التي يعمل عليها خصبة التربة طيبة المنبع، فإخواننا الأفارقة متشوقون لتعلم كل ما يعيد إليهم هويتهم العربية والإسلامية، فما علينا إلا أن نبذر بذور الخير، مستعينين بفضل الله ثم بمجهودات وتبرعات المحسنين من أهل الجود، نسأل الله أن يغفر وزرهم، ويرفع قدرهم، وينسأ لهم في آثارهم.

اطلبوا العلم ولو في الكبر

لم يكن الجهل الذي أصاب إفريقيا قرونا طويلة إلا حصاد أنظمة استعمارية، فرضت التجهيل على شعوب تلك الأرض بنهب مواردها وتمكين عناصر التبعية السياسية والثقافية لهذه المجتمعات، مما أدى إلى انتشار الجهل قَسْرًا وجبرا على كثير من الأفارقة، فالناس لا تتعلم إن كانت معدتهم خاوية أو أجسادهم عارية، فضلا عن التعرض للأوبئة والمجاعات، وحينئذ يكون التعلم ترفا ورفاهية تخرج عن نطاق المعقول، فدفع المضار مقدم في فطرة النفس على جلب المنافع، ولذلك لا تعجب أن تجد الأمية سائدة، وأناسا يبلغون أرذل العمر دون أن يتعلموا حرفا. ولا حرج في طلب العلم في الكبر حيث كان كثير من الصحابة – رضي الله عنهم – كبارا حين أسلموا وتعلموا العلم، بل ومنهم الشيخان أبو بكر وعمر وسلمان الفارسي، وقديما قيل: اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد، وفي واقعنا المعاصر، فضلا عن تراثنا العربي والإسلامي علماء كبار طلبوا العلم كبارا وتفوقوا فيه، منهم الإمام ابن حزم الظاهري، والقفال، وصالح بن كيسان وكثيرون غيرهم. يقول د. السميط – رحمه الله – مجلة «الكوثر» – العدد ٦٠ – أكتوبر ٢٠٠٤م: عندما تتحدث وسائل الإعلام المرئية منها والمسموعة أو المكتوبة عن إفريقيا فإنها تصفها عادة بأنها موئل المجاعة والحروب الأهلية والكوارث الطبيعية والفساد الإداري، وتتجاهل بعض الجوانب المشرقة في هذه القارة، التي قد تبدو في ظاهرها صغيرة بسيطة، ولكنها في حقيقة أمرها تنطوي على معان حضارية تعبر عن الفطرة السليمة التي تحتاج إلى من يزيح عنها غبار الجهل والاضطهاد.

وأود هنا أن أستشهد بموقفين من المواقف الكثيرة التي تمثل تلك الجوانب المشرقة للدكتور عبد الرحمن السميط حتى لا ننظر إلى واقع هذه القارة بعين واحدة، ونكون بالتالي تصورات عنها قد تجانب الصواب في كثير من الجوانب.

يقول -رحمه الله-: في بداية السنة الميلادية الحالية وقف شيخ كبير يدعى «كيماني مورانغ» تجاوز عمره ثمانين عاماً بزيه المدرسي أمام مدير مدرسة «كابكيندور» الابتدائية الواقعة في غرب كينيا ليكون أول تلميذ في هذه السن يلتحق بالصف الأول الابتدائي في كينيا أو ربما على مستوى إفريقيا.

أما الموقف الثاني فكان في مدينة «غاريسا» ذات الأغلبية المسلمة حيث تقدمت السيدة عبلة حسين التي تجاوز عمرها ستين عاماً إلى إدارة مدرسة «جاريبو»الابتدائية لتسجيل اسمها في الصف الأول الابتدائي ولتبدأ مسيرة طلب العلم والتعلم بعدما قضت عمرها في رعي المعز والإبل في صحراء بلدتها.

قال التلميذ الكبير «مورانغ» وهو متوكئ على عصاه: إنني أريد أن أتعلم القراءة والكتابة حتى أستطيع قراءة الإنجيل بنفسي لأعرف ما فيه لأتبين الحق من الباطل في أقوال الناس وأحاديثهم المضطربة حوله، ولدي أيضاً حلم كبير أن أصبح طبيباً بيطرياً لأعالج مواشي القرية وحيواناتها، وأعتقد أن طموحاتي هذه لن يكتمل تحقيقها إلا عندما يكون عمري قد أشرف على المائة وأربع سنوات إذا تم الانتقال من مرحلة تعليمية إلى أخرى على ما يرام.

الطريف أنه يوجد اثنان من أحفاد مورانغ الثلاثين في نفس المدرسة التي يدرس فيها، ولكنهما في صفوف متقدمة عنه.

بينما تحدثت التلميذة الكبيرة عبلة حسين عن أبيها الذي منعها من الذهاب إلى المدرسة في صغرها، وكان يضربها كلما حاولت التسلل إلى المدرسة لتكون مثل أندادها الصغيرات، ويجبرها على الاهتمام بقطيع المعز لتصبح راعية في المستقبل.

وهذا يؤكد أن هؤلاء المتعلمين في الكبر إنما فرض عليهم الجهل فرضا، تارة من خلال الحاجة وعدم



أحرص على التعلم حتى في الكبر

القدرة على التعليم والانشغال بطلب المعايش، أو غياب المدارس ودور العلم، ولكن إن أتيحت لهم فرصة التعلم فلن يضيعوها، وقد عمل الدكتور السميط – رحمه الله– وجمعية العون المباشر على نشر العلم والتعليم في هذه البقاع، فأنعِم به من عمل وأروع به من عطاء.

الدخول في الإسلام لا يعني الجوع الدائم

من أكبر العقبات التي تحول دون دخول الأفارقة مضمار التعليم والانخراط المنتظم فيه النفقات الباهظة للتعلم في بيئة فقيرة، بل معدمة أحيانا، وكثيرا ما نرى النوابغ من طلاب العلم يتعثرون في استكمال رحلة التعلم، بحثا عن طلب العيش والإنفاق عمن يعولونهم، وكثيرا ما يعتمد البعض منهم على منح الكنيسة التعليمية والتي لا تفتأ تنقطع حين تشعر بميل أحدهم للدخول في الإسلام، وهنا يأتي دور جمعية العون المباشر في دعم هؤلاء تعليميا وماديا.

يقول السميط – رفع الله مقامه في الجنة – في إحدى [illegible] عن [illegible]: قبل عشر سنوات أقمنا معهدا شرعيا في شمال كينيا ليكون أساسا لنشر الدعوة الإسلامية في المنطقة وبين قبائلها، واستقبلنا فيه طالبا من كل قرية حتى يعود إلى قريته بعد أربع سنوات من الدراسة داعية إلى الله، وكان من هؤلاء الخريجين محمد علغال[illegible] الذي عاش وثنيا ثم نصرانيا حتى دخل المعهد وكان يعلق الصليب على صدره، لم نطلب منه إطلاقا أن ينزعه، ولكنه بعد أن أسلم تخلى عنه بنفسه عن قناعة تامة.

عمل محمد مثل زملائه خلال دراستهم وبعد التخرج في الدعوة، وكان يسير على قدميه عشرات الكيلومترات حتى يصل إلى بعض القرى إلى أن تخرج، وبعد مدة أرسلناه بمنحة للدراسة في كلية الشريعة بالسودان، وترك وراءه عائلة مكونة من أب وأم وثلاثة أولاد في المرحلة الابتدائية بدون معيل، فالفقر هنا قد يكون ثمنا لإسلام العائلة كما حدث لهذه العائلة التي كانت تتلقى مساعدة غذائية من الكنيسة، لكنها انقطعت عنها بمجرد أن علمت هذه الكنيسة أن الأسرة قد أسلمت.

غادر محمد قريته إلى الجامعة فانقطع مصدر رزق أسرته، وبدأ أفرادها ينامون الليلة والليلتين على الطوى، لكن محمداً لم يتردد لحظة واحدة في السفر للتزود بالعلم بعد أن استودع الله أسرته.

ومراعاة لأحوال هذه الأسرة القاسية قام مكتب جمعية العون المباشر بشراء مواد غذائية، وفتح دكان لها من ريع الوقف الدعوي الخيري، فتغيرت بذلك حالتها المعيشية، وهاهم أفرادها اليوم يرفعون أيديهم إلى السماء داعين لكل من ساهم في إنقاذهم من الجوع والكفر.

وأمثلة طالب العلم الفقير كثيرة ومتنوعة، وذلك يحتاج منا نحن العرب والمسلمين إلى زيادة الدعم والمساندة المادية والمعنوية لهؤلاء المتعلمين، فهم أمل هذه البلاد، فغدًا يصير منهم المعلمون لغيرهم النافعون لمن حولهم.

أول من تم تعميده من قبائل الغبرا كمسيحي، وهو اليوم داعية مسلم وشعلة من النشاط

سلطان الدينكا يملك ستا وسبعين زوجة

جاء في كتاب «قبيلة الدينكا في جنوب السودان» للدكتور عبد الرحمن السميط وفاروق عبد الله أحمد بلال ص ١٠٢ : تميز الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- بالحس الإبداعي في إيجاد طرق لإنفاذ دعوته وبرامج الإنمائية والدعوية والخيرية، وكان كذلك يتمتع بالحس الاجتماعي والجودة التواصل مع جميع الفئات التي يتعامل معها، مما يدل على ما حباه الله من مواهب الذكاء وسرعة البديهة.

ولم تكن العقبات التي تعترض طريق العمل الدعوي متشابهة ولذلك كان الأمر يحتاج إلى الإبداع واستحداث طرق جديد تتوائم مع كل مشكلة على حدة. يقول السميط- رحمه الله - مجلة «الكوثر» - العدد ٥٣ - مارس ٢٠٠٤م: لقد تبين لي من خلال تجربتي الكبيرة في القارة الإفريقية أن تبليغ الدعوة الإسلامية فيها لابد أن يعتمد أساليب متنوعة تبعاً لتنوع مجتمعات شعوبها وقبائلها، ومن جملة هذه الأساليب التركيز على استقطاب بعض الرموز والشخصيات المهمة في جماعاتها، والتعرف عليها عن كثب لبناء علاقة مناسبة تكون بإذن الله مدخلاً إلى قلب الشخص المستهدف لإيداع كلمة الحق فيه.

وقد كانت لي في هذا الصدد علاقة صداقة مع السلطان عبد الباقي أكول أشهر سلاطين قبيلة الدينكا حيث كللت هذه الصداقة بسلسلة من المساعدات لنشر العلم والتعليم بين أفراد قبيلته كخطوة أولى لتحريرهم من الأمية والجهل، وإلحاقهم بركب أحداث الحياة العصرية، إلى درجة أنه شكاني مرة إلى وزير كويتي بمناسبة زيارته للسودان بدعوى أنني رفضت مساعدته عندما طلب مني أسلحة عسكرية يدافع بها عن نفسه وعشيرته، فضحك الوزير من شكواه!

لكن المفاجأة التي أدهشتني أن السلطان كان قد طلب مني مرة بناء مدرسة، وقدم لي قائمة بأسماء التلاميذ الذين يرغب أولياء أمورهم في تدريسهم بهذه المدرسة، فلما نظرت في هذه القائمة لاحظت أن حوالي ستين تلميذاً يحملون اسم والدهم: عبد الباقي أكول، فحسبت في أول الأمر أن الناس ينسبون أبناءهم للسلطان اعترافاً بمنزلته في قلوبهم، ولكني عرفت منه أنهم أبناؤه حقيقة، وأن هذا العدد إنما هو جزء من مجموع أبنائه البالغ عددهم مائة وستين ولداً وبنتاً، أنجبهم جميعاً من زوجاته البالغ عددهن ستاً وسبعين زوجة!

فأخبرته ساعتها أنه أصبح مسلماً، وأنه يحرم عليه أن يجمع بين أكثر من أربع زوجات، وأن عليه أن يطلّق الباقيات، فتركني لينظر في هذا الأمر! وبعد مرور أيام، جاءني مبتسماً وقال: الحمد لله! لقد تخلّصت من هذه المعصية التي كنت أجهلها، ففرحت ودعوت له بالتوفيق



الدينكا « اللباس السلطان » من كتاب السميط



من كتاب السميط - الدينكا (دراستهم)



من كتاب السميط - الدينكا دراستهم الآن

في حياتـه الزوجية المشروعة، فلما سـألته عن الطريقـة التي حـل بها هذه المشـكلة، أخبرني أنـه اختار مـن بينهن أربع زوجات على سـنة الله ورسـوله، وجعل الباقيات إمـاءً وعبيداً، فشرحـت لـه أن هـذا الأمـر الأخـير مخالف كذلك لشرع الله، ولكنه اعترض عليه بشدة!

ورغـم طرافـة هـذه القصـة إلا أنـك تكتشـف ببسـاطة من ورائها أن غياب العلم والمعرفـة هو السـبب الرئيس في هـذا الجهل الـذي يضرب ربـوع هـذه المناطـق، ولا أعني الجهـل الشرعي فحسـب بل والإنسـاني الحضاري بمعناه الواسع، وبناء مدرسة في مثل هذه الأماكن عمل مبارك عظيم الأثر.

مركز التدريب والدعوة بالحكمة

من الأمور العظيمة التي غرسها الدكتور عبد الرحمن السميط في نفوس من معه في جمعية العون المباشر وحرص على الاستنان بها طوال مسيرته الحافلة، هو عدم استخدام أساليب الإكراه المعنوي واستغلال حاجة الناس في دعوتهم للإسلام، تأسيا بقوله تعالى ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة: ٢٥٦] واستنانا بسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - «في كل ذات كبد رطبة أجر». متفق عليه.

ويعد ذلك المبدأ في نشر الخير والعطاء لجميع الناس من أكبر الأسباب على نجاح منهجه العطوف في التحاق الكثيرين من إخواننا الأفارقة بركب المؤمنين.

ويخبر د. عبد الرحمن السميط- رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٢١ - يوليو ٢٠٠١م عن زيارته لكينيا أنه قال: قمت بزيارة إلى كينيا، ودخلت خلال جولتي فيها مركزاً قرب العاصمة لتعليم النساء الفقيرات وتدريبهن على الخياطة والعناية بالأطفال، وتعريف الراغبات منهن بمبادئ الإسلام وتعاليمه، والذي أثار انتباهي أن أغلبية



مركز لتعليم النساء

الدارسات فيه سافرات وشعورهن مكشوفة، وعندما استفسرت من المدرسة عن ذلك قالت: إن أغلب النساء في مركزنا غير مسلمات، ونحن لا نرفض انتسابهن إليه في أغلب الدورات، ولا نجبرهن على الحجاب ولا على اعتناق الإسلام، ونترك لهن حرية حضور الحصص الدينية، واستطردت قائلة: إنني أعمل في هذا المركز منذ سنوات ولا أذكر أي طالبة غير مسلمة تخرجت منه على غير ملة الإسلام، إن الجميع هنا – ولله الحمد – يقتنعن بالإسلام من غير إكراه أو إغراء، كما هو الشأن بالنسبة للبعثات التنصيرية.

وفي ختام كلمتها أشارت إلى إحدى الدارسات المحجبات وقالت: إنها كانت نصرانية ولكنها أسلمت بعد مرور ثلاثة أيام فقط من بدء الدورة التدريبية.

إن هذا الدين العظيم لا يتركه من دخل فيه إذا خالطت بشاشة الإيمان قلبه أبدا، فلا يسخط المؤمن على دينه إن تذوق حلاوته وتعلم شعائره وأنس بربه، وبالصحبة الطيبة المباركة، ورؤية سلوك الصالحين خير من القراءة أو السماع عنهم، فالدعوة العملية تنتج ثمارا أطيب وأكثر من مجرد الخطابة والتنظير مع غياب القدوة العملية، ولذلك انتشرت دعوة السميط – رحمه الله – وأنتجت أعمال جمعية العون المباشر الملايين من المسلمين دون إكراه أو استغلال لحوائج الناس.

اللغة العربية كانت لغة السنغال!!



السميط إلى أيامه الأخيرة حريص على زيارتهم والاهتمام بشؤونهم

حرص الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- في خلال ثلاثين عاما بيضاء مشرقة قضاها في إفريقيا على استعادة ما اندثر من الهوية العربية والإسلامية لكثير من البلاد الإفريقية، اعتراها الزوال تارة والذبول والضعف تارة أخرى، فقد اكتشف - رحمه الله - أن هناك ملايين من الأفارقة ترجع جذورهم إلى أصول عربية وإسلامية، وبعضهم كان يتحدث العربية وتركها، بسبب الغزو الحضاري والثقافي التي حملته رياح الغزو العسكري الاستعماري الغربي لتلك البلاد.

وقد ارتكزت أعمال جمعية العون المباشر في تثبيت دعائم الهوية العربية والإسلامية على مرتكزين ينبعان من معين واحد وهما الدعوة والتعليم. وتعد السنغال مثالا واضحا على وجود أصول للهوية العربية والإسلامية، فقد دخل الإسلام السنغال في القرن الحادي عشر الميلادي مع قبيلة صنهاجة التي كانت تقطن موريتانيا حاليا في ذلك الوقت، واسم السنغال مأخوذ من النطق بلغة الولف «سونو غال» بمعنى قاربنا، أو هو تحريف لكلمة «زنگال»، وتزيد نسبة المسلمين هناك عن ٩٤٪ والحمد لله.

ولكن لا يقابل تلك النسبة العالية من المسلمين مثيل لها في انتشار اللغة العربية، فرغم ارتباط العربية بالإسلام ارتباط الروح بالجسد إلا أن اللغة العربية قد نسيت كثيرا في السنغال تحت وطأة التغريب الثقافي، خاصة الفرنسي. جاء في مجلة «الكوثر» - العدد ٣١ - مايو ٢٠٠٢م: ذهب البروفسور عمر سامب مدير مؤسسة أتاديوب، التي تحولت في وقت سابق إلى جامعة داكار الحالية، من خلال مقال له نشر في مجلة المؤسسة المذكورة عام (١٩٧١م)، إلى أن اللغة العربية كانت اللغة الرسمية في السنغال

قبل عهد الاحتلال، وقد تحدث العديد من الرحالة العرب والبرتغاليين والفرنسيين والأوروبيين منذ القرن الحادي عشر الميلادي عن إنشاء مراكز عدة في هذا البلد لتدريس اللغة العربية أو المواد الإسلامية بصورة خاصة.

وقد حافظت الحكومات السنغالية المتعاقبة على هذا النهج الثقافي، فعملت على وضع مناهج دراسية تشمل تدريس اللغة العربية في المدارس الإعدادية حفاظاً على هذه اللغة من جهة، ولفهم القرآن الكريم، واستنطاق الوثائق والمخطوطات التاريخية العربية من جهة أخرى.

لكن ذلك لا يعني أن هذه الحكومات وجهت اهتمامها فقط إلى هذا الجانب من السياسة التعليمية العامة، بل عملت أيضاً على نشر المدارس الأهلية في المدن والقرى، ووضعت لها المناهج والمقررات الدراسية التي تحافظ على الإرث الثقافي والحضاري التي تتمتع به السنغال.

لقد اهتم السنغاليون بالثقافة العربية الإسلامية اهتماماً كبيراً ومن مظاهر ذلك الاهتمام إطلاق الأهالي على المدارس القرآنية اسم « داراً» في لغة «الولوف» والتي اشتهرت بتحفيظ تلاميذها القرآن الكريم، وتعليمهم القراءة والكتابة باللغة العربية، وتدريسهم مواد دينية، بالإضافة إلى الأدب العربي.

وقد نبغ في هذا البلد شعراء سنغاليون مرموقون من أمثال «بشير لوكاه» و«على عثمان درامي» و«الحاج سيدي ديالي» وغيرهم من الشعراء، وبرز فيه علماء مشهورون كـ«حمادي كوليبالي» الذي تخرج من كلية الآداب بجامعة داكار عام (١٩٨٥م) بأطروحته المشهورة تحت عنوان: « الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم –، عند الشعراء السنغاليين المستعربين»، وبعض السنغاليين من فحول شعراء العربية، ولا خلاف في أن السنغال أصبحت بذلك من أهم الدول المستعربة في إفريقيا.

هناك فرص كبيرة لانتشار التعليم العربي في السنغال مدفوعا بانتماء النسبة الأعظم من شعب السنغال للإسلام، وذلك بتضافر الجهود في تكوين مؤسسات تعليمية عربية وفقا لمعايير علمية حديثة، وموحدة قدر الإمكان، تجمع بين معالم الهوية العربية الإسلامية من جانب، والمعاصرة والعلوم الحديثة من جانب آخر.

رياض الكنيسة ولسعة الجوع في الكتّاب!

إن أردت التعليم والطعام فاترك الإسلام، ذلك الشعار الأكبر للكنيسة في استجلاب الفقراء والمعوزين في أرجاء إفريقيا البائسة، فقصص ابتزاز الناس ودفعهم عن هويتهم ودينهم وإلحاقهم بالكنيسة، مدفوعين بوحش الجوع المسغب، والفقر المدقع، والمرض المفزع.

د. السميط في ضيافة مؤرخ العقيلات الأستاذ محمد الوصيبي على يسار الصورة

يقول د. السميط- رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٤٦ - أغسطس ٢٠٠٣م: أثناء زيارتي الأخيرة للسودان زرت كلية التربية في مدينة ملكال التي تسكنها نسبة جيدة من المسلمين، فاكتشفت أنه لا يوجد فيها سوى سبعة طلاب مسلمين من بين جميع طلابها، وعندما استفسرت من أحد مدرسيها، وهو الشيخ محمد دينق عن أسباب ذلك أجاب بقوله: إنه الفقر الذي يحول دون وصول خريجي المدارس الثانوية من المسلمين إلى الكليات والمعاهد من أجل إكمال تعليمهم الجامعي، وأضاف: هل تعلمون أن الكنيسة هنا تدفع ما يعادل اثني عشر ديناراً كويتياً شهرياً لكل طالب يدرس بالكلية، بشرط ألا يكون مسلماً؟! ولنا في النهاية تخيل النتيجة.

ويرى الشيخ محمد دينق أن السبيل الوحيد لمواجهة هذه المشكلة هو التركيز على الكفالات المالية من المحسنين الكرام، فلو تمكنا من كفالة عشرة طلاب متفوقين من أبناء جنوب السودان المسلمين، لارتفعت نسبة الجامعيين بصورة كبيرة عما هي عليه اليوم، وضرب مثلاً بنفسه قائلاً: لو لم أحصل على

منحة من المملكة العربية السعودية المعروفة برعايتها لأبناء المسلمين أينما وجدوا، لما استطعت بلوغ هذه المرتبة الجامعية، والحصول على درجة الماجستير.

وعندما هممت بوداعه حملني رسالة شفهية يناشد فيها إخوانه من العرب بناء ناد للطلبة المسلمين (كلفته حوالي ٥٠٠٠ دينار كويتي) على غرار إخوانهم في العديد من البلاد العربية والإسلامية، وإنشاء مكتبة إسلامية (كلفتها الإجمالية ٨٠٠ دينار كويتي) في الأرض المخصصة لهم أسوة بالطلبة المسيحيين.

كانت هذه صورة عن حالة التعليم الجامعي في وسط المسلمين بهذه المدينة، لكن ماذا عن المرحلة الابتدائية ورياض الأطفال فيها؟ الحقيقة أنني لا أود أن أسهب في الحديث عن أحوالها المؤسفة كذلك حتى لا أثقل على قلب القارئ الكريم، لكنني أتناول باختصار شديد جانباً واحداً فقط قد تكون فيه الكفاية لإعطاء تصور عن واقع حال هذه المرحلة التعليمية المهمة في حياة الطفل.

إن الصورة المؤلمة التي ارتسمت في عيني وأنا أزور بعض الكتاتيب القرآنية هي تلكم الألوان الشاحبة التي صبغت وجوه أطفالها وأجسادهم النحيلة لتترجم سوء التغذية التي أصبحت قدراً مقدوراً يلازمهم من المهد إلى اللحد في الوقت الذي يرون فيه أترابهم من أتباع الكنيسة وهو يرفلون في ملابسهم الأنيقة، وينعمون بوجبات الطعام المجانية، ويلعبون ويمرحون في رحاب روضتهم كأنهم في رياض الجنة وفي ظل هذه الحالة المزرية، قد تشتد وطأة الحرمان على بعض الأطفال المسلمين، أو تلسعهم عضة الجوع في بطونهم فيهربون من كتاتيبهم القرآنية، ويلجئون إلى رياض الكنيسة لتطعمهم من جوع، وتكسيهم من عري! كيف لا يفعلون وإخوانهم المسلمون يبخلون عليهم بوجبة ساخنة لا تكلف أكثر من عشرة فلوس كويتية أو إحدى عشرة هللة سعودية؟

أبلغ بنا الأمر حد العجز عن إطعام خمسين طفلاً من المسلمين لمدة شهر فقط حتى تقوم الكنيسة بهذا الواجب التكافلي الذي بني عليه ديننا الحنيف؟! إن التقصير في حماية عقيدة هؤلاء الضعفاء والمساكين من تغول التنصير هو واجب على المسلمين كافة كل بحسب استطاعته ومقدرته، فمن قام به من عموم المسلمين فقد كفى بقيتهم من الحرج والإثم وسؤال الله سبحانه لنا يوم الدين، أين كنتم أيها العرب والمسلمون حين استلب من إخوانكم عقيدتهم ودينهم تحت وطأة الجوع والفقر والجهل، وقد أحسن الله إليكم بالعلم والمال؟!

وقد قام الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- بجهود مضنية في علاج مشكلات المتعلمين الأفارقة وذلك من خلال قيام جمعية العون المباشر ببناء المدارس تارة، أو من خلال برنامج المنح الدراسية تارة أخرى، مع تمييز الفائقين والمميزين من هؤلاء الطلاب النابهين.

استثمار صغير يأتي بربح عظيم

حرص الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله- في جميع المشروعات والأعمال التي تقوم بها جمعية العون المباشر أن تكون تلك الأعمال على أعلى مستوى من الإتقان والجودة، فلا معنى لأن يقوم المرء بعمل خيري يتناقض مع معايير الجودة والجمال والإتقان، سواء أكان هذا الأمر مسجدا أو مدرسة أو بئرا أو غيره من الأعمال الدعوية والإنمائية أو الخيرية. وتميزت أعمال جمعية العون المباشر بإطار معماري وتنظيمي بارز يجعل من يراها يعلم أنها من صنع جمعية العون المباشر.

وهذا المنهج من إتقان الأعمال يعد بمثابة دعوة صامتة للإسلام والمسلمين في قارة إفريقيا، وعلامة لا تخطئها العين على نجاح تلك المشاريع التي تقوم بها جمعية العون المباشر كواحدة من أكبر المؤسسات الخيرية والإنسانية في إفريقيا، مما يجعلها قدوة لغيرها، وداعما للثقة في الاعتماد عليها للقيام بالمزيد من هذه الأعمال المشرقة. يقول د. السميط- رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد

٤٨ – أكتوبر ٢٠٠٣م: قمت خلال الفترة الماضية بزيارة تفقدية إلى مشاريعنا الخيرية في جمهورية ملاوي الإفريقية، قضيت فيها ليلة في مركز الخرافي الذي بني منذ ثماني سنوات بكلفة إجمالية بلغت ٦٠٠ ألف دولار أمريكي، أي ما يعادل ١٨٥ ألف دينار كويتي، وليلة أخرى في مركز الفريح الذي بلغت كلفة بنائه ٨٠٠ ألف دولار أمريكي أو ما يساوي ٢٢٠ ألف دينار كويتي.

يضم المركز الأول مدرسة ثانوية للبنين، والثاني مدرسة ثانوية للبنات، بالإضافة إلى مسجد ومختبرات العلوم ومكتبة وقسم للكمبيوتر، ومركز لتدريب النساء ودار للضيافة وسكن للمدرسين ومزرعة وغيرها من المشاريع الموازية في كل منهما.

لكن الذي أثار انتباهي بصورة كبيرة، وملأ قلبي بسعادة لا توصف جموع الطلبة الذين احتشدوا في المسجد دون أن يتخلف منهم أحد لأداء صلاة الصبح في خشوع وإجلال، حتى إذا انتهوا منها تحولوا إلى تلاوة القرآن الكريم بأصواتهم الجميلة التي تعبر عن صدق إيمانهم برب العالمين، وحبهم لكتابه العزيز.

إنه الجو الإيماني الذي نتمنى أن يظل صافياً، وتفوح نسماته في جميع ربوع هذه القارة المنسية، لكن ماذا عن التحصيل العلمي والمستوى الدراسي لطلبة المدرستين المذكورتين؟

المؤلف أمام مسجد لطيفة الفريح في ملاوي

إنها مفاجأة أخرى كذلك لم أكن أتصورها بهذا القدر، وهي تتعلق بالنتائج التي حققها طلبتنا على مستوى البلد كله: إذ كانت نسبة النجاح في الثانوية العامة ١٠٠٪ في كلا المدرستين، بينما لم تتجاوز في أفضل المدارس العامة الأخرى ٢٠٪ مما حدا بوفود تمثل وزارة التربية إلى زيارة المدرستين لاستكشاف سر هذه النتائج المذهلة.

إن كلفة الطالب الواحد التي لا تتجاوز خمسة عشر ديناراً كويتياً أو ما يساوي مائة وثمانين ريالاً سعودياً، تعني إفادة أمة الإسلام بطبيب أو مهندس مسلمين بعد مضي عدد يسير من السنوات، إنه استثمار صغير بربح عظيم!

سينما تحول إلى مسجد

كثيرا ما يرزق الله الدعوة الإسلامية أناسا يساهمون إسهاما قويا في دفع العمل الخيري والدعوي خطوات كبيرة للأمام، لما يوفره من دعم مادي ومعنوي في هذا الإطار، ولنا في أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من أبرار الإسلام الأوائل أسوة حسنة وقدوة طيبة، وتدين الدعوة الإسلامية لأمثال هؤلاء الأخيار بالفضل في بناء المجتمعات الإسلامية وإمدادها بحاجاتها الأساسية للحياة والاستمرار.

يقول د. السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٨٦ - ديسمبر ٢٠٠٦م: كان في جمهورية بنين التي تقع في غرب إفريقيا رجل أعمال مسلم يملك سينما كبيرة في بورتو نوفو العاصمة التجارية، ولكن الله تعالى هداه للالتزام بالقيم الإسلامية حتى أصبح أكثر تديناً، فقرر أن يهدم السينما تكفيراً عما مضى من عمره ويبني مكانها مسجداً كبيراً.

لم يكتف بذلك فقط بل زاد عليه أن بنى مسجداً آخر ضخماً، وكان في نيته أن يؤسس مركزاً إسلامياً للأيتام ومدرسة في نفس الموقع، ولكنه توفي - رحمه الله - في منتصف إنجاز هذا المشروع، فلم يكتمل بناء المدرسة بعد استكمال هيكلها الأسود، أما دار الأيتام فلم يشرع بعد في بنائها.



مركز تعليمي للأيتام لتأهيلهم علميا ودينيا

إن حياة هذا المسلم التي تغيرت من حال إلى حال لتعبر عن فعل رياح الإيمان بالنفوس عندما تهب عليها وأمثاله ليسوا بالقليلين، فقد عرفت مسلماً إفريقياً آخر من هذا القبيل في بوركينافاسو، وهو من رجال أعمال كذلك، كان قد تبرع بمبلغ من المال لبناء أربعة وأربعين مسجداً، وعرفت آخر تبرع لبناء أكثر من ستة وسبعين مسجداً، وغيرهم كثير والحمد لله رب العالمين.

ليس هذا فحسب بل تعرفت في أكرا عاصمة غانا منذ عدة سنوات على مجموعة أخرى من رجال الأعمال القادمين من شمال لبنان، وأعجبني فيهم حبهم لأعمال الخير والخدمات التي يقدمونها للسكان المحليين، حيث بنوا مدرسة ثانوية في العاصمة، شاركنا ببناء نصفها وعينا فيها مديراً عربياً لإدارتها، وتركنا شؤونها المالية لهم فهم رجال أعمال يعرفون كيف يديرون ميزانيتها.

لقد أصبحت هذه المدرسة اليوم من أفضل مدارس غانا، يدفع طلبتها رسوما عالية بمن فيهم أبناء وبنات الجالية اللبنانية حتى استطاعت تغطية مصاريفها، بل تحقق أرباحا تستغل في تطوير مرافقها وتجهيزاتها ووسائلها التعليمية، خصوصاً أنها تتوفر فيها مختبرات للكمبيوتر والكيمياء والفيزياء.

أمل للسميط يتحقق بفضل الله

يقول د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله -: حلمي أن أبني مائة مدرسة ثانوية نموذجية في إفريقيا كلها وأدير شؤونها لتخريج جيل من القادة القادرين على إدارة مجتمعاتهم وتوجيهها نحو الإسلام والخير والمحبة والسلام، إلا أن كلفة بناء وتسيير هذا النوع من المدارس مرتفعة جداً، ولكنه حلم لو تحقق، فأبشروا بخير كبير لإفريقيا بعد عشرين سنة إن شاء الله.

رحم الله الدكتور عبد الرحمن السميط، الداعية والطبيب والإنسان القدوة، الذي لا تنتهي شمائله ولا أسباب الإعجاب به، فها هو يقوم بتلك الأعمال العظيمة وما زال يحلم بمزيد من غِراس الخير والجمال في شتى بلاد المسلمين.

حيهلا يا دعاة الحق وسعاة الخير وباذلي المعروف وذوي اليسار، لنحقق شيئا من أحلام فاتح إفريقيا الثاني عبد الرحمن السميط، ونعمل على نشر العلم والمعرفة في القارة السمراء ولا ننسى ما حلم به من العمل المتقن والمتكامل لتلك الأعمال.

يقول الدكتور عبد الرحمن صالح المحيلان الرئيس الحالي لمجلس إدارة جمعية العون المباشر: نحن الآن لدينا مدارس قرآنية تربو على مائتين وخمسين مدرسة، إضافة إلى مائتي مدرسة نظامية حكومية منتشرة في عشرات الدول الإفريقية وفقا لنظام التعليم الحكومي في الدولة التي بها المدارس.

لدينا أيضا كلية وأربع جامعات، ونحن في طور بناء جامعتين أخريين، ونخطط لبناء جامعة كل سنتين، فضلا عن مزيد من المدارس الثانوية.

وها هو صاحب الغرس الأول في إفريقيا عبد الرحمن السميط يمتد أثره وينسأ الله له في ذكره، وتستمر ثمار أعماله المباركة في الازدياد والنماء بفضل من الله، ثم بفضل الأيدي الفاضلة الكريمة المباركة التي شاركته مع جمعية العون المباشر في أجر هذه الأعمال المباركة التي ستكون خير فرط لهم على الصراط إن شاء الله، فهل من مزاحم للخير ومشمر لثمار العطاء والبر.

د. عبد الرحمن المحيلان وافتتاح بعض مشاريع جمعية العون المباشر

الفصل السابع

عبد الرحمن السميط
والمناسبات الإسلامية في إفريقيا

الباب الأول

إفطار الصائم

فضل إفطار الصائم

إفطار الصائم صورة من صور التكافل الاجتماعي في الإسلام، فهو بين الأقارب فرصة لصلة الأرحام، وتجمع الأهل والأحباب الذين فرقتهم الأيام، وباعدتهم الأعمال والأشغال، أو تناءى بهم الخلاف والخصام.

وهو تأليف لقلوب الفقراء والمساكين، ومواساة للأمهات الثكالى والأيامى والأيتام، فاجتماع الناس على سماط واحد يتناولون طعام إفطارهم تبعث على الأنس من الوحشة والتجمع بعد الوحدة.

وإفطار الصائمين في إفريقيا من أفضل الأعمال، فلا شك أن إخواننا في إفريقيا أكثر حاجة من غيرهم، حيث إن الفقير منهم صائم رغم أنفه طوال العام يصل الجوع بين الليالي والأيام، ولا يختلف رمضان عن غير رمضان إلا في نية الصيام.

تُمَزِّقُهمْ نُيُوبُ الجُوعِ حتَّى
يَكادُ الشَّيخُ يَعثُرُ بِالعِيالِ

يَشُدُّونَ البُطُونَ على خَوَاءٍ
وَيَقتَسِمُونَ أَرْغِفَةَ الخَيالِ

وتَضْرِبُهمْ رِياحُ المَوتِ هُوجاً
وَفي أَحْداقِهِمْ نَزْفُ اللَّيالِي

ونَامُوا في العَرَاءِ بِلا غِطاءٍ
وسَارُوا في العَرَاءِ بلا نِعَالِ

فهنيئا لمن أطعم بطونا جائعة خماصا، غرس الجوع في بطونهم أنيابه، وهنيئا لمن أروى أجوافا عطاشا، جف الماء من دمائهم، حتى كاد أن يسيل الموت لهم لعابه،

وقد حث – صلى الله عليه وسلم – على إفطار الصائم بقوله: «مَنْ فَطَّرَ صَائِماً كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَنْقُصُ من أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئاً» رواه الترمذي بإسناد صحيح.

لم يترك الدكتور عبد الرحمن السميط –رحمه الله– فرصة لإدخال السرور على قلوب إخواننا في إفريقيا إلا واغتنمها، ولا معنى من المعاني الإنسانية والإسلامية إلا وكان سباقا إليها، رابطا كل هذه المعاني الراقية مع الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة لأولئك الذين أجهدتهم مشاق الحياة ومتاعبها، وطال عليهم الأمد حتى نسوا مآثر دينهم ومفاخره الدينية والإنسانية.

فقام السميط –رحمه الله– قدر ما استطاع هو ومن معه من خيرة رجال جمعية العون المباشر بما يوليه عليه إسلامنا من واجبات صلة الأرحام وإطعام الطعام وطيب الكلام، وأعاد تجديد معاني الإسلام في عقول ونفوس إخواننا في إفريقيا ، فكانوا خير سفير لخير الشرائع والأديان دين الإسلام.

السميط ومشروع إفطار صائم

يعتبر مشروع إفطار الصائم من أهم المشاريع الموسمية التي حرص على تنفيذها د. عبدالرحمن السميط – رحمه الله – أثناء توليه قيادة جمعية العون المباشر في الدول الإفريقية الفقيرة، ويهدف المشروع إلى نشر قيم التكافل بين الشعوب الإسلامية، والإسهام في تخفيف معاناة المحتاجين خلال الشهر الكريم، حيث يستفيد من هذا المشروع مئات الآلاف من الصائمين ويتم خلال شهر رمضان توزيع آلاف الطرود الغذائية على الأسر بالإضافة لتجهيز موائد الإفطار الجماعي في مختلف المساجد والقرى ذات الأغلبية المسلمة.

وقد حرص الدكتور السميط -رحمه الله- على أن يكون لجمعية العون المباشر وجود دائم في الأماكن التي تفتقر للمساعدات والإغاثات، وأحيانا ما تكون هذه الأماكن ذات طبيعة خطرة، مما يعرض العاملين للمخاطر المتعددة تصل لدرجة القتل أحيانا، ولكن الله خير حافظا وهو أرحم الراحمين.



ذبح الثور ومشاركة الأهالي بالإفطار الجماعي

وإبّان أزمة إقليم دارفور في السودان في العام (٢٠٠٤م) طلب الدكتور عبد الرحمن السميط بأن يتم تنفيذ مشروع إفطار صائم داخل مخيم «كلمة» للنازحين، وهو يبعد (١٧) كيلومتراً شرق مدينة نيالا بجنوب دارفور، وهو من أكبر مخيمات النازحين في إفريقيا، وتحدث فيه الكثير من الحوادث وأعمال القتل، والانفلات الأمني لعدم وجود قوات أمنية تحميه، حتى إن به بعضاً من عناصر الحركات المسلحة الكارهة للعرب والمسلمين باعتبار أن المنظمات والجمعيات العربية والإسلامية مساندة للحكومة، وأن العاملين فيها معظمهم عيون للحكومة بحسب ما تم تعبئة هؤلاء به من أفكار.

ويقول مدير مكتب السودان: «وقد حاول مسئول المفوضية منعنا من الذهاب إلى هذا المخيم لخوفه على سلامة فريقنا، وبحمد الله اشترينا ثوراً وتوجهنا نحو المخيم، وعندما وصلناه استفسر النازحون عنا، فقلنا لهم: نحن إخوانكم من جمعية العون المباشر الكويتية، ونحن الذين فتحنا لأبنائكم مركزاً لتغذية الأطفال والنساء الحوامل والمرضعات من قبل في معسكرات النزوح، وقد جئنا الآن بتوجيه من إخوانكم من دولة الكويت لنشارككم الصيام والإفطار فرحبوا بنا، فندينا الرجال فذبح الثور وتم إعداد الإفطار.

وفي المساء اجتمع المئات في مائدتنا الرمضانية، ورأينا النازحين رغم فقرهم الكل يخرج بما عنده، فأفطرنا جميعاً، وبكى الناس فرحاً، وقالوا لنا: إن هذه أول مرة يجتمعون مع بعضهم البعض منذ بداية النزوح في العام (٢٠٠٢م)، وعندما هممنا بالرجوع والانصراف طلبوا منا أن نجلس ونشاركهم حلقة التلاوة المسائية التي يقيمونها عقب الإفطار ففعلنا، وبعد الانتهاء ودعونا بالتهليل والتكبير، وكم أصاب الذهول القوات الأمنية عندما عدنا عند الساعة الثامنة والنصف مساء وقالوا لنا: والله ظنناكم الآن في عداد الأموات.



هذا ديننا

في إحدى القرى الوثنية بتشاد ذهب د عبدالرحمن السميط –رحمه الله–ليتفقد حال أهل القرية بعد ما علم أن منهم الكثيرين يموتون من الجوع وقد أخذ قراره بالإفطار مع مسلمي القرية، وهناك دعا كل أهل القرية مسلمين وغير مسلمين، فتعجبوا ونظر بعضهم إلى البعض متسائلين لماذا يفعل المسلمون هذا ؟ !

وقد كان هذا سببا في إسلام بعض القرى هناك.

أسلِموا تَسلَموا بحفظ الله

أحيانا لا يجد غير المسلمين وسيلة لإثناء الناس وصدهم عن دخول الإسلام إلا بالتهديد، إما بالقتل، أو بالتجويع والطرد، ولكن الله غالب على أمره.

في بوركينافاسو جاء رجل مسلم يطلب السماح لأبنائه النصارى بأن يجلسوا على مائدة الإفطار مع المسلمين، وذكر أن سبب عدم إسلام أولاده هي الأم التي كانت تهدد الأب المسن بالقتل لو حاول الاقتراب من أبنائه أو دعوتهم إلى الإسلام، ولم يكن في مقدرة د. عبدالرحمن السميط - رحمه الله - أن يرفض وقال له: «أهلا بهم وأبناؤك مثل أبنائنا، ولعل الله أن يهديهم إلى طريق الرشاد»، وبعد أن تناولوا الإفطار وحضروا درسا عن عظمة الإسلام قرروا الدخول في الإسلام على الفور وطمئنوا الوالد أنهم لن يسمحوا لأحد بإيذائه.

فيلكن اسم ولدي رمضان

وفي ليلة من ليالي الإفطار في إحدى الدول الإفريقية كانت هناك امرأة حامل مسلمة ، وكانت تساعد الجميع في توزيع وجبات الإفطار، وفجأة جاءها المخاض وبعد أن وضعت قالت يا د. عبدالرحمن: سيكون اسم ابني رمضان!



بارك الله في القليل

يحرص القائمون على جمعية العون المباشر أن تكون الوجبات والإعانات الموجهة للفقراء كافية قدر الإمكان حتى لا يضطر الفقير للسؤال، ولكن قد يخرج الأمر عن قدرة المسئولين عن مكاتب الجمعية أحياناً، لكثرة عدد المستحقين، وأحياناً لا يوجد ما يكفي هذا العدد.

رعم القصص البسيطة من

ويذكر القائمون على العمل في جمعية العون المباشر بالسودان: كنا قد زرنا قبيل رمضان العام (١٤٣١هـ) منطقة الفتح (٢) شمال غرب أم درمان، وزرنا عدداً من دور المؤمنات وتضم مئات الدارسات الفقيرات، ويتم تقديم الدعم العيني والمادي، فقررنا إقامة مشروع إفطار صائم ذاك العام في هذه الدور، ونجمع الدارسات في يوم معين، ونوسع عليهن ذاك اليوم، ونخفف عليهن في شهر الخير والبركة، ولكن كمية الإفطارات المصدقة للمكتب آنذاك كانت أقل من الأعوام السابقة مع كثرة الطلبات الواردة للمشروع لدى المكتب، على أية حال لم نتمكن من تخصيص إفطارات مطبوخة لهذه الدور كما كنا نفكر من قبل ، ولكن وفقنا في الحصول على عشرة أكياس للصائمين ضمن مشروع توزيع كيس الصائم (مواد جافة) لصالحها، وهذه الكمية قليلة جداً مقارنة بعدد الدارسات في هذه الدور والذي يفوق (٣٠٠) دارسة، ففكرت كثيراً في إمكانية مساعدتهن كذلك، وكدت أن أصرف النظر عن الفكرة برمتها لحين توفر كمية مناسبة في المرات القادمة إن كان في العمر بقية، ولكن توكلت على الله واتصلت على الأخت المسؤولة عن هذه الدور بمدينة الفتح (٢) وأخبرتها بما عندي،

والعجيب أنها رحبت ترحيباً شديداً بهذا الدعم والفكرة، فحضرت ومعها ثلاث أخوات أخريات كمندوبات لهذه الدور، واستلمن الأكياس العشر، وعدن أدراجهن، وفي المساء اتصلت بي وقالت: لقد جمعنا محتويات الأكياس العشر، ووزعناها بطريقتنا على دارسات مراكزنا، والجميع سعيد وراض – والحمدلله – ثم قالت: الحقيقة إنهم لشدة حاجتهم لا يكترثون للكمية، بل ما يهمهم أن يحسوا بأن هناك من يهتم لأمرهم ويحاول مساعدتهم بما يستطيع دون تكليف أو تحميل النفس ما لا تطيق ، أي المسألة معنوية إلى حد كبير، فلكم ولكل من يدعمون مشاريعكم وافر الشكر والتقدير ، ونسأل الله القبول.

صائمون طوال العام

هناك موقف مؤثر جداً يتكرر في كل مشروع إفطار صائم تنفذه الجمعية كل عام ، وهو أنك تجد سكان القرى الذين لا يملكون إلا قليلا من القوت، إلا أننا وجدناهم صابرين على صيام رمضان ابتغاء مرضاة الله تعالى، أما في غير رمضان فهم صائمون في الحقيقة –وإن كانوا مفطرين شرعا – وما ذلك إلا بسبب الفقر المدقع الذي يعانون منه، [illegible] الصوم رجاء الأجر عند الله تعالى، وترى المرأة الأرملة التي [illegible] [illegible] بلقمة أو لقمتين تنجو بها ولو إلى حين من الموت جوعا.


الجوع هناك يفتك بالأهالي

زيارة في الشهر الفضيل

يقول الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله: توجهنا إلى قرية (طابا) والتي كانت تمر بأحوال مؤسفة، في زيارة طارئة لتفقد أحوالهم وإمدادهم بالمساعدات الممكنة، وتذكيرهم بدينهم، ودعوتهم إلى التحلي بالصبر والدعاء حتى ينجلي البلاء عن القرية وتسيل دموع الرحمة من السماء.

ومن بركات هذه الزيارة الميمونة أنها كانت في شهر رمضان المبارك، حيث خرج الأهالي عندما سمعوا السيارة لاستطلاع من جاء فيها، فلما رأونا فرحوا بزيارتنا فرحاً كبيراً، وعبر بعضهم عن فرحتهم بقولهم: « جاءنا أحفاد النبي -صلى الله عليه وسلم-».



وقد استثمرنا أيام رمضان المباركة في تقديم وجبات إفطار الصائم والدروس اليومية التي ألقاها دعاتنا في جموعهم رجالاً ونساء وأطفالاً تحت ظلال الأشجار.

وقد لاحظنا الأثر المدمر الذي تركه الجفاف في حياة هذه القرية، حتى إنهم لم يتمكنوا من الحصول على الماء النادر إلا في واد جاف على بعد ثلاثة كيلومترات عن مساكنهم ، ولما سألناهم عن سبب تركهم الدعاء والتوجه إلى الله بصلاة الاستسقاء أجابنا أحدهم بقوله: لا توجد في القرية كتاتيب قرآنية حتى نأخذ ألواح تلاميذها ونضعها فوق رؤوسنا لنستسقي بها ، وندعو الله أن يغيثنا بها غيثاً نافعاً.

وفي هذه المناسبة علمناهم صفة صلاة الاستسقاء، والأدعية الصحيحة الخاصة بالاستسقاء، وأدينا معهم هذه الصلاة، ودعونا الله تعالى أن يغيث هؤلاء المسلمين غيثاً نافعاً غير ضار، ويعمهم برحمته.



والله ماهي إلا ساعات معدودة حتى تلبدت السماء بغيوم وسحب مطيرة وانهمرت دموع الرحمة غزيرة لتحيي هذه القرية التي أوشكت على الهلاك والموت، وتكون مثالاً حياً لاستجابة الدعاء الذي ينطلق من القلوب العامرة بالإيمان والتقوى.

وفي ختام هذه الزيارة المباركة في هذا الشهر الفضيل طلب منا بعض الأهالي إلحاق أبنائهم بالمعاهد الدينية ليتفقهوا في دين الله، ويحملوا رسالة الإسلام في هذه القرية.

ومن أراد من المحسنين الكرام أن يعلي كلمة الله في هذه الأرض عبر تعليم أحد أبنائها دين الله ليحمله إلى أهله وذويه، فما عليه إلا أن يتبرع بمبلغ لا يتجاوز اثني عشر ديناراً كويتياً في كل شهر خلال مدة الدراسة فحسب، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وتذكروا جميعاً أيها الأخوة أن هذه القرية لم يكن فيها نصراني واحد قبل خمسة عشر عاماً عندما زرتها لأول مرة، أما اليوم فقد تنصر منهم العشرات بسبب الجوع والفقر والمرض والجهل والفراغ الديني الناجم عن جسد هذه الأمة الإسلامية الذي فقد بعض أعضائه الإحساس بألم الأعضاء الأخرى.

أفطرت معهم

تقدم جمعية العون المباشر عبر مشروعها مشروع إفطار الصائم سنويا ما يقارب ثلاثة أرباع المليون وجبة جاهزة للأكل في المساجد والقرى والنجوع في مختلف الدول الإفريقية ولها تأثير بالغ جدا على الناس هناك، فهم ينظرون إلى هذا العربي الذي تبرع لهم بهذا الطعام نظرة تقدير وإعجاب، حيث إنه لم يرهم ولم يروه ولكنه جاء استجابة لنداء الله سبحانه وتعالى. وقد لمس الدكتور السميط أثرا كبيرا لهذا المشروع عبر مواقف كثيرة، ذكر في مقالاته طرفا منها



وفي برنامج «عبد الرحمن الفاتح» إعداد وتقديم: عبد العزيز العويد عن د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله – أنه قال : أذكر في غينيا بيساو شيخا يبلغ من العمر حوالي ثمانين سنة متأثرا بطعام إخوانه العرب في شهر رمضان فطلب أن يتوقف جميع الحاضرين عن الإفطار وطلب منهم التأمل من أين وصلتهم هذه الإفطارات؟ ولماذا؟

ثم عقب هذا الشيخ باللغة المحلية بأنها من إخوانهم العرب الذين أحبوا أن يصلوا إخوانهم في غينيا بيساو رغم بعد المسافة فأرسلوا لهم هذه الأغذية، ثم انخرط الشيخ الكبير في البكاء، وإذا بالجميع يبكون كلهم معه، بما فيهم نحن الذين كنا نسمع عن طريق مترجم.

وقد تأثر كثير من المسلمين الخيرين بموقف تنفيذ جمعية العون المباشر لمشروع الإفطارات فحاولوا أن يساهموا بطريقتهم الخاصة، وأذكر واحدا منهم تبرع جميع المساجد التي بنتها جمعية العون المباشر، وأمر بأن تصبغ من جديد على نفقته الخاصة بمناسبة رمضان لتكون المساجد في أحسن مظهر لها كمساهمة منه واقتداءً بإخوانه من أهل الخير والإحسان من العرب.

وكثير من رجال الأعمال والتجار يتبرعون لنا، هذا يتبرع بخمسمائة دولار، وهذا يتبرع بعشرين دولار، وهذا يتبرع بخمس دولارات، وهذا يتبرع بحمولة شاحنة كاملة من الطعام لطبخها وتوزيعها على المحتاجين في رمضان.

وقال: وفي بوركينافاسو في قرية «كمبالومبا» يروي الداعية «سباكو جالو» قائلا: شارك زعيم كنسي بروتستانتي في ولائم الإفطار، وكان يحاول أن يخدم ويقول: فخرٌ لي أن أساعدكم في توزيع الطعام، وقد رحبنا به من باب الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وبعد حوار طويل بيني وبينه في ليلة سبعة وعشرين من رمضان عرف هذا الزعيم الكنسي البروتستانتي منا أنها ليلة مباركة، ففوجئنا به يقف وسط الحاضرين داخل المسجد بعد أن أصر على الدخول وقال: لقد اقتنعت الآن من الأعماق بأن الإسلام وحده هو الدين الحق من بين جميع الأديان وهذا هو الدين الذي ارتضته نفسي وأعلن إسلامه في تلك الليلة المباركة وأعز الله الإسلام في هذه القرية بدخول هذا الزعيم الكنسي إلى الإسلام.



وفي منطقة «غورموتادا» في بوركينافاسو كذلك يروي الداعية عبد الله غنامي قائلاً: إذا استمرت هذه الوجبات طوال شهر رمضان سيكون فيها خير كبير لهؤلاء الفقراء لأن أغلبهم لا يجدون ما يتسحرون به ولا ما يفطرون عليه.

وفي نفس المنطقة أذكر جيداً قول أحد الفقراء: مجرد ما أرى وجبات إفطار الصائم أمام المسجد أنسى كل ما عانيته من جوع وعطش وإرهاق في هذا الشهر الكريم، لأنه ليس لدي مال لأشتري به إفطار ولا سحوراً ، أودعا الله سبحانه وتعالى لكل من ساهم في إيصال اللقمة إلى أفواههم في هذا الشهر المبارك ، وقال: إنه يشعر بأن روح الإسلام قائمة بين المسلمين وأننا نحن لسنا إلا جسراً بينهم وبين إخوانهم العرب المسلمين في إفريقيا .

ظلال الرحمة تصل إلى المسجونين

لم تقتصر قوافل الرحمة والبر التي تقوم بها جمعية العون المباشر على فئة دون أخرى حيث إن الفقر والحاجة يربان جذورهما بين جميع الفئات والطوائف، وتعد السجون من هذه البقاع التي تحتاج إلى الرعاية والعناية ، فإذا كان الأحرار لا يجدون قوت يومهم فما بالكم بالمسجونين؟

يقول الدكتور السميط: لما قدمنا الإفطار في سجن مدينة « سوكودي » دخل ثمانية من المساجين في الإسلام، ولما تابعناهم أخبرنا مدير السجن أنه قد حسن إسلامهم، وأبدى شكره لنا - رغم أنه غير مسلم- ، حيث إنه لاحظ أن كل من يدخل الإسلام يتحسن في تصرفاته وأخلاقه - بفضل الله سبحانه وتعالى - وقد سمعنا هذا أيضا في تنزانيا وفي تشاد و السودان.

وفي سجن غينيا كوناكري قدمنا وجبات الإفطار هناك فوقف أحد السجناء وقال كلاماً عاطفياً جداً تأثرنا به كثيراً وتأثر به المشرفون على السجن حيث قال:

أعلن ندمي على ما ارتكبته من جرائم وهي كثيرة، وبعضها عرفته الحكومة ، وبعضها لم تعرفه ، ولكنني أعاهد الله سبحانه وتعالى على التوبة وألا أعود إليها أبداً، وقد نويت إذا خرجت من السجن أن أصوم عشرة أيام وأن أكون حمامة مسجد ، كل ذلك بسبب ما سمعه من دروس تزكية النفوس وتقوية الإيمان التي ترافق إفطار الصائم، وكان تقديم الإفطار في السجن سببا في عودة بعض الشباب الذين تأثروا واتبعوا الأديان الأخرى إلى الإسلام وحسن إسلامهم والحمد لله رب العالمين، وقد زرناهم بعد ذلك فرأيناهم يحافظون على الصلوات الخمس وشكرنا مدير السجن على ذلك كثيرا.

وعندما زرنا السجن المركزي في مدينة «كوردا» وهي ثاني أكبر مدينة في جنوب السنغال جمعوا السجناء وشكرونا وشكروا المحسنين وقاموا يدعون لكل من ساهم، وطلبوا منا مصحفا لكل واحد منهم، لكن لم يكن لدينا عدد كاف منها فتأثر كثيراً من لم يحصل منهم على مصحف، وكذلك تأثر مدير السجن وقال: سأخاطب بعض الوجهاء في المدينة، وبالفعل اشترى بعض المصاحف وجمع البعض الآخر من بعض المحسنين ووزعها على المساجين . يقول أحد السجناء : لو أننا وجدنا من تعامل معنا بهذا الشكل من قبل لما وجدتونا هنا الآن بل كنتم قابلتمونا في المساجد بدلا من السجون.

وفي مركز المعاقين في «كالوم» حاول بعض المعاقين الاشتراك في تحضير وجبات الإفطار، وكان من الأشياء التي دمعت لها أعيننا أن نرى أحد المعاقين مبتورة يده من الساعد، ورغم هذا كان يعلق كيسا من البصل على كتفه، ويحمل كيسا آخر بيده لأنه يريد الأجر من الله، فمن سألناه وقلنا له: أنت معذور ولا تؤذ نفسك كثيرا، وعلى الأقل خذ معك كيسا واحدا، فقال: لا، العرب يطلبون هذا الأجر، وأنا إذا كنت لا أستطيع أن أنافسهم في تقديم الطعام لكن على الأقل أستطيع أن أنافسهم أو أساعدهم في تقديم الخدمة لإخواني الآخرين.

لقد كان المقصد أن الجميع يستطيع أن يحضر ولائم الإفطار دون تمييز بين مسلم وغير مسلم، والحمد لله كانت سياسة ناجحة أدت إلى دخول الغالبية العظمى للإسلام بفضل الله سبحانه وتعالى وبدون أية ضغوط، ولا يتوقف دورنا عند دخولهم الإسلام فحسب بل تستمر الدروس الدينية ودورات المهتدين الجدد التي تستمر لمدة شهر نعلمهم فيها مبادئ الإسلام، وأحيانا كانت تأتي إلينا أسر كاملة نساء ورجال -كباراً وصغارا-، ويشاركون جميعاً في ولائم الإفطار وأغلبهم فقراء طعامهم بسيط لا يزيد على النشاء والحمص أو الطحين والحمص، وأذكر أن واحدة من المهتديات الجديدات قالت ذات مرة: الآن فقط نستطيع أن نصوم ونحن مطمئنون لوجود الإفطار فجزى الله كل من أطعمنا.



مشاركة الأهالي في تحضير الوجبات

والآن الإفطار تحت سقف الحكومات الإفريقية

يروي الداعية إبراهيم مصطفى من أوغندا في مسجد «إنسامابينا»: في أحد مراكز الشرطة وكانت الحكومة وقتها تمنع الصلاة فيه، وادعت أن الأديان من أسباب الكساد والحكومة لا تريد أن ترى المسلمين يتجهون إلى القبلة في أوقات الصلاة وهي في نفس الوقت تطبق نفس الشيء على الكاثوليك والبروتستانت، وتطلب من الأوغنديين ألا يتبعوا سوى قوانين الشرطة فقط، ولذلك حولوا كل المساجد والكنائس والمعابد في مراكز الجيش والشرطة إلى مساكن، واعتبروا المصلين من المسلمين متمردين، ويقولون إن طاعة قوانين الجيش والشرطة هي طاعة لله والعياذ بالله، ولكن في رمضان رأينا في أكثر من معسكر من المعسكرات أعاد افتتاح تلك المساجد ، وقدمنا فيها إفطار صائم وكان ذلك نصراً للمسلمين فرحوا به كثيرا بفضل الله تعالى وبموافقة قادتهم الذين فرحوا بأن العرب يتذكرون إخوانهم في هذه الأماكن النائية ويقدمون لهم الطعام.

وفي بنين في غرب إفريقيا يحكي لنا الداعية المجتهد ماجد درمان علي: كان هناك مجموعة من الفقراء والمساكين يسألون بعد كل إفطار أين ستقيمون الإفطار المرة القادمة حتى يتتبعوا مكان الإفطارات، حيث إنهم لا يستطيعون حتى شراء إفطارهم فضلا عن السحور، واليوم الذي لا يجدون فيه إفطارا يبقون جائعين لليوم الذي يليه حيث يفطرون على الماء فقط ولا شيء غير الماء ، وهذا ما شاهدته بنفسي مئات المرات في إفريقيا مع الأسف الشديد .

وفي قرية ببكي في إحدى المحافظات جاءنا رجل عجوز يصحب ولده الذي يبلغ من العمر أحد عشر عاما، وقال للحضور في المسجد: جئت بابني هذا ليدخل في الإسلام، ونصحته بأن ينطق الشهادتين، وقال له أمامنا: أنصحك بأن تتمسك بهذا الدين، فهو دين الحق، فسأله دعاتنا: ولماذا لا تسلم أنت؟ ، فقال: لقد عشت عمري كله في الكفر

والوثنية، وأخاف إن تركته الآن أن تنتقم أرواح أجدادي وآبائي مني لذلك سأبقى على دين آبائي إلى مماتي، مع أني ما دخلت الإسلام إلا لأني أعرف أنه دين الحق، ولذلك جئت بابني ونصحته أن يتمسك به فتأثر كل الموجودين بهذا الموقف، ومن ثم استمرت علاقتنا بهذا الرجل العجوز، ودعا له المسلمون أن يفتح الله عليه بالأمن والإيمان وأن يهديه الله للإسلام.

وفي نفس البلد أذكر أن واحداً من الأثرياء لما دخل الإسلام طرده والده من المنزل فاضطر الشاب أن ينتقل إلى العاصمة ليبحث عن مكان ينام فيه ويبحث عن طريقة للعيش، فالتقى به أحد دعاتنا أثناء تنفيذ برنامج إفطار الصائم، فحكى له الشاب قصته فتأثر الداعية بذلك بعد أن تأكد بنفسه من صحة القصة، واتصل بأحد المحسنين الذي آواه في بيته وأحسن إليه وأدخله في المدرسة من جديد بفضل الله سبحانه وتعالى.

وفي غانا وبسبب الفقر هناك بعض الصائمين يأكلون القليل من الطعام ليأخذوا البقية لأسرهم لأن أغلب هذه الأسر لم تذق اللحم من سنوات طويلة، ولكن يأبى إخوانهم العرب إلا أن يرسلوا لهم إفطار الصائم ويجعلوهم يفرحون بقدوم هذا الشهر الفضيل لأنهم مع أجر الصيام سيأكلون في بعض الأيام -إن لم يكن في كل أيام الشهر - في مشروع إفطار الصائم لأننا حقيقة لا نستطيع أن نقدم إفطار صائم في كل مسجد كل يوم لأننا نتنقل من مسجد إلى آخر حتى يعم المشروع أكبر عدد ممكن من المناطق والمساجد، ونأخذ في كل مرة عددا قليلا من المؤلفة قلوبهم ممن نظن أن الله سبحانه وتعالى سيفتح قلوبهم للإيمان.

وفي قرية «مانكوندا» في جنوب السنغال كان هناك أحد المنصرين الأمريكان حضر ذات مرة لأحد دعاتنا وقال له: لماذا تتبعوننا دائماً أينما ذهبنا ودائماً تفسدون ما نصنع في هذه القرية، فرد عليه الداعية: نحن فقط نمارس عملنا ولا نفسد عملكم، فرد عليه بل تفسدونه، إننا حين نبني كنيسة، وتبنون في المقابل مسجدا في نفس المكان، فيتحول جهدنا إلى هباء حيث يدخل في الإسلام معظم الذين تنصروا على آيدينا، وأنتم الآن تقدمون الطعام مجانا

وفي قرية من القرى قرب مدينة «فيجو» اجتمع الأهالي بمناسبة تقديم إفطار صائم، وبدأ الداعية الشيخ عثمان سيسي يلقي درساً وأثناء الدرس أعلن ١٣ شخصاً دخولهم الإسلام علماً بأن من دخل الإسلام في هذه القرية على يد دعاة الجمعية يزيد عن ٤٠٠ شخص بفضل الله سبحانه وتعالى، وهذا دليل على أن الناس قريبون من دخول الإسلام لو وجدوا من يقدم لهم الإسلام بدون تعنت وبدون كراهية وبدون محاولة إصلاح وتغيير في يوم وليلة، فعندما نقدم لهم الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة نستطيع أن نكسب القلوب بسهولة خاصة إذا رافقها إفطار صائم أو الأضاحي أو توزيع ملابس أو غيره لأن تلك الأشياء تكون مجرد مفتاح لنا لقلوبهم يجعلهم مستعدون لسماع كلامنا.

وفي إحدى القرى الأخرى يقول لنا أحد الأشخاص الذين حضروا الإفطار: لقد ارتفعت أسعار اللحم والبصل والبطاطس بشكل كبير حتى لم نعد قادرين على شرائها نحن متوسطي الدخل، فتأتي الإفطارات لتذكرنا بأنه مازال في الدنيا شيء اسمه لحم وبصل وبطاطس، هذا بالنسبة لغذاء البطن أما غذاء العقل فنحن نأخذه من المحاضرات المصاحبة.

وفي إفريقيا الوسطى أذكر أننا بعد ما قدمنا الإفطار جاءنا نائب قسيس وخطب فينا خطبة بعد ما أعلن إسلامه وقال: إنه يحمد الله ويشكره أن أنقذناه من الكفر الذي قضى فيه أربعين سنة وأنه تأثر جداً من محبة المسلمين لإخوانهم واهتمامهم بأحوالهم .

وهذا كان السبب الذي جعله يسأل ويقرأ عن الإسلام حتى هداه الله سبحانه وتعالى للإسلام الآن في لحظة الإفطار، والحمد لله حسن إسلام الرجل، ولم ينقطع اتصالنا به ومستمر معنا في الدعوة إلى الله.

محمد وعيسى عليهما السلام ينهلان من مشكاة واحدة

يقول السميط : في قرية «بوكا» تكلم دعاتنا عن عيسى - عليه السلام - وتأثر القسيس لأنه كان يظن أن المسلمين لا يؤمنون بعيسى - عليه السلام - فقيل له : إن في القرآن سورا عن سيدنا عيسى وعن أمه وعن آل عمران ، فأسلم القسيس وسميناه يوسف والحمد لله أن ٢٥ شخصاً آخرين من أهل القرية أسلموا مع هذا القسيس.

وأذكر في يوم من الأيام في قرية من القرى في إفريقيا الوسطى واحدا من المسلمين كاد يهلك جوعا فجلس بجوار المسجد ولم يكن يتوقع شيئا حتى حضرت سياراتنا وبدأ الناس ينزلون الطعام، فلما سأل أخبروه أنه من طعام العرب فطار الرجل فرحا، وقال: إنه من محبة الله سبحانه وتعالى للعرب ولنا أن يسر لهم ولنا أن يصلوا إلينا ونحن في أمس الحاجة لهذا الطعام ونسأل الله أن يأجر كل من تبرع لنا بهذا الطعام.



إخواننا الكرام: إن الوجبة التي تكلف فقط نصف دينار كويتي أو ٥ ريالات سعودية و ٥ دراهم إماراتية، نستطيع أن نقدم بها وجبتين ونآمر مكاتبنا الميدانية بذلك، والحقيقة أن المكاتب تتعرض لضغوط كبيرة، فمع كثرة الإقبال من الفقراء والمساكين يضطرون أن يقدموا الوجبة الواحدة أحيانا لأربعة أشخاص بل ولخمسة وستة أشخاص أحيانا أخرى فهم غالباً ما يتفاجأون بأعداد أكثر من أعداد الناس الذين تم تسجيلهم قبل بداية تنفيذ المشروع.

وفي كينيا تراسا في منطقة الغرياما وفيها قبيلة الغرياما التي نسأل الله أن يفتح قلوبهم للإسلام، كان أغلب طلاب المدرسة الثانوية الحكومية مسيحيين وكذلك كل المدرسين، ويعيش هؤلاء الطلاب في ظروف صعبة جداً، حيث لا تقدم المدرسة لهم سوى وجبة الغذاء وتخيرهم بين الجوع أو تناول الغذاء، فعندما قدمنا الإفطار في مركز جمعية العون المباشر للطلبة المسلمين منهم كانوا يحضرون معهم بعض أصدقائهم من غير المسلمين، ومن ثم يتأثرون بما يشاهدونه، وبالفعل يتحول كثير منهم إلى الإسلام بفضل الحب والتواصل الذي يرونه، وبفضل الدروس التي يحضرونها، ونحن بدورنا نوصي الطلبة المسلمين خيراً بإخوانهم من المهتدين الجدد.

وأذكر مثلا في منطقة أرثر بورد وهي منطقة لقبائل السمبورو وهي قبائل وثنية بدائية وكان فيها قسيس ورئيس كنيسة البنتاكوس وهي طائفة الغالبية العظمى منهم للأسف الشديد يتخذون مواقف سيئة جداً من الإسلام ومن نبي الإسلام سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وفي يوم من

الأيام فوجئنا بابن ذلك القسيس يسلم ثم يأتي رمضان ليعلن والده إسلامه أيضا، ويحسن إسلامه مما أثر في أهل القرية جميعا وتغيرت أخلاق أهل القرية والحمد لله، وتأثر به عشرة من الشباب و ستة من البنات كلهم أسلموا، وهذا نصر كبير لدين الله سبحانه وتعالى خصوصا في هذه القبيلة التي ترى أن دينها هو الأصح وخصوصا حين يسلم رأس الكنيسة، والأمر الثاني أننا حين التقينا بهؤلاء الشباب والشابات وجدنا لديهم – بفضل الله تعالى – حماساً شديدا لنشر الإسلام في المنطقة التي زرتها عدت مرات وتأثرت لما رأيتهم هناك والحمد لله رب العالمين .

وفي يوم الأيام أتى قسيس الكنيسة في منطقة ستالي ليعلن إسلامه وحينما سألناه عن سبب إسلامه قال : لقد رأيت حلاوة الإسلام وذقتها بعد ما أسلمت ، وما كنت مقتنعا في يوم الأيام اقتناعي بهذا الدين بعدما أسلمت . وعلى إثر إسلام ذلك القسيس قامت الكنيسة بالتبرأ منه وإبعاده وقالوا : إنه مجنون ، وقد سحره المسلمون ، فرد عليهم بأنه في أتم صحة وعافية بفضل الله سبحانه وتعالى، وأنه سيبقى على هذا الدين حتى يلقى الله سبحانه وتعالى.

وفي منطقة «وابوي» نحمد الله أنه رغم كل الدعاية التي أثارتها الكنسية بأن المسلمين يشترون أتباعهم بالمال بهدف تدمير النصرانية في المنطقة، واتهموا بعض الدعاة أنهم يدفعون أموالا، وأوصلوا القضية للشرطة التي حققت في الموضوع، وتبين لها كذب تلك الادعاءات، وصدر توضيح رسمي من الشرطة وهم غير مسلمين، وردوا على رجال الكنيسة بأن كل ما تدعونه على المسلمين قد تبين بطلانه وكذبه.

هل ولائم الإفطار من أجل الإطعام فقط؟!

الشيء الذي يميز عمل الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- أنه يوظف كل مشروع من مشروعاته في أفريقيا في خدمة الدعوة إلى الإسلام والتعريف به.

يقول -رحمه الله-: نحن لا نقدم إفطار الصائم فقط خلال شهر رمضان بل نقوم بتنفيذ برنامج كبير جداً نوظف فيه كل طاقات الدعاة العاملين وعددهم ٣٢٠٠ داعية في إفريقيا يشاركون في هذه البرامج ونفتتح المساجد ونحفر الآبار ونوزع الملابس والكتب الإسلامية بعد ترجمتها للغات المحلية، ونوزع المصاحف، ونسيّر كذلك قوافل دعوية لتبليغ الدعوة الإسلامية لكثير من الناس، ولدينا برنامج دعوي نخطط له مسبقاً قبل أشهر من رمضان لنحاول به رفع مستوى الالتزام بالإسلام عند المسلمين، وهذا ما يحدث في كل مكان في إفريقيا بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل إحسان أهل الخير في أرض الخير أرض الجزيرة العربية التي أرض الرسالات والأنبياء، ونحن متأكدون تماما أن المستقبل في إفريقيا للإسلام بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل دعائكم، فلا تنسوا إخوانكم في إفريقيا من هذا الدعاء ، ولا تنسوهم من دعم الدعوة إلى الله هناك حتى تصل الدعوة إلى كل الناس هناك .



الباب الثاني

فرحة العيد والأضحية

صُناع السعادة


إدخال السرور على الأهالي

لا شك أن إدخال السرور على قلب كل مكلوم وصناعة الفرحة لإسعاد كل مكروب مهموم من أفضل الأعمال، والانشغال بإدخال البسمة على الضعفاء واليتامى، والفقراء والأيامى من أشرف الأشغال، فمن انشغل بإصلاح أحوال الناس خير ممن انشغل بنفسه، ولا يستوي من أطعم الطعام وألان الكلام ونشر المحبة والسلام مع من أشغلته لذاته وملهياته عن إخوانه وأخواته.

واعلم أخي الكريم أن إسعاد المسلمين وإدخال السرور على المؤمنين عبادة لا يحسنها إلا النفوس الطاهرة النقية المنزهة عن الأثرة والأنانية، رجاؤهم الأول أن يرضوا رب الناس بإسعاد خلقه، والتخفيف عن المحزون والملهوف، وجبر كل كسير أو ضعيف، وسعادتهم الكبرى أن يرسموا البسمة على وجوه كاد الفقر أن يمحو عن قسماتها صورة البسمات، وحجب الجوع والألم عنها صوت الضحكات.

فهنيئا لمن أضحك عابسا أو أسعد قلبا بائسا، لقوله –صلى الله عليه وسلم-: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا. ولأن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد، يعني مسجد المدينة شهرا « رواه الطبراني.

وإدخال السرور وتخفيف الآلام عن الناس لا يستلزم أعمالا كبيرة لنيل الأجر فيكفي مسحة على رأس يتيم، أو بسمة في وجه مهموم، قال – صلى الله عليه وسلم – «تبسمك في وجه أخيك صدقة» رواه الترمذي.

الإسلام وفرحة الأعياد

إن الإسلام رحمة مهداة، وليس هناك رحمة بلا فرحة، فالفرحة طاقة نورانية للنفس البشرية، وهي تجديد للحياة وانطلاق وأمل، وتتميز أفراح المسلمين عن غيرها من الأفراح بأنها موصولة برضا الله وطاعته، كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، فالفرحة والسرور بإرضاء الله تعالى لا تعدلها فرحة.

فلكل أمّةٍ من الأمم عيد يأنسون فيه ويفرحون، وهذان العيدان يضمنان عقيدة الأمة الإسلامية وأخلاقها وفلسفة حياتها، فكلاهما يأتي بعد ركنٍ من أركان الإسلام، فعيد الفطر يكون بعد عبادة الصوم وعيد الأضحى بعد عبادة الحج، وقد قال - صلى الله عليه وسلم-: «للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح، وإذا لقي ربه فرح بصومه» رواه البخاري ومسلم.

فلما قدم رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: «ما هذان اليومان؟» قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم -: «إنَّ الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الأضحى، ويوم الفطر» رواه أبو داود. وأضاف الإسلام للعيدين عيدا أسبوعيا كل يوم جمعة تستروح فيه الأنفس المتعبة، فيتطيب فيه المسلم بعد أن يغتسل غسل الجمعة ثم يخرج إلى الصلاة، ثم يسعى في الأرض يطلب رزقه أو يصل رحمه أو يقضي حوائجه. ولتكتمل عناقيد الفرحة في الأعياد حرم الإسلام على المسلمين أن يصوموا في هذه الأيام المباركة، حتى لا يحرموا أنفسهم فرحة العيد أو يعكروا على أحبابهم وذويهم من الأهل والأقارب والأصدقاء فرحتهم بامتناعهم عن مشاركتهم طعامهم وأفراحهم.

السميط ودوره في إدخال فرحة العيد إلى إفريقيا

كان الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- وإخوانه الكرام في جمعية العون المباشر من صناع السعادة الذين جعلوا من أعمارهم وأوقاتهم وقودا لأعمار إخوانهم في إفريقيا، وبذلوا الجهد والجاه في سبيل إسعادهم وتخفيف آلامهم، يعلمون جاهلهم، ويطعمون جائعهم، ويروون ظمآهم، ويداوون مرضاهم، ويواسون اليتيم، ويجبرون الكسير، ويعينون على مصائب الدهر، فكانوا رسل سلام ومحبة بين أهل الجود والعطاء وبين أهل الحاجة والبلاء.

لقد علم السميط أنه لا يستقيم أن يفرح وإخوانه في إفريقيا يخيم على نفوسهم كآبة الفقر والحاجة، ويحجب نور العيد عن قلوبهم ظلمة العوز وذل الفاقة.

فبأي عيد يشعر من عري بدنه، أو خلا جوفه، أو اعتل بدنه، وأي فرحة تلمس قلوبا أنهكها ذل السؤال ورقة الحال.

فلتكن الفرحة بإعانتهم على صيام الشهر الفضيل بإطعام صائمهم وإدخال السرور على صغيرهم قبل كبيرهم، ومشاركتهم في فرحتهم وأعيادهم. وتعد الأضحية من أسباب إدخال الفرحة على الإخوة في إفريقيا، فهي من جهة تعد سنة نبوية مؤكدة، ومن جهة أخرى تعد بابا لإدخال السرور على القلوب، وصورة من صور التكافل الاجتماعي التي حث عليها ديننا الحنيف.

يقول السميط - رحمه الله -: رأيت بعض النساء يتحركن منذ الصباح الباكر صبيحة العيد نحو مكان الذبح علهن يفزن بقطعة لحم يعدن بها إلى أطفالهن.

وفي إحدى السنوات كان قد انتشر في العالم مرض جنون البقر الذي ينتقل بالعدوى إلى الإنسان، وقد حذرنا كثير من الناس من إقامة مشروع الأضاحي في هذا العام، ولكننا توكلنا على الله ونفذنا المشروع بعد أن عرضنا أضحياتنا على المختصين البيطريين، وأجريت عليها الفحوصات، والاختبارات اللازمة للتحقق من صحتها وخلوها من الأمراض بما في ذلك مرض جنون البقر.

وفي اليوم الموعود تجمع المئات من المواطنين لأخذ اللحوم، وكان بعضهم يتحدث واثقاً بأن هذا الوباء الذي أشيع عنه كان في صالحهم هم الفقراء، لأنهم لن يجدوا منافسة من الآخرين.

وقد صدق المتنبي إذ يقول:

بذا قضت الأيامُ ما بين أهلها مصائب قومٍ عند قومٍ فوائدُ



تم فحص الأبقار بسبب انتشار وباء (جنون البقر)

الأضاحي ودورها في الدعوة إلى الله

ذكر د. عبد الرحمن السميط - رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ٦٥ - مارس ٢٠٠٥م:لقد جرت العادة أن يتبرع لنا المحسنون كل عام بالأضاحي الموجهة إلى إخوانهم في إفريقيا، ونحن ننصحهم أن يضحوا في بلدانهم إحياء لشعيرة نبي الله إبراهيم - عليه السلام - وما تبقى من الأضاحي نذبحه عنهم في إفريقيا.

إن أغلب الناس يظنون أننا نطعم الفقراء هناك وكفى، ولكنهم ربما لا يعرفون مدى تأثير ذلك في نفوس المسلمين، أو لا يدركون أنه في كل عام يتأثر بعض المسلمين بهذا العمل الخيري لشعورهم أن العرب يرسلون الأضاحي مجاناً للفقراء في بلادهم دون مقابل، ومن ثم يسلم عشرات الآلاف منهم في كل عيد.

فعلى سبيل المثال اهتدى في قرية في غرب إفريقيا مجموعة من الوثنيين، فذبحنا لهم بقرة وفوجئنا بأحدهم واسمه عثمان يدعو من بقي على غير دين الإسلام أن يدخل فيه، وقال لنا متحمساً: إنه يجب ألا يمر مثل هذا اليوم بدون دعوة، فاستجاب له العديد وأسلموا بعد أن شرح لهم ما يعرفه عن الإسلام.



توزيع الأضاحي على الفقراء لإدخال السرور عليهم

قال لنا أهل القرية: إنه لأول مرة في حياتهم يأكلون لحم البقرة السوداء لأنهم حسب اعتقادهم قبل إسلامهم أن من يأكله تنزل عليه اللعنة وتصيبه الأمراض فيموت!

وفي قرية أخرى وقف زعيم المهتدين الجدد ليذكر أهالي المهتدين بأن هذه الأضاحي هي من بركات إخوانهم العرب الذين لم يطلبوا مقابلاً لها سوى أن يكونوا مسلمين صالحين.

والتقينا أرملة كبيرة في السن تبكي بكاءً شديداً تأثراً بمثل هذه المواقف العظيمة بعد أن أخذت نصيبها من اللحم وهي تدعو لمن تبرع بهذه الأضاحي قائلة: اللهم ارحم من رحمنا أنا وأبنائي الأيتام الذين لم يذوقوا اللحم منذ أكثر من سنة، اللهم عوّض المحسنين بأكثر مما أنفقوا.

وعندما رأى رئيس لجنة أحد المساجد في بنين تدافع الناس في موسم الأضاحي اشترى بقرة من ماله الخاص وذبحها حتى يعم الخير كل الفقراء.

كونوا دعاة بأفعالكم لا بأقوالكم

يذكر الدكتور عبدالرحمن السميط- رحمه الله - في مجلة «الكوثر» - العدد ١٤ - ديسمبر ٢٠٠٠م: أن أحدالدعاة في قرية أجانجو قام بذبح الأضاحي ووزع لحومها، فجاءه بعض النصارى وطلبوا نصيباً منها، فلم يتردد في إعطائهم ففرحوا كثيراً، وبعد أيام أبلغنا الداعية أن عدداً منهم قد أعلن إسلامه، وهذا يؤكد ما نكرره دائماً وهو أن تصرفات الدعاة الحكيمة لا كلامهم لها دور مهم في إقناع الآخرين بالإسلام.

البقرة السوداء والقلوب البيضاء

وفي قرية تولوزوجو بغرب إفريقيا كان موسم الأضاحي قد أتى وكانت البقرة التي سيُضحى بها سوداء اللون، والغريب أن سكان هذه القرية كانوا لا يأكلون الماشية ذات اللون الأسود، وبعد الذبح وتوزيع اللحم على أهل القرية جاءوا جميعاً شاكرين الله تعالى على هذه النعمة وشاكرين د. عبدالرحمن السميط -رحمه الله- وجمعية العون المباشر ويقولون: إننا في حياتنا ما أكلنا لحما أطيب من هذا ولا في هذه البركة، فأكلت القرية كلها من هذه البقرة، وأعلن بعضهم إسلامه.



وعندما قامت جمعية العون المباشر بتنفيذ مشروع الأضاحي في أوغندا وبالتحديد في منطقة بحيرة فيكتوريا ، فلما أرست سفينة الأضاحي عند شاطئ البحيرة وعلم سكان المنطقة أن الجمعية ستقوم بذبح عدد من الأضاحي أتى عدد كبير من سكان الجزر المحيطة أيضاً ، وكانوا يظنون أن الجمعية ستقوم ببيع هذه اللحوم بأسعار رخيصة، ولكن فوجئ الجميع أن هذه الأضاحي ستوزع عليهم بدون أي مقابل، فراح سكان الجزيرة والجزر الأخرى بالسؤال عن هذا الدين الذي يساعد فيه الغني الفقير ، وعندها أعلن عدد كبير من سكان الجزيرة إسلامهم.

وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا

يقول د. عبد الرحمن السميط في مجلة «الكوثر» - العدد ٣٠ - إبريل ٢٠٠٢م: قمنا قبل حوالي خمسة عشر عاماً بذبح عدد من الأبقار في جمهورية رواندا بمناسبة عيد الأضحى المبارك، وقد تولى عملية الذبح أحد الشبان الكويتيين غير مهتم بلباسه الأبيض الأنيق الذي تلّطخ بدم الذبائح بعد ما عاد به من صلاة العيد، وقد ملأ المكان عطراً وطيباً، ولم يكتف بذلك، بل أشرف كذلك على تقطيع اللحوم وتوزيعها في سيارة (الوانيت) على الفقراء والمحتاجين.

وفي خضم هذه الأعمال التكافلية كان أحد الأشخاص من غير المسلمين يراقب هذا الشاب من بعيد، مستغرباً وجود رجل أبيض في مثل هذه الهيئة الوقورة يتحمل كل هذه الدماء والتعب من أجل إطعام هؤلاء الناس. فلما سأل عن موطنه قيل له: إنه مسلم من دولة الكويت.

فقال: أهو من كويت النفط، أم هناك كويت أخرى غيرها؟ فقيل له: إنه من كويت النفط والثروة، فقال: وما الذي دفعه لأن يحمل كل هذا وهو غني من أجل هؤلاء الفقراء؟ فقيل له: انه دينه الإسلام الذي يأمره بأن يتواضع لله، ويكون من عباده الذين يمشون على الأرض هونا، حتى يتقرب من هؤلاء الفقراء الذين يعتبرهم إخوانا له يحبهم في الله، ويبذل ماله وبدنه في سبيل خدمتهم.

فقال الرجل: إني والله أحببت هذا الشاب المسلم، وأحببت تواضعه، وأحببت دينه، وإني أريد أن أكون على ملّته، فأعلن إسلامه.



العمل من على ظهر (وانيت) الجمعية لتوزيع الأضاحي



منذ ولد لم يغسل أطرافه يومياً إلا بعد إسلامه

ويقول - رحمه الله -: في إحدى دول القرن الأفريقي توجد قبائل وثنية كنا ولازلنا نهتم بها، ونحاول تحسين فهم الأهالي للإسلام.

ذهبنا إليهم في موسم الأضاحي وقام داعيتنا الشيخ عمر أحمد إبراهيم الذي تخصص في هذه القبيلة بالإشراف على ذبح الأضاحي ، وكانت وزارة الصحة قد اختارته للمساهمة في توعية الناس ضد مرض الإيدز، رغم أن المسلمين بينهم نسبتهم لا تكاد تذكر لمكانته بين الناس، وللحكمة التي يتميز بها، وكان في محاضراته عن الإيدز يدعو للإسلام من طرف خفي.

أحس الشيخ عمر أن هناك نوعا من الاقتناع عند الناس بالإسلام، فقرر أن يشجعهم بصورة غير مباشرة، إذ قرر أن يذبح بعض الأضاحي التي جاءته من المكتب الرئيسي عندهم، ولم يفرّق بينهم عند توزيع اللحم فتعجب الناس وبدأوا يتساءلون لماذا يفعل المسلمون ذلك بينما أصحاب الديانات الأخرى لا يعطون إلا أتباعهم، وكانت الأضاحي شيئاً جديداً في هذه المنطقة.

بدأنا صلاة العيد والوثنيون يراقبوننا باهتمام ونحن نكبّر ونهلّل في سعادة، تكررت زيارات الشيخ عمر لهم ليسأل عن أحوالهم وأخبارهم، وفوجئ الشيخ ذات يوم أن خمسة وخمسين شخصاً يريدون اعتناق الإسلام بمجرد إخبارنا بالموضوع فنظمنا دورة للمهتدين الجدد، وزرناهم في رحلة بلغت مسافتها مائتي كيلو عن العاصمة.

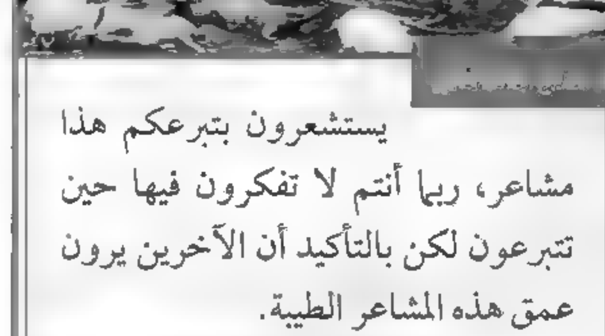
والمعروف أن قبيلة الكريو من القبائل الوثنية التي نجد صعوبة كبيرة في نشر الإسلام وسطها.

رأيت فرحتهم بالأضاحي

يقول السميط - رحمه الله -: كنا قد بدأنا برنامج الأضاحي في عام (١٩٨٢م) وبرنامج الأضاحي ليس مجرد ذبح أضاحي وتوزيعها ثم نمضي، ولكن هناك برامج دعوية مرافقة ودورات وبرامج دعوية في القرى التي نذبح فيها، كذلك نفتتح مشاريع إسلامية مثل المراكز والمدارس ودور الأيتام وغيرها، ونستغل هذه الفرصة الطيبة لإصلاح العلاقات وإزالة الخلافات بين القرى والقبائل والعائلات وغيرها، والحمد لله كل سنة نحاول أن نحل مجموعة من المشاكل بين الأهالي عن طريق جمعهم سويا في موسم الأضاحي، ولا ننسى في هذه المناسبة الطيبة أن نطيب خواطر الأيتام والأرامل والفقراء والمساكين، ونقوى الروابط مع المساكين ونحاول تعزز إيمانهم بدينهم، فنزور المساكين والمرضى وغيرهم في هذه المناسبة.

ونظراً لما يأتي في هذه المناسبة من مشاعر قد لا نشعر بها نحن ولكن يحس بها إخواننا الأفارقة حين يرون أن هذه الأضاحي جاءتهم من بلاد العرب من ناس لم يروهم ولم يزوروهم قط، فيتأثرون بذلك تأثراً كبيراً.

وأذكر في قريتين في غرب إفريقيا، الأولى اسمها «باسيمو» والقرية الثانية «روباني» أسلم مائة وعشرة أشخاص، وفي قرية في بوركينا فاسو اسمها «كاتكو» أسلم تسعة وثلاثون شخصا، وفي قرية ثالثة اسمها «جاميا» أسلم تسع وثلاثون شخصا أيضاً، وهناك الكثير يسلمون بفضل الله تعالى ثم بفضل تبرعكم لأنهم يستشعرون بتبرعكم هذا مشاعر، ربما أنتم لا تفكرون فيها حين تتبرعون لكن بالتأكيد أن الآخرين يرون عمق هذه المشاعر الطيبة.



من يفوز برأس الثور!!

ويقول - رحمه الله - : كان الطلبة الأفارقة الذين يدرسون في جامعة السودان ظروفهم صعبة، فوزعنا عليهم كمية من اللحم، ولكنهم اختلفوا على من يفوز بجلد الثور وكل منهم يريده لنفسه، وفي النهاية اضطررنا لتقسيمه فيما بينهم لأن جلد الثور في عرفهم أهم من اللحم، وطبخوا في هذا اليوم وأكلوا بفضل الله سبحانه وتعالى.

وفي معسكر «بانتيو» للنازحين وزعنا لحوم الأضاحي لحما صافيا في أكياس، ولكن واحدة منهم رأت الكرشة والمصارين فطلبت استبدال نصيبها من اللحم بجزء من الكرشة والمصران، وفرحت بذلك فرحاً كبيراً لأنه عندهم الكرشة والمصران أهم من اللحم لأنه يستمر معهم مدة طويلة ويطبخونه على عدة أيام.

وفي خلوة من الخلاوي المشهورة في السودان اسمها « خلوة أم ضو» والخلوة هي كتاتيب لتحفيظ القرآن الكريم، وإذا كانت الخلوة في بلادنا فيها ٢٠ إلى ٥٠ طالبا وطالبة فإن الخلوة في السودان فيها مئات بل وأحيانا الآلاف مثل خلوة «همشكوريب» فيها ١٤ ألف طالب وطالبة، وخلوة « بركة» فيها ٦٥٠٠. وخلوة «أم ضو» فيها مئات الطلبة لا يذوقون اللحم إلا نادراً، فلما ذبحنا عندهم ثورا تدافع الطلبة على لحوم الأضاحي حتى نظفوا المكان تماماً من أي أثر للحوم حتى القطع الصغيرة أخذوها ونظفوها، فقام شيخ الخلوة جزاه الله خيراً وقال للطلبة: لابد وأن تدعوا لإخوانكم الذين تبرعوا أن يزيد الله من فضلهم وأن يجعل ما ينفقون خلفاً لهم.



يشير إلى رأس الثور



قام التجار في مالي بتخفيض أسعار الأبقار من أجل المساهمة معنا

قال لنا مسئول في البلدية في الخرطوم: تقدمون لنا درسا في التكافل الاجتماعي بين المسلمين، والكرم تجاه الفقراء والمحتاجين في يوم العيد وإدخال الفرح والسرور في قلوب هؤلاء المساكين.

وقالت مسئولة في الشئون الاجتماعية: ساهمتم في تخفيف وطأة الفقر والحرمان في مثل هذا اليوم ، ونحن نشكركم وندعو لكم في هذا اليوم الفضيل.

أذكر في مالي أننا لما وزعنا الأضاحي على الفقراء الذين كانوا يتسولون كل يوم أغنيناهم عن السؤال والتسول في هذا اليوم، فلما شبعوا من اللحم، لم يعودوا يسألون في يوم العيد بفضل الله سبحانه وتعالى.

وأذكر أيضا أن تجار الأبقار في مالي لما عرفوا أننا جمعية خيرية وأننا جمعية العون المباشر وأننا سوف نوزع لحومها على الفقراء قاموا كلهم بدون استثناء بتخفيض أسعار الأبقار لنا مساهمة منهم في مشروع الأضاحي، فقمنا نحن بدورنا بشراء كمية أكبر من المخطط له.

وفي مالي أيضاً أذكر بعدما وزعنا الأضاحي حضرت امرأة كبيرة إلى بيت الداعية تبكي وتشكره وتقول : والله اليوم ما كان عندي شيء أطبخه وآكله أنا وأولادي، ولكنكم أعطيتموني هذا اللحم فأدخلتم الفرحة في قلوب أولادي، فجزاكم الله خيراً، ولهذا جئت أشكركم وأشكر كل من تبرع بهذه الأضاحي.



لا يفضلون لحم الخروف بسبب قلة لحمه

وفي شرق النيجر في مدينة «مرادي» ومدينة مرادي فيها ضغط كبير من قبل المنظمات التنصيرية، ذهبنا للمدينة وما حولها ووزعنا الأضاحي على ٥٠٠٠ أسرة، وكل أسرة أصابت جزءا بسيطا ما بين ربع إلى نصف كيلو من اللحم، ونحن عادة نذبح أبقارا لأنهم لا يحبون لحم الخراف، ولحم الخرفان فيه كمية من اللحم أقل من سبع البقرة، فيستفيدون أكثر من لحم البقرة.

وفي محافظة «زيندر» في شمال النيجر قام المحافظ بشكرنا وقال : ما قصرتم في الاهتمام بنا ، ونسأل الله الجزاء للمحسنين من العرب، وطلب من كل الحاضرين أن يرفعوا أيديهم بالدعاء لإخوانهم العرب الذين تبرعوا لهم بالأضاحي.

وكثيراً ما نقع في حرج عندما نذبح الأضاحي ونرى مساكين لم نحسب حسابهم، فنحن قبل أن نذبح نحسب أعداد الناس في كل قرية ونوزع عليهم بطاقات على أساسها يأتون لتسلم نصيبهم من لحوم الأضاحي في يوم العيد، لكن عندما نبدأ يأتون من القرى المجاورة ويحرجوننا فنضطر أن نقلل نصيب الفقراء من كمية اللحم.

الجزارون يشاركون السميط وإخوانه عملهم

يقول - رحمه الله -: في منطقة «موبتي» في شمال مالي وهي منطقة إسلامية مشهورة وكانت عاصمة للدولة الإسلامية التي قامت هناك، وقد رفض القصابون (الجزارون) أن يأخذوا أجراً مقابل ذبحهم للأضاحي وقالوا : إن كنتم تبرعتم بثمن الأضاحي، فنحن نتبرع بوقتنا، وشارك معنا عدد كبير من رجال الدولة والمسئولين إما بالذبح أو بتقطيع اللحم أو بالتوزيع، وكانت نتيجة هذا الاحتفال أن دخلت بفضل الله سبحانه وتعالى أسرتان إلى الإسلام واحدة وثنية والثانية نصرانية، والحمد لله أن استقاموا على الإسلام ووصينا عليهم إمام المسجد، وكما ذكرت فالمدينة في الأصل مدينة إسلامية.

وفي قرية من القرى اسمها «تلدنجوا» جاءت إلي داعيتنا في بيته امرأة مسيحية وطلبت منه لحما، وما كان عنده إلا نصيبه في البيت فتبرع لها بنصيبه، فذهبت تحدث النساء المسيحيات والوثنيات عن سماحة الإسلام وقالت لهم : والله كنت أهاجم الإسلام ولكن والآن أشعر بالندم على ما كنت أقوله سابقاً، وأسلمت وبدأت تدعو إلى الإسلام متأثرة بعطف المسلمين.



الأضاحي مجانا

وهناك امرأة عجوز في مدينة «ريو» جاءت من مسافة بعيدة جداً فلم تحصل سوى قطعة صغيرة من اللحم لأنها حضرت نهاية التوزيع، فأعطاها الدعاة قطعة صغيرة فقالت لهم: إن هذه القطعة الصغيرة عندي خير من الدنيا وما فيها لأنها مباركة وتبرع لي بها أحفاد النبي - صلى الله عليه وسلم - في جزيرة العرب. كما عقدنا مسابقة في حفظ القرآن والتفسير ولم يكن عندنا جائزة فجعلنا رأس الثور هي الجائزة ، والحمد لله فاز بها أحد الطلبة المتطوعين لحفظ القرآن الكريم وفرح بها فرحاً كبيراً ووضعها فوق رأسه وأخذ يمر بها أمام الموجودين.

وفي منطقة «سفاري» نظمنا مسابقة في المعلومات الإسلامية ووزعنا عليهم الكرشة أو رأس البقرة أو الجلد، ونحن في الأصل لا نرمي أي شيء من البقرة وكلها نوزعها على الفقراء أو نستخدمها كجائزة في المسابقات.

كلوا من الطيبات واعملوا صالحا

ويضيف - رحمه الله -: في بوركينافاسو أخبرنا أحد المهتدين الجدد وكان من الوثنيين أخبرنا أنهم كانوا يأكلون لحم الحمير والخنازير وكل الحيوانات القذرة، ويقول: كنا مدمنين على الخمور، وقد أنقذنا الله سبحانه وتعالى منها، وأبدلنا بالطيبات بعدما أسلمنا، والآن يأتينا هذا الرزق الطيب الهنيء، وخاصة أنه يأتينا من بلاد العرب ، وقد أسلم في هذه القرية بفضل الله عز وجل ثمانية أشخاص جدد عندما رأوا التكافل الموجود بين المسلمين من خلال توزيع الأضاحي وما صدقوا أبداً أننا نوزع اللحم مجانا ولا نطلب شيئاً في المقابل.

وفي منطقة أخرى في بوركينافاسو تدافع الناس على مكان توزيع الأضاحي وكان فيهم شيخ عجوز أصيبت ساقه من جراء التدافع ونقل إلى المستشفى ولم يكن يهمه الجرح بل كان مازال يسأل عن نصيبه من الأضاحي وخاصة كما يقول أنها من إخوانه المسلمين العرب.

وجاءتنا عجوز وقالت : إنها حلمت بالليل أنها تأكل من كبد الأضحية ، وقالت : أرجوكم لو تعطونا جزءا بسيطا من الكبد، فأعطيناها وبرغم أنها عجوز رأيناها تهرول وقالت : كنت أتمنى أن آكل كبد أي حيوان فكيف وأنا آكل من أضحية من بلاد العرب.

وفي قرية « كوماجا» في بوركينافاسو ذبحنا بقرة وكان هناك ١٤ قرية مجاورة كانت علاقتهم جميعاً طيبة، فدعا أهل القرية بدون علمنا أهل القرى الأخرى حتى يحضروا الحفل، فقلنا : لا يمكن أن يأخذ جميع أهل القرى من بقرة واحدة، فقالوا : لقد اتفقنا معهم وانتهى الأمر، وسوف نوزع البقرة على القرى الأربعة عشر جميعا، فكان نصيب كل واحد منهم كيسا صغيرا جداً من اللحم، فكان ذلك شيئا طيبا جداً وأنا واثق أنه سوف يقوى أواصر المحبة والصداقة بين القرية والقرى الأخرى، وأذكر أن الجميع رفعوا أيديهم إلى السماء ليدعو للمحسنين من بلاد العرب الذين تبرعوا لهم في هذا اليوم المبارك.

وفي قرية ثانية أعجبني كلام أحدهم لما قال: عجيب حال إخواننا العرب، نحن نربي الثور وننتظره سنين حتى يكبر لنبيعه ونستفيد من ثمنه ويأتون هم ليشتروه ويقدمونه لنا هدية فكيف نستطيع أن نجزي إخواننا العرب ؟ !

وفي مدغشقر أذكر أن ملكا من ملوك القرى أسلم ومعه ١٧ شخصا بعد أن سمع خطبة العيد وتأثر بها، خاصة أن الخطيب قد ذكر قصة سيدنا إبراهيم وكيف امتثل أمر ربه في إقدامه على ذبح ولده إسماعيل، ولما رأى



من المسلمين في القرية حسن المعاملة مع الآخرين وأنهم لا يفرقون بين مسلم أو غير مسلم، ومع قدوم الأضاحي وتوزيعها في القرية كان ذلك سبباً مباشراً في إسلامه .

وفي جنوب غينيا منطقة اسمها غينيا الغابية فيها الكثير من الوثنيين وغير المسلمين، وعندما نفذنا عندهم مشروع الأضاحي العام الماضي أسلم ٢٩ شخصا بفضل الله سبحانه وتعالى.

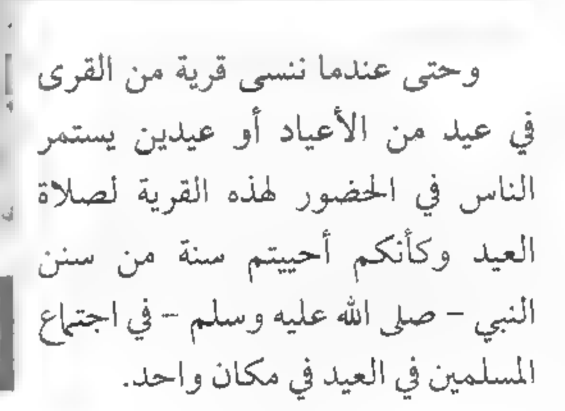
وفي سيراليون منطقة «كوتوتاون» عندنا مدينة اسمها «مدينة السلام للأيتام» فيها مركز إسلامي متكامل هربت بقرتان من أبقار الأضاحي، ولكن بفضل الله سبحانه وتعالى وجدها شباب القرية وردوها إلينا وقالوا : كيف نترك هذه البقرة تهرب من عندنا، وقد تبرعتم لنا بها، ولن نتركها تهرب إلى الغابة، فإننا لم نذق طعم اللحم منذ أشهر عدة، وبعضنا لم يذق اللحم من عام كامل والحمد لله ذبحنا البقرة ووزعناها عليهم.

مباراة بين الجزار والثور

ومن المواقف الطريفة يقول السميط: وفي قرية اسمها كاريا سنتر في المسجد هرب ثور الأضاحي أيضاً ولكن كان القصاب شجاعاً فطارد الثور، ومع الأسف رفسه الثور فسقط القصاب ، ولكن رغم هذا قام مرة أخرى وربطه وذبحه ووزعنا اللحم فأكرمنا الجزار بقطعة لحم كبيرة، وبقي بألم رفسة الثور عدة أيام.

أمهات الأيتام الذين انتهت كفالتهم في غينيا بيساو أتوا وقالوا : إننا تعودنا كل عام أن تعطونا من لحوم الأضاحي، والآن انتهت الكفالة فنتمنى ألا تحرمونا من اللحم هذا العام خاصة وأننا فقراء وجائعون، وما نستطيع أن نشتري اللحم، فاستطعنا -والحمد لله- أن نعطيهم جزءا من الثور الذي ذبحناه في المنطقة وذهبوا فرحين، وأعطينا باقي الثور للأيتام في مركز الأيتام.

وأذكر مرة في غينيا بيساو بعدما ذبحنا الأضحية ووزعنا اللحم جاءنا رجل مسكين يرتدي ملابس ممزقة، وما كان لدينا شيء نعطيه إياه حتى اللحم المخصص للأضاحي تم توزيعه على الفقراء، فقال : لو تسمحوا أعطونا الجلد وجزءا من عظام الثور فأعطيناه إياه، وقال: سوف أطبخه وأصنع منه مرقا يكفيني وأسرتي لعدة أيام.



وحتى عندما ننسى قرية من القرى في عيد من الأعياد أو عيدين يستمر الناس في الحضور لهذه القرية لصلاة العيد وكأنكم أحييتم سنة من سنن النبي - صلى الله عليه وسلم - في اجتماع المسلمين في العيد في مكان واحد.

وفي ليلة عيد الأضحى نظل نوزع الأضاحي على المواقع المستهدفة من الصباح حتى ساعة متأخرة من الليل حتى يصيبنا تعب وإرهاق بشكل لا يتصوره الإنسان، وفي أغلب الأماكن نجد الناس ما زالوا في انتظارنا برغم أننا نصل إليهم بعد منتصف الليل.

وفي يوم من الأيام ذهبنا إلى داخلية طلاب جزر القمر في أم درمان بالسودان فوجدنا الطلبة كلهم ساهرين في انتظارنا يهللون ويكبرون، ونحن نحاول أن ننزل الثور عادة على مكان عال، ولكن الطلبة جلبوا لنا أربعة كراسي ووضعوا الثور عليها كأنه عريس ونزلوه على الأرض وأدخلوه وربطوه وهم يصرخون لحم لحم لحم...

الحقيقة لقد بكينا ونحن نشاهد فرحة أبناء الطلبة من جزر القمر الذين يدرسون بالجامعة السودانية، وجئناهم في اليوم الثاني بعد الصلاة فذبحنا الثور ووزعناه في حضورا الطلبة.

السميط يدعوك للمساهمة


بانتظار وجبات الطعام

يقول د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله -: إخواني جزاكم الله كل خير إن الأضحية التي تذبحونها وسعرها ما بين ١٠ دنانير كويتية أو ١٢٥ ريال سعودي وتصل إلى ٥٠ دينار كويتي مثلما في جزر القمر وأنجولا المليئة بالألغام وتموت فيها الحيوانات أو مثلا في دولة الجابون التي نضطر نجلب الحيوانات في الطائرة من تشاد إلى الجابون حتى نذبحها لذلك أسعار الأضاحي عندهم غالية جدا فجزاكم الله خيرا.

كما أن وقف الأضاحي وهو ٣٠٠ دينار كويتي أو ٣٧٥٠ ريال سعودي نستثمر لك المال واعتباراً من السنة التي تلي تبرعك نبدأ في ذبح أضحية باسمك سنويا من ريع الوقف، والحمد لله الذين تبرعوا قبل ست سنوات ب ٣٠٠ دينار ورغم أننا نذبح لهم سنويا أضحية ، ولكن وصل بفضل الله رأس مالهم إلى ٤٧٠ دينار بما يعادل أكثر من مرة ونصف بالإضافة إلى الأضاحي التي ذبحنا بفضل الله سبحانه وتعالى.

جزاكم الله كل خير إخواني وجعل ما تقدمونه في ميزان حسناتكم.

والله يا إخواني لقد رأينا الكثيرين جدا من غير المسلمين يقبلون على الإسلام ويدخلون في الإسلام وربما كان المحرك لهذا هو أنهم أخذوا من الأضاحي أو رأوها، لأن أغلبهم من المؤلفة قلوبهم الذين أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نهتم بهم، والله إني لأذكر في يوم من الأيام أحد الأشخاص وهو متعلق بصنمه طوال فترة توزيع لحوم الأضاحي، ثم قال للداعية القائم على التوزيع: لماذا تحترمونني

هذا الاحترام الكبير وأعطيتموني اللحم الكثير رغم أنني لست على دينكم وأخالفكم ؟ فقال له الداعية: إذن لماذا لا تسلم إذا كنت تحب المسلمين ؟ فقال الرجل: لأنه ليس لدي مال، فقال الداعية: لست في حاجة إلى مال، فقط تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وتذهب وتغتسل، فقال الرجل: إذن فلتنتظروني، فذهب الرجل وأحضر زوجته وأولاده وأسلموا جميعا بفضل الله سبحانه وتعالى.

سيل من القصص والمواقف التي ساقها د. عبد الرحمن السميط – رحمه الله– حول مشاريعه الخيرية في مواسم العيدين وغيرهما، وإني أحرص قدر المستطاع أن أورد القصص كما هي لأني على يقين أن كثيرا غيري يستمتع مثلي بعرضه الشائق حول جهوده المباركة في الدعوة إلى الله في إفريقيا، وإني آمل أن يكتب الله لدعوته دواما وهو في قبره، وأن يقيض الله من الأمة من يكمل مسيرته المباركة، اللهم آمين.

الفصل الثامن

مرض السميط ووفاته

الباب الأول

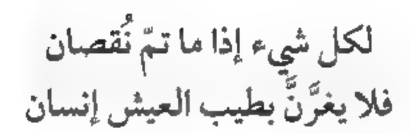
مرضه وصبره على البلاء

أمر المؤمن كله له خير



السميط في آخر زيارة لإفريقيا

يعلم المؤمن أن المرض سنة من الله على العباد ماضية، وفي خلقه سائرة وباقية، فالكمال إن قدره الله لبعض خلقه فمآله إلى نقصان، والقوة مصيرها إلى ضعف وهوان، والغنى آخرته فقر وفقدان.



لكل شيءٍ إذا ما تمّ نُقصان
فلا يغرَّنَّ بطيب العيش إنسان

هي الأُمورُ كما شاهدتها دولٌ
من سرَّهُ زمنٌ ساءته أزمانُ

و هذه الدار لا تُبقي على أحد
و لا يدوم على حالٍ لها شانُ

والمرض وإن كان ظاهره ألم وضعف ونقمة، فإنه في عيون المؤمنين والعقلاء منة ونعمة.

فالمرض يشعر الإنسان بنعمة الصحة والعافية، وتذكر العبد بنعم الله السابغة، ويَكُفُّه عن شَطط الخوض في عصيان سيده وخالقه.

والمرض كاسر الأكاسرة، وجبار ومذل الجبابرة، وقاصر شرور القياصرة.

وهو سلم المؤمنين لبلوغ درجات لم تبلغها أعمالهم، فإن قصرت بهم حسناتهم، بلغها صبرهم على ابتلاء الله لهم.

قال – صلى الله عليه وسلم –: « إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله في جسده أو في ماله أو في ولده، ثم صبّره على ذلك، حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله تعالى » رواه أبو داود وصححه الألباني.

وهو تطهير للذنوب والآثام، حيث يقول – صلى الله عليه وسلم –: «مايصيب المؤمن من وصب ولانصب ولاسقم ولاحزن حتى الهم يهمه إلا كفر الله به من سيئاته» رواه البخاري ومسلم.

وهو علامة على حب الله للعبد قال – صلى الله عليه وسلم –: «إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم» –رواه الترمذي وصححه الألباني.

وقد تعرض الدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله – لمجموعة كبيرة من الأمراض الخطيرة والتي كان واحدٌ منها كفيلا بأن يودي بحياته، ولكن الله قدر بفضله أن يحوطه برعايته ليكمل رسالته النبيلة في الدعوة وهداية الناس والعمل الخيري والإنساني الذي ندر أن تجد له مثيلا ونظيرا.

الطبيب عبد الرحمن السميط مريضا

نسمع كثيرا في الكتب ووسائل الإعلام عن أمراض المهنة، فلكل مهنة أمراضها التي ترتبط بها وتلازم أهلها أكثر مما تلازم غيرهم من الناس،والمرض المهني عادة ما يكون ناتجا عن التعرض الدائم والمتكرر لعوامل ضارة مختلفة على امتداد فترة زمنية معينة.

أما أن تكون هذه الأمراض ناتجة عن رسالة سامية أبى صاحبها إلا أن يكملها على أكمل وجه، فذلك ما تعلمناه من الطبيب الداعية والإنسان النبيل عبد الرحمن السميط.

ثلاثون سنة قضاها الداعية الدكتور عبد الرحمن السميط في أدغال إفريقيا حيث تعرض -رحمه الله- لأقسى الظروف البيئية والحياتية، وعاش بين الناس واحدا منهم يشرب مما يشربون ، ويطعم مما يطعمون، يبتلى بأمراضهم وتهده الغوائل، وتهدده الصوائل، وللأسف فإن مآل هذه الحياة الخطرة يؤدي إلى الإصابة بالأمراض لا محالة.

ولماذا لا يمرض السميط؟

ألم يكن رحمه الله يمضي الساعات بين طرق وعرة وغابات مظلمة مخيفة وأنهار موحشة ومستنقعات منتنة تحكمها سرايا البعوض والأوبئة ليصل إلى قبائل وقرى يدعوهم فيها إلى التوحيد؟

أي ماء كان يشرب السميط؟

يروي د. السميط – رحمه الله – في مقابلة له مع الأستاذ علي العجمي في تلفزيون الوطن: أنه كان يشرب من آثار عجلات السيارات، وأحيانا من نقر الماء التي زارتها الحيوانات، وشرب مرة من بركة ماء بها حمار ميت، وتمر عليه أيام في إفريقيا لا يجد ماء، فاشترى – رحمه الله – زجاجة ماء ملوث مطين بها قدره أربعة ريالات، فالجدب كثيرا ما يسيطر على المناطق الإفريقية. وقد قُدِّم له حليب لم يميِّز لونه الأبيض لكثرة الذباب فيه، لكنه ليس بمقدوره أن يرفضه لأنه في مهمة دعوية فاضطر إلى وضع قطعة قماش على فمه دون أن يلحظ مُضيفوه لتكون كالمنخل من الذباب!

فلا عجب إن أصيب السميط –رحمه الله– بحزمة أمراض من جراء ذلك.

أما عن الطعام فكثيرا ما مر عليه اليوم واليومان دون طعام، وقد أكل مرة ثعابين مشويةً عن طريق الخطأ، لأنه ومن معه من الدعاة لم يجدوا إلا ذلك وقد حسبوه سمكا مشويا!



عاش السميط في بقاع رأى فيها العجب العجاب، حيث يقول - رحمه الله -:فلا تستغرب إذا سمعت عن بعض القبائل في جنوب إفريقيا وشرقها أنها تتناول الديدان حية أو مجففة، وبعضها الآخر يأكلون النمل الكبير طازجاً أو مطبوخاً أو غيرهم ممن يأكلون!

وأذكر مرة خلال زيارتي لأحد مساجدنا القريبة من أحد الأسواق التي تباع فيها الفئران، أنني قمت بجولة في هذا السوق، فشاهدت أحد باعتها وهو يطهوها وينادي علي لأتذوق، فسألته مازحاً هل هي مذبوحة ذبحاً شرعياً؟ ومنذ ذلك اليوم، كلما دخلت السوق إلا وأسمع بعضهم ينادي بأعلى صوته: تعالوا أيها المسلمون، فهذه الفئران لذيذة مذبوحة بطريقة حلال!

لله دَرُّك أبا صهيب كيف تحتفظ بروح الدعابة والفكاهة في هذا المناخ القاتل الممرض؟

عانى السميط كثيرا في سنواته الثلاثين من التنقل أو الإقامة بمناطق يغزوها البعوض، حتى صارت معايشته لذلك أمرا معتادا، ولكن هل تعلم أن البعوض هو سبب أكثر الأمراض فتكا في إفريقيا، فهو حامل لأمراض الملاريا والفلاريا (داء الفيل) وأنواع متعددة من الحمى منها حمى الوادي المتصدع وتنقل البعوضة أنواعاً خطرة من الفيروسات والطفيليات تصيب الإنسان والحيوان، وهي وراء العديد من نوبات الأوبئة التي فتكت بالملايين؛ فليست البعوضة إذن على ضآلتها كائنا يستهان به.

فلا غرابة إذن أن تسمع بإصابته بالملاريا، أو بفشل كلوي، أو تكسر قدمه، أو يصاب بعظام ظهره، فيؤول به الأمر أن يتحرك بعشرات الأدوية في جيبه، أو يتحرك في نهاية عمره مستندا أو على كرسي متحرك، وهو مع ذلك صبور حليم راض، بسام ضحاك مطمئن النفس.

لقد كان طموح السميط وهمته العالية تهد الجبال وتحتاج إلى أجسام قوية لا جسما واحدا، فليس كل أحد يطيق ويصبر كما صبر السميط وتحمل.

وكأن المتنبي يقصده حين قال:

كُلَّ يَوْمٍ لكَ احْتِمالٌ جَديدٌ   ومَسيرٌ للمَجْدِ فيهِ مُقامُ

وإذا كانَتِ النّفُوسُ كِباراً   تَعِبَتْ في مُرادِها الأجْسامُ

كُلّما قيلَ قَد تَناهَى أرانَا   كَرَماً ما اهتَدَتْ إليهِ الكِرامُ

أمراض في صحبة السميط

وقد جاء في برنامج «عبد الرحمن الفاتح» إعداد وتقديم: عبد العزيز العويد: أن الدكتور عبد الرحمن السميط – رحمه الله –:

- أصيب بداء السكري وبقي مصاحبا له لسنوات طويلة، حتى كان يستخدم حقن الأنسولين خمس مرات يوميا.
- أصيب بضغط الدم، وتزيف بالعين.
- أصيب بأربع جلطات، اثنتان منهما في القلب وواحدة في المخ، فضلا عن جلطات في الساق.
- أصيب – رحمه الله – بالملاريا أربع مرات.
- وكسرت فخذه وأضلاعه وجمجمته أثناء قيامه بأعمال إغاثة ومساعدة للمحتاجين في العراق.
- عاني من آلام مزمنة في الظهر والقدمين وخشونة الركبتين نتيجة ترحاله وتحركاته الدعوية والإنسانية والخيرية في ظروف غاية في الوعورة والصعوبة.
- أجريت له عملية قلب مفتوح أجراها له البروفيسور محمد بن راشد الفقيه بالرياض. كان الدكتور عبد الرحمن السميط –رحمه الله– يتناول يوميا من عشرين إلى ثلاثين حبة دواء، فعجبا لطاعم يكون دواؤه أكثر من غذائه.

كان من أهم أسباب مرض السميط –رحمه الله– الإجهاد، حيث تعرض في أوائل التسعينات الميلادية إلى جلطة قلبية ناجمة عن الإجهاد أثناء عمله في المجاعة في القرن الإفريقي (كينيا والصومال)، وتم نقلة بطائرة عسكرية إلى الرياض لتلقي العلاج.



عبد الرحمن السميط المريض المثالي

منذ نعومة أظفاره تمتع الطفل عبد الرحمن السميط بالهدوء والسكينة في لعبه وحركاته وسكناته حتى وقت مرضه.

تقول والدته نقلاً عن أخيه الأخ عبد السلام السميط: إنه الأسهل في التربية بل لم تكن تشعر بتربيته حتى أمراض الطفولة تمر عليه خفيفة فلا يحس بها.

لم يكن السميط -رحمه الله- يبالي بصحته كما يفعل الناس بل شغله هم تبليغ الدعوة إلى أقاصي إفريقيا وقراها ونجوعها، فلم يلتفت إلى نفسه حتى أثقلته الأمراض راغما، فلم يجزع يوما أو يشك بل كان الصبور الحليم، الراضي البسوم.

يقول ابنه المهندس صهيب: أصيب الوالد من جراء عمله بإفريقيا بالملاريا أربع مرات، مرتان منها بالكويت إذ ظهرت أعراضها عليه هناك، وكان مجرد النظر إلى الوالد وهو مصاب بالملاريا أمرا مؤلما جدا.

لما أصيب السميط -رحمه الله- بالملاريا طلب منه أن ينقل بطائرة خاصة ليتلقى العلاج في أقرب مستشفى، فرفض وأبى، وقال: إن هذا المبلغ الذي يساوي آلاف الدولارات يمكن أن يستفيد منه آلاف المرضى، ولكن سأصبر وأتحمل.

بل إن العجيب أنه طلب منه أن يتلقى علاج الملاريا فرفض وقال: كيف أتلقى العلاج وغيري من ملايين المرضى يعاني ولا يجدون دواءً ؟! أعيش كما عاشوا، وأموت كما ماتوا.

ولما اشتدت الحرارة واستحكمت الآلام وشارف -رحمه الله- على الموت وعلم بتصميم الإخوة على نقله بالطائرة، اضطر لتناول الدواء فهو أرخص تكلفة من نقله بالطائرة.

هكذا كانت حياة الفارس النبيل عبد الرحمن السميط، لم يلقِ عصا الترحال والتنقل في سبيل إيصال دعوته، ورغم أن المنايا والأخطار أرسلت إليه سهما تلو السهم وتعرض للأمراض والأوبئة ولدغات الأفاعي ومحاولات القتل، إلا أن الله خيرٌ حافظًا وهو أرحم الراحمين.

فظل – رحمه الله – يؤدي رسالته حتى آخر رمق من حياته، صابرا محتسبا، غير مبال بتربص المنايا والأمراض والأخطار به.

مَا فِي الشَّجَاعَةِ حَتْفُ الشُّجَاعِ
ولا مَدَّ عُمْرَ الجَبَـانِ الجُبْنُ

ولَكِنْ إذا حَـانَ حِيـنُ الفَتَى
قَضى، ويَعيشُ إذا لَـمْ يَحِن

وكان من أدب السميط –رحمه الله– في مرضه ألا يشعر من حوله بمرضه قدر الإمكان، وكان أحيانا يتوارى بعيداً عن الضيوف في حفلات الافتتاح لبعض مشاريعه ليحقن نفسه بإبر الإنسولين في الخفاء، ويتناول حبوب الضغط والكوليسترول ثم يعود مسرعاً إلى ضيوفه.

اثنتان وثلاثون عاما مرت على الطبيب الإنسان عبد الرحمن السميط لم يلبس فيها ثياب الطبيب البيضاء إلا أعواما لا يخطوها الصبي عدا، ثم خلع ثياب حلمه القديم البيضاء بأن يكون طبيبا، لكن قلبه الأبيض والنفس المشرقة الطيبة جعلته يتدرج من مهنة الطب إلى أرقى ما يمكن أن يبلغه الإنسان في سلم العروج إلى قمة العطاء البشري، داعيا حكيما، وأبا عطوفا حليما، وطبيبا ماهرا نحريرا، وإنسانا رءوفا رحيما بكل الناس، متواضع النفس كريما.



حرص على حضور المناسبات رغم مرضه [illegible]

السميط في مرض وفاته

الآن أشرفت رحلة الفارس النبيل على النهاية،ومرة أخرى يعود الدكتور عبد الرحمن السميط إلى المستشفى، ولكن لا يدخل المستشفى طبيباً يداوي الجراح، ويعالج الأسقام، ويخفف الآلام، ويتفقد المرضى، ويثلج الصدور ببسماته الرقيقة، وكلماته العطرة، بل يدخلها متجرعا الأوجاع، طاوي الصدر على أمراضه التي أنشبت أظفارها في جسده الضعيف وبدنه النحيل.

اليوم تنفذ المنايا فيه وعيدها، وتمضي في ثنايا جسمه المستسلم ثأرها، فبالأمس كان السميط ذلك الطبيب الذي طالما حارب العلل والأمراض طبيبا مداويا، ومُطعما مواسيا.

وكما هي عادة السنن الربانية في الخلق والبرية، بدا وكأن جسد عبد الرحمن السميط قد أنهكته الأسقام، وتخللته الآلام والأوجاع.

وفي السنتين الأخيرتين توالى دخول الدكتور عبد الرحمن السميط إلى المستشفى حتى رقد جسد الداعية الطبيب بمستشفى مبارك الكبير في الكويت بعد تعرضه لأزمة قلبية استلزمت إقامته بالمستشفى، ثم أصيب – رحمه الله – بتراجع في وظائف الكلى استدعى عملية غسيل كلوي.

إلا أنه قد استعصى على الأطباء إجراء عملية الغسيل لتردي حالته الصحية، مما أدى إلى تدهور في عمل القلب أدخله في غيبوبة.

ثم وجه صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد –حفظه الله ورعاه– بنقل السميط إلى الخارج للعلاج، فأمضى ثمانية أشهر في ألمانيا، ولكن بعد عودته لم يكن



الطبيب في آخر أيامه رحمه الله





يستطيع الحركة أو الإبصار.

يقول عبد الله السميط: كان الوالد - رحمه الله - في آخر أيامه لا يفتأ يقول: يا الله يا كريم.

وعلى فراش الموت تنزل دموعه، لا لألم مُبرح طاف به، ولا لوجع ألمَّ به، بل يبكي لشعوره بالتقصير عن إيصال رسالته إلى بعض الأماكن البعيدة من إفريقيا ، وكان -رحمه الله- يقول: «ومن ينقذني من الحساب يوم يشكوني الناس في إفريقيا بأنني لم أسع إلى هدايتهم؟!»

وكلما أفاق من غيبوبته لا يسأل إلا عن أحوال أبنائه في إفريقيا ومشروعات الخير هناك، حتى تهلل واستبشر لما أخبروه من كينيا بالموافقة على منح جمعية العون المباشر ترخيصاً لأكبر جامعة إسلامية في كينيا.

الباب الثاني

وفاة السميط رحمه اللّه

محبو السميط يوارونه الثرى

في يوم الخميس ٨ من شوال سنة ١٤٣٤هـ، الموافق ١٥ من أغسطس سنة ٢٠١٣م توفي الدكتور عبد الرحمن السميط.

وبعد جنازة مهيبة شيعت الكويت والعالم الإسلامي فقيد الأمة الإسلامية وابنها البار د. عبدالرحمن السميط - رحمه الله - بعد معاناة طويلة مع المرض، ودُفن جثمانه الطيب في مقبرة «الصليبيخات» ظهر الجمعة ٩ شوال سنة ١٤٣٤هـ، الموافق١٦أغسطس سنة ٢٠١٣م، وحضر جنازته جمع غفير من الناس والكثير من الشخصيات البارزة.

وتقدم المشيعين نائبُ رئيس الوزراء ووزيرُ الداخلية الشيخ محمد الخالد ووزيرُ الإعلام الشيخ سلمان الحمود، ومسؤولون وشيوخ ونواب سابقون.





وداعا أبا صهيب



الباب الثالث

ثناء المحبين

من أكبر نعم الله على عبده أن يرزقه محبة الناس في الدنيا، وثناءهم عليه في حياته وبعد مماته، فمن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، قال - صلى الله عليه وسلم -: «إذا أحب الله العبد نادى جبريل: إن الله يحب فلانا فأحببه، فيحبه جبريل، فينادي جبريل في أهل السماء: إن الله يحب فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض» رواه البخاري.

أي يحدث له في القلوب مودة ويزرع له فيها مهابة فتحبه القلوب وترضى عنه النفوس من غير تودد منه ولا تعرض للأسباب التي تكتسب لها مودات القلوب

وقد جعل الله لعبده مبشرات بين يديه تشرح صدره ويقبل على الله منشرح الصدر مؤملا من الله المغفرة والفضل ، ومن هذه المبشرات ثناء الناس على عمله الصالح، وذكره بالقول الصالح في حضرته وغيبته. فعن أبي ذر، قال: قيل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: «تلك عاجل بشرى المؤمن» رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « أهل الجنة، من ملأ الله تعالى أذنيه من ثناء الناس خيرا وهو يسمع، وأهل النار، من ملأ الله تعالى أذنيه من ثناء الناس شرا وهو يسمع» رواه ابن ماجه وهو صحيح.

فالمؤمن له البشرى في هذه الحياة الدنيا، وله البشرى عند مفارقة الدنيا، وله البشرى في الآخرة، قال جل جلاله ﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ [يونس ٦٢- ٦٤]

فأما البشرى في الدنيا أن يعمل المسلم العمل لله عز وجل فيورثه ذلك ثناء الخلق، فيفرح بهذا الثناء فإن ذلك لا يُنقص أجره ولا يضرّه؛ لأنه إنما عمل العمل لله عز وجل.

وقد امتن الله على عبده أبي صهيب عبد الرحمن السميط- رحمه الله - بمحبة الناس في كل مكان حل به، وتواترت القلوب على محبته واجتمعت الألسنة على الثناء عليه، شهد له بالصلاح وعظمة الأعمال، وتلك شهادة توضع بشارة له على حسن خاتمته في الدنيا، ونحسبه -إن شاء الله- من الصلحين، ونسأله جل وعلا أن يجعله من المقبولين الفائزين يوم القيامة.

فالمؤمنون هم شهداء الله في الأرض، فعن أنس رضي الله عنه، قال: مر على النبي - صلى الله عليه وسلم - بجنازة، فأثنوا عليها خيرا، فقال: «وجبت »، ثم مر بأخرى، فأثنوا عليها شرا - أو قال: غير ذلك - فقال: «وجبت»، فقيل: يا رسول الله قلت لهذا وجبت، ولهذا وجبت، قال: « شهادة القوم، المؤمنون شهداء الله في الأرض» متفق عليه.

وفي الصحيح من حديث عمر قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أيما مسلم، شهد له أربعة بخير، أدخله الله الجنة» فقلنا: وثلاثة، قال: «وثلاثة» فقلنا: واثنان، قال: «واثنان» ثم لم نسأله عن الواحد». رواه البخاري.

وفي الأسطر التالية نسوق للقارئ الكريم بعضا من ثناء الناس على الدكتور عبد الرحمن السميط -رحمه الله- المنشور في جميع الصحف اليومية من مختلف طبقات المجتمع سواء أهل العلم، وفي المراكز الرسمية أو وسائل الإعلام أو المقربين منه من الأقارب والأحباب، وقد شهد له الجميع بالصلاح وعلو الهمة ودماثة الخلق وعظمة الإنجاز، بشكل لا يكاد يوجد في الأمة إلا نادرا.

القيادات السياسية في الكويت تعزي بوفاة د. عبد الرحمن السميط

• وكالة الأنباء الكويتية كونا ١٥/٨/٢٠١٣م: بعث حضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح - حفظه الله - ورعاه ببرقية تعزية لأسرة المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ الدكتور عبدالرحمن السميط عبر فيها سموه رعاه الله عن خالص تعزيه وصادق مواساته لوفاة المغفور له الشيخ الدكتور عبدالرحمن السميط سائلا سموه المولى تعالى أن يتغمده بواسع رحمته ويسكنه فسيح جناته وان يلهم الأسرة الكريمة جميل الصبر وحسن العزاء. مستذكرا سموه مناقب الفقيد والأعمال الجليلة التي قام بها في مجال الدعوة إلى الله تعالى وتبني الأعمال الخيرية والإشراف عليها في القارة الإفريقية وغيرها من المناطق الأخرى ضاربا بذلك نموذجا مشرفا وحضاريا للعمل الإنساني والخيري لبلده ومكرسا حياته لمساعدة المنكوبين والمحتاجين مبتهلا سموه إلى المولى جل وعلا أن يجعل ذلك في موازين حسناته.

• **وكالة الأنباء الكويتية كونا - ١٥/٨/٢٠١٣م:** كما بعث سمو ولي العهد الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح - حفظه الله - ببرقية تعزية إلى أسرة المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ الدكتور عبدالرحمن السميط ضمنها خالص تعازيه وصادق مواساته بوفاة المغفور له الشيخ الدكتور عبدالرحمن السميط مشيدا سموه بدوره المشهود في مجال الدعوة إلى الله تعالى وتفانيه في العمل الخيري ومساعدة وإغاثة المنكوبين والمحتاجين متضرعا سموه إلى المولى جلت قدرته أن يتغمده بواسع رحمته ورضوانه ويسكنه فسيح جناته ويلهم أسرته الكريمة وذويه جميل الصبر وحسن العزاء.



• وكالة الأنباء الكويتية كونا - ١٥/ ٨/ ٢٠١٣م: كما بعث سمو الشيخ جابر المبارك الحمد الصباح رئيس مجلس الوزراء - حفظه الله - ببرقية تعزية إلى أسرة المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ الدكتور عبدالرحمن السميط ضمنها خالص تعازيه وصادق مواساته بوفاة المغفور له الشيخ الدكتور عبدالرحمن السميط مشيدا سموه بدوره المشهود في مجال الدعوة إلى الله تعالى وتفانيه في العمل الخيري ومساعدة وإغاثة المنكوبين والمحتاجين متضرعا سموه إلى المولى جلت قدرته أن يتغمده بواسع رحمته ورضوانه ويسكنه فسيح جناته ويلهم أسرته الكريمة وذويه جميل الصبر وحسن العزاء.

• نعى رئيس مجلس الأمة السيد مرزوق علي الغانم رائد العمل الخيري وابن الكويت البار الدكتور عبدالرحمن السميط الذي وافاه الأجل المحتوم اليوم عن عمر يناهز ٦٦ عاما بعد مسيرة عطاء طويلة في مجال العمل الإنساني والإغاثي في مختلف دول العالم ولاسيما في القارة الإفريقية.



الوجهاء والأعيان يثنون على د. عبد الرحمن السميط

- قال نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية الشيخ محمد الخالد نقلا عن جريدة القبس الكويتية - العدد ١٤٤٤٥- يوم السبت الموافق ٢٠١٣/٨/١٧: إن « العم عبدالرحمن السميط هو رجل الخير بلا شك وبوفاته خسرته الأمة الإسلامية وليس الكويت فقط ».

- وقال وزير الإعلام ووزير الدولة لشؤون الشباب الشيخ سلمان الحمود نقلا عن جريدة القبس الكويتية - العدد ١٤٤٤٥- يوم السبت الموافق ٢٠١٣/٨/١٧: إن الفقيد عبدالرحمن السميط « فقيد العمل الخيري والدعوي والإنساني وهو فقيد الكويت والعالم الإسلامي ».





وزير الإعلام ووزير الدولة لشؤون الشباب الشيخ سلمان صباح سالم الحمود الصباح أثناء تقديمه واجب العزاء.

• وقال رئيس مجلس الإدارة المدير العام لوكالة الأنباء الكويتية (كونا) الشيخ مبارك الدعيج: إن الفقيد السميط كان منارة كويتية وضاءة من منارات العمل الإنساني التي أشاعت النور والضياء في أرجاء القارة الإفريقية وكرست حياتها وجهدها في سبيل خدمة البشرية.



• وقال رئيس اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية د. خالد المذكور في جريدة القبس الكويتية - العدد ١٤٤٤٥- يوم السبت الموافق ٢٠١٣/٨/١٧: «إفريقيا بأراملها وأيتامها وجياعها ومساكينها تعرف الشيخ د. عبدالرحمن السميط والجموع الغفيرة التي جاءت من بلدان كثيرة لحضور التشييع دليل على ذلك رحمه الله تعالى».

• وقال العم علي محمد ثنيان الغانم في جريد الراي الكويتية - العدد ١٢٤٦٧- يوم الإثنين الموافق ٢٠١٣/٨/١٩: عبدالرحمن السميط كان من النخبة النادرة التي اختارت هذا الطريق الشاق الطويل، فقد كان داعية بعلمه وعمله وبخلقه وزهده. لم يبغ من الدعوة إلا مرضاة خالقه من باب خدمة خلقه، فلم يسمح لكسب شخصي أو هدف سياسي أو انتماء حزبي أن يشوب نقاء دعوته أو يشوّه صفاء عباءته.





• وأعرب الدكتور عبدالله معتوق المعتوق المستشار بالديوان الأميري ورئيس الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية ومبعوث أمين عام للأمم المتحدة للشؤون الانسانية عن عميق تقديره وامتنانه وعرفانه للمبادرة الأميرية السامية التي تفضل بها سمو الأمير الشيخ صباح الأحمد بتخصيص جائزة باسم الراحل الدكتور عبدالرحمن السميط. وقال المعتوق إن سمو أمير البلاد أمر بتخصيص جائزة وبشكل سنوي بقيمة مليون دولار باسم الراحل السميط تختص بالأبحاث التنموية في أفريقيا واعتبر ذلك تعبيرا صادقا عن أبوية للمتميزين ولاسيما العاملين في الحقل الخيري.

وأضاف المعتوق إن نسبة هذه الجائزة للراحل الدكتور السميط إشارة مهمة ودلالة قوية على جهود الراحل المتميزة وإنجازاته المهمة في خدمة القارة الأفريقية


رئيس الهيئة الخيرية الاسلامية
ومبعوث الأمين العام للأمم
[illegible]
عبدالله المعتوق

ومواطنيها كما أنها تعبر بصدق عن تقدير عال من الدولة لهذه الجهود والمشاريع والأنشطة.

• في حين قال الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف د. عبدالمحسن الجارالله الخرافي في جريدة القبس الكويتية - العدد ١٤٤٤٥- يوم السبت الموافق ١٧/ ٨/ ٢٠١٣: «نعزي اليوم ونعظم الله أجر أهل الكويت والعالم الإسلامي أجمع بفقيد العمل الخيري وعظم الله أجر الأيتام وجميع المحتاجين الذين كان يساعدهم وعظم الله أجر الـ ١١ مليون مسلم الذين تحولوا إلى الإسلام بفضل الله تعالى وبجهد الراحل».


الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف
سابقا د. عبدالمحسن الجارالله الخرافي

• رئيس جمعية إحياء التراث الإسلامي طارق العيسى يقول في جريدة القبس الكويتية - العدد ١٤٤٤٥- يوم السبت الموافق ١٧/٨/٢٠١٣: فقدت الكويت والأمة الإسلامية علما من أعلام العمل الخيري تغمده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته، وثقل موازينه، وتقبل سعيه، رجل كرّس عمره وزهرة شبابه في خدمة المسلمين، فكابد عناء السفر والتجوال في القارة الإفريقية يداوي المرضى، ويطعم الجائع، ويكسو العاري، ويعلم الجاهل.

• من ناحيته قال رئيس جمعية العون المباشر د. عبدالرحمن المحيلان في جريدة القبس الكويتية العدد ١٤٤٤٥ يوم السبت الموافق ١٧/٨/ ٢٠١٣: إن الفقيد السميط « وضع أرضية للعمل الخيري الميداني ولمؤسسة تتميز بالاستدامة، وأوصل من خلالها المعطي بالمحتاج وفق أسلوب علمي وراق سيستمر إن شاء الله تعالى حيث حرص على أن يكون لعمله الخيري صفة الاستدامة، فالماء جار لمن يريد أن يشرب والدواء متوافر لمن يحتاج والمدارس والجامعات مفتوحة لمن يشاء ».





• وقال مساعد الرئيس التنفيذي لمؤسسة سليمان عبدالعزيز الراجحي الخيرية في المملكة العربية السعودية الشقيقة الشيخ محمد الخميس في جريدة القبس الكويتية - العدد ١٤٤٤٥- يوم السبت الموافق ٢٠١٣/٨/١٧: إن إنجازات د. السميط الكبيرة في إفريقيا تتحدث عنه وآخرها الأسبوع الماضي حين تم تسجيل جامعة « الأمة » في كينيا وتسلم شهادة اعتمادها رسميا وهي الجامعة الأولى للمسلمين في كينيا من أصل (٣٧) جامعة، وأشار إلى أن هذه الجامعة تحتوي على (٥) كليات هي الطب والهندسة والأعمال وتقنية المعلومات والدراسات الإسلامية والعربية ووضع الراحل السميط البذرة الأولى لهذه الجامعة منذ عام (١٩٩٨م).

• نقلت جريدة الأنباء الكويتية - العدد ١٤٤٤٥- يوم السبت الموافق ٢٠١٣/٨/١٧عن الشيخ د. جاسم الياسين رئيس مجلس إدارة الرحمة العالمية قوله: لقد هيأ الله لكل أمر رجلا يقوم عليه وهي سنة باقية إلى يوم القيامة، وقد كان د. السميط رحمه الله رجلا اختاره الله لأن يكون سفيرا للخير فارسا في ميادين قل أن تجد من يتعرض لها، تحمل الكثير وقدم من ماله ودمه وحياته لأجل إغاثة المكروب ومداواة المرضى وتخفيف الألم عمن أعيتهم قسوة الحياة.







• وقال الشيخ يحيى العقيلي الأمين العام بالرحمة العالمية في جريدة الأنباء الكويتية - العدد ١٤٤٤٥- يوم السبت الموافق ٢٠١٣/٨/١٧: لقد فقدت الكويت ابنا بارا من أبنائها وعلما من أعلام العمل الخيري شهد له أهل الكويت بل العالم الإسلامي أجمع بدوره وأثره المبارك في العمل الخيري والدعوة للإسلام في إفريقيا.



يحيى العقيلي الأمين العام بالرحمة العالمية



الشيخ فهد الشامري الأمين المساعد لشؤون القطاعات - الرحمة العالمية

• وقال الشيخ فهد الشامري الأمين المساعد لشؤون القطاعات - الرحمة العالمية في جريدة الأنباء الكويتية -العدد ١٤٤٤٥- يوم السبت الموافق ٢٠١٣/٨/١٧: رحم الله من عشنا وتربينا على يديه رحم الله من فتح لنا أفقا للسباق في هذا المضمار مضمار العمل الخيري، لقد كان د. السميط رمزا نتغنى به وسيظل كذلك بما تركه من إرث يسطر بحروف من نور في صفحات الكويت المشرقة بما قدمه، وهذا حال من عاش لغيره حاملا هم المستضعفين والأرامل والأيتام، لقد كان د. عبدالرحمن السميط مدرسة وفكرا وحركة فقدم للأمة النموذج والقدوة.

والعمل الخيري والإنساني، حيث كان النموذج والقدوة الحسنة للعمل الخيري نظرا إلى تضحيته نسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته.

• وأكد الأستاذ عبدالرحمن المطوع الأمين المساعد لشؤون العلاقات العامة والإعلام - الرحمة العالمية في جريدة الأنباء الكويتية - العدد ١٤٤٤٥- يوم السبت الموافق ٢٠١٣/٨/١٧: سيظل السميط رمزا للخير وفارسا سطر بعمله الدؤوب صرحا من العطاء، كان سفينة خير

لكل مكروب وبلغ بجهده وهمته ما تجاوز الحدود، كان إماما من أئمة العمل الخيري الكويتي ومدرسة تعلم فيها العاملون على الخير.

- وقال الأستاذ وليد عبدالله الغانم في مقال له في جريدة القبس الكويتية - العدد ١٤٤٤٨- يوم الثلاثاء الموافق ٢٠/ ٨/ ٢٠١٣: قضى نصف عمره في العمل الخيري والدعوي والإنساني معرضاً حياته للخطر ومضحياً بمستقبله المهني كطبيب، ليتفرغ للدعوة إلى الإسلام وإغاثة المنكوبين في القارة السمراء، أحب الخير للناس فأحبه الناس من كل قطر وأحسنوا إليه الثناء في حياته وبعد مماته، ونسأل الله سبحانه أن يغفر له ويتقبل منه أحسن أعماله.

الأستاذ عبدالرحمن المطوع الأمين المساعد لشؤون العلاقات العامة والإعلام - الرحمة العالمية

- **جريدة الوسط البحرينية**

وقالت جريدة الوسط البحرينية: توفي أمس الخميس ١٥/ ٨/ ٢٠١٣م: الداعية الكويتي عبدالرحمن السميط إثر معاناة طويلة مع المرض بسبب أزمة قلبية وارتفاع في ضغط الدم عن عمر ناهز الـ٦٦ عاماً.

- وقال الكاتب الصحفي والمرافق له في كثير من أسفاره الأستاذ وليد إبراهيم الأحمد كما في كلمته المنشورة في جريدة الرأي - العدد ١٢٤٦٥- السبت ١٧/ ٨/ ٢٠١٣م: كيف لا تريدون أن تدمع عيني، وينفطر فؤادي لنبأ وفاة والدي وشيخي د. عبدالرحمن السميط وقد عايشته عن قرب وسافرت معه لأدغال إفريقيا أكثر من مرة؟! نمت معه على الأرض اليابسة وأكلت معه طعاما منتهى الصلاحية، وقدمنا لأطفال كينيا عندما ضربتهم المجاعة شوربة (الإنقاذ) المكونة من طحين وماء وزيت في وسط الصحراء القاحلة.


الأستاذ وليد عبدالله الغانم

هل أتحدث عن فرحة الأيتام والفقراء عندما تصلهم معلومة قدومك، أم عن أسلوبك الدعوي مع القبائل المتحدة، أم عن احترامك للأديان السماوية ومجادلتك إياهم بالتي هي أحسن حتى يدخلوا الإسلام، أم عن الأخطار التي تعرضت لها والأمراض التي ألمت بك.



وعبر جريدة الرأي ١٨ أغسطس ٢٠١٣م نعت لجنة زكاة الشامية والشويخ التابعة لجمعية النجاة الخيرية بمشاعر الألم والأسى فقيد الأمة الإسلامية والعربية والعمل الخيري الدكتور عبد الرحمن السميط داعية الخير. وقالت اللجنة في بيان لها إن وفاة السميط تركت فراغا نشعر نحن به كمؤسسات عاملين في المجال الخيري، ونسأل الله تعالى أن يعوض الكويت من يخلفه.

- وقال د. فرحان بن عبيد رئيس جمعية إحياء التراث الإسلامي فرع الجهراء عبر حسابه في تويتر: قلوب الناس فاضت بمشاعرها من خلال وفاة عبد الرحمن السميط والسبب ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]، أي محبة في قلوب الناس.



وعبر وكالة الأنباء الكويتية كونا استذكرت جمعية الهلال الأحمر الكويتية المناقب الطيبة والكريمة لفقيد الكويت الدكتور عبدالرحمن السميط ومآثره الكبيرة في مجال العمل الخيري والإنساني مؤكدة أن رحيله خسارة ليس بالنسبة للكويت فحسب وإنما لجميع العاملين في المجال الإنساني خصوصا في القارة الإفريقية. وقالت الجمعية في بيان صحافي: إن الفقيد السميط - رحمه الله - كان أحد رموز الإنسانية وفارسا في ميدانه، وأشادت بمسيرة عطاء الراحل في مجال العمل الخيري خصوصا في إفريقيا «حيث أي مساعدات كانت تقدمها الجمعية في القارة السمراء تجده أمامها

يقوم بعمله حتى إنه ولكثرة أعماله قدم جهدا أكثر من أمة مجتمعة.

- ونعى مدير عام لجنة التعريف بالإسلام جمال الشطي بمزيد من الحزن والألم وفاة الدكتور عبد الرحمن السميط في جريدة النهار - العدد ١٩٣٥ - يوم الأحد ١٨/ ٨/ ٢٠١٣م: السميط يعد قدوة لي ولكل الكويتيين في العمل الخيري، لقد كان رجلا فذا متفانيا، يحمل هموم الدعوة إلى الله تعالى حتى أثناء مرضه.

وقال الشطي نتذكر لقاءاته وحديثه بالإذاعة وواقعيته الميدانية التي تؤثر بالكثير فهو رجل عن أمة وقد نحتاج إلى عشرة أخوة وأكثر ولن يستطيعوا حمل ما قام به من أمانة مناشدا جمعية العون المباشر أن يعملوا مشروع الدكتور عبدالرحمن السميط لتخريج قيادات ودعاة العمل الخيري لنخرج ألف داعية في كل دولة إفريقية وهذه أمنية.

وقال الشطي: من الناس من يموت تفرح بموته الأمة ومن الناس من يموت وتبكي بفراقه الأمة منهم الدكتور عبدالرحمن السميط.



• وبدوره قال نائب رئيس المبرة الخيرية لعلوم القرآن والسنة د. أحمد عبدالرحمن الكوس: لا يقاس الناس بأعمارهم ولكن يقاسون بأعمالهم ونحسب أن الدكتور قدم ما لم تقدمه أمم فهنيئا له هذه الأعمال الضخمة التي قدمها للإسلام والمسلمين.

• وجاء في صحيفة الرأي - ٢٣/٩/ ٢٠١٣م: قدمت مساعد الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية ومنسق إغاثة الطوارئ فالاري آموس خالص التعازي والمواساة الخاصة لسمو الأمير الشيخ صباح الأحمد، وعائلة الفقيد والعاملين في جمعية العون المباشر، لوفاة مؤسس الجمعية الدكتور عبدالرحمن السميط.

ووصفت آموس في رسالة عزاء تلقاها رئيس الهيئة الخيرية الإسلامية ومبعوث الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية الدكتور عبدالله المعتوق الراحل الدكتور السميط بأنه شخصية إنسانية رائدة في الكويت والوطن العربي والقارة الإفريقية، وأن الفقيد ترك إرثا إنسانيا سيستمر في إحداث تغيير كبير في حياة الفقراء والمعوزين إلى الأفضل.

• وقال رئيس الفروع والحج بلجنة التعريف بالإسلام المحامي مبيف العجمي في جريدة الوطن الكويتية يوم الخميس الموافق



١٥/ ٨/ ٢٠١٣: الدكتور عبدالرحمن السميط الإنسان الذي نذر حياته لخدمه الإسلام والمسلمين ولم يبحث عن كرسي أو مال أو جاه أو منصب لقد ترك ملذات الدنيا وزهد بها على الرغم من توافرها له وهو رحمه الله مدرسة للدعوة والدعاة ونرجو تأسيس جمعية خيرية باسمه تقوم بأعماله بإفريقيا حباً ووفاء لهذه القامة الخيرية ورد بعض جميل هذا الرجل.



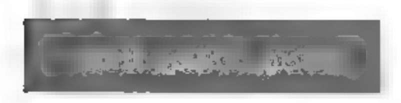
• وكتب د. فهد السنيدي مقدم برنامج «ساعة حوار» في قناة المجد برسالة بعثها إلى الفقيد – رحمه الله-: بعد زيارة فريق قناة المجد إلى مدغشقر لتصوير برنامج القارة المنسية كشف لنا فيها جوانب خفية وحقائق عن هذا الرجل العجيب حيث يقول من ضمن ثنايا الرسالة: يا دكتور لقد منحتني شهادة عليا في هذه الرحلة لم تستطع جامعات الدنيا أن تمنحني إياها، لقد حصلت على الدكتوراه في احتقار النفس أمام العظماء، وتجاوزت الماجستير في العمل الحقيقي الذي كنا نعتقد أنفسنا من رواده وبكالوريوس بامتياز في معرفة رجال الأمة الحقيقيين الذين يستحقون شهادات التقدير وجوائز الشكر،لكنهم مع ذلك يقولون كما كنت تقول لي: يا أخي نحن لا ننتظر شهادات من أحد، نحن عملنا في الميدانو ننتظر من الله فقط أن يتقبل منا.

• وقال أستاذ كلية التربية الأساسية د. خالد شجاع العتيبي: لقد رحل الداعية حقاً رحم الله أبا صهيب الدكتور عبدالرحمن السميط، رجل بذل نفسه ونذر حياته لله في سبيل الدعوة وترك الدنيا لأهلها وترك ساحة يتنافس فيها الناس على كل شيء وآثر لنفسه السلامة ودعا إلى الله تعالى في أرض يزهد فيها الناس حيث لا يزاحمه ولا ينافسه عليها أحد لأنها منسية ويرغب عنها الناس وهي قارة إفريقيا وكان رحمه الله طيب المعشر عذب الكلام لا يمل مجلسه.

• وقال الرئيس التنفيذي السابق في بيت التمويل الكويتي محمد سليمان العمر: المغفور له بإذن الله الشيخ عبدالرحمن السميط كان أحد سفراء الكويت البررة للعالم، أظهر الوجه المشرف للعمل الخيري الذي جبل عليه أهل الكويت، ورسم بجهوده ومساعيه الخيرة في أنحاء الأرض، خاصة إفريقيا، الصورة المثلى للمواطن الكويتي المسالم والمحب للخير للإنسانية بصرف النظر عن الدين أو اللون، وكان أحد دعاة الإسلام المستنير الذي يقدم مصلحة الناس ومنفعتهم، مستهدفا إعمار الأرض وتنمية الإنسان وتوفير الحياة الكريمة له.

• ومن جانبه بين الداعية الدكتور عبدالعزيز الأحمد أن الداعية الدكتور عبدالرحمن السميط رحل عن هذه الحياة وبصماته باقية بآلاف القرى ومئات المدن والدول وملايين المسلمين في إفريقيا سائلا المولى عز وجل أن يرحمه بواسع رحمته.





• وقال الشيخ الدكتور سلمان العودة: رحم الله قلب إفريقيا النابض الذي توقف بعد طول جهد وطول معاناة، والتعزية لأسرته ولكل فقراء وجياع وأطفال إفريقيا.







- وقال د. أبو الفتح البيانوني: عرفته إفريقيا أكثر من غيرها بما بذل فيها من جهد.

- وقال د. محمد العريفي: يبكيه الأرامل والأيتام ومحبو الدعوة.

- وقال أستاذ الحديث المشارك بجامعة القصيم نائب رئيس الهيئة العالمية لتدبر القرآن د. عمر المقبل قائلاً: رحل السميط - رحمه الله- وأمتنا ولود، وأنا واثق أن من بين قراء هذه التغريدة من لو عزموا لصار عندنا عشرات مثله لكن من يحدد الهدف، ويستعين بالله.

- وقال الشيخ د. نبيل العوضي: فقدت الأمة الكويتية والشعب العربي والإسلامي رجلا قل نظيره وندر مثيله.

- وقال د. عبدالوهاب الطريري: نسأل الله أن يجعله ممن تتلقاهم الملائكة بالبشرى.







• وقالت د. ربيعة بن صباح الكواري عبر جريدة الشرق القطرية -٢٠١٣/٨/٢٥م: ودعنا أحد فرسان هذا العصر في مجال الإغاثة ونصرة الملهوف ونشر الدعوة إلى الله، بل أبرز الدعاة الذين لعبوا دورا رياديا في بناء المساجد والجامعات والمدارس ودور تحفيظ القرآن الكريم والمراكز الإسلامية وكفل الأيتام وحفر الآبار وغيرها من أعمال الخير. هذه الأعمال الخيرية لم تقدم باسم الإسلام فقط بل باسم الإنسان والإنسانية.

وقد نعت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة -إيسيسكو د. عبدالرحمن السميط، الذي توفي بعد معاناة طويلة من المرض. وقالت الإيسيسكو إن د. السميط كان مثالا للداعية المسلم الملتزم بقيم الإسلام السمحة، والعامل بكل إخلاص في مجال إغاثة المحتاجين والفقراء والمنكوبين، وإقامة المؤسسات الخيرية والإغاثية والطبية في القارة الإفريقية منذ السبعينيات من القرن الماضي. وتقدمت الإيسيسكو بالتعازي إلى آسرة الفقيد وإلى محبيه وأصدقائه في جميع أنحاء العالم الإسلامي، داعية الله له بالمغفرة والرحمة، وأن يجزيه خير الجزاء على ما قدم من عمل صالح مبرور خدم به المحتاجين والضعفاء في جميع أنحاء إفريقيا.

ونعى الوقف الإسكندنافي في السويد والدنمرك فقيد الكويت د. عبدالرحمن السميط في بيان صحافي جاء فيه: كنا نسمع ونقرأ عنه، لكننا في تلك اللحظات كنا في لقاء تاريخي ولحظات ذهبية نتعرف بها على الداعية، لنعرف ساعتها أننا حقا أمام عملاق دعوي قل نظيره. شعرنا أمامه كم نحن صغار في تجربتنا الدعوية.

وغيرهم كثير عبر وسائل إعلامية مختلفة ممن يضيق المقام عن عرض تأبيناتهم وكلماتهم في فقيد الأمة الإسلامية -رحمه الله- .

الشعراء يرثون د. عبد الرحمن السميط

قال الشاعر فهد المفرج:

أصدّق ما قد جاءني أم أكذّبُ ... ولكنها الآجال تحصى وتكتبُ
لقد فقدت أرض الكويت حبيبها ... فأضحت لعمر الله تبكي وتندبُ
تنادي فلا حيٌّ يجيب نداءها ... وكيف وقد مات الكريم المهذّبُ
دعى ما دعى لله حتى توافدت ... قلوبٌ لها في جنة الخلد مطلبُ
وأهوت نفوس الخلق طرّاً لحبه ... وذلك توفيقاً من الله يحسبُ
فلله أعمال (السميط) وجهده ... فقد كان للتوحيد يغدو ويذهبُ
فكم من نفوسٍ أسلمت بعد كفرها ... وكم من عبادٍ للحساب تأهبوا
وكم من مصلّى قد بناه بعزمه ... وكم حفر الآبار للناس تشربُ
غريبٌ مضى قد عاش في الدهر بيننا ... بجدٍّ وكنا من حواليه نلعبُ
فأين لنا مثل (السميط) وقد مضى ... عجبت وكل الناس مثلي تعجبوا
عليك سلام الله قد كنت داعياً ... إلى الله والدار التي كنت تطلبُ
مضيت وقد خلّفت خلفك سيرةً ... هي المسك والريحان بل هي أطيبُ

وقال الشاعر صالح بن علي العمري:

حيّ السميطَ سماءَ الرفقةِ الصُلَحا ... وذكرهُ في معالي المجد ما برحا

واسكب على قبره أغلى الدموع، فما ... ترجو بدمع على الأبطالِ ما سُفحا

واخترْ له من حديثِ الروحِ أعذبَهُ ... ومن بديعِ القوافي كلها صَلحَا

يا رائد البرِّ.. من تيجانِهِ اتشحوا ... إذا انتشى كلُّ مغرورٍ بها اتشحا

قومٌ همُ الجودُ إنْ شحَّ الزمانُ ضنى ... كأن عثمانَ مولاهم إذا منَحَا

قومٌ همُ الجارُ.. نعم المستجارُ إذا ... دارتْ على مسلم بالنائباتِ رحى

كأنّهم معشرُ الأنصارِ إذ بذلوا ... وكلُّ باب لهم بالفضلِ قد فُتحا

قومٌ همُ الأهلُ، والآفاقُ شاهدةٌ ... إذا حصانُ الرزايا حنَّ أو جمحا

سلْ الفقيرةَ من جلّى غوائلها؟ ... فرفرفتْ في زوايا دارِها فرحا!!

سلْ اليتيمةَ في أدغالِ مَظلَمة ... من رقَّ من دمعِها الرقراقِ؟ من مسَحَا؟

سلْ المجاهدَ في أعلى منازله ... من جادَ بالدمِّ والدينارِ؟ من نصَحا؟

واسألْ عن السترِ من قُدّت خمائلُهُ ... أو من شكى من سياط الظلم أو نزحا؟

من أرغمَ القسَّ والصلبانَ أزمنةً ... في عمقِ إفريقيا فانذلَّ وافتضحا؟

من هدّ أبنيةَ الأوثانِ فانشرحتْ ... ممالكٌ بعرى التوحيدِ.. وانشرحا؟

من أنقذَ الرُّقعة السمراءَ من عللٍ؟ ... يانعمَ ما ربحت منهُ وما ربحا

جارَ الصليبُ بشطّي أمةٍ جنحت ... للسلمِ.. لكن وربِّ البيتِ ما جنحا

وللمنافق أحجارٌ موسّمةٌ ... كالكلَبِ يُرجم منبوذا إذا نبحا

و الله لن يطفئوا نور الإله وقد ... أُتمَّ.. والعبدُ مرهون بما اجترحا

يا سيدَ العملِ الخيري معذرةً.. ... فالشعرُ في موقف العرفانِ ما نجحا

حسب القوافي وحسبي حين أشحذُها ... دمعي ودمع الرجال الغرِّ إذ سفحا

الحبُّ والشوقُ في آفاقِ ذكركمُ ... تعانقا في الفؤاد الصبِّ فاقتدحا

إن طأطأ الشعرُ من عجزٍ ومن حزنٍ ... فالدهرُ والمجدُ والتاريخُ قد مدحا

ما مات من أنقذ الدنيا بمهجته ... يا للخلودِ.. وللخيرِ الذي فُتحا

وداعا أبا صهيب

وأخيرا ترجّل هذا الفارس الشهم النبيل عن فرسه، وبقيت ميادين فتوحاته في إفريقيا تلهج باسمه وتعطر المجالس بذكره وفضله.

وأخيراً كف هذا القلب الكبير عن الخفقان، وهمد هذا الجسد الدءوب عن حركاته المباركة، والذي لم يدع بقعة يقدر أن يطأها وينفع أهلها إلا فعل.

مات السميط وعاشت مآثره، وأراه الثرى وارتفعت منائره.

قد مات قوم ولم تمت مكارمهم وعاش قوم وهم في الناس أموات

خَفَت صوته الطيب الحاني، وبقيت منائر الخير التي بناها تصدح بتوحيد الباري.

سكت السميط ولكن ضجت حلقات الذكر في إفريقيا قراءة للقرآن الكريم وبذكر الله تسبيحا وتكبيرا وتهليلا.

فلتقر عيناك الكريمتان، ونم هنيء الخاطر مرتاح البال.

وانظر من برزخك بنور روحك هناك في قلب إفريقيا تبشرك بعظم الجزاء من رب غني شكور. هنا مسجد بالتوحيد يصدح، والناس بين سُجَّدٍ ورُكَّع.

دعا إلى بنائه عبد الرحمن السميط

وهاهنا حلقة ذكر. . ومجلس علم.. وندوة فكر أقامها عبد الرحمن السميط.

وها هم الأطفال والكبار يذهبون مع بزوغ الضحى إلى مدرسة ومعهد بناه عبد الرحمن السميط.

وجامعات في قلب إفريقيا ترفع للعلوم راية وتجعل للحياة هدفا وغاية أسسها عبد الرحمن السميط.

وهناك بئر تحيي أرضا وتسقي نبتا وتروي نفسا حفرها عبد الرحمن السميط

وهناك دار لليتيم كانت له أنسا ودارا وسكنا شيدها عبد الرحمن السميط

وفي قرية بعيدة بالأطراف، خفية عن الأطراف نرى كفيفا بعد عماه رأى وأبصر، ومريضا بعد علته قام وابتسم وأبشر عالجه السميط

داويت أبا صهيب جراحهم، وأثلجت بالرحمات آلامهم.

بصَّرت بالعلم جاهلهم، وهديت بالإيمان حائرهم.

ورددت عن الآثام عاصيهم، ورددت بحسن خلقك شاردهم.

وفرجت عن معسرهم، وأطعمت جائعهم، وكسوت عاريهم.

فإن كان للإنسان من باكية، فإن لأبي صهيب عشرة مليون باك وباكية .

رحمك الله يا عبد الرحمن السميط، جزاء كل نفس رحمتها بهدايتها إلى طريق الحق.

رحمك الله بكل عين مسحت عنها دمعا...

وبكل جسد كسيته تكريما لإنسانيته وسترا...

رحمك الله يا عبد الرحمن. . بكل يتيم كنت له أبا وجَدا. .وبكل أم كنت لها أخا وعمَدًا. .وبكل ضعيف كنت له قوة وسندا.

رحمك الله بكل مريض خففت عنه ألما، وبكل فقير فرجت عنه كربة وهما.

رحمك الله وسقاك من كوثر النبي المجتبى والرسول المصطفى - صلى الله عليه وسلم -.

فكم أرويت أكبادا عطشى وأجوافا ظمأى.

أنار الله قبرك الطيب كما أنرت بنور العلم المدارس والجامعات، وأبدلك الله بغربتك عن أهلك ووطنك أنسًا ونورا، وجزاك بكل بسمة أدخلتها على يتيم أو مسكين سرورا دائما وحبورا، وبعثك مع النبيين الأبرار والصحب الكرام

عشت طيبا ومت طيبا وتبعث إن شاء الله يوم القيامة كريما طيبا.

علمتنا أن القوة لا تقاس بالشباب والكِبَر، بل هي قوة الروح والإيمان وسمو الغاية، وأن الشيخوخة هي شيخوخة الكسالى والقاعدين والعاجزين، ولو كانوا شبابا.

علمتنا أن المخلصين لا تثنيهم الحجج والمعاذير عن العمل من أجل ربهم ودينهم ورسالتهم، فلا يردهم بعد المسافات ونقص الإمكانات، وغياب الحاجيات، وكثرة العقبات.

علمتنا أن بذرة طيبة واحدة تحملها يد مباركة ويسقيها ماء الإخلاص وتتعهدها عيون المحبين تثمر حقولا وبساتين، هكذا كانت أعمالك الطيبة التي تجل عن الإحصاء والعد.

- علمتنا أنه قد يموت النجم وتبقى أنواره، ويموت المرء وتعيش أعماله من بعده أضعاف ما مضاه ضيف على الدنيا.

- علمتنا أنه نِعْمَ المالُ الصالحُ بيد العبد الصالح، فكم من فلس ودينار آثرت به الفقير والمحتاج على نفسك وروحك، حتى ولو قضيت يوما جائعا وقضيت ليلك طاويا.

- علمتنا أن السعادة هي إسعاد الناس، وأن راحة البال هي في كشف كربة مكروب وتخفيف آلام العليل ومسحة عين الأيتام، وإطعام الطعام وإدخال السرور على الرجال والأطفال.

- عمتنا أن الخيرَ في المفهوم الإسلامي الصافي هو عملٌ إنساني ينبغي أن يفيض على البشرية جميعها، فالإسلام رحمة للعالمين.

- علمتنا أن الإنسان ليس بذكره وشهرته بين الناس، فكم من نجم عظيم في السماء لا تراه العيون، بينما يظهر في السماء من النجوم ما هو أقل حجما وأخفت ضوءا وأقل أثرا.

- علمتنا أن ذكر المرء في الدنيا لا يعدل شربة ماء، بينما ذكره الباقي هو ذكره في ملأ السماء.

- علمتنا أن رحمة الإسلام تتسع لكل الناس، وأننا كلنا أبناء آدم، وأن الوشيجة العظمى التي تربط المسلم بالبشرية أن في كل ذات كبد رطبة أجر، وكم فتح الله قلوبا للإسلام لما رأوك ترحمهم كما ترحم المسلمين.

- علمتنا أن المعاني السامية من إخلاص وجد وإيثار ورحمة ومحبة للآخرين، والتي نتشدق بها ونعلمها أبناءنا في البيوت والمدارس هي كذب وهراء، ما لم تترجم في قدوة وعمل يرونه رأي العين، وها أنت تعطينا هذه القدوة والأسوة وقد بلغت يا أبا صهيب فيها الذرا والعلا.

- علمتنا كيف يكون الإيثار والتواضع.

- علمتنا أن المرء قد يصلح الله به أمة فيكون رجلا بأمة.

- علمتنا أن الرحيم هو من يبكي قلبه قبل أن تبكي عيناه وأن الكريم من أكرم الغريب قبل القريب.

- وأن الشجاع من يؤمن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

علمتنا أن الأعمار قد تطول بالإنسان ولا يشعر فيها الناس بِذَرَّةٍ من أثر، وقد تقصر الأعمار بالإنسان فإذا به يبلغ من العطاء ما يجل عن العد والحصر.

دقات قلب المرء قائلة له ... إن الحياة دقائق وثواني
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها ... فالذكر للإنسان عمر ثاني

سلام عليك أبا صهيب

سلام عليك يا من ذكرتنا بالصحب الكرام

سلام عليك أبا الضعفاء والفقراء والأيتام

سلام عليك أيها الضحوك الرقيق البسام

سلام عليك يا من نشرت الإسلام وأطبت الكلام وأطعمت الطعام

سلام عليك يا أعجوبة الدهر والزمان، ويا آية العطاء والإحسان

سلام عليك يا عبد الرحمن، فما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

سَقى الغَيثُ غَيثاً وارَتِ الأَرضُ شَخصَهُ ... وَإِن لَم يَكُن فيهِ سَحابٌ وَلا قَطْرُ
وَكَيفَ اِحتِمالي لِلسَحابِ صَنيعَةً ... بِإِسقائِها قَبراً وَفي لَحدِهِ البَحرُ
مَضى طاهِرَ الأَثوابِ لَم تَبقَ رَوضَةٌ ... غَداةَ ثَوى إِلّا اِشتَهَت أَنَّها قَبرُ
ثَوى في الثَرى مَن كانَ يَحيا بِهِ الثَرى ... وَيَغمُرُ صَرفَ الدَهرِ نائِلُهُ الغَمرُ
عَلَيكَ سَلامُ اللهِ وَقفاً فَإِنَّني ... رَأَيتُ الكَريمَ الحُرَّ لَيسَ لَهُ عُمرُ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر

- برنامج «عبد الرحمن الفاتح» إعداد وتقديم: عبد العزيز العويد
- برنامج «صفحات من حياتي» قناة المجد الفضائية – تقديم: فهد السنيدي
- برنامج «ساعة حوار» على قناة المجد – تقديم فهد السنيدي
- برنامج «وجوه إسلامية» قناة العربية
- «الموافقات» للشاطبي
- «صيد الخاطر» للإمام ابن الجوزي
- «سير أعلام النبلاء» للإمام الذهبي
- « علو الهمة» للدكتور محمد بن إسماعيل المقدم
- «رسالة إلى ولدي- رحلة خير في إفريقيا» للدكتور عبد الرحمن السميط
- لقاء مفرغ مع قناة الجزيرة بعنوان : قبائل الأنتيمور وعرب مدغشقر
- كتاب «خدم فقراء إفريقيا» إعداد فريق موقع لبيك إفريقيا www.labaik.africa.org
- قبائل الميجيكندا عاداتها وتقاليدها تأليف جمعة عبد الله الكومي والدكتور عبد الرحمن السميط
- كتاب «قبيلة الدينكا في جنوب السودان» للدكتور عبد الرحمن السميط وفاروق عبد الله أحمد بلال
- كتاب «قبائل البوران» للدكتور عبد الرحمن السميط
- «رسالة إلى ولدي- رحلة خير في إفريقيا» للدكتور عبد الرحمن السميط

- كتاب «العمل الإغاثي عند الدكتور عبد الرحمن السميط - رحمه الله - وأثره في قبول دعوته» للباحث علي محمد علي آل حسن الشهري
- مجلة الكوثر
- حقيبة مسافر
- وكالة الأنباء الكويتية كونا
- تلفزيون الوطن
- جريدة الوطن الكويتية
- جريدة القبس الكويتية
- جريدة الراي الكويتية
- جريدة الأنباء الكويتية
- جريدة الوسط البحرينية
- جريدة الشرق القطرية
- مجلة البيان
- مجلة الحياة
- موقع إسلام ويب www.islamweb.net
- جمعية العون المباشر direct-aid.org/cms
- برنامج تويتر

الفهرس

الفصل السابع: